

رَفَعُ
عَنْ الرَّحْمَنِ (الْفَخْرِيِّ)
(السَّيِّدِ) (الْمَرْكُومِيِّ)

الدُّلُومِيَّةُ

في ترجمة فقيه الأمة
العلامة ابن عثيمين

رحمه الله تعالى
ترجمة شاملة لحياة الشيخ من النشأة إلى الوفاة

جمع وإعداد
تلميذه
عصام بن عبد المنعم المري

دار البصيرة
الإسكندرية

رَفْعُ

عبد الرحمن النجدي
أسكنه الله الفردوس

رَفَعُ

عبد الرحمن البخاري
أسكنه الله الفردوس

الدر الثمين

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

حقوق الصنف محفوظة
لدار البصيرة
لصاحبها / مصطفى أمين

رقم الايداع : ٢٠٠٣ / ٣٣١٥

دار البصيرة
جمهورية مصر العربية
الإسكندرية - ٢٤ ش كانوب - كامب شيزار - ت : ٥٩٠١٥٨٠



رَفَعُ
عبد الرحمن النجدي
أسكنه الله الفردوس

الدر الثمين

في ترجمة فقيه الأمة

العلامة ابن عثيمين

رحمه الله تعالى

ترجمة شاملة لحياة الشيخ من النشأة إلى الوفاة

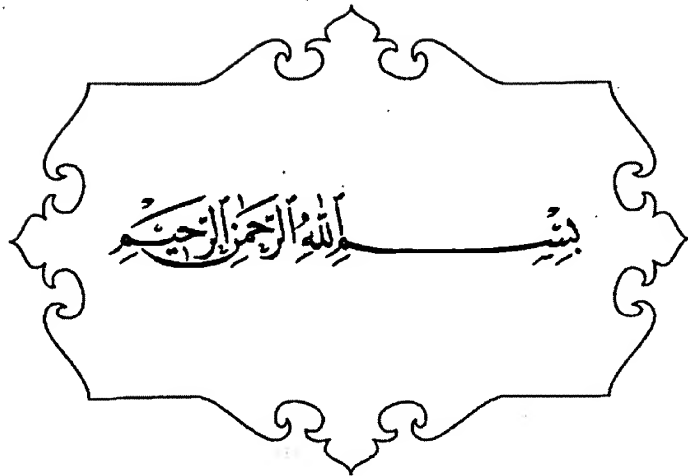
جمع وإعداد

تلميذه

عصام بن عبد المنعم المطري

حار البصرة

الإسكندرية



رَفَعُ
عبد الرحمن النجدي
أسكنه الله الفردوس

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

المقدمة

إِنَّ الْحَمْدَ لِلَّهِ نَحْمَدُهُ وَنُسْتَعِينُهُ وَنَسْتَغْفِرُهُ، وَنَعُوذُ بِاللَّهِ تَعَالَى مِنْ شُرُورِ أَنْفُسِنَا وَمِنْ سَيِّئَاتِ أَعْمَالِنَا. مَنْ يَهْدِهِ اللَّهُ فَهُوَ الْمُهْتَدِ وَمَنْ يُضِلِلْ فَلَا هَادِيَ لَهُ. وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ. وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ تَسْلِيمًا مَزِيدًا.

قال تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا ﴾ [النساء : ١].

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ ﴾ [آل عمران : ١٠٢].

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا. يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا ﴾ [الأحزاب : ٧٠، ٧١].

أما بعد :

فإن أصدق الحديث كتاب الله، وخير الهدي هدي محمد ﷺ، وشر الأمور محدثاتها، وكل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة وكل ضلالة في النار.

وبعد :

لعلّ من أصعب الأمور كتابة المقدمات للأمور العظام والأحداث الجسام، فإن هول الحدث وفضاعته وعظمه وتصوّره وعظم الخسارة التي تخسرها الأمة كافٍ في انعقاد اللسان واضطراب البنان.

أقول هذا وأنا أحاول كتابة مدخلٍ لترجمة شيخني وأستاذي الجليل العلامة المحقّق المدقّق بقية السلف الصالحين وحامي حمى الدين والذّاب عن شريعة سيد المرسلين ومفيد الطالبين ومفتي الحائرين الإمام العلامة أبي عبد الله محمد بن صالح بن عثيمين والذي رُزئت الأمة بوفاته يوم الأربعاء الخامس عشر من شوال لسنة إحدى وعشرين وأربعمائة وألف من الهجرة، قبيل غروب شمس ذلك اليوم، ومع غروبها غربت شمس الفقه التي طالما أنارت الدنيا بنورها، وأزاحت عن الكثير غياهب ظلمائها، وأزاحت عن العميان غشاوة أبصارها.

فقد كان ابن عثيمين رحمه الله للناس كالنسيم في رفته، وكالمزن في عذوبته، وكالبلسم للعليل في إزالة سقمه، وكالعافية للبدن.

كم هدى الله به من ضالٍّ ! وكم علّم به من جاهل ! وكم حفظ به من أعراض ! وكم حقن به من دماء !.

عُمرت المجالس بفتاويه، وذخرت المكتبات بتأليفه، وشنفت الأذان بدروسه، وابتهجحت الأبصار بطلعته، وسعدت القلوب بابتسامته.

فرحمة الله عليك من إمام هدى، وهادي أمة.

هذا وقد كنت ترجمت للعديد من مشايخي الذين تتلمذت عليهم وتلقيت العلم عنهم، وكان شيخني ابن عثيمين رحمه الله من أولهم، ولكنني أخّرت الترجمة

له نظراً لطولها، ولأنني كنت أودُّ أن تكون ترجمة وافية أذكر فيها كل ما عرفته عن الشيخ طوال فترة ملازمتي له، ويحتاج ذلك إلى ترتيب وتصنيف وجهدٍ يعلمه من يكتب التراجم.

ثم قدّر الله عز وجل ومرض الشيخ بالداء العضال، فزرتة في المستشفى التخصصي في الرياض في أواخر شعبان قبل انتقاله إلى مكة المكرمة، فرأيت على سرير المرض، وقد أثر فيه تأثيراً عظيماً يراه القاضي والداني، فرأيت أن الأمر لا يحتمل التأخير، فبدأت والشيخ ما زال حياً أكتب كل ما عن لي وأنا أتقطّع من الحزن والأسى.

ثم جاء الخبر المفجع والمصاب الأنجع والأمر الذي كتبه الله جل وعلا على كل نفس، وقيل : مات الشيخ، وتذكرت قول الإمام البخاري رحمه الله تعالى لما علم بموت الإمام الدرامي رحمه الله تعالى، فقال :

إِنْ عَشْتُمْ تَفْجَعُ بِالْأُحْبَةِ كُلَّهُمْ

وَبَقَاءُ نَفْسِكَ لَا أَبَالُكَ أَفْجَعُ (طبقات السبكي ١٥/٢)

وقد ترددت كثيراً في إكمال الترجمة وعانيت فيها أشدَّ المعاناة حرصاً مني على أن تكون ترجمة شاملة لدقائق حياة المترجم.

وقد كانت هناك نقاط شبه مجهولة لم يقف عليها إلا القليل من الناس، وهي حلقات تكاد تكون مفقودة يحتاج إليها المترجم لربط الأحداث بعضها ببعض، فبدأت أتلّمسها ويسّر الله لي الكثير منها كما ستراه في هذا الكتاب الذي بين يديك.

وكانت هناك العديد من المعوقات التي كادت أن توقف هذا العمل إلا أن تذكري لمكانة الشيخ وعظم حقه عليّ يوم أحسن استقبالي في عنيزة عام ١٤٠٣هـ، وأحسن ضيافتي وأحسن تعليمي، وكان يَنْصَنِي بعطفه ومعونته، ولم يكن ييخل عليّ بوقته وصحبته في ذهابه وإيابه في الفترة التي قضيتها عنده.

كل ذلك جعلني أمشي قُدماً في إكمال الترجمة، لعلّي بذلك أن أكون وفيته شيئاً يسيراً من حقه عليّ. رحمه الله وغفر له.

وقد جمعت في هذه الترجمة بين التاريخ القصصي، والتأصيل العلمي، والأسلوب التربوي.

فليس القصد منها مجرد سرد حدث أو ذكر قصة، فقد قام بهذا بعض الناس، ولكنني ربت هذه الترجمة ترتيباً زمنياً من النشأة حتى الوفاة وما بعدها.

وقد أطلت في بعض المباحث كعقيدته وفقهه نظراً لأهميتها وتمييز الشيخ فيها.

وقد استفدت من كل ما كُتِبَ عن الشيخ مما وقفت عليه وعزوته لأهله في مواضعه؛ إلا أن بعض الكتابات كان فيها من الغلو والإطراء الشيء الكبير، وخاصة في الشعر، فأعرضت عن ذلك، وانتخبت منه ما وافق الشرع مما لا غلو فيه.

فقد عاش الشيخ يدعو إلى التوحيد الخالص، ويذبّ عن جناب التوحيد طيلة حياته حتى أيامه الأخيرة في دروسه في المسجد الحرام. رحمه الله تعالى وغفر له.

هذا وإنني ختاماً أشكر كلّ من أفادني في هذا البحث، وخاصة شيعي العلامة عبد الرحمن بن ناصر البراك، والذي لم ييخل عليّ بما يحضره عن دراسة الشيخ في المعهد العلمي في الرياض. فجزاه الله خيراً.

كما أشكر ابني عبد الرحمن الذي يدرس بالمعهد العلمي والذي كتب هذه الترجمة كاملة على جهاز الحاسب الآلي، وعانى في ذلك طوال أحد عشر شهراً هي المدة التي قضيتها في كتابتها.

فأسأل الله تعالى أن يجزيه خير الجزاء ويلحقه بركب العلماء العاملين.
 واختاماً أسأل الله جل وعلا أن يجعل هذا العمل متقبلاً في السماء وفي الأرض،
 وأن لا يجعل لأحد من خلقه فيه شيئاً، وأن يثقل به ميزان حسناتي يوم العرض عليه،
 وأن يجمعنا بشيخنا ابن عثيمين مع نبينا ﷺ وآله وصحبه في الفردوس الأعلى في
 جنّات النعيم، والحمد لله رب العالمين.

كتبه

عصام بن عبد المنعم المري

الرياض- ١٤ من رمضان ١٤٢٢هـ

صندوق بريد: ٤١٧٢٤

الرمز البريدي: ١١٥٣١

رَبِّهِ
عَبْدُ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
(سُبْحَانَكَ اللَّهُمَّ وَبِحَمْدِكَ)

الدر الثمين :-

١٠



صورة من مراسلة الشيخ رحمه الله للمؤلف بخطه، وفيها يظهر تواضعه حيث إنه يباشر أعماله بنفسه رحمه الله تعالى.

بسم الله الرحمن الرحيم من غنيته في ١١/٤/١٤٠٣
من مزالع الشيطان إلى الألف الميم : لعصام بن بلال النعمان حفظه الله تعالى
السلام عليكم ورحمة الله وبركاته .

- كتابكم وصل وما تضمنه من الأسئلة فأبكم ما تيسر من جوابي :
- ج ١- يشترط لحل الذبيحة أهلية الذابح بأن يكون مسلماً أو كذاباً . وأهل الكتاب لا يجوز
الآن إن ارتدوا عن دينهم وأنكروا لم تحل ذبيحتهم فخر جوسهم عن الوصف المبيح لذابحهم
ج ٢- لا يجوز إسبال البطون ولا غير من الشيا وبالنسبة لخاص لمن صنع غيلاً أو غير ذلك
لكن تختلف العقوبة فمن صنع غيلاً ومن لم يصنع غيلاً ، فالأول لا يكلم الله يوم
القيامة ولا ينظر إليه ولا يزكاه وله عذاب أليم والثاني : يعذب بالنار طعن ما نزل
من الكعبين ويدل لذلك حديث أبي سعيد عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : أنزع المؤمن
إلى نصف الساق ولا عرج عليه فيما بينه وبين الكعبين وما كان أسفل من ذلك
فهو فاجر ومن جرازارم بطرا لم ينظر إليه رواه مالك وغيره .
- ج ٣- لا يشتر دخول شهر رمضان وذى الحجة إلا بشركة مسلم موثوق به ولا يشترط
أن يراه كل واحد بنفسه بل متى ثبت دخوله وعيب على الناس العمل بمقتضاه
ج ٤- إذا كان السائل واثقاً بفتوى العالم لم يلزمه طلب الدليل منه لأن الاستعانة يقول
(فاسألوا أهل الذكر إن كنتم لا تعلمون) والأمر بسؤالهم يقتضي قبول ما أجابوا به وهكذا
كان محل الصحابة فيما تعلم . أما إذا كان غير واثق من جوابه فليساأل من الدليل المظنون
بالجواب .
- ج ٥- لا يجوز بدد الكافر بالسلم ولا يحجاً بجهة أخرى لكن إن بدأ هو بذلك ودخله
بالمثل إلا بالسلم فيقال : وعليكم فقط .
- ج ٦- الأصل في العبادات المنع فلا يتقرب العبد إلى الله إلا بما شرع الله ولذلك أنكر الله
تعالى على من اتبعوا ما ابتدعوا فقال : (أسم الله شركاً وشركواهم من الذين مالم يأذن
به الله) وهذا النبي صلى الله عليه وسلم من البدع وقال : كل بدعة ضلالة . وقال : من عمل
عبد لله عليه أمراً قهوراً .
- وأما ما سوى العبادات من الأعمال والمنافع فالأصل فيها الحل لقوله

- (هو الذي خلق لكم ما في الأرض جميعاً) وقوله (هو الذي جعل لكم الأرض ذللاً فاستوا في سبيلكم) وكلاهما من رزقه وإليه الشكور). وعلى هذا فلا يحرم من الأعيان والأعمال غير التعبدية والمنافع إلا ما دل الشرع على تحريمه.
- ج ٧- يجب على المسلم (بغضاً ونهيته) كل أمر يزيل ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم (الآن يكره على حلقها فيقتل أحلقها ولا يفعلنا بل) أما مجرّد الأذى لمن أعفاهما فالواجب الصبر على هذا البلاء والعياذ بالله قال سقاني (أحسب الناس أن يتركوا أن يقولوا آمنا وهم لا يفتنون ولقد فتنا الذين من قبلهم فليعلمن الساعدين) (البقرة ١٠٩).
- ج ٨- الصواب من أقوال أهل العلم أن لمس المرأة لا يشترط الوضوء سواء كانت حية أم ميتة لكن إن كان لشهوة فلا يفضل الوضوء ولا يجب أيضاً لعدم الدليل على وجوب الوضوء منه والأصل بقاء الطهارة وبرائة الذمة.
- ج ٩- إذا ارتكب المسلم محلاً من محال الشرك من جوبل فإنه يعذره عنه عند سقاني ولكن إذا لصق بشخص وقرن له النصيحة بدليلاً فقد قامت عليه الحجة فلا يكون له عند سقاني عذر واعتقاده أن هذا شخص مشدّد لا يدر له البقاء فلا يخلو إلى الشرك لأن المراد به عليه إذا كان في شك مما قال أن يبحث عن صحته.
- ج ١٠- إذا كان أئمة هذا المسجد الرعدي في القرية فساقولم يصلوا إلى حد الكفر فصلوا معهم لأن صلاة الناس مقبولة صحيحة فلا إلتزام به صحيح. وأما أن وصلوا بأهل الأرض إلى حد الكفر فلا يصلوا خلفهم واختلطوا بهم مسجد يصلون فيه لأن أمكن ولا فصلوا جماعة في بيوتكم أو فرادى إن لم تتمكنوا من الجماعة.
- ج ١١- شح الخنزير محرّم لا أعلم فيه خلافاً ودليله قوله تعالى (حرم عليكم الميتة والدم ولحم الخنزير) وقوله (قل لا أجد فيها أوصى إلى محرماً على طعم يطعمه) (الأنعام ١٤٥) ميتة أود ما مسفوها أو لحم خنزير فإنه يرضى وتعليله بالرجس يدل على تحريم جميع أجزائه.
- واسمى طعمه والدم طعمه ورجسه الدم وبركاته
- حسب الشيخ

صورة من إجابات الشيخ لعدد من الأسئلة التي وجهها إليه

المؤلف في عام ١٤٠٣ هـ.

بسم الله الرحمن الرحيم والحمد لله رب العالمين
 جـ ١- لا بأس أن يتخصص في أمراض النساء وإذا وثق من نفسه لاسيما إذا لم يوجد نساء
 يتخصص به. حروف مال العلاج يظهر من العوارض كل ما تدرأ حاجة إليه.
 جـ ٢- تقليد المذاهب للضرورة جائز والضرورة أن لا يتكهن المروء من معرفة الحكم بنفسه
 من كتاب الله تعالى أو سنة رسوله صلى الله عليه وسلم لقوله تعالى (فأما أهل الذكر إن كنتم
 لا تعلمون) ولم يأمر الله تعالى بسؤالهم إلا إذا أخذ يقول لهم. وأما إن كان المرء يمكنه
 معرفة الحكم من الكتاب والسنة فإنه لا يقلد دينه الرجال.
 جـ ٣- الجواب عن سبيل الله تعالى واجب ما ضل إلى يمين القياسة ولكن يستعمل عند العجز عنه
 كثير من الرجال لقوله تعالى (فأما الله ما استطعتم).

جـ ٤- طلبكم الدرس هنا ممكن لأن شاء الله تعالى فحضرون إلى المنيرة وإذا كان لديهم شدة تركية
 فيمكن أن تدرأوا مع الإذن في شقة عند الجامع. والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته
 ١٤١٣/٨/١٢

صورة بخط الشيخ رحمه الله فيها إجابة على عدد من الأسئلة التي وجهها إليه
 المؤلف ، ويظهر في الدائرة موافقة الشيخ على طلب المؤلف الرحلة إليه والتلمذ
 على يديه ، كتبها الشيخ خلف الرسالة

بسم الله الرحمن الرحيم
 المقدم (الحصام من جده النعم) معروف الحنزي وأرجوه التوفيق والسداد
 وأن تدرأوا مهمته. كتبه له العالم العتيبي في ١١/٥/١٤١٤ هـ
 محمد العتيبي

صورة من تعريف الشيخ رحمه الله للمؤلف ، ودعائه له ،
 كتبها بجوار الكعبة المشرفة في مكة المكرمة .

رَفَعُ

عبد الرحمن النجدي
أسكنه الله الفردوس

رَفَعُ
عبد الرحمن النجدي
أسكنه الله الفردوس

الباب الأول
النشأة وطلب العلم
والبناء العلمي
وفيه فصول

رَفَعُ

عبد الرحمن النجدي
أسكنه الله الفردوس

اسمہ ونسبہ وکنیتہ وأسرته

أولاً : اسمه ونسبه :

«محمد بن صالح بن محمد بن سليمان بن عبد الرحمن بن عثمان بن عبد الله بن عبد الرحمن بن أحمد بن مقبل؛ من آل مُقبل من آل ريس من الوهبة من قبيلة بني تميم. جده عثمان اشتهر بعثمين فصارت الأسرة تنسب لهذا الجدد، وهو الجدد الرابع».^(١)

(١) ذكر هذا النسب شيخنا محدث المدينة النبوية العلامة عبد المحسن بن حمد العباد في محاضرة له بعنوان : «الشيخ محمد بن عثيمين وشيء من سيرته ودعوته».

محمد بن صالح بن محمد بن سليمان إمام وخطيب جامع عنيزة (يعني شيخنا المترجم ابن عثيمين). فسليمان جد أبيه»^(١).

وقال في موضع آخر :

«وآل عثيمين هم من آل مقبل، من آل زاخر، - البطن الثاني من الوهبة - نسبة إلى (محمد بن علوي بن وهيب) ومحمد هذا هو الجد الجامع لبطن الوهبة جميعاً، وآل عثيمين كانوا في بلدة أشيقر، الموطن الأول لجميع الوهبة، ونزحوا منها إلى شقراء، فجاء جد آل عثيمين الموجودين في عنيزة من شقراء إلى عنيزة، وسكنها»^(٢).

وبسياق هذا النسب يظهر مدى القرابة بين الشيخ ابن عثيمين وشيخه السعدي، مما كان له الأثر البالغ في المزيد من التقارب بين الشيخ وتلميذه، كما سيظهر بعد ذلك. إن شاء الله تعالى.

وقال الشيخ علي بن عبد العزيز الشبل :

«لكن الشيخان : ابن سعدي وتلميذه ابن عثيمين من جذمين كبيرين مختلفين من هذه القبيلة (يعني : بني تميم)، فابن سعدي ينحدر من جذم بني سعد، وابن عثيمين ينحدر من جذم بني حنظلة.

وفيهما البيتان المشهوران :

يَعْدُ النَّاسُ بَنُونَ إِلَى تَمِيمٍ بَطْنُونَ الْجَدِّ أَرْبَعَةَ كِبَارِ
يَعْدُونَ الرَّبَابَ وَآلَ عَمْرٍو وَسَعْدًا ثُمَّ حَنْظَلَةَ الْخِيَارِ»^(٣).

(١) علماء نجد (٢١٩/٣) ط دار العاصمة ١٣٩٨هـ.

(٢) علماء نجد (٤٢٢/٢) بواسطة فقه ابن سعدي (١٩/١) ولم أقف على نصه.

(٣) الدعوة، ١٧٧٩، وأشار إلى أن آل عثيمين قدموا عنيزة في هجرة الوهب من بني حنظلة في القرن الحادي عشر تقديراً.

كنيته :

يكنى بأبي عبد الله، أكبر أولاده.

تاريخ ولادته :

ولد ليلة الجمعة في السابع والعشرين من شهر رمضان المبارك - فكان قدومه مباركاً على الأمة جمعاء - لسنة سبع وأربعين وثلاثمائة وألف من الهجرة.^(١)
(٢٧ / ٩ / ١٣٤٧هـ).

مكان الولادة :

مدينة عنيزة، إحدى مدن القصيم في عالية نجد وسط الجزيرة العربية، والتي عمرت بالعديد من العلماء والقضاة والمصلحين، عبر سنوات عديدة، فكان المترجم رحمه الله تعالى من آخر هذه النخبة المباركة.

أسرته :

الشيخ ابن عثيمين رحمه الله تعالى متزوج من زوجة واحدة، وهي : كريمة محمد إبراهيم منصور التركي، وله منها ثمانية أولاد.

خمسة من الذكور، وهم :

عبد الله، وعبد الرحمن، وإبراهيم، وعبد العزيز، وعبد الرحيم.

(١) لقاء مع الشيخ في مجلة اليمامة، العدد ٩٥٣، سنة ١٤٠٧هـ. وتحديد الليلة ذكره إبراهيم ابن حمد الجطيلي، انظر الجزيرة، العدد ١٠٣٣٥.

وثلاث من الإنثا.

وذكر شيخنا عبد المحسن العباد أنه سمع الشيخ يقول : إنه سَمى أبنائه بعبد الله وعبد الرحمن وعبد الرحيم، حسب الترتيب المذكور في البسمة.^(١)

أشقاؤه :

الدكتور عبد الله : رئيس قسم التاريخ في جامعة الملك سعود بالرياض، والأمين العام لجائزة الملك فيصل، وعضو مجلس الشورى.

الأستاذ عبد الرحمن : مدير عام الإدارة المالية والإدارية بمدينة الملك عبد العزيز للعلوم والتقنية.^(٢)

وله شقيقة واحدة، وهي زوجة ابن عمّ الشيخ محمد السليمان العثيمين.^(٣)

أحفاده :

للشيخ واحد وعشرون حفيداً من أبنائه وبناته.^(٤)

(١) محاضرة الشيخ العباد (سبقت).

(٢)، (٣) المسائية، العدد ٥٧١٦.

(٤) المسائية، العدد ٥٧١٦.

الفصل الثاني

أحوال البلاد والنشأة وطلبه للعلم

المرحلة الأولى

الحالة الاقتصادية، والسياسية، والاجتماعية التي صاحبت نشأته.

نشأ الشيخ رحمه الله تعالى في بداية استقرار الأوضاع في الجزيرة، واستتباب الأمن فيها، حيث صدر المرسوم الملكي الذي يتضمن اسم المملكة العربية السعودية، واسم مليكتها.

وذلك بعد خضوع البلاد للملك عبد العزيز رحمه الله تعالى، وكان ذلك عام ١٣٥١هـ^(١) وعمر المترجم يقارب الخمس سنوات.

ثم أخذت أوضاع البلاد الاقتصادية في النمو التدريجي، وذلك بعد اكتشاف البترول عام ١٣٥٧هـ وبداية الانتعاش الاقتصادي الذي كان له الأثر الكبير على الأوضاع الاجتماعية والتعليمية.

وكان عمر الشيخ وقتئذٍ حوالي عشر سنوات، وفي هذا الوقت كان الشيخ قد بدأ في طلب العلم فعلاً، حيث قال عن نفسه :

«بدأت في تلقي العلم من السنة التاسعة من عمري تقريباً»^(٢).

(١) انظر : جوانب من تاريخ المسلمين للدكتور عبد الله الصالح العثيمين.

(٢) مجلة الدعوة، العدد ١٧٧٦.

من هذا يتبين أن الأوضاع العامة كانت مطمئنة ومبشرة بمستقبل أفضل يسوده الأمن والاستقرار وتيسر سبل العيش، مما يُيسّر لطالب العلم المضي قدماً، بعيداً عن المنغصات وقلقل الفتن، التي كثيراً ما أزعجت الأفاضل من طلاب العلم عن مسيرتهم. وقد قال الإمام أحمد بن حنبل رحمه الله تعالى : (عجبت من أقوام أكلت الدنيا أكبادهم، وقد وعت قلوبهم القرآن). نسأل الله تعالى السلامة والعافية.

ومع أن الشيخ رحمه الله تعالى عاش في بداية الطفرة - كما يطلق عليها - إلا أنه نشأ في أسرة متوسطة الحال، فقد كان والده يعمل في التجارة بين الرياض وعنيزة، ثم استقر في عنيزة وعمل قبل وفاته بدار الأيتام بعنيزة، كما حَدَّثَتْ بذلك شقيقة الشيخ رحمه الله تعالى.

وقد سئل الشيخ رحمه الله تعالى : هل اشتغلت بالتجارة إلى جانب طلبك للعلم؟ فقال : لا، لأن الوالد رحمه الله كان في الرياض، وكان ميسور الحال.^(١)

فلم تيسّر له سبل الرفاهية في الطلب، حيث يصف الشيخ المكان الذي يقرأ فيه بأنه (غرفة من طين، تطل على زريبة بقر).^(٢) فله درّة، ورحمة الله عليه.

فليس هناك : مباني شاهقة، ومكاتب فارهة، وكراسي دائرة، ومكتبة عامرة، وسيارة فاخرة، والتي يظن العديد من طلاب العلم أنها كلها من لوازم الطلب، بل من ضرورياته، فليت طلاب العلم يعتبرون.

وكان من توفيق الله جل وعلا أن نشأ الشيخ في أسرة معروفة بالدين والاستقامة، قال عثيمين هم أحوال الشيخ السعدي رحمه الله تعالى - كما سبق بيانه - وجد

(١) مجلة اليمامة، العدد ٩٥٣.

(٢) مجلة الأسرة، العدد ٩٢.

الشيخ محمد - لأمه - هو الشيخ عبد الرحمن ابن سليمان آل دامغ الإمام والمدرس في مسجد الخريزة^(١) بعنيزة، والذي كان الأستاذ الأول للمترجم، وقد بدأ في قراءة القرآن عليه حتى أتمه نظراً، كما قال عن نفسه.

ولاشك أنه صاحب هذه البداية المبكرة في الطلب (تسع سنوات) - بعد توفيق الله تعالى - عدة أمور كانت عاملاً مهماً في إنجازها المرحلة الأولى.

ومن تلك الأمور : ذكاؤه، وفطنته، وهي أمانة بادية للناظر في وجه الشيخ لأول وهلة، وكذا حفظه وقوة ذاكرته، وهذه يعرفها جيداً من خالطه وصاحبه، وكذا صبره على عناء الطلب وتكرار الحفظ، ومكابدة الليالي في ذلك، وعمارة النهار بالمراجعة والتكرار.

وبعد هذه المرحلة أو صاحبها بدأ الشيخ في تعلم مبادئ الكتابة في «الكتاتيب» كما يقول رفيقه العلامة الشيخ عبد الله البسام.^(٢)

وقال الشيخ ابن عثيمين رحمه الله تعالى :

«ثم تعلمت في مدرسة أخرى الكتابة، وشيئاً من الحساب والأدب، ثم انتقلت إلى مدرسة ثالثة لحفظ القرآن عن ظهر قلب، وتم ذلك والحمد لله».^(٣)

وقد جاء ما يفيد أن الشيخ حفظ القرآن في وقت يسير جداً على شيخ آخر غير جده ؛ حيث قال الشيخ إبراهيم بن حمد الجطيلي، وهو ممن عاصر الشيخ أكثر من خمس وأربعين سنة، ودرس عليه أكثر من عشرين سنة، قال عن الشيخ : «إنه حفظ

(١) جريدة الرياض، العدد ١١٨٩٦.

(٢) الدعوة، العدد ١٧٧٦.

(٣) برنامج (في موكب الدعوة) بإذاعة القرآن الكريم بالرياض.

القرآن في ستة أشهر عند المعلم الكفيف علي بن عبد الله الشحيتان^(١)، وهذا النقل يبين أنه لم يحفظ القرآن على جده، بل قرأه عليه نظراً، ثم حفظه على غيره كما سبق. وقد كان لحفظه القرآن الكريم في هذه السن المبكرة أثر بالغ في رسوخه في صدره، وقوة استحضاره له، زادت مع مرور السنين والأعوام، والذي سمع الشيخ وحضر دروسه ومناقشاته واستدلالاته يرى هذا جلياً واضحاً. فالشيخ سريع الاستحضار للأدلة من القرآن الكريم، فمضى أراد الاستدلال أسعفته الذاكرة، وقوة الحافظة، ويظهر هذا أيضاً في تلاوته في الصلاة سواء الصلوات المفروضة أو صلاة التراويح، فالشيخ الإمام يرثل القرآن في سهولة ويسر، لا يتعنع ولا يتردد بل يقرأ في تدبر وتأمل، ويتوقف عند مواطن العبر في الآيات الكريمات، ولو أن بعض التسجيلات قاموا بجمع تلاوات الشيخ المتناثرة في العديد من الأشرطة، لكان عملاً مفيداً يؤخذ منه الكثير من الفقه.

ويبدو أن الشيخ في هذه الفترة كان لديه فهم في الاطلاع والمطالعة والقراءة، لكن نظراً لعدم توفر الكثير من الكتب لديه فإنه كان يستفيد من مكتبات الشيوخ، والقضاة.

من ذلك : ما رواه الشيخ أحمد القاضي قال :

(كان من أخص خصائصه التي عُرف بها واشتهر؛ حرصه على العلم، وقد حدثني بعض ذوي الشيخ عبد الله بن محمد المانع رحمه الله، الذي كان قاضياً في عنيزة حتى سنة ١٣٦٠هـ حدثني بعض ذويه أن الشيخ في صباه كان يأتي إلى منزلهم في الصباح الباكر، وعلى رأسه قفّة يحمل فيها كتبه وأوراقه، فيطرق

(١) الجزيرة، العدد ١٠٣٣٥. وهذا الموضع لم يحرره الكثير ممن تكلم على الشيخ. والله أعلم.

الباب، ويسلم ويستأذن فيصعد إلى المكتبة، فيبقى فيها إلى قريب الظهر، ثم بعد ذلك ينزل ويسلم وينصرف، وكان ذلك بعدُ ولم يبلغ الحلم^(١).

المرحلة الثانية

بداية الطلب على الشيوخ

[وعمر الشيخ حوالي ١٧ عاماً]^(١)

بعد مرحلة التأسيس السابقة في حفظ القرآن وأوليات العلوم، بدأت مرحلة التلمذ على الشيوخ بطريقة تدريجية ناجحة، ويبدو أنها كانت من وضع الشيخ السعدي - رحمه الله تعالى - فالطالب قبل أن يبدأ بالسماع منه فإنه يمر بعدد من طلاب الشيخ القدامى الذين خصصهم لتدريس صغار الطلبة، فإذا قضوا في الطلب مدة معقولة، وتلقوا على أيديهم من مبادئ العلوم الشرعية ما يؤهلهم للدراسة على علامة القصيم فإنهم عندئذ يرشحون للقراءة على السعدي رحمه الله تعالى، وهذا ما حدث مع المترجم.

فقد عيّن الشيخ السعدي شيخين من كبار طلابه لتدريس صغار الطلاب..

هما:

الشيخ محمد بن عبد العزيز المطوّع رحمه الله تعالى.

والشيخ علي بن حمد الصالح رحمه الله تعالى.

(١) المجلة الإسلامية، إذاعة القرآن الكريم.

(٢) مجلة اليمامة، العدد ٩٥٣.

ترجمة الشيخين

١- الشيخ محمد بن عبد العزيز المطوع.

ولد في عنيزة عام ١٣١٧هـ وقد تتلمذ على علمائها، وكان شغوفاً بكتب ابن تيمية وابن القيم رحمهما الله تعالى.

وقد تتلمذ على الشيخ السعدي، ولازمه ملازمة تامة. فقرأ عليه في التوحيد، والحديث، والتفسير، والفقه، والنحو. وبرع في ذلك وأجاد، مما جعل الشيخ السعدي رحمه الله تعالى يكلفه بالجلوس لصغار الطلبة لتعليمهم مبادئ العلوم الشرعية، وقد أدى ما أسند إليه بنجاح، ووفق في ذلك.

وقد تولى قضاء الجمعة، ثم عنيزة، ثم الخرج، حتى أصيب بمرض ضغط الدم، وسافر إلى لندن للعلاج، وتوفي بها، ودُفن فيها سنة ١٣٨٣هـ رحمه الله تعالى وغفر له.^(١)

وكان تدريس الشيخ المطوع بالجامع الكبير بعنيزة من عام ١٣٦٠هـ إلى عام ١٣٦٤هـ.^(٢) أي أن عمر ابن عثيمين في هذه الفترة يقارب في أولها ثلاثة عشر عاماً، وفي نهايتها يقارب سبعة عشر عاماً، وقد تتلمذ على يد شيخه المطوع خلال هذه الفترة، وأنهى دراسته عليه وعمره حوالي سبعة عشر عاماً، هذا على القول بأن تدريس المطوع في الجامع^(٣) توقف في السنة المذكورة، وإلا فقد سئل الشيخ ابن عثيمين عن عمره وهو يدرس على الشيخ المطوع؟ فقال: ما بين ١٧ إلى ٢٠ سنة.^(٤)

(١) انظر فقه ابن سعدي (١/٦٤).

(٢)، (٣) الدعوة، ١٧٧٨.

(٤) الإمامة العدد ٩٥٣ سنة ١٤٠٧هـ.

وقال الشيخ ابن عثيمين «كنت من نصيب الذين يقرؤون على الشيخ المطوع».^(١)

الكتب التي درسها عليه :

وقد قرأ ابن عثيمين رحمه الله تعالى على الشيخ المطوع الكتب التالية :

- ١- (مختصر العقيدة الواسطية) اختصار الشيخ السعدي.
- ٢- (منهاج السالكين في الفقه)^(٢) وهو كتاب لطيف جمع فيه الشيخ السعدي مسائل الفقه بطريقة مبسطة جداً ولطيفة، مشتملاً على الفوائد المتقاه من بطون كتب الفقه، يصلح للمبتدئين.
- ٣- (الأجرومية)^(٣) في النحو للعلامة ابن آجروم.
- ٤- (الألفية)^(٤) في النحو للعلامة ابن مالك، وهو من الكتب المتقدمة.

وقت الدرس :

وكانت دروس الشيخ المطوع بعد صلاة العشاء الآخرة وفي الصباح من طلوع الشمس حتى يحين ابتداء تدريس الشيخ السعدي.^(٥)

والشيخ المطوع هو الذي طلب منه بعد وفاة شيخه السعدي مع أمير عنيزة أن يكون خلفاً للشيخ في الجامع والمكتبة، فوافق عن ذلك.^(٦)

(١) برنامج (في موكب الدعوة) إذاعة القرآن الكريم بالرياض.

(٢)، (٣)، (٤) الحكمة، العدد الثاني، ص ٢٢، ولم يذكر الشيخ في الحوار معه في (في موكب الدعوة) الألفية.

(٥) شريط ابن عثيمين (علم وعمل)، «مؤسسة الاستقامة» ضمنه عدد من تلاميذ الشيخ وأقرانه.

(٦) الدعوة، العدد ١٧٧٦.

٢- الشيخ علي بن حمد الصالحي.

قال عنه صاحب (فقه ابن سعدي) :

«له نشاط واسع في نشر رسائل شيخه، وهو صاحب مطبعة النور، وكل إليه الشيخ رحمه الله تدريس صغار الطلبة، قدم الكثير من رسائل شيخه، وأبرزها إلى الوجود، فانتفع بها خلائق كثيرون»^(١).

توفي رحمه الله تعالى في أواخر عام ١٤١٤ هـ^(٢)، ويقال ١٤١٥ هـ^(٣).

والشيخ الصالحي هو الذي أشار على ابن عثيمين بالالتحاق بالمعهد العلمي بالرياض، بعد استئذان الشيخ من ابن سعدي كما أخبر الشيخ بذلك عن نفسه^(٤). وللشيخ الصالحي كتاب نافع جمع فيه تفسير ابن القيم رحمه الله تعالى من كتبه، سماه : السراج المنير.^(٥)

• الشيخ عبد الرحمن بن عودان :

يشير الترتيب الزمني الذي ذكره الشيخ في طلبه للعلم، أن الشيخ ابن عثيمين في هذه الحقبة الزمنية قرأ على أحد مشايخ عزيزة الفضلاء، وأحد قضاتها المشهورين، ألا وهو الشيخ عبد الرحمن بن علي بن عودان، وهذه نبذة مختصرة عن حياته :

(١) فقه ابن سعدي (٦٢/١).

(٢) عندما ذكره الأخ وليد الحسين في مجلة الحكمة ذكر أنه كان على قيد الحياة، وقد صدرت المجلة بتاريخ ١٤١٤/٩/١ هـ فيظهر أن وفاته بعد هذا التاريخ، حيث ذكر غير واحد أن وفاته في ١٤١٤ هـ، فتعين أن تكون بعد هذا التاريخ والله أعلم.

(٣) انظر شريط ابن عثيمين (علم وعمل) تسجيلات مؤسسة التقوى بعنيزة.

(٤) عكاظ، حديث الذكريات، العدد ١٢٥٥٦.

(٥) الإنجاز في ترجمة الإمام عبد العزيز بن باز ص ٦٣٣، للشيخ عبد الرحمن بن يوسف الرحمة.

ولد في شقراء عام ١٣١٥هـ، وتلقى علومه الأولية، وحفظ القرآن الكريم في بلدته، ثم انتقل إلى الرياض لطلب العلم على علمائها، وعين قاضياً لبلدة العسيلة حتى عام ١٣٥٤هـ (١٩٣٥م)، ثم انتقل إلى شقراء ليعمل قاضياً لها وللقرى المجاورة، ولجميع مناطق الوشم، ثم تولى في الفترة من عام ١٣٦٠هـ (١٩٤١م) إلى عام ١٣٦٩هـ (١٩٤٩م) قضاء عنيزة، ومنها انتقل إلى الرياض حيث عمل مدرساً بالمعهد العلمي، وإماماً لجامعها الكبير، ثم عُيِّن قاضياً بمحكمة الرياض، وتوفي رحمه الله بشقراء عام ١٣٧٤هـ.^(١)

والشيخ ابن عودان هو الذي عيّن الشيخ السعدي إماماً وخطيباً للجامع الكبير بعنيزة في رمضان، عام ١٣٦١هـ وهي حسنة من حسنات الشيخ ابن عودان حفظها له أهل عنيزة لما حصل لهم من خير عظيم.^(٢) وقد قرأ عليه المترجم في عِلْمِي : الفرائض، والفقه، كما أخبر بذلك عن نفسه.^(٣) وكانت جلسات الشيخ العودان رحمه الله تعالى بعد صلاة الظهر، وبعد صلاة الفجر.^(٤)

قال الشيخ ابن عثيمين: «ثم تتلمذت على يد شيخي وأستاذي الشيخ السعدي».^(٥)

وهي المرحلة القادمة، وهي دخول شيخنا المترجم إلى المدرسة السعدية أو الجامعة السعدية، كما أطلق عليها بعضهم، وهي مرحلة التأسيس والبناء العلمي للشيخ ابن عثيمين. فإلى هذه المرحلة.

(١) معجم الأدباء والكتاب، ص ٢٥٧، ط : ١، ١٤١٠هـ.

(٢) فقه ابن سعدي (٢٤/١).

(٣) عكاظ، حديث الذكريات، العدد ١٢٥٥٦.

(٤) الإمام ابن عثيمين علم وعمل - مؤسسة الاستقامة - عنيزة.

(٥) عكاظ، العدد ١٢٥٥٦.

المرحلة الثالثة

التلمذ على علامة القصيم

الشيخ عبد الرحمن بن ناصر السعدي رحمه الله تعالى
(١٣٠٧هـ - ١٣٧٦هـ)

بعدما انتهى شيخنا من الدراسة على الشيخ المطوع، كان عمره حوالي ثمانية عشر عاماً.

وقد صار شاباً يافعاً، واعياً، مُدركاً، نبيهاً، ذكياً، قد سار في درب العلم بالتدرج الذي وضعه له شيخه السعدي، وقد حصل مبادئ العلوم، وفي مقدمة ذلك حفظه كتاب الله عز وجل.

فاستحق عندئذ أن يترفع بين يدي علامة القصيم الشيخ عبد الرحمن بن ناصر السعدي، والذي يربطه بتلميذه المترجم علاقة نسب، سبق بيائها في أول الكتاب، مما كان له الأثر الكبير في قوة العلاقة بينهما، وعناية الشيخ به مع ما رزقه الله تعالى من ذكاء وفطنة فاق بهما أقرانه من طلاب ابن سعدي.

وقد ابتدأ شيخنا في الدراسة على علامة القصيم عام ١٣٦٥هـ تقريباً، ولازم شيخه حتى عام ١٣٧٦هـ، أي ما يقارب «أحد عشر عاماً»^(١).

وقد حاول التلميذ النجيب جاهداً أن يستفيد من شيخه في أي وقت يتيح له ذلك، حتى في أثناء سير السعدي في الطريق.

(١) الحكمة، العدد الثاني ص ٢١.

قال الشيخ محمد صالح المنجد :

«حدّثني ولد الشيخ عبد الرحمن - يعني السعدي - أنّ الشيخ محمد بن عثيمين كان يمشي مع أبيه إلى مكان الدعوة التي يدعى إليها الشيخ عبد الرحمن السعدي فيسأله طيلة الطريق حتى يصل إلى بيت المدعو؛ ثم يعود الشيخ محمد، ويدخل مع الشيخ عبد الرحمن - أحياناً -...»^(١)

وقد تأثر شيخنا المترجم بشيخه السعدي تأثراً كبيراً، ظهر ذلك في علمه، وأخلاقه، ودعوته، وتدريسه، ومؤلفاته، ومنهجه مع الآخرين. وذلك بشهادة المترجم نفسه حيث قال يصف شيخه :

«إن الرجل قل أن يوجد مثله في عصره، في عبادته، وعلمه، وأخلاقه. حيث كان يعامل كلاً من الكبير والصغير بحسب ما يليق بحاله.

ويتفقد الفقراء فيوصل إليهم ما يسد حاجتهم بنفسه، وكان صبوراً على ما يلزم به من أذى الناس، وكان يحب العذر ممن حصلت منه هفوة، حيث يوجهها توجيهاً يحصل به عذر من هفا...»^(٢)

لذلك فإنني لن أتعرض هنا لترجمة ابن سعدي، لأن ذلك سيأخذ قسطاً كبيراً من الكتاب، وأيضاً فقد كُتبت في الشيخ كتابات موسعة، ودراسات مستفيضة.^(٣)

(١) الدعوة، العدد ١٧٧٧.

(٢) فقه ابن سعدي (١/ ٧٦).

(٣) انظر على سبيل المثال : (الشيخ عبد الرحمن بن سعدي وجهوده في توضيح العقيدة) للشيخ عبد الرزاق العباد، و(حياة الشيخ عبد الرحمن بن سعدي في سطور) لأحمد القرعاوي، (صفحات من حياة علامة القصيم) للطيار، ومجلة الجامعة الإسلامية السنة ١١ العدد ٤ ص ٢٠٧، و(علماء نجد) للبسام، المجلد الثالث، و(روضة الناظرين) للقاضي ٢٢٢/١.

ولكنني سأقتصر على بعض مواطن التأثير في ابن عثيمين، والتي أشار الشيخ إليها، أما تطبيقها في حياة الشيخ العلمية، والعملية، فهذا سيأتي تفصيلاً في الكلام على حياة الشيخ نفسه. رحم الله الجميع.

١- سلفية ابن سعدي :

قال عنه الشيخ محمد حامد الفقي الداعية والعالم السلفي المصري المشهور: «... لقد عرفت الشيخ عبد الرحمن بن ناصر السعدي أكثر من عشرين سنة، فعرفت فيه العالم السلفي المدقق المحقق، الذي يبحث عن الدليل الصادق، وينقب عن البرهان الوثيق، فيمشي وراءه، لا يلوي على شيء...»^(١) وقال : «.. عرفت فيه العالم السلفي الذي فهم الإسلام الفهم الصادق، وعرف فيه دعوته القوية الصادقة إلى الأخذ بكل أسباب الحياة العزيزة، القوية الكريمة النقية...»^(٢) والناظر في كتب الشيخ في العقيدة يرى ذلك جلياً.

ومن أبرز تلك المؤلفات :

- ١- الحق الواضح المبين في شرح توحيد الأنبياء والمرسلين من الكافية الشافية.
- ٢- توضيح الكافية الشافية.
- ٣- التوضيح والبيان لشجرة الإيمان.
- ٤- الدرة البهية شرح القصيدة الثابتة في حل المشكلة القدريّة.
- ٥- القول السديد في مقاصد التوحيد.
- ٦- الأدلة القواطع والبراهين في إبطال أصول الملحدين.

(١)، (٢) فقه ابن سعدي (١/٧٦).

٢- تواضع ابن سعدي، وسمو أخلاقه، ولين جانبه :

لقد أثر ابن سعدي كثيراً في تلميذه النجيب ابن عثيمين بحسن خلقه وتواضعه، وبذله نفسه للناس، مما جعل ابن عثيمين يبين مدى تأثره بشيخه حيث يقول :

«وكذلك أيضاً تأثرت به من ناحية الأخلاق الفاضلة، وكان رحمه الله على قدر في العلم والعبادة، بما يمازح الصغير، ويضحك إلى الكبير، وهو ما شاء الله من أحسن مَنْ رأيتُ أخلاقاً»^(١).

وقال الشيخ محمد صالح المنجد :

«سمعت عن رؤيا له (أي لابن عثيمين) في شيخه (أي : السعدي) فسألته عنها في أحد مواسم الحج.

فقلت : ذكر أنكم رأيتم شيخكم عبد الرحمن السعدي في المنام، فسألته : ما أكثر ما نفعلك عند الله ؟ فقال : حسن الخلق.

فهل هذه الرؤيا صحيحة ؟ فقال : «نعم، غير أنني لا أذكر الآن، هل قال لي تقوى الله، أو حسن الخلق». ثم عقب الشيخ المنجد قائلاً : لكن الرواية التي سمعتها جزءاً من بعض طلاب الشيخ أنه قال له : أكثر ما نفعه عند الله حسن الخلق»^(٢).

وقال عنه تلميذه الشيخ عبد الله البسام واصفاً شيخه السعدي :

«له أخلاق أرق من النسيم.

وأعذب من السلسيل.

(١) حوار مع الشيخ في مجلة الإمامة، العدد ٩٥٣.

(٢) سمعت هذا من الشيخ المنجد في محاضرة ألقاها في مسجد الحرس الوطني بالرياض، بعنوان ١٠٠

فائدة من العلامة ابن عثيمين.

لا يعاتب على الهفوة.
ولا يؤاخذ بالجفوة.
يتودد ويتجنب إلى البعيد والقريب.
يقابل بالبشاشة.
ويجى بالطلاقة.
ويعاشر بالحسنى.
ويجالس بالمناذمة.
ويجاذب أطراف أحاديث الأنس والود.
ويعطف على الفقير والصغير.
ويبذل طاقاته ووسعه.
ويساعد بماله، وجاهه، وعلمه، ورأيه، ومشورته، ونصحه، بلسان صادق،
وقلب خالص، وسراً مكتوماً...»^(١).
وقال عنه تلميذه القاضي :
«وكان رحمه الله تعالى ذا دعابة.
يتجنب إلى الخلق بحسن خلقه.
مرحاً للجليل.
لا يرى الغضب في وجهه.

(١) علماء نجد (١/٤٢٩)، بواسطة فقه ابن سدي (١/٣٥).

طَلَّقَ الوجْهَ:

كريم الحيا..

يتكلم مع كل فرد بما يناسب حاله.

ويدفع للفقراء من الطلبة الأموال ليتجردوا عن الانشغال في وسائل المعيشة.

وكان متواضعاً يسلم على الصغير والكبير، ويجيب الدعوة، ويزور المرضى، ويشيع الجنائز...»^(١)

٢- طريقة تدريس ابن سعدي :

أمّا من ناحية تأثر الشيخ ابن عثيمين بابن سعدي في التعليم والدرس، فيقول شيخنا ابن عثيمين رحمه الله تعالى :

«إنني تأثرت به كثيراً في طريقة التدريس، وعرض العلم، وتقريبه للطلبة بالأمثلة والمعاني»^(٢).

ويذكر عنه أيضاً الشيخ عبد الله الطيار أنه قال له ذات مرة في أحد اللقاءات الخاصة : «كان شيخنا العلامة ابن سعدي - رحمه الله تعالى - يدرّبنا على الإلقاء والمناقشة، وفهم المسائل بدقّة، وذلك بوضع مناقشة بيننا.

يجعل طالباً يتبنّى قولاً لأهل العلم، وآخر يتبنّى القول الآخر، ثم يناقش كلّ منهما صاحبه بحضور بقية الطلاب ليتبين القول الراجح من عدمه، مع الاستفادة

(١) روضة الناظرين (١/ ٢٢٤) بواسطة فقه ابن سعدي.

(٢) صفحات من حياة الفقيه العالم الزاهد، للدكتور عبد الله الطيار (المجلة العربية، عدد ٤٨ سنة

وقدرة بعض الطلاب على إيراد الاعتراضات والمناقشة، وحصر الأدلة، وذلك تحت توجيه شيخنا وقد استفدت من ذلك كثيراً^(١).

وقد قام أحد طلبة ابن عثيمين بسؤاله عن طريقة الشيخ السعدي في الدرس، فأجابه قائلاً : «انظر ما أقوم به أنا في الدرس، فهو ما كان يصنعه السعدي رحمه الله تعالى»^(٢).

وقال الشيخ أيضاً يصف منهج شيخه :

«المنهج الذي كان الشيخ عبد الرحمن رحمه الله تعالى يسلكه ليس له نظير في وقته، إذ كان عادة الناس فيما سبق، أن الطالب يقرأ الكتاب، ثم يعلق عليه الشيخ بما شاء الله.

أما شيخنا فإنه كان يشرح الكتاب شرحاً وافياً، ويربط المسائل بعضها ببعض حتى يفهم منه الطلاب كثيراً، وكان يلقي أحياناً على الطلبة ألغازاً يشحذ بها أذهانهم. وأحياناً يلقي على الطلبة أسئلة مكتوبة بيده، ويعطيهم إياها، ويمهلهم يومين أو ثلاثاً حسب ما يرى في الجواب عن هذا السؤال، وكان طريقته قبل أن ألتحق به أحسن بكثير، لأن الناس كانوا كثيرين عنده، وعندهم نشاط، واطلعت على كتاب مخطوط، جعل رحمه الله تعالى طلبته قسمين في المسائل الخلافية، فمثلاً إذا كانت مسألة خلافية يكون فيها رأي لشيخ الإسلام ابن تيمية، والمشهور من المذهب الحنبلي، قسمهم قسمين.

(١) المصدر السابق ص ١٤.

(٢) شريط الإمام ابن عثيمين - بعد الوفاة - (تسجيلات صدى التقوى بالرياض).

وقال لقسم انتصروا للمذهب واذكروا ما تستطيعون من الأدلة والتعليلات، وقال للآخرين انتصروا لشيخ الإسلام ابن تيمية واذكروا ما يقوي قوله من الأدلة والتعليلات، وكان هذا الكتاب جيداً والطلاب يكتبونه، وكل واحد يكتب ما عنده، لأنهما كأنهما يتناظران.

ومسلكه مع تلاميذه : مسلك الأب المربي لهم بمقاله وفعاله رحمه الله، وكان كثيراً ما يلقي في نفس الدرس شيئاً يروح عن النفس، وربما تبسم.

وكان رحمه الله في منهجه مع عامة الناس مضرب المثل في التواضع، والخلق، والسرية التامة فيما يخرج من الصدقات للفقراء، وكان الناس في ذلك الوقت أشد حاجة من اليوم، فكان يذهب إلى الرجل ذي العائلة الكبيرة في وقت يقل فيه المشي في الأسواق، ويدق عليه الباب ويعطيه ما عنده، وربما لا يدري من هو»^(١).

هذا ما ذكره ابن عثيمين عن شيخه.

يوضح ذلك ما كتبه السعدي رحمه الله تعالى عن الطريقة التي ينبغي أن يسلكها المعلم مع طلابه، فيقول رحمه الله تعالى :

«وينبغي سلوك الطريق النافع عند البحث تعلماً وتعليماً، فإذا شرع المعلم في مسألة وضّحها وأوصلها إلى أفهام المتعلمين بكل ما يقدر عليه من :
التعبير، وضرب الأمثال، والتصوير والتحرير، ثم لا ينتقل عنها إلى غيرها قبل تفهيمها للمتعلمين.

(١) برنامج (في موكب الدعوة) إذاعة القرآن الكريم في الرياض.

ويقول أيضاً :

وينبغي تعاهد محفوظات المتعلمين ومعلوماتهم :

بالإعادة، والامتحان، والحث على المذاكرة، والمراجعة، وتكرار الدرس.
فإن التعليم بمنزلة الغرس للأشجار. والدرس والمذاكرة والإعادة بمنزلة
السقي لها، وإزالة الأشياء الضارة عنها لتنمو، وتزداد على الدوام.^(١)

وقد استفاد شيخنا ابن عثيمين من هذه التوجيهات العظيمة فكان يتعاهد
محفوظاته مع زملائه من الطلاب النابغين الملازمين لحلقات السعدي والذين
برزوا بعد ذلك ونفع الله بهم ومن هؤلاء فضيلة الشيخ القاضي، والعلامة عبد الله
البسام صاحب المصنفات المشهورة حيث يحدثنا عن تلك الفترة الزمنية في الدراسة
وطلب العلم والمذاكرة مع ابن عثيمين.

ويحدد طريقته مع الشيخ في مراجعة القرآن وحفظ المتون فيقول : «كُنَّا نقرأ في
الكتاتيب في مدينة عنيزة، ثم شرعنا بالقراءة على شيخنا العلامة عبد الرحمن بن
سعدي، تزاملت أنا والفقيه نحو عشر سنوات قرأنا فيها الكثير من العلوم الشرعية
والعربية على يد شيخنا السعدي، وكان لي مع الفقيه زمالة خاصة، فكنت أنا وإياه
نحفظ المتون العلمية من الحديث كـ «بلوغ المرام» و«عمدة الأحكام».

ومن كتب الفقه «مختصر المقنع».

ومن كتب اللغة «ألفية ابن مالك في النحو» و«القطر يعني - قطر الندى -
لابن هشام» حيث كنا نتدارس المتون في الفترات التي لا يكون فيها درس شيخنا
ابن سعدي - رحمه الله تعالى - في العصر والساعات الأولى من الليل..

(١) الفتاوى السعدية ص ٦٥٢، ط : المؤسسة السعدية بالرياض.

وكل منا يحفظ القرآن ونتدارسه، يقرأ هو حزباً، وأنا بعده حزباً، واستمررنا على ذلك نحو عشر سنوات.. حتى التحقت أنا بدار التوحيد بالطائف، والتحق هو بالمعهد العلمي بالرياض»^(١).

ولذا فقد كان شيخنا المترجم يوصي بالحفظ جداً، ويقول :

(قرأنا كثيراً فلم يبق معنا إلا ما حفظنا)^(٢).

فله درها من نصيحة تذكرنا بقول الرحي رحمة الله تعالى :

وَالثَّلَاثَانِ وَهُمَا التَّمَامُ فَاحْفَظْ فَكُلُّ حَافِظٍ إِمَامٌ

وقال الشيخ القاضي عن ابن سعدي :

«ولقد أكتب على المطالعة في كتب الفقه والحديث طيلة حياته، خصوصاً على كتب الشيخين - ابن تيمية وابن القيم - فقد كانت له صبوحة وغبوقاً»^(٣).

ومن أراد أن يرى كيف استفاد السعدي من كتب الشيخين، فليقرأ الكتاب الفذ المسمى «طريق الوصول إلى العلم المأمول» الذي جمع فيه السعدي من كتب ابن تيمية (٨٢٧) قاعدة وأصلاً، لخصها من (٣٩) كتاباً غير الفتاوى المتفرقة. وجمع فيه أيضاً من كتب ابن القيم حوالى (١٨٩) قاعدة وفائدة، من حوالى عشرين كتاباً.

وقد بدا هذا التأثير جلياً في منهج ابن عثيمين العلمي، حيث كان كثير التعريجات على ترجيحات الشيخين، والتعويل عليها، خاصة إذا لم يجد دليلاً واضحاً

(١) الدعوة، العدد ١٧٧٦.

(٢) ١٠٠ فائدة من العلامة ابن عثيمين، محاضرة للمنجد (سبقت).

(٣) روضة الناظرين ٢٢١/١ بواسطة فقه ابن سعدي (٩٣/١).

في المسألة، فإنه لا يكاد يعدو قول شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله تعالى، كما قال بعض المقرين منه من أهل العلم.^(١)

٤- عموم دعوته :

قال ابن عثيمين عن شيخه : «أذكر أنه كانت ترد عليه رسائل من دول الخليج والهند وغير ذلك، رغم أن وسائل الإعلام ليست كما هي الآن». ^(٢) وقد ظهر ذلك جلياً في حياة ابن عثيمين، فقد كان الشيخ يحرر الرسائل بنفسه، مجيباً على أسئلة المستفتين من مشارق الأرض ومغاربها.

وقد سبق ذكر صورة من كتابات الشيخ بخطه وإجاباته على الأسئلة.

٥- براعته في التفسير وقواعده، والفقه وأصوله :

قال عنه تلميذه ابن عثيمين :

«شيخنا عبد الرحمن بن سعدي - رحمه الله تعالى - كانت حياته حياة علم وعمل. وكان رحمه الله بارزاً في علم التفسير وعلم الفقه، وحكم وأسرار الشريعة، متأثراً فيه بشيخ الإسلام ابن تيمية، وتلميذه ابن القيم». ^(٣)

والناظر في كتب ابن سعدي في التفسير سواء «تيسير الكريم الرحمن» أو مختصره، يرى براعة الشيخ في استنباط الحكم والأحكام، وبعده عن الإسرائيليات واقتصاره على ما دلّ عليه الدليل، ولو بالإيماء والإشارة، ويفوق ذلك كله عنايته

(١) شريط الإمام ابن عثيمين (تسجيلات صدى التقوى بالرياض).

(٢) علماؤنا، ص ٨.

(٣) الدعوة، العدد ١٧٧٦.

بأمر العقيدة على مذهب أهل السنة والجماعة، وهذه في الحقيقة غاية الفوائد من هذا الكتاب العظيم، خاصة للطالب المبتدئ المبتغي للهدى، والذي يخشى عليه من اغتراره بالمذاهب المضلة، والتي حشيت بها عدد من التفاسير التي بأيدي الناس.

أما في الفقه فيمتاز أسلوب الشيخ السعدي بالبساطة والقرب، وسهولة الفهم، مع اعتصامه بالدليل.

ومن أوضح ما يدل على ذلك من كتبه :

«كتاب الاختيارات الفقهية، ومنهاج السالكين وكتاب إرشاد أولي الأبصار والألباب، لنيل الفقه بأحسن الطرق وأيسر الأسباب...».

أما في القواعد ففي التفسير يأتي كتابه «القواعد الحسان» في مقدمة كتب القواعد، وهو اسم على مسماه، فهي قواعد حسان بدیعة جلیلة القدر، عظيمة النفع، كما قال عنها مؤلفها.

ضمنها سبعين قاعدة في التفسير.

وفي قواعد الفقه وأصوله :

تأتي منظومته المشهورة في القواعد الفقهية، والتي يقول فيها :

وَهَذِهِ قَوَاعِدُ نَظْمُتِهَا مِنْ كُتُبِ أَهْلِ الْعِلْمِ قَدْ حَصَلَتْهَا
جَزَاهُمْ الْمَوْلَى عَظِيمَ الْأَجْرِ وَالْعَفْوِ مَعَ غُفْرَانِهِ وَالْبَرِّ

وقد وضع عليها الشيخ تعليقاً لطيفاً يبين معانيها ويسر فهمها.

وقد كتبها وعمره حوالي أربعة وعشرين عاماً، عام ١٣٣١ هـ، أي قبل ولادة شيخنا ابن عثيمين بستة عشر عاماً، والظاهر أنها من أقدم ما كتب، وبساطتها تدل على ذلك.

ولعله اختصر بعدها قواعد ابن رجب والذي أسماه «تحفة أهل الطلب بتجريد قواعد ابن رجب»^(١)، ثم تأتي بعد ذلك رسالته في أصول الفقه والتي قال في أولها:

«أما بعد : فهذه رسالة لطيفة في أصول الفقه، سهلة الألفاظ واضحة المعاني، معينة على تأمل الأحكام لكل متأمل معاني...»^(٢).

وللشيخ في القواعد والأصول كتاب حاز قصب السبق، وسارت به الركبان، وعكف طلاب العلم على دراسته في حلق العلم، ألا وهو كتاب «القواعد والأصول الجامعة، والفروق والتفاسيم البديعة النافعة» ذكر في القسم الأول عدداً من جوامع الأحكام، وأصولها وقواعدها، وجمع في القسم الثاني الفروق بين المسائل المشتبهة، والأحكام المتقاربة، والتفاسيم الصحيحة، وهو من أنفع العلم للمبتدئ والمنتهى، وقد يسر الله لنا قراءته على عدد من مشايخنا غفر الله لهم.

وبعد فهذه نبذة يسيرة عن تميز ابن سعدي في هذين الأمرين اللذين امتدحه بهما تلميذه ابن عثيمين.

فكيف تأثر التلميذ بشيخه فيهما، في الأسلوب والمنهج، والقواعد والأصول... إلخ. وهل نستطيع أن نقول إن التلميذ فاق شيخه فيهما ؟ لعل الجواب عن هذا يتضح عند دراسة هذين الجانبين عند شيخنا - إن شاء الله تعالى - رحم الله الشيخين وغفر لهما.

(١) أشار إلى ذلك الدكتور خالد المشيقح، وذكر أنه كتبه في سنة ١٣٣٦ هـ، البيان العدد ١٦٠.

(٢) نقلاً عن فقه ابن سعدي (١٣٨/١) وقد استفدت كثيراً من هذا الكتاب، فجزى الله مؤلفه خير الجزاء.

٦- عناية السعدي بطلابه وتفقد أحوالهم :

وفي فترة تلمذة ابن عثيمين على العلامة ابن سعدي، كان ابن سعدي رحمه الله تعالى يشمل تلاميذه بالعناية، والرعاية، والمتابعة، ويسأل عنهم إذا غابوا، ويهتم جداً لحضورهم، وهذا منه الغاية في نصح الخلق، وخاصة طلابه. غفر الله له. وإليك هاتين الحادتين لتعلم مدى حرص الشيخ على تلميذه النجيب ابن عثيمين. رحم الله الجميع.

قال الشيخ علي الشبل :

«الأولى : لما اشتغل الناس في عنيزة بفلاحة الوادي - وادي الرمة - وغرس النخيل فيه، وتوجهوا لذلك توجهاً عاماً، كان منهم والد ابن عثيمين وأعمامه، واستصحبوا معهم أبناءهم، ومنهم الشيخ محمد، حيث اشتغل شيخنا محمد ابن عثيمين في الزراعة في الوادي مع أهله نخواً من ثلاث سنين، فافتقده شيخه ابن سعدي وسأل عنه والده، كما سأله هو عن سبب تخلفه عن الدروس، فلما أعلمه الخبر، طلب الشيخ ابن سعدي ملحقاً على ابن خاله صالح بن سليمان ابن عثيمين إرجاع ابنه محمداً إلى عنيزة لمواصلة الدراسة، وحضور حلقات العلم المعقودة من ابن سعدي في الجامع الكبير.

الثانية : وكانت بعد تلك، حيث رحل العم صالح بن عثيمين، وإخوانه سليمان إلى الرياض للبحث عن سبل العيش بالتجارة، واستصحبوا معهم أبناءهم، وأكبرهم شيخنا محمد بن عثيمين، فافتقده الشيخ ابن سعدي، فطلب من والد الشيخ محمد بن عثيمين إبقاء ابنه محمداً في عنيزة لطلب العلم.

وقال له فيما قال :

«نريداً محمداً يبقى عندنا في عنيزة ليوصل الدراسة والطلب» فاستجاب أبوه لهذا مرة ثانية لما رأى من رغبة ابن عمه الشيخ السعدي الملحة، واستعداد ابنه - الشيخ محمد - العلمي، وتوجهه نحو الطلب^(١).

وهذا يستفاد منه فائدة عظيمة وهي أهمية تتبع المعلم والشيخ الداعية لطلابه ومدعويته وسؤاله عنهم، وتفقدته أحوالهم، وقد كان هذا من ابن سعدي تطبيقاً لسنة النبي ﷺ وهديه مع أصحابه.

كما في حديث المرأة التي كانت تقم المسجد، وسؤاله عنها، وذهابه ﷺ للصلاة على قبرها^(٢).

وكما في حديث سهل بن سعد في الصحيح^(٣) في قصة غزوة خيبر لما سأل عن علي رضي الله عنه حين افتقده فدعاه ليعطيه الراية.. الحديث. ولهذا نظائر كثيرة.

لهذا ينبغي لأهل العلم العناية بهذا الباب لما له من الأثر العظيم على الطلاب. وقد عني شيخنا المترجم ابن عثيمين بهذا عناية عظيمة. وسأذكر مما ذكر عنه صوراً عديدة :

منها ما حصل معي عندما كنت أحياناً لا أصلي التراويح في الجامع مع الشيخ، بل كنت أؤخرها إلى منتصف الليل أو آخره، فعندما افتقدني الشيخ دعاني، وسألني

(١) مجلة الدعوة، ١٧٧٩.

(٢) أخرجه البخاري حديث ٤٥٨، ومسلم حديث ٩٥٦.

(٣) أخرجه البخاري حديث ٤٢١٠، ومسلم حديث ٢٤٠٦.

عن سبب تخلفي عن الصلاة معه، فأخبرته بما رأيت، واستدللت على ذلك بأن عمر رضي الله عنه عندما جمع الناس، قال : (والذي ينام عنها خير) يعني إلى آخر الليل. فرضي الشيخ وترك العتاب عليّ - رحمه الله وغفر له -.

وكذلك الحادثة التي حصلت للأخ وليد الحسين عندما جاء مهاجراً إلى عنيزة لطلب العلم، ولم يكن عنده ما يتعاش منه، فاضطر إلى الانتقال إلى الدمام للعمل هناك، فافتقده الشيخ واتصل به طالباً منه الرجوع فوراً إلى عنيزة، وقام رحمه الله بشؤونه وكفايته.^(١)

وغير ذلك كثير، كما سنذكر ذلك فيما بعد. إن شاء الله تعالى.

الكتب والفنون التي درّسها ابن عثيمين

على ابن سعدي رحمه الله تعالى:

قال الشيخ ابن عثيمين عن نفسه :

«ثم تتلمذت على يد شيخي وأستاذي الشيخ السعدي فقرأت عليه في : التفسير، والفقه وأصوله، والفرائض، ومصطلح الحديث، والتوحيد، وشيئاً من النحو والصرف».^(٢)

فهذه ستة فنون تقريباً ذكرها الشيخ إجمالاً، ولم يذكر الكتب التي قرأها على شيخه، ولكن أشار الشيخ في موضع آخر إلى بعض ما قرأه، فقال :

«ثم لما كبرنا بدأنا في القراءة على شيخنا عبد الرحمن بن ناصر السعدي في :

(١) مجلة الحكمة، العدد الثاني، ص ٤٧.

(٢) عكاظ حديث الذكريات، ١٢٥٥٦.

قطر الندى وبل الصدى لابن هشام، وفي زاد المستقنع في اختصار المقنع، وفي العقيدة الواسطية، وفي المنتقى في الحديث، وكتب أخرى»^(١).

ولما كان الشيخ يقرأ على السعدي كتاب العقيدة الواسطية، قال رحمه الله تعالى:

«وما شجعني على التأليف : أنه في حياة شيخنا عبد الرحمن بن سعدي - رحمه الله تعالى - كنا نقرأ عليه في العقيدة الواسطية لشيخ الإسلام ابن تيمية، وكنت كطالب أكتب عليه شرحاً للآيات والأحاديث، ولكلام الشيخ ابن تيمية، وأظنني كتبت أربعة دفاتر، ولكني ما كملتها، إلا أنني إذا كتبت شيئاً عرضته على الشيخ عبد الرحمن رحمه الله، وكان يشجعني على ذلك كثيراً»^(٢).

زمن حلقات التدريس :

كانت دروس السعدي تبدأ بعد طلوع الشمس بساعة، وتستمر ساعتين، ثم يذهب إلى بيته للغداء في الضحى، ثم يرجع للتدريس للكبار في المنتهى أو المنتقى.

وله درس قبل صلاة العصر في الحديث، ودرس بين العشاءين في النحو، وربما في تفسير القرآن الكريم، يتراوح ما بين النحو والتفسير^(٣).

مدة الدراسة :

أما عن مدة الدراسة فكانت طيلة الأسبوع، ما عدا يومي الثلاثاء والجمعة^(٤).

(١) برنامج (في موكب الدعوة) لإذاعة القرآن الكريم بالرياض.

(٢) مجلة الدعوة، العدد ١٧٧٦.

(٣) ذكره أحد تلاميذ السعدي القدامى. راجع شريط ابن عثيمين علم وعمل من تسجيلات مؤسسة الاستقامة بعنيزة.

(٤) ذكر هذا الأستاذ علي بن عبد الله السلطان، في ضمن كلامه عن الشيخ ابن عثيمين، انظر البيان، العدد ١٦٠.

وسأتي في تفصيل دروس شيخنا ابن عثيمين أن هناك فوارق في الأيام والمواعيد عن شيخه السعدي، ولا شك أن ذلك مما اقتضته حاجة الطلاب المقيمين عند الشيخ، أو المترددين عليه. رحمه الله تعالى وغفر له.

وبعد سبع سنوات من هذه الرحلة العلمية المباركة، والملازمة التامة للشيخ السعدي، وثني الركب في حلقاته وملاحقته في جلوسه وسيره في الجامع وخارجه، مع ما وهبه الله تعالى للمترجم - أعني شيخنا ابن عثيمين من الذكاء والفطنة والجد والاجتهاد.

بعد هذه المدة تأهل ابن عثيمين لأن يجلس، ليقوم بالتدريس سنة ١٣٧١ هـ في حلقات المبتدئين في حياة شيخه وتحت إشرافه.

وقد سبق بيان أن هذا المنهج هو الذي سلكه السعدي مع طلابه، فبعد أن كان التلميذ ابن عثيمين يدرس في حلقات المبتدئين على الشيخ المطوع أصبح الآن مدرساً في حلقات المبتدئين، تحت توجيه شيخه السعدي. رحمهما الله تعالى.

ولكن ذلك لم يَدُم طويلاً؛ فقد فتحت في تلك السنة المعاهد العلمية بالرياض، وأصبحت فكرة الالتحاق بالمعهد تراود الطالب المجتهد ابن عثيمين، ويستشير فيها من حوله، ومنهم الشيخ الصالح، فيشير عليه باستحسان الفكرة، أي الالتحاق بالمعهد العلمي بالرياض، وذلك بعد استئذان علامة القصيم وشيخها السعدي.

وهنا تبدأ مرحلة جديدة وهامة في حياة الشيخ ابن عثيمين رحمه الله تعالى، وهي ترده بين الرياض وعنيزة، وجمعه بين مدرسة الحديث والفقه.

المرحلة الرابعة

ابن عثيمين في المعهد العلمي بالرياض
وبين يدي علمائه ومشايخه

لا شك أن هذه مرحلة انتقالية هامة جداً في حياة الشيخ، فتحت له آفاقاً جديدة في العلم والمعرفة.

ففي سنة ١٣٧٢ هـ وبعد افتتاح المعهد العلمي بسنة، التحق الشيخ بالمعهد. وكان المعهد يعمل في ذلك الوقت بما يسمى (نظام القفز) والذي يقول الشيخ عنه : «دخلت المعهد العلمي من السنة الثانية، والتحقت به بمشورة من الشيخ علي الصالح، وبعد أن استأذنت من الشيخ عبد الرحمن السعدي رحمه الله تعالى، وكان المعهد العلمي في ذلك الوقت، ينقسم إلى قسمين : خاص وعام، فكنت في القسم الخاص، وكان في ذلك الوقت من شاء أن يقفز، بمعنى أنه يدرس في السنة المستقبلية له في أثناء الإجازة، ثم يختبرها في أول العام الثاني، فإذا نجح انتقل إلى السنة التي بعدها، وبهذا اختصرت الزمن»^(١).

وبهذا يتبين أن الشيخ دخل المعهد العلمي وعمره حوالي خمسة وعشرين عاماً. وقد بلغ فيها من النضوج العقلي والجسمي مبلغاً، أما نضوجه العلمي فواضح من مراحل التلمذة السابقة على علماء عنيزة، وبالأخص العلامة ابن سعدي رحمه الله تعالى.

(١) الإمامة، العدد ٩٥٣، لقاء صحفي مع الشيخ رحمه الله تعالى.

وهذا فقد كان ابن عثيمين متاهلاً للاستفادة من مشايخ المعهد؛ ويتضلع من علومهم، ويحسن الاستفادة منهم، ولا يضيع فرصة تسنح له؛ ليروي ظمأه من مناهل العلوم. وقد كان المعهد في ذاك الوقت، ومع بداية افتتاحه يضم نخبة من أهل العلم، فلما تجتمع في مكان واحد في وقت واحد.

منهم العلامة المفسر الشيخ محمد الأمين الشنقيطي.

ومنهم الإمام المحدث عبد العزيز بن عبد الله بن باز.

ومنهم أستاذ الجيل العلامة الفقيه عبد الرزاق عفيفي. وغيرهم..

وعلى رأس هؤلاء صاحب فكرة إنشاء المعاهد العلمية، والذي أشار على الملك بـ، وأسندت إليه رئاستها عالم عصره وعلامة مصره، الإمام المحقق المدقق الشيخ محمد بن إبراهيم بن عبد اللطيف بن عبد الرحمن بن حسن بن شيخ الإسلام محمد بن عبد الوهاب. رحم الله الجميع وغفر لهم. وأسكنهم الفردوس الأعلى. في ذلك الجو العلمي المبارك بدأ الطالب المجتهد النجيب ابن عثيمين يخطو خطواته الأولى في المعهد ويقعد في مقاعد الدراسة، وكان متميزاً بين أترابه.

يقول الشيخ عبد العزيز الداود (عضو في دار الإفتاء) :

«إن الشيخ لما قدم الرياض كان مميزاً بالعلم والفهم، وكان يشير إليه الطلاب بالتميز»^(١).

وسنعرض في الصفحات القادمة لتراجم مختصرة لمشايخه في المعهد العلمي، مع نبذ من مواقفه معهم. رحم الله الجميع.

(١) جريدة الرياض، العدد ١١٨٩٠.

فصل

ابن عثيمين بين يدي العالم المفسر الأصولي البارع
محمد الأمين الشنقيطي في المعهد العلمي
(١٣٢٥هـ - ١٣٩٣هـ)

ترجمة موجزة للشنقيطي رحمه الله تعالى :

هو العالم العلامة الفقيه المفسر المحقق البارع الأصولي :

محمد الأمين بن محمد المختار بن عبد القادر بن محمد بن أحمد بن نوح بن محمد
بن سيدي أحمد بن المختار من أولاد الطالب أوبك.. يرجع نسبه إلى قبيلة حمير.

ولد بشنقيط عام ١٣٢٥هـ وتوفي والده وهو ما يزال صغيراً يقرأ جزء عم،
وترك له ثروة، فسكن عند أخواله، وحفظ القرآن على يد خاله، ولم يجاوز العاشرة
من عمره، فنشأ نشأة صالحة حتى شبّ وطلب العلم على عدد من المشايخ.

منهم : الشيخ أحمد بن أفرم بن محمد المختار، والشيخ أحمد بن عمر، والشيخ
محمد بن صالح، والشيخ محمد النعمة بن زيدان، والشيخ أحمد ابن فال بن آده،
والشيخ أحمد بن مود. وغيرهم..

وبعد انتهائه من الدراسة جلس في داره للتدريس والقضاء، وصار إليه المرجع
في القضاء في بلاده، وفي عام ١٣٦٧هـ بعد فراغه من الحج، اختير للتدريس في
المسجد النبوي، وفي عام ١٣٧١هـ طلبه الشيخ محمد بن إبراهيم للتدريس في المعهد
العلمي بالرياض والكلية هناك، فانتقل إليها.

وفيها سمع منه شيخنا ابن عثيمين رحمه الله تعالى صاحب هذه الترجمة، ثم انتقل في سنة ١٣٨١هـ إلى المدينة النبوية للتدريس في الجامعة الإسلامية، واستمر بها طيلة حياته. وقد عين عضواً في هيئة كبار العلماء، والمجلس التأسيسي لرابطة العالم الإسلامي. وله مؤلفات، من أبرزها وأشهرها :

كتابه العظيم في تفسير القرآن بالقرآن، ومنها شرحه على مراقبي السعود، وكتاب منع جواز الجاز في كلام الله تعالى المنزل للتعبد والإعجاز، ومذكرة في أصول الفقه، ورسالة في دفع إيهام الاضطراب في آي الكتاب، وأدب البحث والمناظرة، وغيرها..

توفي رحمه الله تعالى بمكة المكرمة في يوم الخميس السابع عشر من ذي الحجة لعام ١٣٩٣هـ.

وصلى عليه الإمام العلامة عبد العزيز بن باز بالمسجد الحرام، ودفن بمقابر المعلاة بمكة المكرمة. غفر الله له وأسكنه الفردوس الأعلى.^(١)

وقد حدّد شيخنا ابن عثيمين أبرز الأمور التي استفادها من شيخه محمد الأمين الشنقيطي في قصة طريفة حدثت بين مقاعد الدراسة في المعهد. فاستمع إليه وهو يقول: «كُنّا طلاباً في المعهد العلمي في الرياض، وكنا جالسين في الفصل، فإذا بشيخ يدخل علينا، إذا رأيته قلت :

هذا بدوي من الأعراب، ليس عنده بضاعة من علم، رث الثياب، ليس عليه آثار الهبة، لا يهتم بمظهره، فسقط من أعيننا.

(١) انظر في ترجمته إتخاف النبلاء لراشد الزهراني، وعلماؤنا، لفهد البراك وفهد البدراني.

فتذكرت الشيخ عبد الرحمن السعدي، وقلت في نفسي : أترك الشيخ عبد الرحمن السعدي، وأجلس أمام هذا البدوي ؟.

فلما ابتدأ الشنقيطي درسه، انمالت علينا الدرر من الفوائد العلمية، من بحر علمه الزاخر، فعلمنا أننا أمام جهبذ من العلماء وفحل من فحولها.

فاستفدنا من علمه، وخلقه، وزهده، وورعه^(١).

فقد حدد ابن عثيمين هنا بعض الجوانب التي تأثر بها من الشنقيطي وهي :

(١) العلم. (٢) الخلق.

(٣) الزهد. (٤) الورع.

وقد بلغ الشنقيطي رحمه الله تعالى مبلغاً عظيماً في هذه الأمور.

وسأذكر نماذج مختصرة لها ليظهر كيف تأثر شيخنا بها :

علمه :

قال تلميذه فضيلة الشيخ عطية سالم رحمه الله تعالى :

« كان اهتمامه بالعلم، وبالعلم وحده، وكل العلوم عنده آلة ووسيلة، وعلم الكتاب وحده غاية ».

وقال الشنقيطي رحمه الله تعالى عن نفسه : « لا توجد آية في القرآن إلا درستها على حدة ».

وقال أيضاً : « كل آية قال فيها الأقدمون شيئاً فهو عندي »^(٢).

(١) مجلة الحكمة، العدد الثاني ص ٢٢.

(٢) اتحاف النبلاء بسير العلماء ١/١٣٦-١٤٧، لراشد الزهراني.

ويقول الشيخ العلامة المحدث محمد ناصر الدين الألباني - رحمه الله تعالى -
(من حيث جمعه لكثير من العلوم مارأيت مثله).^(١)

خلقه :

قال الشيخ عطية سالم رحمه الله تعالى :

«لو أن للفضائل والمكرمات والشيم وصفات الكمال في الرجال عنوان يجمعها
لكان هو أحق بها».

وقال أيضاً :

«وإذا كان علماء الأخلاق يعنون لأصول الأخلاق والفضائل بالمروءة، فإن
المروءة كانت شعاره ودثاره، وكانت هي التي تحكمه في جميع تصرفاته، سواء في
نفسه أو مع إخوانه وطلابه، أو مع غيرهم ممن عرفهم أو لم يعرفهم».^(٢)

زهده وورعه :

قال فضيلة الشيخ بكر أبو زيد حفظه الله تعالى :

«وقد كان شيخنا - هو محمد الأمين الشنقيطي - رحمه الله تعالى متقللاً من
الدنيا، وقد شاهدته لا يعرف فئات العملة الورقية».^(٣)

وأهدى له الأمير عبد الله بن عبد الرحمن آل سعود شقيق الملك عبد العزيز بيتاً
في الطائف، فردّه، ولم يقبله، فسئل عن ذلك ؟

(١) انخاف النبلاء بسير العلماء ١٣٦/١-١٤٧، لراشد الزهراني.

(٢)، (٣) المصدر السابق ١/١٤١.

فقال : «الذي بناه يحتاجه لنفسه، أما أنا فلم أبنه ولا أحتاجه، وعندى بيتى فى المدينة يكفينى»^(١).

وكان يقول : «الريال الواحد والألف سواء، المهم أن يكون صرفها سليماً». وكان يقول : «الذي يفرحنا أنه لو كانت الدنيا ميتة لأباح الله منها سد الحاجة»^(٢).

وبعد فهذه قطرة من بحر زاخر بالدرر والجواهر، التقط منه التلميذ النجيب ابن عثيمين أطيب الخلال، وتشبع بأحسن الخصال، كما سترى هذا فى ترجمة الشيخ. رحمة الله على الجميع.

(١)، (٢) المصدر السابق ١/١٣٩.

فصل

ابن عثيمين مع شيخه الثاني العلامة المحدث
الفقيه الورع أبي عبد الله، عبد العزيز بن عبد الله بن باز
(١٣٣٠هـ - ١٤٢١هـ)

هذه نبذة مختصرة عن شيخنا العلامة الإمام الحبر البحر عبد العزيز بن عبد الله بن عبد الرحمن بن محمد بن عبد الله بن باز، ولد بمدينة الرياض في اليوم الثاني عشر من شهر ذي الحجة لعام ١٣٣٠هـ، وآل باز يقال هم من قحاة، أو من اليمن، وقد توقف الشيخ في أصل هذه النسبة، ولم يجزم بشيء.

وقد كان مبصراً في أول حياته، وأصابه المرض في عينيه عام ١٣٤٦هـ فضعف بصره، إلى أن كف في مستهل محرم عام ١٣٥٠هـ.

وتلقى الشيخ العلوم الشرعية على عدد من علماء الرياض.

منهم :

الشيخ محمد بن عبد اللطيف آل الشيخ، والشيخ صالح بن عبد العزيز آل الشيخ قاضي الرياض، والشيخ سعد بن عتيق، والشيخ حمد بن فارس، والشيخ سعد بن وقاص البخاري قرأ عليه القرآن والتجويد، والشيخ محمد بن إبراهيم آل الشيخ، وهو يعتبر أكثر شيوخه تأثراً به وملازمة له، وما ذكره إلا وأثنى عليه خيراً. رحمة الله على الجميع.

وقد جاهد واجتهد في طلب العلم حتى استحق أن يقلد عدة مناصب، منها أنه عمل في الخرج قاضياً، في عام ١٣٥٧هـ، إلى نهاية عام ١٣٧١هـ.

ثم انتقل للتدريس في المعهد العلمي بالرياض عام ١٣٧٢هـ لمدة سنة واحدة، انتقل بعدها عام ١٣٧٣هـ للتدريس في كلية الشريعة، وأمضى بها سبع سنوات أي حتى عام ١٣٨٠هـ، انتقل بعدها نائباً لرئيس الجامعة الإسلامية عام ١٣٨١هـ وحتى عام ١٣٩٠هـ ثم عمل رئيساً للجامعة حتى عام ١٣٩٥هـ ثم انتقل إلى رئاسة البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد في ١٤ / ١٠ / ١٣٩٥هـ.

ثم عين مفتياً عاماً للمملكة عام ١٤١٤هـ ورئيساً لهيئة كبار العلماء وإدارة البحوث العلمية والإفتاء حتى وفاته رحمه الله تعالى.

وقد تقلد رحمه الله تعالى عدة مناصب، منها : رئاسة المجلس التأسيسي لرابطة العالم الإسلامي، ورئاسة المجلس الأعلى العالمي للمساجد، ورئاسة الجمع الفقهي الإسلامي بمكة المكرمة، وعضوية المجلس الأعلى للجامعة الإسلامية في المدينة المنورة، وعضوية الهيئة العليا للدعوة الإسلامية. وغيرها..

وأما جهود الشيخ في الدعوة إلى الله تعالى تعليمًا، وتدريسًا، وإفتاءً، وتأليفًا، ونصحًا، فهذا شيء كثير يرجع إليه في مظانه، وقد وفقنا الله تعالى، وجشونا على الركب في حلق العلم التي كان الشيخ يعقدها في الرياض في الجامع الكبير، ومسجد سارة بالبديعة، والمسجد الحرام بمكة المكرمة، دراسةً في الصحيحين وكتب السنن الأربعة، ومروراً بتفسير ابن كثير وزاد المعاد، وتأصيلًا للتوحيد في كتبه مثل كتاب التوحيد لابن خزيمة وكتاب التوحيد وشرحه فتح المجيد لإمام الدعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب وحفيده المجدد الثاني، وغيرها.. مما يطول ذكرها.

وكان الشيخ في تدريسه آية من آيات الله في صبره، وجلده، وأدبه، ونصحه، ووعظه، فرحمة الله عليه من إمام سنة وهادي أمة.

أما مؤلفاته فهي كثيرة :

أعظمها حاشيته على فتح الباري، وأكثرها انتشاراً كتاب التحقيق والإيضاح لكثير من مسائل الحج والعمرة، والفوائد الجليلة في المباحث الفرضية، وغيرها الكثير..

وله مشاركة رائدة في برنامج نور على الدرب الذي انتفع به المسلمون في مشارق الأرض ومغاربها.

وله برنامج حديثي جيد، هو شرحه لكتاب المتقى لأبي البركات ابن تيمية رحمه الله تعالى، ولكنه لم يكمله رحمه الله تعالى.

أما دعوته في الجامع والمحافل وعقب الصلوات، فحدث ولا حرج، فقد كان مهتماً بالدعوة إلى العقيدة الصافية الخالية من البدع والخرافات، محذراً من الإحداث في الدين ناصحاً للولاة وللرعية ولعموم الأمة، آمراً بالمعروف ناهياً عن المنكر، كل ذلك وغيره جعله مرشحاً لنيل جائزة مؤسسة الملك فيصل الخيرية لعام ١٤٠٢ هـ لخدمة الإسلام لجهوده في هذا المجال.

وقد كان شكره لله تعالى على هذه الجائزة أن منحها بدوره لدار الحديث الخيرية بمكة المكرمة لحاجتها للعون والحاجة طلابها المغتربين والمتفرغين للعلم.

وقد زاده هذا في أعين الناس إكباراً واحتراماً.

فاستحق لكل هذا بأن يوصف بأنه أحد المجتهدين، واستحق أن يتقلد وسام الإمامة:

وأن يقال عنه إنه أمة في رجل رحمه الله تعالى وغفر له، وقد قيل في رثائه الكثير.

ومما قيل في وصفه : ما قاله الزهراني :

يَا دُرَّةَ الْعَصْرِ يَا بَحْرَ الْعُلُومِ فَمَا رَأَتْ لَكَ الْعَيْنُ مِنْ نَدٍّ وَأَمْثَالِ
حَقًّا فَقَدْ عَرَفَ التَّارِيخُ كَوَكْبَةً مَضِيَّةً مِنْ صَنَادِيدٍ وَأَبْطَالِ
مِثْلَ ابْنِ حَنْبَلٍ أَوْ مِثْلَ ابْنِ تَيْمِيَّةٍ أَوْ الْبَخَّارِيِّ فِي إِسْنَادِهِ الْعَالِي
لَكُنَّا يَا حَبِيبَ الْقَلْبِ لِنُبْصِرُهُمْ كَأَنَّمَا مَثَلُوا فِي شَخْصِكَ الْعَالِي

(إمام العصر ٢٢٢).

وقد توفي رحمه الله تعالى في يوم الخميس ٢٧ من محرم لعام ١٤٢٠هـ، وصلى عليه بالمسجد الحرام ما يقارب مليوني نسمة عقب صلاة الجمعة ودفن بمقابر العدل بمكة المكرمة. غفر الله له.

بيان كيف تأثر ابن عثيمين بشيخه ابن باز :

قال ابن عثيمين واصفاً شيخه الثاني :

«أما شيخنا عبد العزيز - رحمه الله تعالى - فإنني قرأت عليه يسيراً، لكنني استفدت منه في الحديث فائدة عظيمة»^(١).

وقد كان الشيخ ابن باز مكلفاً في المعهد العلمي بتدريس العقيدة والحديث والفقه^(٢).

ويبين ما قرأه عليه في موضع آخر حيث قال :

(١) الدعوة، العدد ١٧٧٦.

(٢) الإنجاز في ترجمة الإمام ابن باز ص ٢٠١.

«ثم قرأت على شياخي الثاني سماحة الشيخ عبد العزيز بن باز، فابتدأت قراءة صحيح البخاري، ثم بعضاً من رسائل شيخ الإسلام ابن تيمية»^(١)
 ثم يبين نواحي تأثره بالشيخ العلامة الإمام ابن باز، فيقول :
 «كان تأثري بالشيخ عبد العزيز - رحمه الله - :
 لعنايته بالحديث، وأخلاقه الفاضلة، وبسط نفسه للناس»^(٢)
 ويذكر في موطن آخر أمراً تأثر به هو في غاية الأهمية فيقول :

«إنني انتفعت بقراءتي عليه من حيث التوجيه والانتقال من العكوف على الكتب الفقهية، وتمحيص الأقوال وتلخيصها، انتقلت من هذه المرحلة إلى مرحلة الحديث، ولست من الذين يصح أن ينسبوا إلى علم الحديث، ولكنني اتجهت إلى علم الحديث»^(٣).

وبين الشيخ أنه تأثر بمنهج شياخه ابن باز، فقال :
 «كما أن لشيخنا الثاني عبد العزيز رحمه الله تعالى منهجاً ننتفع به حتى الآن»^(٤)
 فهذه خمسة أمور تدرج في أربعة، ملخصها :

- (١) في الخلق.
- (٢) في المنهج.
- (٣) في المعاملة.
- (٤) في الاعتناء بالكتاب والسنة، دراسة، واستدلالاً، وعملاً.

(١)، (٢) عكاظ، العدد ١٢٥٥٦.

(٣) الدعوة، العدد ١٧٧٦، وجاء فيها نسبة هذا للسعدي، ولا يصح لمعارضته للمصادر الأخرى، وهو غريب.

(٤) برنامج (في موكب الدعوة) إذاعة القرآن الكريم بالرياض.

والناظر المتأمل في سيرة ابن باز رحمه الله تعالى يجد لها طافحة بهذه الأمور وعلى الرغم من أن الشيخ كتبت في سيرته مؤلفات، إلا أنها لا تروي الغليل ولا تشفي الغليل لعدم تركيزها على نواحي التميز العلمية والعملية تأصيلاً وتقعيداً ثم تمثيلاً واستشهاداً، وسأذكر هنا لمحات سريعة لهذه الأمور التي خصها ابن عثيمين بالذكر سيراً على المنهج السابق والله المستعان فقد أثمرت هذه التلمذة والتي لم تمتد أكثر من سنة داخل المعهد العلمي، وإن كانت استمرت بعد ذلك عن طريقة السؤال والزيارة، والمشورة، وغير ذلك..

أثمرت محبة متبادلة بين الشيخ وتلميذه النجيب، استمرت حتى الممات، وكانت هذه المحبة بادية للعيان يبصرها القريب والبعيد.

ومن ذلك ما قاله الشيخ المنجد : «كان الشيخ محمد يعني ابن عثيمين - رحمه الله تعالى - يحب شيخه عبد العزيز بن باز جداً، وقد اتصلت به مرة في مرض الشيخ عبد العزيز وحادثته في هذا، فقال عبارة : لا أرانا الله يوم يفقه...»

ولما مات الشيخ عبد العزيز اتصلت صباح اليوم التالي بالشيخ محمد، فقلت له : بلغك الخبر ؟ فقال نعم، نعم الرجل..».

وقال أيضاً : «خلوت بالشيخ محمد مرة بعد وفاة الشيخ عبد العزيز أحادثه في موضوع الفتوى بعد الشيخ ابن باز، قال لي بمرارة: بعد الشيخ ابن باز؛ ما عاد لنا راس»^(١).

قلت : ولقد رأيت يوم الجمعة الموافق ١٤٢١/١/٢٨ هـ اليوم الذي دفن فيه ابن باز بمكة، رأيت شيخنا ابن عثيمين قبل صلاة الجمعة يتطوع بالصلاة النافلة،

(١) محاضرة للشيخ المنجد بعنوان (١٠٠ فائدة من العلامة ابن عثيمين) بالرياض.

والشيخ ابن باز مسجى في عباته بينه وبين الكعبة، وهو يتلو آيات الكتاب، وتعمل عيناه بالدمع حزناً على شيخه، وحزناً على ما أصاب الأمة من فقده. غفر الله لهما وأسكنهما الفردوس الأعلى.

أما ثناء الشيخ على تلميذه ومحبه له، فهي كذلك بلغت مبلغاً عظيماً :

من ذلك : ما ذكره الشيخ المنجد : «كنت في مجلس الشيخ عبد العزيز في الطائف، فكان الناس يأتون ويسلمون على الشيخ عبد العزيز، وهو جالس على كرسيه، فلما أخبر بقدم الشيخ محمد بن عثيمين قام إليه، ولم أره قام لأحد غيره. فاعتنقه، ورأيت وجه الشيخ عبد العزيز يتهلل بالبشر والسرور للقاء الشيخ ابن عثيمين»^(١) وكان الشيخ ابن باز يقرظ له بعض كتبه كما في تقديمه لـ (عقيدة أهل السنة والجماعة) حيث يقول رحمه الله تعالى :

«أما بعد.. فقد اطلعت على العقيدة القيمة الموجزة التي جمعها أخونا العلامة فضيلة الشيخ / محمد بن صالح العثيمين، وسمعتها كلها، فألفتها مشتملة على بيان عقيدة أهل السنة والجماعة...».

فانظر إلى هذا الوصف من الشيخ لتلميذه، ما أروعه ! وما أصدقه ! أعني قوله (العلامة) وإن كان شيخنا المترجم لا يحب ذلك، ويكرهه، ويزجر من يصفه به. غفر الله له.

بعض أوصاف الشيخ ابن باز رحمه الله تعالى :

بذله نفسه للناس ومساعدته للمحاييج :

(١) محاضرة (١٠٠ فائدة من العلامة ابن عثيمين) للمنجد، ألقاها بالرياض.

يقول مدير مكتبه الدكتور عبد الله الحكي :

«هو أبو المساكين؛ سعى في رفع معاناتهم، وفك كربتهم، وقضاء ديونهم، وعلاج مريضهم، رحمهم وألان لهم الجانب، فامتألت دواوين مكتبه بطلبائهم، يخصص لها الوقت الطويل، يدرسها ويبدل الجهد في نفعهم ما استطاع إلى ذلك سبيلاً.

فكم من مدين كان سبباً في قضاء دينه، وكم من فقير رفع عنه ألم الحاجة، وكم من مسكين فرج كربته، بسط لهم مائدته، وأوسع لهم في مجلسه، حتى قال إفريقي فقير رث الثياب، جاء يسأل عنه في موسم الحج الأخير، يسأل : أين الشيخ ؟ فقل له : لم يستطع الحج، ماذا تريد ؟ فقال : أنا لا أريد منكم شيئاً ولكنني مسكين، والشيخ أبو المساكين»^(١).

وقال الشيخ صالح بن عبد الله بن حميد :

«وتتجلى عبقرية هذا الإمام في الحياة التي عاشها في منزله بين المساكين والغرباء، والتي لم تعهد لأحد مثله في هذا العصر، يستقبلهم، ويحتفي بهم، ويدنيهم، ويتفهم مشكلاتهم ثم يسعى في حلها، مهما كان نوعها، ثم يلتف كل من حضر حول مائدة الشيخ ليلتقي على هذه المائدة المستديرة، الغني والفقير، والوجيه والوضيع، والكبير والصغير»^(٢).

ويقول الدكتور محمد بن سعد الشويعر مستشار سماحته رحمه الله تعالى :
«إن الشيخ عبد العزيز بن باز أسكنه الله فسيح جناته، قد عرفه الناس منذ توليه القضاء عام ١٣٥٧هـ، في الدلم بالخرج، وحتى مساء الليلة التي توفي فيها، حيث

(١) إمام العصر ص ١٩٠.

(٢) المدينة، العدد ١٣١٩١.

لم يقعه المرض عن الاحتجاب عن الناس والسعي في مصالحهم : إجابة وإفتاء، ومساعدة وتشفعاً.

وقد عُرف رحمه الله بذلك الخلق لم يتزحزح عنه، ولم يتبدل ساعة من نهار، مواعيد جلوسه ثابتة، ومجلسه مفتوح في المكتب والبيت، ومائدته ممدودة، وهواتفه لا تسكت ليلاً ولا نهاراً، بالإجابات والتفاعل مع الناس في قضاياهم، وتبسيط الأمور أمامهم، لأنه يطبق حديث رسول الله ﷺ : «يسروا ولا تعسروا». وسجاياه الحميدة العديدة مستمرة ودائمة....

ولذا فإن الشيخ عبد العزيز أبّ رحيم، وعطوف على اليتامى والمساكين، وعلى الأراامل والفقراء، وعلى المحتاجين، ومن لا تصل كلمتهم إلى المسؤولين، فيوصلها بشفاعته، ودعوات للمشفوع تجعل قلبه يرق.^(١)

أما عنايته بالسنة دراسة ودعوة فيكفي أن تطلع على جدول محاضرات الشيخ بمدينة الرياض، ليتضح لك مدى اهتمامه بها :

١- في جامع الإمام تركي بن عبد الله بـ (الديرة) :

دروس الفجر ليوم :

الأحد : تفسير ابن كثير، صحيح البخاري، نخبة الفكر، موطأ مالك بشرح الزرقاني، مسند الإمام أحمد، الروض المربع.

الاثنين : صحيح البخاري، نيل الأوطار، فتح المجيد، مسند الإمام أحمد، سنن أبي داود..

(١) إمام العصر ص. ٣٢١.

الأربعاء : تفسير ابن كثير، صحيح البخاري، سنن ابن ماجه، الروض المربع.

الخميس : صحيح البخاري، صحيح مسلم، كتاب السنة للبغوي، مسند الإمام أحمد، سنن ابن ماجه، الدرر السنية، تفسير ابن كثير، فتح المجيد، إغاثة اللهفان.

٢- في جامع الأميرة سارة بـ (البديعة) :

بعد المغرب :

الأحد والأربعاء : تفسير ابن كثير، صحيح البخاري، زاد المعاد، سنن النسائي، صحيح مسلم.

٣- في جامع اليحيى :

يوم السبت والاثنين والثلاثاء والجمعة بين الأذان والإقامة : شرح بلوغ المرام. وإليك قصة طريقة في اختبار الشيخ للحاسب الآلي في أحد برامج الحديث الشريف:

يقول الشيخ فهد البكران :

«قدم مندوب أحد المؤسسات الالكترونية، وبرفتهم جهاز حاسب آلي شخصي، وقد تم تخزين كتب الحديث داخل هذا الجهاز، وأرادوا من سماحته الإطلاع عليه والاستئناس برأيه قبل نزوله للأسواق، فقال سماحته : فلنختبر جهازكم، واختار رحمه الله أحد الأحاديث كعينة عشوائية لاختبار قدرة هذا الجهاز العجيب، فقام المسؤول عن تشغيل الجهاز بإدخال مفردات هذا الحديث للبحث عنه وتخرجه، إلا أن الجهاز لم يستطع الوصول إلى المطلوب، وإن كان قد وصل إلى بعض الأحاديث التي تعطي نفس المعنى، فقال سماحته : «إذن ابحثوا عن راوي الحديث» فتم إدخال البيانات المعطاة باسم الراوي للبحث عن الحديث، ولكن لا نتيجة.

فقال الشيخ : إن ابن حجر لم يخطئ [يعني في تخريجه للحديث في بلوغ المرام] فعليكم البحث مرة أخرى، وبعد بحث ومحاولات استغرقت أكثر من ١٥ دقيقة، بعدها توصل الإخوة مشغلو الجهاز إلى الحديث المطلوب وبالراوي نفسه، حيث تبين أن خطأ في إدخال بيانات الراوي وتصحيحاً تعرض له اسمه، جعل من الصعوبة الوصول إلى المطلوب»^(١).

أما حسن خلقه وعشرته :

فيروي أحد تلاميذه وهو الشيخ عبد الله العتيبي واصفاً أحد دروس الشيخ، فيقول : «إن الشيخ سئل عن حكم سجود التلاوة، فقال : سنة مؤكدة، وسأل آخر عن السؤال نفسه فقال : سنة مؤكدة، - بل سأله ثالث - ولعله لم يسمع الإجابة كالذي قبله - فأعاد الشيخ الإجابة بطيب نفس، ولم يكتب السائلين»^(٢).

ويقول أحد تلاميذه وهو الشيخ عمر أحمد بافضل : «لقد شغلني مرة أمرٌ وأقلقني، وعند خروج الشيخ من المسجد بعد الدرس، وكعادة طلبة العلم والسائلين ينكبون عليه حتى يركب السيارة، بل حتى وهو في السيارة، وعند تأهب السيارة للإنطلاق اقتربت منه، قلت له : لدي استفسار، هل أذهب معك إلى البيت ؟ وهل أجد فرصة ؟ فقال : نعم، الآن، وأوقف السيارة وأدخلني جنبه، وأعطاني جواب استفساري فوراً، والسيارة واقفة، ثم خرجت مسروراً مقدرًا له الأريحية، ورحابة الصدر...»^(٣).

قلت : وقد حصل معي مثل هذا الموقف مع الشيخ في مكة، في حدود سنة ١٤٠٦ هـ عندما كنت جاراً للشيخ في سكنه بالعزيرية، حين صليت معه العصر

(١) مجلة الدعوة، العدد (١٦٩٣).

(٢)، (٣) الدعوة، العدد ١٦٣٨ (ابن باز في عيون طلابه).

ورغبت في سؤاله، وكان قد ركب سيارته، وكادت أن تتحرك، فركبت مع الشيخ بجواره، وسألته سؤالاً، وأجابني بلطف، ثم نزلت، فسررت جداً لهذا الخلق الرفيع الذي لم أره لغيره.

رحم الله الشيخ ورفع درجته.

أما منهج الشيخ :

فإنه رحمه الله تعالى لا يحيد عما دلت عليه نصوص الكتاب والسنة، ولا يدعهما لقول أحد من الناس.

يروى أحد تلاميذه وهو الشيخ عبد الله العتيبي قائلاً :

قيل للشيخ حديث (إن أبي وأباك في النار) أخرجه مسلم.

قيل له في شرحه من بعض الطلاب: إن الرسول ﷺ إنما قال ذلك لتطيب نفسه، لا غير، فالتفت الشيخ مغضباً وقال : يطيب نفسه بعذاب أبيه.

ولما قرر شيخنا في التفسير جواز نكاح الكتابيات بشرطه، قال بعض الطلاب : يا شيخ بعض الصحابة كان ينهى عن ذلك.

فالتفت الشيخ إليه وقد احمر وجهه وقال : هل قول الصحابي يضاد به الكتاب والسنة ؟ !^(١)

وأخيراً ونتيجة لهذا التأثير الكبير في التلميذ النجيب، فقد أورث ذلك ثقة متبادلة، مما كان يجعل الشيخ ابن باز يكلف تلميذه بإعداد الأبحاث.

(١) مجلة الدعوة، العدد ١٦٣٨.

واستمع إلى الشيخ محمد الصالح المنصور (أحد قرناء ابن عثيمين) وهو يقول :
« كان الشيخ محمد بن عثيمين قد قدم للدراسة في الرياض بعد تتلمذه على يد
الشيخ السعدي، لهذا كان متميزاً على غيره من الذين لم يكن لهم قبل الدراسة في
المعهد العلمي تجربة في الطلب على العلماء في المساجد لذلك كان الشيخ عبد العزيز
بن باز يعول عليه كثيراً في البحوث، ويرجع إليه»^(١).

(١) جريدة الوطن، العدد ١٠٦، نقله عنه تلميذه الشيخ / دبيان بن محمد الديان.

فصل

ابن عثيمين بين يدي
عدد من مشايخ وعلماء المعهد العلمي
[غير ما ذكر]

١- فضيلة الشيخ العلامة المحقق الأصولي : أبي أحمد عبد الرزاق بن عفيفي
بن عطية بن عبد البر بن شرف الدين النووي.

والنوي أسرة من الأسر العريقة في محافظة المنوفية في مصر.

ولد في شهر رجب من عام ١٣٢٣هـ في شنشور إحدى قرى محافظة المنوفية
في مصر. (١)

حفظ القرآن الكريم في الكتاتيب قبل دخوله الأزهر، وأتم الدراسة الثانوية، ثم
درس في القسم العالي، ومنح العالمية سنة ١٣٥١هـ، ثم منح شهادة التخصص في
الفقه وأصوله من الأزهر بالقاهرة.

عين مدرساً بالمعاهد العلمية التابعة للأزهر فدرس بها سنوات، وتولى رئاسة
جماعة أنصار السنة المحمدية بالإسكندرية، ثم اختير في فترة لاحقة رئيساً عاماً
لجماعة أنصار السنة المحمدية.

ثم انتقل إلى المملكة العربية السعودية، للعمل بالمعارف سنة ١٣٦٨هـ، ثم عمل
مدرساً بدار التوحيد بالطائف، ثم نقل منها بعد سنتين إلى معهد عنيزة العلمي في شهر

(١) كتاب (من أعلامنا) لعبد العزيز العسكر (٣٧/٢).

محرم عام ١٣٧٠هـ، ثم نقل إلى الرياض في آخر شهر شوال، عام ١٣٧٠هـ للتدريس بالمعاهد العلمية التابعة لسماحة الشيخ محمد بن إبراهيم آل الشيخ، ثم نقل للتدريس بكلية الشريعة، وقد أنشئت سنة ١٣٧٣هـ، ثم عُيِّن مديراً للمعهد العالي للقضاء عام ١٣٨٥هـ، ثم نقل إلى الرئاسة العامة لإدارة البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد عام ١٣٩١هـ، وعين بها نائباً لرئيس اللجنة الدائمة للبحوث العلمية والإفتاء، مع كونه عضواً في مجلس هيئة كبار العلماء بالملكة العربية السعودية.

وقد رزقه الله مواهب من قوة الحافظة وفقه النفس، وكرّس جهوده لطلب العلم خارج أروقة الأزهر، وعني بعلوم اللغة والتفسير والأصول والعقائد والسنة والفقه، حتى إذا تحدث في علم من هذه العلوم ظن السامع أنه تخصصه الذي شغل فيه كامل وقته. وانتفع بعلمه خلقٌ كثيرون.

وكان يشرف على رسائل بعض الدارسين في الدراسات العليا، ويشترك مع لجان لمناقشة بعض الرسائل، ويلقي بعض الدروس في المسجد لطلبة العلم حسبما يتيسر، ويلقي المحاضرات، ويشارك في أعمال التوعية في موسم الحج.^(١)

أما بالنسبة للتأليف فقد كان الشيخ لا يجبذ التأليف، بل يرى الاكتفاء بكتابات الأولين، إلا فيما يستجد من أمور الناس، ومع ذلك فله إشراف على عدد من الرسائل الجامعية وله بعض المؤلفات، منها :

١- مذكرة التوحيد.

٢- تعليقه على كتاب الإحكام من أصول الأحكام.

(١) انظر مقدمة (فتاوى اللجنة الدائمة)، التراجم، (١/٣-٤).

- ٣- تعليقه على الجزء المقرر في التفسير من الجلالين لطلاب المعاهد العلمية.
- ٤- شرحه للعقيدة الواسطية مع الشيخ محمد خليل هراس.
- ٥- تعليقه على كتاب الاعتقاد للبيهقي، بتكليف من سماحة الشيخ ابن باز رحمه الله تعالى.
- ٦- تعليقه على المستصفى للغزالي.
- وغيرها من التعاليق..
- وقد أصيب رحمه الله تعالى بعدة أمراض كان من آخرها ما أصيب به في يوم الثلاثاء الموافق ١٦/٣/١٤١٥هـ من ألم شديد في الكبد، وضعف في الكلى، ووجود سوائل في الرئتين، وهبوط في ضربات القلب.
- ودخل المستشفى العسكري بالرياض وظل به حتى وافاه الأجل يوم الخميس ٢٥/٣/١٤١٥هـ، ثم صلي على جنازته عقب صلاة الجمعة ٢٦/٣/١٤١٥هـ في الجامع الكبير بالرياض.
- وقد صلي عليه خلق كثير، ودفن في مقبرة العود بالرياض، وأمَّ الناس في الصلاة عليه تلميذه وزميله الشيخ عبد العزيز بن عبد الله آل الشيخ. وقد قيل فيه عدة مراثي. رحمه الله تعالى وغفر له.

علاقة ابن عثيمين بالشيخ عبد الرزاق عفيفي :

لم أجد في كثير من المصادر التي ترجمت للشيخ، والتي وقفت عليها إشارة لتلمذة ابن عثيمين على العفيفي إلا مصدراً واحداً أشار لهذه التلمذة. وهو الشيخ عبد العزيز العسكر في كتابه (من أعلامنا) حيث قال في موضعين من كتابه :

«قدم الشيخ الطائف - أي العفيفي - عام ١٣٦٨هـ بلباسه الأزهري، ومعه والده الذي قام بیره وخدمته حتى وفاته، وبقي عبد الرزاق في دار التوحيد سنتين، ثم فتح المعهد العلمي في الرياض عام ١٣٧٠هـ (كذا) فنقل إليه، ودرس فيه، ثم نقل للتدريس في معهد عنيزة العلمي.

وفي عنيزة تلمذ عليه تلاميذ الشيخ عبد الرحمن بن سعدي، ومنهم :
الشيخ محمد بن عثيمين، والشيخ علي الحمد الزامل، حمد الحمد البسام، والشيخ عبد الله النعيم، وغيرهم..

وصار له محبة ومودة كبيرة لدى المواطنين في عنيزة، لما رأوا فيه من الصلاح والاستقامة، وحسن العقيدة، وسعة العلم.

ثم عاد إلى الرياض فدرّس في المعهد العلمي، وفي كليتي الشريعة، واللغة العربية، وصار له عدد كبير من التلاميذ من هذا التدريس»^(١).

وقال في موضع آخر تحت عنوان (تلاميذه) أي العفيفي :

«كان لعمل شيخنا في التعليم فترة طويلة من حياته، أثر في كثرة طلابه وتلاميذه، ثم إن بعضاً منهم حافظوا على صلتهم به، وأخذ العلم والفقه عنه إلى أن توفي - رحمه الله تعالى -.

ومن أشهر تلاميذه :

أصحاب الفضيلة : راشد بن خنين، ومحمد بن عثيمين، وعبد العزيز آل الشيخ، ومحمد بن جبير، وعبد الله البسام، وصالح الفوزان، وعبد الله بن

(١) من أعلامنا (٣٩/٢).

منيع، وصالح السدلان، وعبد الله بن جبرين، وعبد الله بن غديان، وعبد الله التركي.....^(١)

يتبين من هذا النقل أن المترجم - أي شيخنا ابن عثيمين - معدود من تلاميذ شيخنا عبد الرزاق العفيفي، أما في عنيزة فقد جزم به المؤلف، ومن المستبعد أن يكون الشيخ عفيفي في عنيزة، ويُدرّس فيها من المحرم لعام ١٣٧٠ هـ إلى شوال من العام نفسه، وهو معروف بسعة علمه، وتبحره، ودعوته لمذهب السلف.

من المستبعد أن يسمع به شيخنا ابن عثيمين ولا يستفيد منه، ولا يرغب في التلمذ عليه، وقد علم حرص شيخنا على الطلب والجد في التعلم.

أما في الرياض فإن الفترة التي درس فيها ابن عثيمين في المعهد العلمي، أي من عام ١٣٧٢ هـ إلى ١٣٧٣ هـ نهايته.

كان الشيخ العفيفي موجوداً في المعهد العلمي، ويدرس فيه مع كبار علماء ومشايخ المعهد.

ويؤكد ذلك ما قاله الشيخ علي الرومي :

«كان الشيخ - أي العفيفي - أول من باشر في المعهد العلمي بالرياض منذ أول يوم لافتتاحه في عام ١٣٧١ هـ.

وله اطلاع واسع يرحمه الله في الفقه والحديث والتفسير والتاريخ.. وبرغم كبر سنه فقد بقي في وعيه وذكائه وعلمه».^(٢)

(١) من أعلامنا (٤١/٢).

(٢) مجلة التوحيد المصرية، العدد الخامس، للسنة الثالثة والعشرين.

ثم وجدت أحد تلاميذ الشيخ ابن عثيمين القدامى وهو الشيخ محمد العثمان القاضي، عدّ في شيوخ ابن عثيمين فضيلة الشيخ عبد الرزاق العفيفي، وهذه فائدة عزيزة، والحمد لله على توفيقه.^(١)

٢- فضيلة الشيخ المحدث عبد الرحمن الإفريقي رحمه الله تعالى. المتوفي سنة ١٣٧٧هـ.

من الذين تزامن وجودهم في المعهد العلمي في فترة دراسة شيخنا ابن عثيمين فيه، فضيلة الشيخ المحدث الإفريقي كما أخبرني بذلك مشافهة شيخنا العلامة عبد الرحمن بن ناصر البراك حفظه الله تعالى، حيث كان يدرس مادة الحديث بالمعهد، فيغلب على الظن عدّه في شيوخه والله تعالى أعلم.

وقد قال شيخنا محدث الحجاز الشيخ عبد المحسن العباد عن تلك الفترة :

«وأنا درست على الشيخ عبد الرحمن الإفريقي في الرياض في عام ١٣٧٢هـ وعام ١٣٧٣هـ في الحديث والمصطلح، وكان مدرساً ناصحاً، عالماً كبيراً وموجهاً، ومرشداً وقُدوة في الخير رحمه الله تعالى».^(٢)

ومن المشايخ الذين تتلمذ عليهم المترجم وكانوا يدرسون في المعهد في تلك الفترة، كما أخبرني بذلك شيخنا البراك حفظه الله تعالى.

٣- الشيخ محمد السرحان المصري الأزهري. وكان يدرس علم البلاغة.

(١) جريدة الرياض، العدد ١١٨٩٦.

(٢) رسالة الشيخ عمر بن محمد فلاته - رحمه الله - وكيف عرفته؟ للشيخ العباد حفظه الله تعالى.

وانظر : (علماء ومفكرون عرفتهم) للمحذوب (١/٦٣-٧٦).

٤- الشيخ عبد اللطيف السرحان المصري الأزهري.

وكان يدرس علم النحو.^(١)

٥- الشيخ عبد السلام السرحان الأزهري.

وكان يدرس علم الأدب.

٦- الشيخ محمد المختار الشنقيطي

شارح سنن النسائي، - وليس هو محمد الأمين صاحب أضواء البيان -، نزيل المدينة. وقد أخبرني الشيخ ابن عثيمين نفسه أنه كان يدرس لهم في مادة التاريخ بالمعهد العلمي.

فهؤلاء أربعة عشر شيخاً للمترجم مابين عنيزة والرياض، تتلمذ على بعضهم زمناً طويلاً وعلى آخرين أياماً يسيرة.

ولكن بقي سؤال : هل سمع ابن عثيمين من شيخ الجزيرة في وقته ؟ وعلامة عصره الشيخ محمد بن إبراهيم آل الشيخ ؟ وقد كانت دروسه لا تكاد تتوقف في مسجد عمه العلامة عبد الله بن عبد اللطيف بحي دخنة بالرياض، واستمر فيها قرابة نصف قرن، من عام ١٣٣٩هـ إلى ١٣٨٠هـ إلى أن حبسه المرض.

فهل تتلمذ شيخنا عليه ؟ وسمع منه ؟ ولازم حلقاته في فترة وجوده في المعهد العلمي بالرياض إلى أن تخرج ؟.

مع كثرة بحثي وتنقيبي عن هذه الجزئية من حياة شيخنا، وبحثي في ترجمة الشيخ محمد بن إبراهيم، لم أجد ما يشير إلى تلمذة شيخنا عليه، وقد ذكر مؤلفا كتاب

(١) وانظر الإنجاز في ترجمة الإمام ابن باز ص ٢٠١.

حياة الشيخ محمد بن إبراهيم وآثاره، وهما الشيخان : صالح الأطرم، وعبد الله بن موسى العمار.

أقول : ذكرنا (٣٠٣) تلميذاً من تلاميذ الشيخ ابن إبراهيم، ومنهم من يقارب شيخنا المترجم في السن أو يصغره، ولم أجد هـما ذكرنا شيئاً عن تلمذة شيخنا ابن عثيمين لابن إبراهيم. رحم الله الجميع.

وهذا العدد هو أكبر عدد وقفت عليه حتى الآن.

ومع علمنا بحرص المترجم على الطلب ومكانة الشيخ ابن إبراهيم رحمه الله تعالى، فلعلنا نتلمس في ذلك بعض الأجوبة عن هذا السؤال. منها :

١- أن عدم الذكر لا يدل على العدم.

٢- قد يكون من ذكروا تلاميذ ابن إبراهيم اهتموا بمن لازموا ملازمة طويلة، ومعروف أن تلاميذ الشيخ أكثر بكثير جداً من العدد المذكور.

٣- قد يكون المترجم في فترة دراسته في المعهد مشغولاً بتحصيل دروس المعهد ومذاكرتها في خارج أوقات الدراسة - أعني الفترة المسائية خاصة - والعديد من الكتب التي تدرس في حلقة الشيخ نقلت للمعهد كمناهج ثابتة ؛ حيث كان الشيخ ابن إبراهيم هو المشرف عليها، والمتابع لسير المناهج فيها.

هذا ما بدا لي في الإجابة عن هذا السؤال.

والله سبحانه وتعالى أعلم بالصواب وإليه المرجع والمآب.

ثم بعد كتابة ما سبق وقفت على نص يقوي ترجيح تلمذته على العلامة ابن إبراهيم رحمه الله تعالى.

حيث يقول أحد أقرانه وهو الشيخ محمد الصالح المنصور رحمه الله تعالى - وهو من علماء بريدة - فيما نقله الشيخ ديان محمد الديان :

«لقد كان الشيخ محمد بن عثيمين هو الوحيد الذي يصلي تحية المسجد في وقت النهي، في مسجد ابن إبراهيم بحضوره، وأثناء إلقاء الدرس، خلافاً لابن إبراهيم الذي كان يذهب إلى عدم جواز صلاة ذوات الأسباب في أوقات النهي، وقد اشتهر عن الشيخ ابن عثيمين أنه كان يفتي بالطلاق الثلاث على مذهب ابن تيمية في حياة ابن إبراهيم، وقد كان ابن إبراهيم يفتي بهذه المسألة على المشهور في المذهب الحنبلي وأخذاً بالمعمول به منذ قيام الدولة السعودية الأولى، وقد تضمنت فتاوى ابن إبراهيم ورسائله إنكاره على الشيخين ابن عثيمين وابن باز ؛ لقولهما بهذا القول، وهما من تلاميذه...»^(١).

وهذا الكلام من الشيخ المنصور رحمه الله تعالى لا يشترط أن يعني به فترة الدراسة بالمعهد العلمي بل الظاهر خلافه، لأن ابن عثيمين رحمه الله تعالى لم يكن ليتكّن له رأي يخالف به المفتي الأكبر وهو في سن مبكرة؛ سواء في مسألة صلاة ذوات الأسباب في وقت النهي، أو في الطلاق الثلاث.

(١) جريدة الوطن، العدد ١٠٦.

قلت : والشيخ محمد المنصور، هو محمد بن صالح بن منصور المنصور من قبيلة ثمر، من مواليد بريدة سنة ١٣٥٠هـ وقد كف بصره بسبب الجدري، وهو في السنة الثامنة من عمره، ولم يكن ذلك عائقاً له عن طلب العلم، وقد رحل للرياض في سن السادسة عشرة، وطلب العلم على الشيخ ابن إبراهيم لمدة سبع سنوات، وأكمل دراسته الجامعية، وتخرج من كلية الشريعة، وهو صاحب عبادة وعلم، وله دروس في مسجده في : العقيدة والحديث والفقه واللغة والفرائض. توفي رحمه الله تعالى في يوم السبت ١٢/٢٦/١٤٢٠هـ بمدينة بريدة. (انظر مجلة شباب، العدد ١٥).

ولكن الذي يهمننا من كلامه الصريح قوله (وهما من تلاميذه)، فهذا يقوي جانب التلمذة. والله تعالى أعلم.

وبعد.. فقد ظل شيخنا المترجم في جنبات هذا المعهد المبارك الذي خرّج كبار العلماء لمدة سنتين، عاملاً بنظام القفز الذي يبناه في أول هذا الفصل.

ومما نذكره هنا عن حياة الشيخ في المعهد ما أخبرني به شيخنا العلامة عبد الرحمن بن ناصر البراك أن ابن عثيمين رحمه الله تعالى كان يجلس مع الطلاب الأكفأ [غير المبصرين] ليساعدهم في استذكار دروسهم ويقرأ لهم ما يحتاجونه. فله دره من طالب علم كان في عون إخوانه فكان الله في عونه، ورفع قدره. نسأل الله تعالى أن يتغمده برحمته.

واستمر الشيخ في الرياض حتى نهاية عام ١٣٧٣هـ بعد أن انتهى من دراسة السنة الثالثة في المعهد العلمي.

وفي هذه السنة افتتح المعهد العلمي بعنيزة وكانت بداية الدراسة فيه في شهر ربيع الثاني عام ١٣٧٣هـ^(١)، وكان المشرف عليه هو شيخه، أعني الشيخ عبد الرحمن بن ناصر السعدي والذي رفض أن يتقاضى أجراً على عمله هذا.

واحتاج المعهد في عنيزة إلى معلمين، فاضطر الشيخ أن يرجع إلى مسقط رأسه، ليتنفع به أبناء بلده، وتعيّن مدرساً في المعهد سنة ١٣٧٤هـ، وأخذ السنة الرابعة من المعهد بالانتساب، ثم انتسب لكلية الشريعة حتى أتمها.

كل ذلك وهو يدرس في معهد عنيزة العلمي.

(١) فقه ابن سعدي (٢٥/١).

وهذه المسألة لم يحرها الكثير ممن كتب في ترجمة الشيخ.

واستمع إلى الشيخ نفسه وهو يروي مسيرته في المعهد والكلية، مؤرخة بالسنين في اللقاء الذي نشر في مجلة الدعوة العدد ١٧٧٦.

قال رحمه الله تعالى :

«أتمنا دراسة المعهد لأننا بدأنا من السنة الثانية، وفي ذلك الوقت كان نظام القفز معمولاً به، أي أن الطالب يدرس في الفترة الصيفية دروس السنة المستقبلية، ثم يمتحن فيها في الدور الثاني، ويرتقي للسنة الثالثة.

فأنا قفزت، يعني: قرأت ثانية، وتخرجت منها طبيعياً، ثم قفزت وأدركت الثالثة، ثم أخذت الرابعة في سنة ٧٤هـ بالانتساب؛ لأن المعهد العلمي كان قد فتح، وكان يحتاج لمدرسين، فرجعت في العام ٧٤هـ إلى عنيزة، وبدأت التدريس في معهد عنيزة من عام ١٣٧٤هـ، وأخذت السنة الرابعة بعد ذلك بالانتساب، وبقيت منتسباً حتى أتممت - والله الحمد - كلية الشريعة..» أ هـ.

ولكن مع هذا فقد بقي إشكال آخر: هل انتظم الشيخ في الدراسة في كلية الشريعة؟ وهل ترك عمله في المعهد للدراسة في الكلية؟ ثم رجع إلى المعهد مرة أخرى؟.

قال الشيخ رحمه الله تعالى في أول حديث صحفي معه بمجلة الإمامة العدد

٩٥٣ لسنة ١٤٠٧هـ :

«بعد أن تخرجت التحقت بكلية الشريعة، ودرست فيها أول سنة، ثم فتح المعهد العلمي في عنيزة، وبعد مضي سنة من افتتاحه صرت أدرس في المعهد، ومنتسباً في الكلية..».

وعلق مجرى الحوار وهو فهد راشد العبد الكريم بعد انتهاء الحوار بعنوان كتب تحته : لقطات : «خلال السنة الدراسية الأولى التي قضاها منتظماً بكلية الشريعة بالرياض درس على سماحة الشيخ ابن باز في أول صحيح البخاري..» أ ه بحروفه. فيظهر من هذا النقل أن الشيخ رحمه الله تعالى درس في كلية الشريعة منتظماً لمدة سنة، ثم أتم باقي السنوات بالانتساب.

ومن النقل السابق يظهر أنه درسها انتساباً لحاجة المعهد في عيزة إلى معلمين. فهذا موضع يحتاج إلى تحرير، وسؤال لقراءة الشيخ في الدراسة، وبالطبع فقد كان الشيخ يتردد على الكلية بين الحين والآخر بصفته منتسباً.

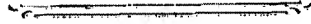
يقول الشيخ عبد العزيز المسند : «فالرجل - رحمه الله تعالى - أعرفه عن كثب، لأنه عندما كان منتسباً للكلية كنت مديراً لها، وكان يأتي لماماً إلى الرياض ليأخذ بعض الدروس، ويقابل بعض الأساتذة بالكليات، فقد كان لديه استعداد جيد، ونشر العلم، فهذا من حسن حظه». (١) أ ه

وعلى كل فقد أتم الشيخ كلية الشريعة عام ١٣٧٧هـ، وتخرج في دفعته الثانية وعمره حوالي ثلاثين عاماً، وإذا ثبت أن الشيخ درس منتظماً في كلية الشريعة فإنه سيكون قد استفاد وتأثر بكبار العلماء الذين انتدبوا للتدريس في هذه الكلية، والتي افتتحت سنة ١٣٧٣هـ.

ومنهم مشايخه الكبار الذين درس عليهم في المعهد وغيرهم.. وستختلف عدة مشايخه ويضاف إليهم آخرون. والله تعالى أعلم بالصواب.

وبرجوع الشيخ إلى عنيزة العامرة بخلق العلم لشيخه العلامة السعدي رحمه الله تعالى، استمر الشيخ في ملازمة شيخه.

وبهذا أصبح الشيخ متعلماً معلماً، وأخذاً معطياً، وطالباً ومطلوباً.
وهذه صفة العلماء الربانيين.



فصل

ابن عثيمين في المعهد العلمي في عنيزة معلماً (صور ومواقف)

هذا الفصل قدمته هنا لمناسبته الزمنية للمراحل السابقة، مع أن حقه يؤخر في الباب الثاني الخاص بعبء الشيخ وبثه للعلم وصفاته وأخلاقه.

فمنذ سنوات قليلة كان ابن عثيمين طالباً يتربع على مقاعد الدراسة في معهد الرياض العلمي، والآن وبعد أن تأهل وفاق أقرانه اختير ليبدل ما عنده من العلم والفقه مما وعاه صدره عن أهل العلم الكبار طوال رحلته المباركة.

وليتشرف طلاب المعهد في عنيزة للجلوس في مقاعد الدراسة بين يديه، وليشاركهم في أنشطتهم المتنوعة، بل وليشارك إدارة المعهد في وضع المناهج التي تناسب هذه المرحلة.

ومما وضعه الشيخ من المناهج للمعهد العلمي - بعد ذلك - مقرر أصول الفقه؛ حيث ألف كتابه : (الأصول من علم الأصول)، قال الشيخ في مقدمته : «أما بعد.. فهذه رسالة مختصرة في أصول الفقه، كتبناها وفق المنهج المقرر للسنة الخامسة الثانوية في المعاهد العلمية...».

وكذلك كتب مقرر المصطلح في كتابه : (مصطلح الحديث) حيث قال في آخر المقدمة : «وقد وضعنا فيه كتاباً وسطاً يشتمل على المهم من هذا الفن حسب

المنهج المقرر للمستين الأولى والثانية من القسم الثانوي في المعاهد العلمية. وسميها (مصطلح الحديث).

وقال في آخر الكتاب مؤرخاً له: «وإلى هنا انتهى القسم الثاني من كتاب (مصطلح الحديث) ويحتوي على مقرر السنة الثانية الثانوية في المعاهد العلمية، وبه تم الكتاب على يد مؤلفه: محمد صالح العثيمين في يوم الخميس الموافق للسّادس عشر من شهر ربيع الثاني سنة ١٣٩٦هـ، ست وتسعين وثلاثمائة وألف.

والحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات. وصلى الله وسلم على نبينا محمد وآله وصحبه والتابعين لهم بإحسان مدى الأوقات.. آمين.» أ هـ.

ومن المواد التي درّسها الشيخ في المعهد كتاب (زاد المستقنع).

يقول تلميذه الشيخ ديبان بن محمد الديان: «قد درس الشيخ زاد المستقنع فترة طويلة جداً في المعهد العلمي في عنيزة، والذي كان يتبدأ تدريسه للطلاب من السنة الأولى متوسط، وينتهي بالسنة الثانية ثانوي، وكثيراً ما يبلغ الطلاب هذه المرحلة ويتجاوزونها قبل استكمال النصاب، ولكن الشيخ ابن عثيمين كان ينهي تدريس الزاد للطلاب في سنة واحدة»^(١).

وسنستعرض لشيء من المواقف البسيرة لشيخنا في المعهد بين طلابه في الأسطر التالية لعلها تكون تسليّة للمعلمين الذين ينبرون السبيل لغيرهم،

ولا أقول يحترقون لينبروا لغيرهم في عصر لا يوقر فيه المعلم ولا يؤبه له، بل يواخذ بالسيئة، ولا يجازى بالحسنة. وإلى الله المشتكى.

(١) جريدة الوطن، العدد ١٠٦.

قال الشيخ عبد الرحمن بن علي النهادي إمام وخطيب جامع الصالحية بعنيزة، واصفاً شيخه ابن عثيمين :

«كنت طالباً في المرحلة الثانوية في المعهد العلمي في عنيزة، فكان مثلاً للأب الحنون، والمعلم المتفهم غير المنون، والتربوي الواعي، تجري من جنباته ينابيع العلم، فكان مثلاً للسلف الصالح والعالم الرباني.

يتبسط مع المتعلم، ولا يرهقه حتى يتألم، كان مريباً تتمثل فيه الصفات التربوية بكامل معانيها.

أَتَذَكَّر :

أنا اتفقنا مع طلاب الفصل في الثانية ثانوي، أن نخرج برحلة برية ليوم كامل، فطلبنا الشيخ أن يخرج معنا، فوافق مبدئياً تمام استعداداه للخروج ورعاية هذه الرحلة. فكان في هذه الرحلة العجيب والعجاب، والأدب والآداب.

وانظر إلى هذه الرحلة، والرعاية التربوية، والتوجيهات الأبوية.

وانظر إلى هذا التقسيم والتنظيم الذي تم في هذه الرحلة، والفائدة الجمة التي خرج بها الطلاب من خلال هذه النزهة، ولعلي أتذكر أن فضيلته بعد التوجيهات، والتعليم، والترتيب.

ابتدأنا بالسباق على الأقدام، فكان والدنا الشيخ هو الأول مع أحد الطلاب، فكانت النتيجة أن سبق الشيخ الطالب لقوة جريه.

ثم تتابع السباق.

ثم انتقل بنا إلى برنامج آخر، وهو السباحة.

وكانت منطقة المتنزه الزغبية، وفيها عيون جارية موضوع عليها براك على هيئة مسابح، وفيها المياه الصافية، فكان الشيخ يضع قطعة من النقود الحديد داخل البركة، ويقول : أيكم يأتي به ؟ فيتنافس الطلاب في ذلك.

فكانت مباريات ورياضات فيها الفائدة والخير، حتى استمتع الطلاب بالسباحة والسباق للوصول إلى الغرض.
ثُمَّ :

انتقل بنا إلى برنامج آخر، وهو : الرماية.

وقد أخرج فضيلته (بندقية أم حبة) أتى بها ليطرن الطلاب عليها.

ثم اصطففنا للرماية، ووضع غرضاً لإصابته حيث بدأ كل طالب يتقصد الهدف ليصيبه، فكانت النتيجة أن أصابه البعض وأخفق آخرون فانظر الهدف العظيم الذي وصل إليه الشيخ من خلال هذه الرحلة الطلابية من تعليم السباحة، والرماية، والمسابقة على الأقدام، يتمثل في حسن اختيار الشيخ ومدى إدراكه للفائدة التي تحصل للطلاب، لو أن كثيراً من المربين اقتدوا بمثل هذه المناقب؛ لحصلوا خيراً لأفادوا كثيراً...» أ هـ.^(١)

قلت : فانظر - رحمك الله - إلى المعلم عندما يكون جامعاً بين الفقه الشرعي وبين البصيرة بحاجة طلابه.

كيف استغل وقت تنزههم فيما ينفع ويعود عليهم بالخير في دينهم ودنياهم ؟
كيف وضع لهم برنامجاً موافقاً لما كان عليه الصحابة والسلف الصالح في
لهوهم وسباقهم ؟

(١) جريدة الجزيرة، العدد ١٠٣٤٦.

وهذه لفظة هامة للذين يربون طلابهم على التمثيلات، والمسارح والأناشيد والنكات، وما يسمى بالكذبة البيضاء، والمشاهد والمهرجانات، وغيرها..

مما لا يُخْرِجُ عالماً ولا داعية ولا مجاهداً، ولن تحرر أراضي المسلمين المسلوقة شرقاً وغرباً بجماعة من المنشدين تقف على أبواب القدس فتتشد نشيدهم حماسياً بأصوات جميلة فائقة تشبه أصوات النساء.

ولن تحرر الشيشان بفرقة من الممثلين تقف على أبوابها، فتمثل مشهداً لمحمد الفاتح أو الخالد بن الوليد.

لماذا؟!!

لأننا لم نرب هؤلاء الشباب على ما تربى عليه الرعيل الأول حتى في لهوهم وترهيمهم. رمي، سباحة، عدو على الأقدام، شحذ للعقول، مباريات فقهية، مسابقة في أصل الدين - في العقيدة - في معنى كلمة التوحيد - في شروطها وأركانها، مسابقة في حفظ القرآن - سورة - آيات، مسابقة في حفظ السنة - أحاديث مختارة، مسابقة في سمت الرعيل الأول في جهادهم - في دعوتهم.

رحم الله الشيخ وأعلى درجته في عليين، كم كان نافذ البصيرة، فقيه القلب والعقل، نصّح لطلابه وأعذر إليهم، وسلك بهم سبل الهدى. اللهم فاجزه عنا خير الجزاء.

وليت المعنيين بالدراسات والأبحاث التربوية يعكفون على دراسة فترة وجود الشيخ في المعهد، ويجمعون من سجلات المعهد وملفاته، ومن الطلاب القدامى ما يقدم صورة واضحة مشرقة تمهد السبيل لخطط في الأنشطة التربوية لتلك المرحلة والله الموفق.

فصل

وفاة علامة القصيم وتعيين شيخنا ابن عثيمين خلفاً له في الإمامة والتدريس

لم تمض سوى سنتين وأشهر بعد رجوع شيخنا إلى عنيزة، وتدرسه في معبدها، ولزومه لشيخه السعدي؛ إلا وقد أصابت عنيزة مصيبة المصائب، وكارثة الكوارث، فقد أهدم لواؤها، وثلمت فيها ثلثة، وأظلم نهارها.

ففي يوم ٢٣/٦/١٣٧٦ هـ نادى منادها بوفاة عالمها، الشيخ عبد الرحمن بن ناصر السعدي الذي أضاءت به، وعمرت بدروسه، وسعدت بحلقاته، وامتألت بطلابه.

وقد كان السعدي أصيب عام ١٣٧٢ هـ بمرض ضغط الدم، وتصلب الشرايين، فكان يعتره مرة بعد مرة وهو صابر محتسب.

وفي ليلة الأربعاء ٢٢ من شهر جمادى الآخرة لسنة ١٣٧٦ هـ، وبعد فراغه من الدرس اليومي المعتاد، وبعد فراغه من صلاة العشاء، «وكانت آخر صلاة صلاها في الجامع إماماً، وقد قرأ في الركعة الأولى: ﴿وَالَّذِينَ وَالَّذِينَ﴾، وفي الثانية: ﴿إِنَّا أَرْسَلْنَا فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ﴾»^(١).

أحسَّ بثقل وضعف في الحركة، فأشار إلى أحد تلاميذه بأن يمسه ويذهب معه إلى البيت، ففعل، ولم يصل إلى البيت إلا وقد أغمي عليه، ثم أفاق بعد ذلك، فحمد

(١) مجلة الدعوة، العدد ١٧٧٨.

الله وأثنى عليه وتكلم مع أهله والحاضرين بكلام حسن طيب، ثم عاوده الإغماء مرة أخرى، فلم يتكلم بعد ذلك.

فلما أصبحوا صباح الأربعاء دعوا الطبيب، فقرر أن معه نزيفاً في المخ، فأبرقوا لابنه وللملك فيصل - رحمه الله تعالى - لما كان ولياً للعهد، فأصدر أمره الكريم عاجلاً بكل ما يلزم، فقامت طائرة خاصة وفيها طبيب مخ، ومهرة من الأطباء والعلاجات إلى مدينة عنيزة، وكان فيها ابنه عبد الله ولكن الجو كان ملبداً بالغيوم والرعد والبرق والعواصف الشديدة وفيها أمطار قد تتابعت أكثر من شهر، تقدمت منها البيوت، ونزلت أخشاب سطوح المساجد، فلم يساعد الجو على هبوط الطائرة، ورجعت من حيث أتت، ثم رجعت من الغد صباح الخميس لمحاولة الهبوط، فتلقت مكاملة وهي في الجو بوفاته فرجعت من حيث أتت، وقد توفي رحمه الله تعالى قبل طلوع فجر يوم الخميس الموافق ٢٣ جمادى الآخرة سنة ١٣٧٦ هـ عن تسع وستين سنة، وصلى عليه الشيخ عبد العزيز بن محمد البسام بعد صلاة الظهر في الجامع الكبير في حشد كبير لم يشهد له مثيل.

ولقد تأثر الناس بوفاته وفقدت عنيزة أغلى وأعز رجالها.

يقول الشيخ محمد بن عثمان القاضي في روضة الناظرين (٢٤٧/١) :

«ولقد حدثني من أثق به بأن الشيخ سليمان المشعلي، وكان عالماً جليلاً وقاضياً مسدداً لما علم بوفاته قال :

مات اليوم عالم نجد وقد طاب الموت بعد هذه الشخصية الفذة، فانصدع ومات في ١٢ من رجب بعد وفاة شيخنا السعدي بتسعة عشر يوماً، وكان من خواصه»^(١).

(١) انحاف النبلاء، للزهراني (٧٠/١).

الْمَوْتُ أَفْنَاهُمْ وَاسْتَبْقَاكَ بَعْدَهُمْ حَيًّا فَمَا أَقْرَبَ الْقَاصِي مِنَ الدَّانِي

وبوفاة هذا العلم النحرير انثلت ثلثة عظيمة وأحس أهل عنيزة وطلابها بفراغ هائل، كان لابد من القرار السريع لسده، والبحث عمن يقوم مقام هذا العالم الفذ، وأولى من يسد هذه الثغرة هم تلامذته، وخواصه، وأخصهم في ذلك هو التلميذ النجيب المحب إلى السعدي؛ والذي حظي بعناية خاصة، ألا وهو شيخنا ابن عثيمين، لذا رأى أولياء الأمر في عنيزة المسارعة بتعيينه خلفاً لشيخه.

وفي ذلك يقول شيخنا ابن عثيمين :

«لما توفي شيخنا السعدي عام ١٣٧٦هـ كان شيخنا الأول محمد بن عبد العزيز المطوع قاضياً في عنيزة، فرأى هو وأميرها في ذلك الوقت خالد بن عبد العزيز السليم أن أكون خلفاً للشيخ في الجامع والمكتبة التي كان شيخنا يدرس فيها، فوافقت على ذلك»^(١).

وكانت أول صلاة فريضة صلاها الشيخ في الجامع إماماً، يوم الأحد ١٣٧٦/٦/٢٦هـ صلاة الظهر.

وأول جمعة صلاها في يوم الجمعة ١٣٧٦/٧/٢هـ.

وبعد هذا التاريخ بنحو سنة أتم الشيخ كلية الشريعة انتساباً أي عام ١٣٧٧هـ.

واستأنف الشيخ عطاءه بين الجامع الكبير بحلقه وخطبه والمعهد، ثم الكلية بفصولها وقاعاتها، ومناهجها.

وبهذا يكون الباب الأول من هذا الكتاب قد أوشك على التمام.

(١) برنامج (في موكب الدعوة) بإذاعة القرآن الكريم بالرياض.

وفيه إتمام البناء العلمي للشيخ، والإعداد التربوي للمرحلة القادمة، والتي سيستمر فيها الشيخ حتى الوفاة.

ألا وهي مرحلة البذل والعطاء والتعليم والدعوة.

وهي مادة الباب الثاني.

وقبل أن نتقل من هنا لابد من إلقاء النظر حول أهم أسباب النجاح، وحصول المراد للشيخ في طلب العلم بعد توفيق الله تعالى.

وإذا أحببنا أن نلمسها سنجدها - والله أعلم - تتلخص في النقاط الآتية :

١- رغبة ابن عثيمين الجازمة في الطلب، وتوفر النية الصادقة، والهمة العالية.

٢- حث الأسرة له على سلوك سبيل العلم.

وفي هذين يقول الشيخ جواباً على سؤال هذا نصه :

س : اندفاعك نحو العلم وتلقيه ودراسته على أيدي المشائخ، هل كان بتوجيه من الوالد والأسرة.. أم كان بدافع ذاتي محض ؟

ج : كان بتوجيه من الوالد، وعندني رغبة نحو هذا الشيء.^(١)

٣- عدم وجود العوائق الدنيوية أو الاجتماعية.

وهذا عامل مهم في حياة الطالب فكم صرفت العوائق والعوارض الكثير والكثير من طلاب العلم الذين لديهم الكفاءة والذكاء والقدرة.

وقد كاد يحصل للشيخ شيء من هذا، ولكن الله يسر وأعان على تلافي هذه العوارض وذلك في موضعين سبق ذكرهما حين عمل الشيخ في فلاحه الوادي، وترك

(١) مجلة اليمامة، العدد ٩٥٣، لقاء صحفي مع الشيخ.

دروس ابن سعدي، وحين أراد والده أن يذهب معه إلى الرياض، فقال له ابن سعدي : «إن هذا لا يمكن. نريد محمداً أن يمكث هنا حتى يستفيد».^(١)

٤- وجود شيخ مربٍّ وحنون، رعى تلميذه، وحرص عليه، وتلطف في تعليمه العلم بالتدرج، فبدأ معه بصغار العلم قبل كباره.

حيث وكل به ابن سعدي أحد تلاميذه الكبار وهو الشيخ المطوع حتى تأهل للحلقات علامة القصيم.

٥- تتلمذه وسماعه من كبار العلماء الراسخين في العلم في عصره ممن تتلمذ عليهم، واستفادته من كبار علماء عصره ممن لم يلقهم فيما نعلم.

فقد اجتمع في عصر الشيخ كبار علماء الدنيا، من أمثال : السعدي، وابن إبراهيم، والشنقيطي، وابن باز، والعفيفي، ثم بعد ذلك الألباني في المدينة المنورة.

فهؤلاء جبال الدنيا في التوحيد والفقه والحديث وعلوم الآلة ممن كان لهم الدور البارز في توجيه المسيرة العلمية والدعوية بعد ذلك في العالم أجمع.

فقد استفاد الشيخ كما سبق ممن التقى بهم، ونظر في كتابات وأبحاث من لم يجلس إليهم كالشيخ محمد رشيد رضا - رحمه الله تعالى -.

٦- اهتمام الشيخ بالتأسيس في البناء العلمي.

فها هو يبدأ بحفظ القرآن ويتمه، ثم يضبط عدداً من المتون الفقهية والحديثية كـ (الزاد، والبلوغ).

وله محفوظات في العربية، من أمثال : الأجرومية، والألفية، يستحضرها سريعاً، ويلزم طلابه بحفظها.

(١) المصدر السابق.

وقد قال الشيخ : «قرأنا كثيراً فلم يبق معنا إلا ما حفظنا».

٧- أخذ العلم من نبعه الصافي الذي لم تكدره الدلاء.

فشيخه السعدي يدرس التفسير على الطريقة السلفية الصحيحة، فلا صوفية، ولا إسرائيليات، ولا أقوال ساقطة متهاكة، بل استنباط موفق وتفسير مسدد.

وكذا شيخه الشنقيطي فتفسيره للقرآن بالقرآن ثم بالسنة، ثم شيخه في الحديث ابن باز، فمن صحيح البخاري إلى مسلم، فالسنن، وقراءات لرسائل شيخ الإسلام ابن تيمية، وكذا بقية دروسه.

رحمة الله على الجميع.

٨- حرصه الشديد على وقته، فقد حَصَلَ في الزمن اليسير ما يحصله كبار الطلاب في الزمن الطويل، وسيرته شاهده بذلك.

٩- تأثره بكتابات شيخ الإسلام ابن تيمية وابن القيم رحمهما الله تعالى، وخاصة طريقة الاستدلال والاستنباط والتعليل، وربط الأحكام بأدلتها، وتنويع الأدلة.

وقد قال عن ذلك :

«الإنسان يقرأ ويتأثر، وأحياناً يقرأ ولا يتأثر، فالذي أرى أنه يتأثر القارئ بكتبه شيخ الإسلام ابن تيمية - رحمه الله تعالى - فإن له تأثيراً قوياً بالنسبة لقوة الحجة، والافتناع، والدفاع.

ولذا أنا أنصح كل من يريد الوصول إلى الحق من منبعه الصافي؛ أن يقرأ في كتب هذا الإمام؛ لأنه حقاً إمام - جزاه الله عن الإسلام والمسلمين خيراً - وكذلك أيضاً تلميذه ابن القيم : أسلوبه وإقناعه يأخذان بالباب قارئه، لكني أتأثر بكلام الشيخ أكثر من تأثري بكلام ابن القيم؛ مما يدفع الإنسان إلى الاقتناع الكامل الكافي.

كذا تأثرت بتلميذه ابن مفلح صاحب كتاب (الفروع) في مذهب الإمام أحمد بن حنبل؛ لأن له توجيهات طيبة جداً في الفقه تدل على عمق معرفته بالشريعة. وتأثرت أيضاً بمنهاج الشيخ محمد رشيد رضا، لأنه جيد في عرض المسائل، وإن كان عليه بعض الأخطاء، وجل من لا يخطئ فهو على كل

حال له أثر في منهجي في تحقيقه المسائل، وما أشبه ذلك. «إ.ه. (١)

١٠- جمع الشيخ همه على العلم وتحصيله، والاكتفاء من الدنيا بما يسد حاجته، وعدم توزيع الأوقات في ملاحقة حطامها الفاني، وإشباع الرغبات التي لا تنتهي. وهذه خصلة تحلى بها عدد من مشايخه منهم العلامة الشنقيطي الذي كان لا يعرف فئات العملة الورقية، وهو الذي كان يتمثل بأبيات الأديب محمد ابن حنبل الشنقيطي :

لَا تُسَيِّ بِالْعِلْمِ ظَنًّا يَا فَتَى إِنَّ سُوءَ الظَّنِّ بِالْعِلْمِ عَطَبٌ
لَا يَزْهَدُكَ أَخِي فِي الْعِلْمِ أَنْ غَمَرَ الْجَهْلُ أَرْبَابَ الْأَدَبِ
إِنْ تَرِ الْعَالِمَ نَضُوءاً مُرْمَلاً صَفَرَ كَفٌّ لَمْ يَسَاعِدْهُ سَبَبٌ
وَتَرِ الْجَاهِلَ قَدْ حَازَ الْغِنَى مَحَرَّرَ الْمَأْمُولِ مِنْ كُلِّ أَرْبٍ
قَدْ تَجَمَّعَ الْأَسَدُ فِي آجَامِهَا وَالذَّنَابُ الْغُبْسُ تَعْتَامُ الْقَتَبِ (٢)

(١) مجلة الدعوة، العدد ١٧٧٦.

(٢) إنحاف النبلاء بسير العلماء (١/١٣٦).

رَفَعُ
عبد الرحمن النجدي
(سَيِّدُ النَّبِيِّينَ النَّبِيِّينَ)

الباب الثاني (بذله وعطاؤه)

وفيه فصلان:

الفصل الأول : علمه وعمله وصفاته وأخلاقه

الفصل الثاني : سبل دعوته وتعليمه، وجهوده في نشر العلم

الفصل الأول

علمه وعمله وصفاته وأخلاقه

(١) عقيدته :

المتبع لحياة الشيخ العلمية والعملية، يجد أنه يعتقد اعتقاد السلف الصالح؛ أهل السنة والجماعة؛ في أصول الدين جملةً وتفصيلاً.

وقد بين الشيخ رحمه الله تعالى عقيدته السلفية في تأليفه وشروحه ودروسه ومحاضراته وخطبه وفتاواه.

وقد عاش يدعو إلى هذه العقيدة المباركة حتى آخر أيام عمره، في دروسه التي كان يلقيها في المسجد الحرام من غرفته، وهو على سرير المرض.

ومن المناسب هنا أن أذكر نبذة من عقيدة الشيخ التي كتبها بنفسه، وسماها : «عقيدة أهل السنة والجماعة».

وسأختصر ذكر الأدلة فيها، ومن شاء المزيد فليراجع الأصل.

قال رحمه الله تعالى :

عقيدتنا

عقيدتنا: الإيمان بالله، وملائكته، وكتبه، ورسوله، واليوم الآخر، والقدر خيره وشره.

فنؤمن بربوبية الله تعالى؛ أي : بأنه الرب الخالق المالك المدبر لجميع الأمور.

ونؤمن بالوهمية الله تعالى؛ أي : بأنه الإله الحق، وكل معبود سواه باطل.

ونؤمن بأسمائه وصفاته؛ أي : بأنه له الأسماء الحسنى والصفات الكاملة العليا.
ونؤمن بوحديته في ذلك : أي بأنه لا شريك له في ربوبيته، ولا في ألوهيته،
ولا في أسمائه وصفاته.

قال الله تعالى : ﴿رَبُّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا فَاعْبُدْهُ وَاصْطَبِرْ لِعِبَادَتِهِ هَلْ تَعْلَمُ لَهُ سَمِيًّا﴾. [مرم : ٦٥].

ونؤمن بأنه : ﴿اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ لَا تَأْخُذُهُ سِنَّةٌ وَلَا نَوْمٌ لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ مَنْ ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِنْدَهُ إِلَّا بِإِذْنِهِ يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلَا يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِنْ عِلْمِهِ إِلَّا بِمَا شَاءَ وَسِعَ كُرْسِيُّهُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَلَا يَئُودُهُ حِفْظُهُمَا وَهُوَ الْعَلِيُّ الْعَظِيمُ﴾. [البقرة : ٢٥٥].

ونؤمن بأنه : ﴿هُوَ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ عَالِمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ هُوَ الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ (٢٢) هُوَ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْمَلِكُ الْقُدُّوسُ السَّلَامُ الْمُؤْمِنُ الْمُهَيْمِنُ الْعَزِيزُ الْجَبَّارُ الْمُتَكَبِّرُ سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ (٢٣) هُوَ اللَّهُ الْخَالِقُ الْبَارِئُ الْمُصَوِّرُ لَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى يُسَبِّحُ لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ (٢٤)﴾. [الحشر ٢٢-٢٤].

ونؤمن بأنه : ﴿لَهُ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ يَهَبُ لِمَنْ يَشَاءُ إِنَاثًا وَيَهَبُ لِمَنْ يَشَاءُ الذُّكُورَ (٤٩) أَوْ يُزَوِّجُهُمْ ذُكْرَانًا وَإِنَاثًا وَيَجْعَلُ مَنْ يَشَاءُ عَقِيمًا إِنَّهُ عَلِيمٌ قَدِيرٌ (٥٠)﴾. [الشورى : ٤٩-٥٠].

ونؤمن بأنه : ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ (١١) لَهُ مَقَالِيدُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ يَنْسُطُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ وَيَقْدِرُ إِنَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ (١٢)﴾. [الشورى ١١-١٢].

ونؤمن بأنه : ﴿مَا مِنْ دَابَّةٍ فِي الْأَرْضِ إِلَّا عَلَى اللَّهِ رِزْقُهَا وَيَعْلَمُ مُسْتَقَرَّهَا وَمُسْتَوْدَعَهَا كُلٌّ فِي كِتَابٍ مُبِينٍ﴾. [هود : ٦].

ونؤمن بأنه : ﴿وَعِنْدَهُ مَفَاتِحُ الْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَا إِلَّا هُوَ وَيَعْلَمُ مَا فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَمَا تَسْقُطُ مِنْ وَرَقَةٍ إِلَّا يَعْلَمُهَا وَلَا حَبَّةٌ فِي ظُلُمَاتِ الْأَرْضِ وَلَا رَطْبٌ وَلَا يَابِسٌ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُبِينٍ﴾. [الأنعام : ٥٩].

ونؤمن بأن الله : ﴿عِنْدَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ وَيُنَزِّلُ الْغَيْثَ وَيَعْلَمُ مَا فِي الْأَرْحَامِ وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ مِمَّاذَا تَكْسِبُ غَدًا وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ بِأَيِّ أَرْضٍ تَمُوتُ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ﴾. [لقمان : ٣٤].

ونؤمن بأن الله يتكلم بما شاء، متى شاء، كيف شاء : ﴿وَكَلَّمَ اللَّهُ مُوسَى تَكْلِيمًا﴾. [النساء : ١٦٤]. ﴿وَلَمَّا جَاءَ مُوسَى لِمِيقَاتِنَا وَكَلَّمَهُ رَبُّهُ﴾. [الأعراف : ١٤٣]. ﴿وَنَادَيْنَاهُ مِنْ جَانِبِ الطُّورِ الْأَيْمَنِ وَقَرَّبْنَاهُ نَجِيًّا﴾. [مريم : ٥٢].

ونؤمن بأنه : ﴿لَوْ كَانَ الْبَحْرُ مِدَادًا لِكَلِمَاتِ رَبِّي لَنَفِدَ الْبَحْرُ قَبْلَ أَنْ تَنْفَدَ كَلِمَاتُ رَبِّي﴾. [الكهف : ١٠٩]. ﴿وَلَوْ أَكْمَأُ فِي الْأَرْضِ مِنْ شَجَرَةٍ أَقْلَامَ وَالْبَحْرُ يَمُدُّهُ مِنْ بَعْدِهِ سَبْعَةُ أَبْحُرٍ مَا نَفِدَتْ كَلِمَاتُ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾. [لقمان : ٢٧].

ونؤمن بأن كلماته الله أتم الكلمات صدقاً في الأخبار وعدلاً في الأحكام، وحسناً في الحديث، قال الله تعالى : ﴿وَوَكَّلْتُ كُلَّمَةً رَبِّكَ صِدْقًا وَعَدْلًا﴾. [الأنعام : ١١٥]. وقال : ﴿وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ اللَّهِ حَدِيثًا﴾. [النساء : ٨٧].

ونؤمن بأن القرآن الكريم كلام الله تعالى تكلم به حقاً، وألقاه إلى جبريل فنزل به جبريل على قلب النبي ﷺ، ﴿قُلْ نَزَّلَهُ رُوحُ الْقُدُسِ مِنْ رَبِّكَ بِالْحَقِّ لِيُثَبِّتَ الَّذِينَ آمَنُوا وَهُدًى وَبُشْرَى لِلْمُسْلِمِينَ﴾ (١٠٢) وَلَقَدْ نَعْلَمُ أَنَّهُمْ يَقُولُونَ

إِنَّمَا يُعَلِّمُهُ بَشَرٌ لِّسَانُ الَّذِي يُلْحِدُونَ إِلَيْهِ أَعْجَمِي وَهَذَا لِسَانٌ عَرَبِيٌّ مُبِينٌ. [النحل : ١٠٢ - ١٠٣].

ونؤمن بأن الله عز وجل عليّ على خلقه بذاته وصفاته؛ لقوله تعالى : ﴿وَهُوَ الْعَلِيُّ الْعَظِيمُ﴾. [البقرة : ٢٥٥]. وقوله تعالى : ﴿وَهُوَ الْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِ وَهُوَ الْحَكِيمُ الْخَبِيرُ﴾. [الأنعام : ١٨].

ونؤمن بأنه : ﴿خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ يُدَبِّرُ الْأُمُورَ﴾. [يونس : ٣].

واستواؤه على العرش : علوه عليه بذاته علواً خاصاً يليق بجلاله وعظمته لا يعلم كيفيته إلا هو.

ونؤمن بأنه تعالى مع خلقه، وهو على عرشه، يعلم أحوالهم ويسمع أقوالهم، ويرى أفعالهم، ويدبر أمورهم.

يرزق الفقير، ويجبر الكسير، يؤتي الملك من يشاء وينزع الملك ممن يشاء، ويعز من يشاء، ويذل من يشاء، بيده الخير وهو على كل شيء قدير.

ومن كان هذا شأنه كان مع خلقه حقيقة، وإن كان فوقهم على عرشه حقيقة ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾. [الشورى : ١١].

ولا نقول كما تقول الحلولية من الجهمية وغيرهم : إنه مع خلقه في الأرض. ونرى أن من قال ذلك فهو كافر أو ضال؛ لأنه وصف الله بما لا يليق من النقائص.

ونؤمن بما أخبر به عنه رسوله ﷺ أنه ينزل كل ليلة إلى السماء الدنيا حين يبقى ثلث الليل الأخير فيقول :

«من يدعوني فاستجب له، من يسألني فأعطيه، من يستغفري فأغفر له».

ونؤمن بأنه سبحانه وتعالى يأتي يوم المعاد للفصل بين العباد؛ لقوله تعالى : ﴿كَأَلَا إِذَا دُكَّتِ الْأَرْضُ دَكًّا دَكًّا (٢١) وَجَاءَ رَبُّكَ وَالْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا (٢٢) وَجِيءَ يَوْمَئِذٍ بِجَهَنَّمَ يَوْمَئِذٍ يَتَذَكَّرُ الْإِنْسَانُ وَأَلَىٰ لَهُ الذِّكْرَىٰ﴾. [الفجر : ٢١-٢٣].

ونؤمن بأنه تعالى : ﴿فَعَالٌ لِّمَا يُرِيدُ﴾. [البروج : ١٦].

ونؤمن بأن إرادته تعالى نوعان :

كونية : يقع بها مراده، ولا يلزم أن يكون محبوباً له، وهي التي بمعنى المشيئة، كقوله تعالى : ﴿وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا أَفْتَلَوْا وَلَكِنْ اللَّهُ يَفْعَلُ مَا يُرِيدُ﴾. [البقرة : ٢٥٣]، ﴿إِنْ كَانَ اللَّهُ يُرِيدُ أَنْ يُغْوِيَكُمْ هُوَ رَبُّكُمْ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾. [هود : ٣٤].

وشرعية : لا يلزم بها وقوع المراد، ولا يكون المراد فيها إلا محبوباً له، كقوله تعالى : ﴿وَاللَّهُ يُرِيدُ أَنْ يَتُوبَ عَلَيْكُمْ﴾. [النساء : ٢٧].

ونؤمن بأن مراده الكوني والشرعي تابع لحكمته، فكل ما قضاه كوناً أو تعبد به خلقه شرعاً فإنه لحكمة وعلى وفق الحكمة، سواء علمنا منها ما نعلم أو تقاصرت عقولنا عن ذلك : ﴿أَلَيْسَ اللَّهُ بِأَحْكَمِ الْحَاكِمِينَ﴾. [التين : ٨]، ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللَّهِ حُكْمًا لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ﴾. [المائدة : ٥٠].

ونؤمن بأن الله تعالى يحب أوليائه، وهم يحبونه.....

ونؤمن بأن الله تعالى يرضى ما شرعه من الأعمال والأقوال ويكره ما نهى عنه منها.

ونؤمن بأن الله تعالى يرضى عن الذين آمنوا وعملوا الصالحات.....

ونؤمن بأن الله تعالى يغضب على من يستحق الغضب من الكافرين وغيرهم...

ونؤمن بأن الله تعالى وجهاً موصوفاً بالجلال والإكرام : ﴿وَيُنْفِقُ وَجْهَ رَبِّكَ ذُو الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ﴾. [الرحمن : ٢٧].

ونؤمن بأن الله تعالى يدين كرميتين عظيمتين : ﴿بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ يُنفِقُ كَيْفَ يَشَاءُ﴾ [المائدة : ٦٤] ، ونؤمن بأن الله تعالى عينين اثنتين حقيقيتين، لقوله تعالى : ﴿وَاصْنَعِ الْفَلَكَ بِأَعْيُنِنَا وَوَحِّينَا﴾. [هود : ٣٧].

وقال : [ﷺ] «ما انتهى إليه بصره من خلقه».

ونؤمن بأن الله تعالى : ﴿لَا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ وَهُوَ يُدْرِكُ الْأَبْصَارَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ﴾. [الأنعام : ١٠٣].

ونؤمن بأن المؤمنين يرون ربهم يوم القيامة : ﴿وَجُودَ يَوْمَئِذٍ نَاصِرَةٌ﴾ (٢٢) إِلَى رَبِّهَا نَاطِرَةٌ. [القيامة : ٢٢-٢٣].

ونؤمن بأنه : ﴿لَا تَأْخُذُهُ سِنَةٌ وَلَا نَوْمٌ﴾. [البقرة : ٢٥٥]. لكمال حياته وقيوميته.

ونؤمن بأنه لا يظلم أحداً؛ لكمال عدله.

وبأنه ليس بغافل عن أعمال عباده؛ لكمال رقايته وإحاطته.

ونؤمن بأنه لا يعجزه شيء في السماوات ولا في الأرض؛ لكمال علمه وقدرته : ﴿إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَنْ يَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ﴾. [يس : ٨٢].

وبأنه لا يلحقه تعب ولا إعياء؛ لكمال قوته : ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ وَمَا مَسَّنَا مِنْ لُغُوبٍ﴾. [ق : ٣٨].

أي من تعب ولا إعياء.

ونؤمن بشيئ كل ما أثبتته الله لنفسه، أو أثبتته له رسوله ﷺ من الأسماء والصفات.

﴿ الدر الثمين ﴾ ١٠١

لكننا نتبرأ من محظورين عظيمين، هما : التمثيل؛ أن يقول بقلبه أو لسانه : صفات الله تعالى كصفات المخلوقين. والتكيف؛ أن يقول بقلبه أو لسانه كيفية صفات الله تعالى كذا وكذا.

ونؤمن بانتفاء كل ما نفاه الله عن نفسه، أو نفاه عنه رسوله ﷺ، وأن ذلك النفي يتضمن إثباتاً لكمال ضده، ونسكت عما سكت الله عنه ورسوله.

ونرى أن السير على هذا الطريق فرض لا بد منه؛ وذلك لأن ما أثبتته الله لنفسه أو نفاه عنها سبحانه فهو خير أخير الله به عن نفسه، وهو سبحانه أعلم بنفسه وأصدق قیلاً، وأحسن حديثاً، والعباد لا يحيطون به علماً.

وما أثبتته له رسوله أو نفاه عنه فهو خير أخير به عنه، وهو أعلم الناس بربه، وأنصح الخلق، وأصدقهم، وأفصحهم.

ففي كلام الله تعالى ورسوله ﷺ كمال العلم والصدق والبيان، فلا عذر في رده أو التردد في قبوله.

فصل

وكل ما ذكرناه من صفات الله تعالى تفصيلاً أو إجمالاً، إثباتاً أو نفيًا، فإننا في ذلك على كتاب ربنا وسنة نبينا معتمدون، وعلى ما سار عليه سلف الأمة وأئمة الهدى من بعدهم سائرون..... إلى آخر ما ذكره رحمه الله تعالى من هذه العقيدة المباركة من بقية أمور الاعتقاد.

وإنني أقترح أن تشرح هذه العقيدة المباركة شرحاً موسعاً، وتُدْرَس في حلق العلم لطلاب العلم، وتدرس كذلك في المعاهد والكليات والجامعات، كما تدرس الواسطية والطحاوية.

ونقول كما قال الإمام مالك رحمه الله تعالى لما ألف الموطأ وقيل له في ذلك، فقال : «ما كان لله أبقي». وقد كان ما تفرسه رحمه الله تعالى. وقد كتب الشيخ هذه العقيدة المباركة، وكذا كتابه الفذ : (القواعد المثلى) في حدود سنة ١٤٠٤ هـ - ١٤٠٥ هـ، بعدما تكلم بعض الناس على ما ذكره في أحد المجالس من تقرير أن معية الله معية حقيقية ذاتية تليق به، فرموه بما لم يقله، وتوهوا ما لم يرد، فكان من حكمة الشيخ وتواضعه للحق أن ترك هذه الكلمة (ذاتية) لدرء هذه الفتنة. وأنقل للقارئ هنا ما كتبه الشيخ وسجله بقلمه حول هذا الموضوع حيث قال في كتابه : «القواعد المثلى».^(١)

تنبيه ثالث

اعلم أيها القارئ الكريم أنه صدر مني كتابة لبعض الطلبة تتضمن ما قلته في بعض المجالس في معية الله تعالى لخلقها، ذكرت فيها :
 أن عقيدتنا لله تعالى معية حقيقية ذاتية تليق به، وتقتضي إحاطته بكل شيء، علماً وقدرةً وسمعاً وبصراً وسلطاناً وتدبيراً، وأنه سبحانه منزّه أن يكون مختلطاً بالخلق، أو حالاً في أمكنتهم، بل هو العلي بذاته وصفاته.
 وعلوه من صفاته الذاتية التي لا ينفك عنها.
 وأنه مستور على عرشه كما يليق بجلاله.
 وأن ذلك لا يناهز معيته؛ لأنه تعالى ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾.
 وأردت بقولي (ذاتية) تأكيد حقيقة معيته تبارك وتعالى.

(١) ص ٦٣، ط دار عالم الكتب، سنة ١٤٠٨ هـ.

وما أردت أنه مع خلقه سبحانه في الأرض، كيف ! وقد قلت في نفس هذه الكتابة - كما ترى - إنه سبحانه منزّه أن يكون مختلطاً بالخلق، أو حالاً في أمكنتهم، وأنه العليُّ بذاته وصفاته، وأن علوه من صفاته (الذاتية) التي لا ينفك عنها. وقلت فيها أيضاً ما نصه بالحرف الواحد : «ونرى أن من زعم أن الله بذاته في كل مكان، فهو كافر أو ضال إن اعتقده، وكاذب إن نسبه إلى غيره من سلف الأمة أو أئمتها» أ هـ.

ولا يمكن لعافل عرف الله وقنّره حق قدره أن يقول إن الله مع خلقه في الأرض. وما زلت ولا أزال أنكر هذا القول في كل مجلس من مجالس جرى فيه ذكره. وأسأل الله تعالى أن يثبتني وإخواني المسلمين بالقول الثابت في الحياة الدنيا وفي الآخرة.

هذا وقد كتبت بعد ذلك مقالاً نشر في مجلة الدعوة، التي تصدر في الرياض، نشر يوم الاثنين الرابع من شهر محرم سنة ١٤٠٤ هـ برقم ٩١١، قررت فيه ما قرره شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله تعالى من أن معية الله لخلقه حق على حقيقتها، وأن ذلك لا يقتضي الحلول والاختلاط بالخلق؛ فضلاً عن أن يستلزمه، ورأيت من الواجب استبعاد كلمة (ذاتية)، وبينت أوجه الجمع بين علو الله تعالى، وحقيقة المعية.

واعلم أن كل كلمة تستلزم كون الله تعالى في الأرض، أو اختلاطه بمخلوقاته، أو نفي علوه، أو نفي استوائه على عرشه، أو غير ذلك.

مما لا يليق به تعالى، فإنها كلمة باطلة يجب إنكارها على قائلها كائناً من كان، وبأي لفظ كانت.

وكل كلام يوهم - ولو عند بعض الناس - مالا يليق بالله تعالى فإن الواجب تجنبه لتلاّ يظن بالله تعالى ظن السوء.

لكن ما أثبتته الله تعالى لنفسه في كتابه، أو على لسان رسوله ﷺ؛ فالواجب إثباته وبيان بطلان وهم من توهم فيه ما لا يليق بالله عز وجل. أ.هـ.^(١)

وقد ذكر الشيخ في آخر الكتاب نص المقال المنشور في مجلة الدعوة السعودية بتاريخ ١٤٠٤/١/٤هـ، وعليه تحرير الشيخ له بتاريخ ١٤٠٣/١١/٢٧هـ.

وقد نبه الشيخ في آخر كتابه على المسألة العظيمة التي يحتاج التذكير بها كل عالم، وكل طالب علم.

ألا وهي الرجوع إلى الحق متى تبين له، فقال :

«فعلى المؤمن أن يبين معتقده وعمله على كتاب الله تعالى، وسنة رسوله ﷺ فيجعلهما إماماً له، يستضيء بنورهما، ويسير على منهاجهما، فإن ذلك هو الصراط المستقيم الذي أمر الله به تعالى في قوله : ﴿وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَنْ سَبِيلِهِ ذَلِكُمْ وَصَّاكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾. وليحذر ما يسلكه بعض الناس من كونه يبين معتقده أو عمله على مذهب معين؛ فإذا رأى نصوص الكتاب والسنة على خلافه حاول صرف هذه النصوص إلى ما يوافق ذلك المذهب على وجوه متعسفة، فيجعل الكتاب والسنة تابعين لا متبوعين، وما سواهما إماماً لا تابعاً.

وهذه طريق من طرق أصحاب الهوى، لا أتباع الهدى.

وقد ذمَّ الله هذه الطريق في قوله : ﴿وَلَوْ اتَّبَعَ الْحَقُّ أَهْوَاءَهُمْ لَفَسَدَتِ السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ وَمَنْ فِيهِنَّ بَلْ أَتَيْنَاهُمْ بِذِكْرِهِمْ فَهُمْ عَنْ ذِكْرِهِمْ مُعْرِضُونَ﴾.

(١) من ص ٦٣، إلى ص ٦٤.

والناظر في مسالك الناس في هذا الباب يرى العجب والعجاب، ويعرف شدة افتقاره إلى اللجوء إلى ربه في سؤال الهداية والثبات على الحق، والاستعاذة من الضلال والانحراف.

ومن سأل الله تعالى بصدق وافتقار إليه عالماً بغنى ربه عنه، وافتقاره هو إلى ربه، فهو حري أن يستجيب الله تعالى له سؤله.

يقول الله تعالى : ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ فَلْيَسْتَجِيبُوا لِي وَلْيُؤْمِنُوا بِي لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ﴾ أ هـ.

وهذا الكتاب أي القواعد المثلى أثنى عليه شيخ المترجم العلامة ابن باز، - رحم الله الجميع - ثناءً عاطراً؛ حيث قال :

«فقد اطلعت على المؤلف القيم الذي كتبه صاحب الفضيلة أخونا الشيخ محمد بن صالح العثيمين، وسمعت من أوله إلى آخره، فالفيتة كتاباً جليلاً قد اشتمل على بيان عقيدة السلف الصالح في أسماء الله وصفاته، كما اشتمل على قواعد عظيمة، وفوائد جمة، في باب الأسماء والصفات.... إلى أن قال : فجزاها الله خيراً وضاعف مثوبته، وزادنا وإياه علماً وهدى وتوفيقاً، ونفع بكتابه القراء وسائر المسلمين، إنه ولي ذلك والقادر عليه» أ هـ. أملاه في ١١/٥ / ١٤٠٤ هـ

هذا وقد أطلت هنا لأمرين :

أولاً : التسجيل التاريخي لرجوع الشيخ وإثباته للصواب الذي لا إشكال فيه؛ حتى لا يأت منقول في زمن من الأزمان يفترى على الشيخ، وكم في التاريخ من عبرة وعظة. ثانياً : لتذكرة أولي النهى من العلماء وطلاب العلم بأهمية التجرد من الهوى، ووجوب الرجوع إلى الحق مهما كان قدر القائل، أو قدر المقالة.

حتى إن الشيخ ابن باز وابن عثيمين قرظا كتاب الشيخ حمود التويجري رحمه الله تعالى في رده على المترجم.

وهذا أنموذج في التواضع والخلق الرفيع، ينبغي أن يقتدي به، ويحذو طلاب العلم حذوه. رحم الله الجميع وأسكنهم الفردوس الأعلى.

وهذه العقيدة التي أسلفنا نبذاً منها ظل الشيخ طيلة حياته يدعو إليها بلسانه وبينانه تأصيلاً وتفصيلاً من منبره ومن درسه، ومن خلال هاتفه، وفي الشارع والجامع، والمعهد والجامعة، في مجالسه الخاصة والعامة، ولا يكاد يجد فرصة سانحة إلا وينشر فيها هذه العقيدة الصافية النقية بأسلوبه السهل المتدرج الذي يجذب انتباه العامي، ويستفيد منه الطالب، مؤكداً على أهمية علم التوحيد وشرفه، واستمع إليه وهو يقول :

«أما بعد.. فإن علم التوحيد أشرف العلوم وأجلها قدراً، وأوجبها مطلباً، لأنه العلم بالله تعالى، وأسمائه، وصفاته، وحقوقه على عباده، ولأنه مفتاح الطريق إلى الله تعالى وأساس شرائعه، ولذا أجمعت الرسل على الدعوة إليه، قال تعالى : ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا نُوحِي إِلَيْهِ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدُونِ﴾. وشهد لنفسه تعالى بالوحدانية، وشهد بما له ملائكته، وأهل العلم، قال الله تعالى : ﴿شَهِدَ اللَّهُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَالْمَلَائِكَةُ وَأُولُوا الْعِلْمِ قَانِمًا بِالْقِسْطِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾.

ولما كان هذا شأن التوحيد كان لازماً على كل مسلم أن يعتني به تعليماً وتعليماً، وتدبراً واعتقاداً، ليبني دينه على أساس سليم واطمئنان وتسليم، يسعد بثمراته ونتائجه. أ هـ.

وقد لهج الشيخ ببيان أهداف العقيدة الإسلامية على الفرد والمجتمع، بما يحقق السعادة للتمسك بها في الدارين، فقال رحمه الله تعالى :

أهداف العقيدة الإسلامية :

مقاصدها وغايتها النبيلة المترتبة على التمسك بها، وهي كثيرة متنوعة، فمنها :

أولاً : إخلاص النية والعبادة لله تعالى وحده؛ لأنه الخالق لا شريك له، فوجب أن يكون القصد والعبادة له وحده.

ثانياً : تحرير العقل والفكر من التخبیط الفوضوي الناشئ عن خلو القلب من هذه العقيدة؛ لأن من خلا قلبه منها فهو إما فارغ القلب من كل عقيدة، وعباد للمادة الحسية فقط، وإما متخبط في ضلالات العقائد والخرافات.

ثالثاً : الراحة النفسية والفكرية، فلا قلق في النفس ولا اضطراب في الفكر، لأن هذه العقيدة تصل المؤمن بخالفه، فيرضى به رباً مديراً، وحاكماً مشرعاً، فيطمئن قلبه بقدره، وينشرح صدره للإسلام، فلا يبغى عنه بديلاً.

رابعاً : سلامة القصد والعمل من الانحراف في عبادة الله تعالى، أو معاملة المخلوقين؛ لأن من أسسها الإيمان بالرسول المتضمن لإتباع طريقتهم ذات السلامة في القصد والعمل.

خامساً : الحزم والجد في الأمور، بحيث لا يفوت فرصة للعمل الصالح إلا استغلها فيه رجاء للثواب، ولا يرى موقع إثم إلا ابتعد عنه خوفاً من العقاب؛ لأن من أسسه الإيمان بالبعث والجزاء على الأعمال ﴿وَلِكُلِّ دَرَجَاتٍ مِمَّا عَمِلُوا وَمَا رَبُّكَ بِغَافِلٍ عَمَّا يَعْمَلُونَ﴾، وقد حث النبي ﷺ على هذه الغاية في قوله : «المؤمن القوي خير وأحب إلى الله من المؤمن الضعيف...» الحديث.

سادساً : تكوين أمة قوية تبذل كل غالٍ ورخيص في تثبيت وتوطيد دعائمه غير مبالية بما يصيبها في سبيل ذلك، وفي هذا يقول الله تعالى : ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ

آمَنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ ثُمَّ لَمْ يَرْتَابُوا وَجَاهَدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أُولَئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ ﴿١٠٨﴾

سابعاً : الوصول إلى سعادة الدنيا والآخرة بإصلاح الأفراد والجماعات ونيل الثواب والمكرامات، وفي ذلك يقول الله تعالى : ﴿مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَى وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهٗ حَيَاةً طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُمْ بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾. هذه بعض أهداف العقيدة الإسلامية، نرجو الله تعالى أن يحققها لنا، ولجميع المسلمين». (١)

وعن أثر العقيدة الصحيحة على صلاح الأمة، يقول رحمه الله تعالى :

«وهذه الثمرات التي ذكرناها لهذه الأسس وما لم نذكره تجعل من الأمة أمة إسلامية طاهرة نقية تدين لله دين الحق، وتعامل الخلق بالعدل والصدق، لأن ما سواها من شرائع الإسلام يصلح بصلاح هذه الأسس، وتصلح أحوال الأمة بصلاح أمر دينها، ويفوقها من صلاح أحوالها بقدر ما فاتها من صلاح أمور دينها. أ هـ». (٢)

وهذه الثمرات العقيدية التي أشار إليها الشيخ رحمه الله قد ساهم في بيانها والتنبيه عليها في عدد من كتبه؛ ليقربها لطلاب العلم والعمل، وقد أكثر من ذكرها في شرحه على العقيدة الواسطية لشيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله تعالى، بما لم أجده له في مكان آخر من شروحه المطولة أو المختصرة، فلا تكاد تجد آية أو آيات أو حديثاً أو أكثر إلا ويتبعه بقوله الفائدة السلوكية من هذه الآية أو هذا الحديث. وهذه طريقة بدیعة جداً في التعليم والتربية، لم أجدها بهذه الكثرة لغيره.

(١) نبذة في العقيدة الإسلامية ص ٤٣ ط: مكتبة المعارف - الطبعة الثانية - سنة ١٤٠٤ هـ.

(٢) نبذة في العقيدة الإسلامية، ص ١٠.

ويا حبذا لو تكون درباً يسلكه أهل العلم في كتاباتهم، ودروسهم وحلقاتهم، إذا
 لكان فيه فائدة عظيمة نحو تربية أجيال على ضوء الآثار العظيمة للكتاب والسنة.
 وسأذكر من شرحه على الواسطية مثلاً واحداً لفائدة مسلكية فيها سعادة العبد
 في الدراين.

يقول رحمه الله تعالى في مسألة الرؤية :

«أما في مسألة الرؤية؛ فما أعظم أثرها على الاتجاه المسلكي؛ لأن الإنسان إذا
 وجد أن غاية ما يصل إليه من الثواب هو النظر إلى وجه الله تعالى كانت الدنيا
 كلها رخيصة عنده؛ وكل شيء يرخص عنده في جانب الوصول إلى رؤية الله عز
 وجل؛ لأنها غاية كل طالب ومنتهى المطالب.

فإذا علمت أنك سوف ترى ربك عياناً بالبصر؛ فوالله لا تساوي الدنيا عندك
 شيئاً، فكل الدنيا ليست بشيء؛ لأن النظر إلى وجه الله تعالى هو الثمرة التي يتسابق
 فيها المتسابقون، ويسعى إليها الساعون، وهي غاية المرام من كل شيء...»^(١).

وهذه العقيدة التي عقد عليها قلبه قد بذل الشيخ في تقريرها غاية وسعه، ولا
 أدل على ذلك من أن تنظر إلى كتب العقيدة التي اقترن اسمه بها شرحاً أو تعليقاً أو
 اختصاراً أو تقريباً، وسأسرد هنا ما علمته من ذلك :

- ١- كتاب التوحيد للشيخ محمد بن عبد الوهاب (شرح).
- ٢- العقيدة الواسطية لشيخ الإسلام ابن تيمية (شرح مطول) و(تعليق مختصر).
- ٣- الفتاوى الحموية الكبرى لابن تيمية (اختصار) وهو أول مؤلف للشيخ كتبه.

سنة ١٣٨٠هـ.

(١) شرح العقيدة الواسطية (١/٤٥٨-٤٥٩)، ط : دار ابن الجوزي - ط : ٣.

- ٤- الرسالة التدمرية لابن تيمية (تقريب).
- ٥- لمعة الاعتقاد لابن قدامة (شرح وتعليق).
- ٦- الأصول الثلاثة للشيخ محمد بن عبد الوهاب (شرح).
- ٧- الأصول الستة للشيخ محمد بن عبد الوهاب (شرح).
- ٨- نبذة في العقيدة الإسلامية (تأليف).
- ٩- عقيدة أهل السنة والجماعة (تأليف).
- ١٠- القواعد المثلى (تأليف).
- ١١- العقيدة السفارينية (شرح مسجل).
- ١٢- النونية لابن القيم (شرح مسجل).
- ١٣- الميمية لابن القيم (شرح مسجل).
- ١٤- اقتضاء الصراط المستقيم لابن تيمية (تعليق مسجل) و(انقضاء).
- ١٥- القضاء والقدر (تأليف).
- ١٦- كتاب التوحيد من صحيح البخاري (شرح مختصر مكتوب على الآلة).
- ١٧- تفسير آية الكرسي.
- ١٨- الإبداع في كمال الشرع وخطر الابتداع (تأليف لطيف).
- ١٩- العقيدة الطحاوية (شرح لطلاب الجامعة).
- ٢٠- كشف الشبهات (شرح).
- ٢١- شرح أصول الإيمان.
- ٢٢- فتاوى العقيدة التي جمعها غير واحد، منهم الشيخ فهد السليمان، وغير ذلك من الفتاوى العقدية في الإذاعة والحرم، وغيرها..

وهذه الشروح والتأليف منها ما هو رسالة لطيفة، ومنها ما هو عدة مجلدات. وبنظرة أخرى إلى الأشرطة المسموعة التي شرح الشيخ فيها كتب العقيدة يتبين لك الزمن الطويل الذي استغرقه الشيخ في خدمة هذه العقيدة المباركة بحسب الجدول الوارد في تسجيلات مؤسسة الاستقامة الإسلامية بعنيزة.

- ١- الفتوى الحموية الكبرى سنة ١٤٠٥هـ.
 - ٢- كتاب التوحيد سنة ١٤٠٧هـ.
 - ٣- القواعد المثلى سنة ١٤٠٧هـ.
 - ٤- الرسالة التدمرية سنة ١٤٠٧هـ.
 - ٥- العقيدة الواسطية سنة ١٤٠٨هـ / ١٤١٩هـ.
 - ٦- السفارينية سنة ١٤٠٨هـ.
 - ٧- الميمية سنة ١٤٠٨هـ.
 - ٨- النونية سنة ١٤١٢هـ.
 - ٩- عقيدة أهل السنة والجماعة سنة ١٤١٧هـ.
 - ١٠- اقتضاء الصراط المستقيم سنة ١٤١٧هـ.
 - ١١- توحيد الأنبياء والمرسلين سنة ١٤١٩هـ.
 - ١٢- كتاب التوحيد والرد على الجهمية من صحيح البخاري سنة ١٤١٥هـ.
- ولا شك أن القدر الذي شرحه الشيخ أكثر بكثير من الذي قامت مؤسسة الاستقامة بتسجيله حيث كان الطلاب يسجلون - قبل ذلك - بطريقة اجتهادية، كل يسجل لنفسه، وقد يحتفظ بها ولا ينشرها عبر مؤسسة معينة.

ومن أوضح الأدلة على ذلك أن أول كتاب قرأته على شيعي رحمه الله تعالى هو فتح رب البرية بتلخيص الحموية، وكان في حدود سنة ١٤٠٤هـ، وكذا سمعت منه الواسطية في حدود هذا التاريخ القدم نسبياً، ولعل من يلتمس هذا يجده. والله الموفق.

تعليق على طريقة الشيخ في اختصار الكتب وتقريبها :

الذي يظهر من اختصارات الشيخ أو تلخيصاته أن له طريقة متميزة في ذلك.

فحين يظن القارئ أنه سيجد تلخيصاً لكلام المؤلف يجمع له شتات عدة عناصر، أو يقرب عدة أبحاث في عبارات موجزة مختصرة، يجد في تقريب الشيخ أو تلخيصه أمراً آخر، فهو أقرب لشرح الحموية وترتيبها من كونه تلخيصاً.

ويكفي ليان هذا أن الحموية الأصل فتوى وقعت في حوالي ثمانين صفحة تقريباً.

والناظر في تلخيص الشيخ يلاحظ فيه الآتي :

— أن هذه الفتوى مع صغر حجمها قسمت في التلخيص إلى ستة وعشرين باباً يتضمن بعضها عدة فصول.

— أن الشيخ في التلخيص صَدَّرَها بتعريف عدد من المصطلحات التي ستكثر الحاجة إليها كالتكليف والتمثيل والتحريف والتشبيه في اللغة والاصطلاح بما لا يوجد في الأصل.

— حذف الشيخ في التلخيص كثيراً من النقول التي ذكرها شيخ الإسلام ابن تيمية في آخر رسالته للاستشهاد بها على صحة ما ذهب إليه في إثبات الصفات وخاصة في العلو.

— رد الشيخ على كثير من شبهات النفاة المعطلة في عدد من الصفات بطريقة تفصيلية تأصيلية مقسمة إلى عناصر وأوجه.

— نقل الشيخ إلى التلخيص عدداً من النقول عن شيخ الإسلام في بعض كتبه مستشهداً بها على ما يريد، وهاك أمثلة على ذلك :

- ١- نُقِلَ من كتاب : (الرد على المنطقيين) ص ١١٠.
- ٢- نُقِلَ من كتاب العقل والنقل في ص ١٠٣.
- ٣- نُقِلَ أيضاً من الكتاب نفسه قاعدة عند التعارض ص ٧٧.
- ٤- نُقِلَ عن المؤلف من الرسالة العرشية ص ٧٤.
- ٥- نقله عن ابن كثير ص ٧٤.

كما زين الشيخ تلخيصه ببعض الشواهد الشعرية بعضها متقدم قائله عن شيخ الإسلام، وبعضه متأخر أو معاصر كما في نقله من النونية لابن القيم رحمه الله تعالى ص ٩٠ قصة قتل خالد القسري للجد بن درهم.

كل ما ذكرت هنا وغيره يؤيد أن تلخيص الشيخ للحموية إنما هو شرح لها، وليس المراد منه التلخيص الذي هو الاختصار كما أسلفت.

ويقال في التدمرية ما قيل هنا.

وإنما أسهبت في هذا الموضوع؛ لأن هذا قد يكون لبنة للدراسة منهج الشيخ ابن عثيمين العلمي في الكتابة، والتأليف، ومن ذلك الاختصار والتلخيص، ولعله يأتي مستقبلاً مَنْ يقوم بهذا العمل. والله الموفق.

منهج الشيخ في تقرير العقيدة ونشرها وتعليمها :

قد كان للشيخ رحمه الله تعالى منهج متميز في عقيدته علماً وعملاً، دراسة وتديساً. فقد اتخذ نصوص الوحي وجهته، وجعل سبيل السلف الصالح دربه ومسلكه.

فينظر ما جاء به النص أو الإجماع؛ فلا يحيد عنه مهما كلفه من تشنيع لمشنعين، أو توهين للمعاندین، ولا يزال يلهج بهذا المنهج دوماً.

واستمع إليه وهو يقول :

«ونرى وجوب إجراء نصوص الكتاب والسنة في ذلك على ظاهرها، وحملها على حقيقتها اللائقة بالله عز وجل، ونتبرأ من طريق المحرفين لها، والذين صرفوها إلى غير ما أراد الله بها ورسوله ﷺ.

ومن طريق المعطلين لها الذين عطلوها عن مدلولها الذي أراده الله ورسوله ﷺ.

ومن طريق الغالين فيها الذين حملوها على التمثيل أو تكلفوا لمدلولها التكييف.

ونعلم علم اليقين أن ما جاء في كتاب الله تعالى أو سنة نبيه ﷺ؛ فهو حق لا يناقض بعضه بعضاً؛ لقوله تعالى : ﴿أَفَلَا يَتَذَكَّرُونَ الْقُرْآنَ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلَافًا كَثِيرًا﴾. [النساء : ٨٢] .^(١)

واقراً هذه الرسالة التي أرسلها إلى أحد المشايخ الفضلاء حول الحديث القدسي «من تقرب مني شبراً تقربت منه ذراعاً، ومن تقرب مني ذراعاً تقربت منه باعاً، ومن أتاني يمشي أتيته هرولة» ويقرر الشيخ في الرسالة إثبات صفة الهرولة على الوجه اللائق بالله تعالى.

يقول الشيخ ابن عثيمين رحمه الله تعالى : «فيا محب تعلم أن هذا الحديث أخبر الله تعالى به عن نفسه ونقله عنه أمينه على وحيه ورسوله إلى عباده ومبلغ رسالته على الوجه الأكتم، ونقله عن هذا الرسول أمناء أمته من الصحابة، والتابعين وأئمة الأمة من أهل الحديث والفقه، وتلقته الأمة بالقبول.

(١) عقيدة أهل السنة والجماعة ص ١٨-١٩. ط : دار الإفتاء ١٤٢١هـ.

وتعلم يا محب : أن الله تبارك وتعالى أعلم بنفسه وبغيره ﴿وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾، ﴿قُلْ أَلَأَنْتُمْ أَعْلَمُ أَمِ اللَّهُ﴾.

وتعلم يا محب أن الله تعالى لم يطلع خلقه على ما علمه إياهم من أسمائه وصفاته، وأفعاله وأحكامه إلا لبيّن لهم الحق حتى لا يضلوا ﴿يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ أَنْ تَضِلُّوا وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾.

وتعلم يا محب :

أنه لا أحد أحسن من الله حديثاً، ولا أصدق منه قياً، وأن كلامه - جل وعلا - في أعلى غاية الفصاحة والبيان، وقد قال سبحانه عن نفسه : «من أتاني يمشي أثبته هرولة».

فلا تستوحش يا أخي من شيء أثبته الله - تعالى - لنفسه بعد أن علمت ما سبق، واعلم أنك إذا نفيت أن الله تعالى يأتي هرولة، فسيكون مضمون هذا النفي صحة أن يقال : إن الله لا يأتي هرولة. وفي هذا ما فيه.....

ثم يقول : «وأي مانع يمنع من أن نؤمن بأن الله تعالى يأتي هرولة، وقد أخبر الله تعالى به عن نفسه، وهو سبحانه وتعالى يفعل ما يشاء، وليس كمثله شيء وهو السميع البصير. وليس في إتيان الله تعالى هرولة على الوجه اللائق به بدون تكيف ولا تمثيل شيء من النقص، حتى يقال : إنه ليس ظاهر الكلام، بل هو فعل من أفعاله يفعل كيف يشاء...».

ثم يقول :

«وإن الإنسان ليجد في نفسه الخوف من أن يلقي الله عز وجل وهو يقول : (إن الله تعالى لا يأتي هرولة) بعد أن أثبت الله ذلك لنفسه، وسبحان من قال عن نفسه : ﴿وَيَفْعَلُ اللَّهُ مَا يَشَاءُ﴾.

ولقد تأملت هذه المسألة، وكلما هممت أن أقول بما ذهب إليه بعض الناس في هذا الحديث، وجدته خائفاً من أن أقول في كلام الله عز وجل - ما لا أعلم - وأن بقائي على ما يدل عليه ظاهر الحديث مع تنزيه الله عز وجل عما لا يليق به من مماثلة الخلق، ومع الكف عن تكييف صفاته، أسلم في عقيدتي، وأبعد لي عن التكلف، ولا يكلف الله نفساً إلا وسعها..»^(١) أهـ.

طريقته في الاستدلال :

أما طريقة الشيخ في الاستدلال لهذه العقيدة؛ فقد كان يستدل على ذلك بالفطرة والعقل الصريح، والنقل الصحيح والحسن، والإجماع، بحسب ما يقتضيه المقام. وقد كان يحرص كثيراً على تنويع الأدلة، ويقول : إن كثرة الأدلة وتنوعها مهم جداً لطالب العلم.

قال رحمه الله تعالى في الاستدلال على وجود الرب تعالى وتقدس :

«قد دل على وجوده تعالى الفطرة والعقل والشرع والحس»^(٢).

وأخذ يفصل في كل واحدة. وقال أيضاً : «وأما علو الذات فمعناه : أن الله بذاته فوق جميع خلقه، وقد دل على ذلك الكتاب والسنة والإجماع والعقل والفطرة..»، ثم قال : «فهذه الأدلة الخمسة كلها تطابقت على إثبات علو الله بذاته فوق خلقه..»^(٣).

(١) مجموع فتاوى ورسائل فضيلة الشيخ محمد بن صالح بن عثيمين، لفهده السليمان (١٨٣/١ - ١٨٨).

(٢) نبذة في العقيدة الإسلامية ص ١١.

(٣) نتج رب البرية بتلخيص الحموية ص ٦٥-٦٦.

ومثل هذا قاله في شرح الواسطية.^(١)

وكان رحمه الله تعالى لا يغفل أقوال أهل العلم في فهم الدليل، ودائماً يقول :
«أهل العلم يُستدلُّ لهم ولا يُستدلُّ بهم». ولكن يوردها مسترشداً بها في فهم الدليل.
مثل قوله رحمه الله تعالى :

«والحاصل أن الجاهل معذور بما يقوله أو يفعله مما يكون كفراً، كما يكون معذوراً بما يقوله أو يفعله مما يكون فسقاً، وذلك بالأدلة من الكتاب والسنة، والاعتبار، وأقوال أهل العلم».^(٢) وأيضاً يعتبر الشيخ بمقتضى حكمة الرب تعالى.
قال رحمه الله تعالى :

«وإذا كان هذا مقتضى نصوص الكتاب والسنة وكلام أهل العلم؛ فهو مقتضى حكمة الله تعالى، ولطفه، ورأفته، فلن يعذب أحداً حتى يعذر إليه...».^(٣)

طول نفس الشيخ في ردوده :

وكما كان الشيخ رحمه الله تعالى قوياً في الاستدلال لعقيدة أهل السنة بكافة أنواع الاستدلال.

فإننا نجده كذلك يرد على أهل الزيغ والانحراف بمنتهى القوة فينوع الأدلة، ويفصل في الرد، ويطيل النفس جداً في ذلك؛ فيورد الشبهة ويفصلها ثم يرد عليها من عدة أوجه، ثم يورد اعتراض الخصم فيقول (فإن قيل كذا) فالجواب كذا.

(١) شرح الواسطية (١/١٧٨).

(٢) شرح كشف الشبهات ص ٤٦، ط : دار الثريا ١٤١٦ هـ.

(٣) المصدر السابق ص ٤١.

ومن أوضح الأمثلة على ذلك كتابه «تقريب التدمرية» حيث عقد فصلاً في القسم الثاني من المعطلة، وقسمهم إلى أربع طوائف.

الطائفة الأولى : الأشاعرة والماتوريدية ممن أثبت بعضاً ونفى البعض، فرد عليهم من خمسة أوجه.

ثم قال : فإن قالوا ما أثبتناه؛ فقد دل العقل على ثبوته فلزم إثباته.
قلنا عن هذا ثلاثة أجوبة.. وذكرها.

ثم ذكر الطائفة الثانية : وهم المعتزلة، وذكر شبهتهم ثم رد عليهم من تسعة أوجه.

ثم ذكر الطائفة الثالثة : وهم غلاة الجهمية، والقرامطة، والباطنية؛ ممن لا يصفون الله إلا بالنفي المجرد عن الإثبات.
ورد عليهم من سبعة أوجه.

ثم ذكر الطائفة الرابعة : وهم غلاة الغلاة من الفلاسفة، والجهمية، والقرامطة، والباطنية، وغيرهم..

ورد عليهم من ثلاثة أوجه، ثم أورد لهم شبهة ورد عليهم من أربعة أوجه.

وفي رده على المحتجين بالقدر على مخالفة الشرع.

قال رحمه الله تعالى :

«فإن قال قائل: أفلا يصح على هذا التقرير أن يحتج بالقدر من خالف الشرع؟

فالجواب : أن الاحتجاج بالقدر على مخالفة الشرع لا يصح كما دل على ذلك الكتاب والسنة والنظر..».

فذكر دليلين من القرآن وآخر من السنة وثلاثة أدلة من النظر الصحيح.

ثم أورد شبهة لهم وأجاب عنها، ثم أورد شبهة أخرى، ورد عليها من وجهين. وفي شرحه للواسطية^(١) ناقش المؤلفين للاستواء على العرش بأنه الاستيلاء فذكر شبههم على هذا التحريف، ورد عليهم من أربعة أوجه، ألزمهم في الوجه الثالث بثلاثة لوازم باطلة على قولهم هذا، وفي الوجه الرابع أجاب بأربعة أوجه استرسل في الوجه الرابع في ذكر سؤال يوجهه إليهم، ثم يجيب عنه بالتفصيل في مجمل كلامهم وإطلاقهم لفظ الجسم والحيز مما لم يرد في الشرع نفيه ولا إثباته.

ثم بعدما انتهى يلخص بحمل رده عليهم - رحمه الله تعالى وغفر له - .

فهو بهذه الطريقة المتينة يستدل بالأدلة العقلية والنقلية، ويتدرج مع المخالف في استعراض شبهته، والجواب عنها بما لا يدع بعد ذلك لقائل مقالاً، ولا لصاحب شبهة مجالاً، إلا أن يسلم ويستسلم.

وهذه طريقة مفيدة جداً لطالب العلم في مناقشة الشبه والجواب عنها.

وقد عُرف الشيخ بها في دروسه وكلماته، وقد سلكها قبله شيخه ابن سعدي فيما ذكرنا من طريقته مع طلابه، وكذا في بعض كتاباته، كما مضى في أول الترجمة - رحمه الله تعالى - .

موقف الشيخ من القضايا العقيدية المعاصرة، وكيف واجهها.

لم يأل ابن عثيمين جهداً في مواجهة المخالفات العقيدية المعاصرة على اختلاف أنواعها، سواء كانت من ميراث الفرق والمذاهب السالفة، أو من نتاج الحاضر، فكان بالمرصاد لكل دعوة دخيلة على العقيدة السلفية الخالصة، ردّاً لها وتفنيداً لشبهاتها وشبهات أصحابها، واستدلالاً على الحق بالكتاب والسنة والإجماع ونحوها..

(١) شرح الواسطية (١/٣٧٥-٣٨١).

وقد بين الشيخ موقفه من الخلاف في المسائل العقدية.

فقال رحمه الله تعالى :

«وأما ما لا يسوغ فيه الخلاف فهو ما كان مخالفاً لما كان عليه الصحابة والتابعون، كمسائل العقائد التي ضل فيها من ضل من الناس، ولم يحصل فيها الخلاف إلا بعد القرون المفضلة - أي لم ينتشر الخلاف إلا بعد القرون المفضلة - وإن كان بعض الخلاف فيها موجوداً في عهد الصحابة؛ ولكن ليعلم إننا إذا قلنا قرن الصحابة، ليس المعنى أنه لا بد أن يموت كل الصحابة، بل القرن ما وجد فيه معظم أهله.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله تعالى : (إن القرن يحكم بانقضائه إذا انقضى أكثر أهله).

فالقرون المفضلة انقضت ولم يوجد فيها هذا الخلاف الذي انتشر بعدهم في العقائد، فمن خالف ما كان عليه الصحابة والتابعون فإنه يُرد عليه، ولا يقبل خلافه»^(١).
وقال أيضاً :

«وأما الخطأ في العقيدة؛ فإن كان خطأ مخالفاً لطريق السلف فهو ضلال بلا شك، ولكن لا يحكم على صاحبه بالضللال حتى تقوم عليه الحجة، فإذا قامت عليه الحجة؛ وأصر على خطئه وضلاله كان مبتدعاً، كان مبتدعاً فيما خالف فيه الحق، وإن كان سلفياً فيما سواه، فلا يوصف بأنه مبتدع على وجه الإطلاق، ولا بأنه سلفي على وجه الإطلاق، بل يوصف بأنه سلفي فيما وافق السلف، مبتدع فيما خالفهم، كما قال أهل السنة في الفاسق إنه مؤمن بما معه من الإيمان، فاسق بما معه من العصيان، فلا يُعطى الوصف المطلق، ولا يُنفى عنه مطلق الوصف، وهذا هو

(١) شرح الأصول الستة ص ١٥٦، مع شرح كشف الشبهات، ط : دار الثريا، ط : ٢.

العدل الذي أمر الله به، إلا أن يصل المبتدع إلى حد يخرج منه الملة فإنه لا كرامة له في هذه الحال»^(١).

وسأذكر صوراً من منافحات الشيخ عن العقيدة، سواء كان ذلك في مسائل كلية أو جزئية :

١- رده على شبهات المؤولة المعاصرين كالأشاعرة ونحوهم..

فقد امتلأت رسائل الشيخ ودروسه بالرد عليهم، والجواب عن شبههم إجمالاً وتفصيلاً.

ومن أجل ما كتب الشيخ في ذلك الجواب التفصيلي عن عدد من شبه التي أوردوها على أهل السنة، وادعوا أن أهل السنة قد أولوها، فألزمهم بطرد التأويل في غيرها. وقد انبرى الشيخ في ذكر شبههم إجمالاً وتفصيلاً.

فقال رحمه الله تعالى في كتابه «القواعد المثلى» بعد ذكر الشبهة السابقة: ونحن نجيب بعون الله تعالى عن هذه الشبهة بجوابين: بحمل ومفصل.

وذكر الجواب المحمل، ثم ذكر المفصل، وأورد فيه خمسة عشر مثلاً مما ادعوا فيه التأويل، وأجاب عن كل واحد جواباً علمياً مفصلاً جمع فيه بين علم العقيدة والحديث واللغة والأصول، وجمّله بنقول رائعة عن شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله تعالى.

ثم ختم ذلك بخاتمة مهمة في الجواب عمن يدعي أن نسبة الأشاعرة في هذا العصر حوالي ٩٥٪ من المسلمين، يعني أنهم أغلبية، فكيف نضلّهم فيما ذهبوا إليه؟ ونخرجهم فيما خالفوا فيه من مسمى أهل السنة؟.

(١) كتاب العلم ص ١٩٩ - ٢٠٠، ط : دار الثريا.

فأجاب عن هذه الشبهة بجواب جاء فيه :

- ١- إننا لا نسلم أن تكون نسبة الأشاعرة بهذا القدر بالنسبة لسائر فرق المسلمين، فإن هذه دعوى تحتاج إلى إثبات عن طريق الإحصاء الدقيق.
- ٢- ثم إننا لو سلمنا أنهم بهذا القدر، أو أكثر فإنه لا يقتضي عصمتهم من الخطأ لأن العصمة في إجماع المسلمين لا في الأكثر.
- ٣- ثم إن إجماع المسلمين قديماً ثابت على خلاف ما كان عليه أهل التأويل... إلخ» أ هـ.^(١)

٢- تفصيله في مسألة التكفير وخاصة تكفير الحكام.

فقد بين الشيخ خطورة الكلام في هذه المسألة خاصة ممن لا علم عنده، أو ممن يجري وراء العواطف والحماس المتوقد، وحذر أشد التحذير من الولوج في هذه الباب بغير علم وبصيرة، فقال رحمه الله تعالى :

«وهذه المسألة أعني مسألة الحكم بغير ما أنزل الله من المسائل الكبرى التي ابتلي بها حكام هذا الزمان، فعلى المرء أن لا يتسرع في الحكم عليهم بما لا يستحقونه؛ حتى يتبين له الحق؛ لأن المسألة خطيرة، نسأل الله تعالى أن يُصْلِحَ للمسلمين ولاة أمورهم وبطانتهم، كما أن على المرء الذي آتاه الله العلم أن يبينه لهؤلاء الحكام، لتقوم الحجة عليهم، وتبين المحجة، فيهلك من هلك عن بينة ويحيى من حي عن بينة، ولا يحقرن نفسه عن يمانه، ولا يهَابَنَّ أحداً فيه فإن العزة لله ولرسوله وللمؤمنين. والله ولي التوفيق».^(٢)

(١) انظر: مجموع فتاوى ورسائل فضيلة الشيخ محمد بن عثيمين لفهد السليمان (٣/٣٣٥) ط: ٢.

(٢) مجموع فتاوى ورسائل فضيلة الشيخ محمد بن عثيمين، لفهد السليمان (١٤٧/٢).

ولما ذكر الشيخ الأصل الثالث من الأصول الستة التي ذكرها الإمام المجدد محمد بن عبد الوهاب رحمه الله تعالى، وهو السمع والطاعة لمن تأمر علينا، ولو كان عبداً حبشياً، وأن هذا الأصل لا يعرف عند أكثر من يدعي العلم فكيف العمل به. قال رحمه الله تعالى معلقاً :

«ولما أحدثت الأمة الإسلامية ما أحدثت، وفرقوا دينهم، وتمردوا على أئمتهم، وخرجوا عليهم، وكانوا شيعاً نزعت المهابة من قلوب أعدائهم وتنازعوا ففشلوا وذهبت ريحهم، وتداعت عليهم الأمم، وصاروا غناء كغناء السيل. وصار هذا الأصل لا يعرف عند أكثر من يدعي العلم، والغيرة على دين الله تعالى، وترك العمل به، ورأى كل فرد من أفراد الرعية نفسه أميراً أو بمنزلة الأمير المناوب للأمير. فالواجب علينا جميعاً - رعاة ورعية - أن نقوم بما أوجب الله علينا من التحاب والتعاون على البر والتقوى، والاجتماع على المصالح لتكون من الفائزين.. ثم قال : (إن الكلمة إذا تفرقت، والرعية إذا تمردت، دخلت الأهواء والضغائن، وصار كل واحد يسعى لتنفيذ كلمته، وإن تبين أن الحق والعدل في خلافها، وخرجنا عن توجيهات الله تعالى حيث يقول: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُمْ مُسْلِمُونَ﴾ (١٠٢) وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعاً وَلَا تَفَرَّقُوا وَاذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنْتُمْ أَعْدَاءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُمْ بِنِعْمَتِهِ إِخْوَاناً وَكُنْتُمْ عَلَى شَفَا حُفْرَةٍ مِنَ النَّارِ فَأَلْقَدَكُمْ مِنْهَا كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ». [آل عمران: ١٠٢-١٠٣].

فإذا عرف كل واحد ماله وما عليه، وقام به على وفق الحكمة فإن الأمور العامة والخاصة تسير على أحسن نظام وأكملها»^(١).

(١) شرح الأصول الستة ص ١٦٢، مع كشف الشبهات، ط : دار الثريا.

٣- رده على زنادقة الفلكيين.

وقال رحمه الله تعالى في تقرير أن السماوات أجرام محسوسة في خطبة له :

«وإنما قررنا هذا ونبهنا عليه لأنه يوجد من زنادقة الفلكيين وملحديهم من ينكر أن تكون السماوات أجراماً محسوسة، فيخشى أن يروج هذا الباطل على من لا علم له بالكتاب والسنة، وجميع الأقاويل التي يتكلم بها الفلكيون في هذه الأمور لا تعتقد حتى تُعرضَ على كتاب وسنة رسوله ﷺ؛ فَإِنْ وُجد فيها ما يدل عليها فهي مقبولة، وَإِنْ وُجد في الكتاب والسنة ما يكذبها فهي باطل مردودة، وإن كان الكتاب والسنة ليس فيهما ما يدل على تلك الأقاويل لا نفيّاً ولا إثباتاً وجب التوقف فيها حتى يقوم دليل علمي أو عقلي على صحتها...»^(١).

وقال أيضاً في بيان جريان الشمس وسيرها :

«وهكذا تسير الشمس والقمر في فلكيهما بانتظام باهر وسير محكم، كل يجري إلى أجل مسمى إلى أن يأذن الله بخراب هذا العالم، فتخرج الشمس من مغربها؛ كما في صحيح البخاري عن أبي ذر ﷺ قال : قال رسول الله ﷺ حين غربت الشمس : «أتدري أين تذهب؟»، قلت : الله ورسوله أعلم، قال : «فإنها تذهب حتى تسجد تحت العرش، فتستأذن فيؤذن لها، وتوشك أن تسجد فلا يقبل منها، وتستأذن فلا يؤذن لها، يقال لها : ارجعي من حيث جئت، فتطلع من مغربها».

وفي هذا الحديث دليل ظاهر على أن الشمس تسير بنفسها، كما يدل على ذلك قوله تعالى : ﴿وَالشَّمْسُ تَجْرِي لِمُسْتَقَرٍّ لَهَا﴾.

وقوله : ﴿كُلٌّ يَجْرِي إِلَى أَجَلٍ مُّسَمًّى﴾.

(١) الضياء اللامع من الخطب الجوامع ص ٣٤.

وقوله : «وَكُلُّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ»

وهذه الأدلة تكذب ما يقال من أن الشمس ثابتة ولا تدور، وتدلل على أنه قول باطل يجب رده وتكذيبه» أ.هـ.^(١)

٤- رده على الروافض.

ومن ذلك ما ذكره في شرح الواسطية تقريراً لكلام شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله تعالى في بيان عقيدة أهل السنة أنهم (يرون إقامة الحج والجهاد والجمع والأعياد مع الأمراء؛ أبراراً كانوا أم فجاراً).

قال رحمه الله تعالى: .. خلافاً للروافض الذين يقولون : إنه لا إمام إلا المعصوم، وإن الأمة الإسلامية منذ غاب من يزعمون أنه الإمام المنتظر، ليست على إمام، ولا تبعاً لإمام، بل هي تموت ميتة جاهلية من ذلك الوقت إلى اليوم، ويقولون : إنه لا إمام إلا الإمام المعصوم ولا حج ولا جهاد مع أي أمير كان؛ لأن الإمام لم يأت بعد.

لكن أهل السنة والجماعة يقولون : «نحن نرى إقامة الحج مع الأمراء سواء كانوا أبراراً أم فجاراً، وكذلك إقامة الجهاد مع الأمير، ولو كان فاسقاً، وقيمون الجهاد مع أمير لا يصلي معهم الجماعة، بل يصلي في رحله، فأهل السنة لديهم بعد نظر؛ لأن المخالفات في هذه الأمور معصية لله ورسوله، وتجر إلى فتن عظيمة، فما الذي فتح باب الفتن والقتال بين المسلمين، والاختلاف في الآراء إلا الخروج على الأئمة...»^(٢).

وقال أيضاً : (ومن قرأ التاريخ علم أن للرافضة يداً في سقوط بغداد وانتهاء الخلافة الإسلامية فيها؛ حيث سهلوا للتتار دخولها، وقتل التتار من العامة والعلماء

(١) الضياء اللامع ص ٣٢.

(٢) شرح الواسطية ٣٣٨/٢، ط : دار ابن الجوزي ط : ٣.

أماً كثيرة، فقد ذكر شيخ الإسلام ابن تيمية في كتاب (منهاج السنة) أهم هم الذين سَعَوْا في بغي التتر إلى بغداد دار الخلافة، حتى قتل الكفار - يعني التتر - من المسلمين ما لا يحصىه إلا الله تعالى من بني هاشم وغيرهم، وقتلوا بجهات بغداد ألف ألف وثمانمائة ألف وثيِّفاً، وسبعين ألفاً، وقتلوا الخليفة العباسي، وسبوا النساء الهاشميات، وصبيان الهاشميين. أ هـ ٥٩٢/٤ - تحقيق الدكتور محمد رشاد سالم.

ومن عقيدة الرافضة : «التُّقِيَّة» وهي : أن يظهر خلاف ما يظن، ولا شك أن هذا نوع من أنواع النفاق يغتر به من يغتر من الناس، والمنافقون أضرب على الإسلام من ذوي الكفر الصريح...^(١) وقال :

(الروافض طائفة غلاة في علي بن أبي طالب وآل البيت وهم من أضلّ أهل البدع، وأشدّهم كرها للصحابه رضي الله عنهم). وقال :

(نحن نتبرأ من طريقة هؤلاء الروافض الذين يسبون الصحابة ويغضونهم، ونعتقد أن محبتهم فرض، وأن الكف عن مساوئهم فرض، وقلوبنا - والله الحمد - مملوءة من محبتهم لما كانوا عليه من الإيمان، والتقوى، ونشر العلم، ونصرة النبي ﷺ).^(٢)

٥- رده على المحتجين بالقدر على فعل المعصية.

قال رحمه الله تعالى :

«وهنا مسألة يحتج بها كثير من العصاة : إذا أنكرت عليه المنكر؛ قال : هذا هو ما قدره الله عليه؛ أتعرض على الله ؟ فيحتج بالقدر على معاصي الله، ويقول : أنا عبد مسير...» إلى آخر الشبهة.

(١) مجموع فتاوى ورسائل ابن عثيمين لفهد السليمان (٥٧-٥٦/٣).

(٢) شرح الواسطية (٢٨٢/٢ - ٢٨٤).

وأجاب عنها بجواب طويل جاء فيه: فنقول له: إن احتجارك بالقدر على معاصي الله يطله السمع والعقل والواقع...»^(١).
إلى آخر ما قال رحمه الله تعالى...

٦- بيان الشيخ للكثير من الأخطاء التي تقع في كلام بعض الناس.

وله رحمه الله تعالى كتاب مخصص لهذا الموضوع.

ومن تلك الأخطاء :

- عبارة (لا حول الله) الواجب أن تعدل، فيقال: لا حول ولا قوة إلا بالله
- (لا سمح الله) تكره؛ لأنها توهم أن أحداً يجير الله على فعل الشيء.
- (لا قَدْرَ الله) لا بأس بها إذا قصد بها الدعاء.
- مجموع فتاوى ورسائل ابن عثيمين (١٣٩/٣).
- وعبرة : (شاءت قدرة الله) لا تصح. المصدر السابق (١٣٢/٣).
- (فلان كان المثل الأعلى) وأنها لا تجوز على سبيل الإطلاق، فإذا قيدت فلا بأس.
- المصدر السابق (١٣٢/٣).
- (فلان دفن في مثواه الأخير) وأنها حرام لا تجوز. المصدر السابق (١٣٣/٣).
- (إطلاق المسيحي على النصراني، والمسيحية على النصرانية) لا يجوز.
- المصدر السابق (١٣٣/٣).
- (فلان المغفور له، أو المرحوم) فيه تفصيل : إذا قصد الخير لا يجوز، وإذا قصد الدعاء فلا بأس.
- المصدر السابق (١٣٠/٣).

(١) شرح الواسطية (٢/٢٢٥-٢٢٨).

- إبطاله لعدد من الأيمان الحادثة، مثل : (والشرف، والذمة، حد الله بيني وبينك، أنا نصراني إن فعلت كذا). المصدر السابق (٢/٢١٩).
- بيانه لتحريم تهنة الكفار بعيد الكريسمس. المصدر السابق (٣/٤٧).
- قول بعض الطبيعيين: (المادة لا تفنى ولا تزول ولا تخلق من عدم) وأن هذا كفر لا يقوله مؤمن. المصدر السابق (٣/١٣٠).
- قول البعض (فال الله ولا فالك) قال : لا يجوز أن يقال فال الله، لأن هذا يوهم أن يكون الفال صفة لله، لكن إن أراد الفال الذي يجعله الله في (ولا فالك) فهذا لا بأس به، فالكلمة موهمة ينبغي تجنبها.
- ألفاظ ومفاهيم في ميزان الشريعة (٢/٤١).
- قول البعض عند حصول شيء عظيم (يا وجه الله، يا دين الله) قال : لا يجوز. المصدر السابق (٢/٣٩).
- قول البعض (يا رحمة الله، يا عزة الله) قال : الواجب أن يقول يارب العالمين، يا أرحم الراحمين، وما أشبه ذلك مما جاءت به السنة ولا يدعون الصفة، فالصفة لا تدعى، إنما الذي يدعى هو الموصوف وهو الله تعالى.
- المصدر السابق (٢/٣٤).
- قول البعض (العبد مسير، ما هو مخير) قال : هذا غير صحيح، بل الإنسان له إرادة واختيار يختار ما شاء. المصدر السابق (٢/٢٣).
- قول بعض الناس في وصف بعض الآيات (الإيقاع الموسيقي لهذه الآية) قال: لا يحل، الموسيقى من آلات العزف، وهي حرام، ولا يوصف القرآن بوصف محرم.
- المصدر السابق (٢/٤٤).

• دعاء البعض (اللهم لا نسألك رد القضاء، ولكن نسألك اللطف فيه) قال:
هذا محرم لا يجوز؛ لأن الدعاء يرد القضاء، كما جاء في الحديث «لا يرد
القضاء إلا الدعاء». المصدر السابق (٤٥/٢).

• قول (شاءت قدرة الله، أو شاء القدر) لا يصح، لأن القدر والقدرة أمران
معنويان، ولا مشيئة لهما، وإنما المشيئة لمن هو قادر ومقدر.

المصدر السابق (٤٨/٢).

٧- بيان الحكم الشرعي لعدد من المكتشفات الحديثة، من ناحية تعلقها
بالعقيدة الإسلامية.

من ذلك :

أ - علم الأطباء الآن بذكورة الجنين وأنوثته، هل هذا يخالف ما جاء في
قوله تعالى:

﴿وَيَعْلَمُ مَا فِي الْأَرْحَامِ﴾ [لقمان : ٣٤].

فأجاب رحمه الله تعالى بجواب جاء فيه :

«إذا تبين ذلك فقد قيل : إنهم الآن توصلوا بواسطة الآلات الدقيقة للكشف
عما في الأرحام، والعلم بكونه أنثى أو ذكراً، فإن كان ما قيل باطلاً فلا كلام، وإن
كان صدقاً فإنه لا يعارض الآية؛ حيث إن الآية تدل على أمر غيبي، وهو متعلق علم
الله تعالى في هذه الأمور الخمسة، والأمور الغيبية في حال الجنسين، هي : مقدار
مدته في بطن أمه، وحياته وعمله، ورزقه، وشقاوته أو سعادته، وكونه ذكراً أم أنثى،
قبل أن يخلق، أما بعد أن يخلق فليس العلم بذكوره أو أنوثته من علم الغيب؛ لأنه
بتخليقه صار من علم الشهادة، إلا أنه مستتر في الظلمات الثلاثة، التي لو أزيلت

لتبين أمره، ولا يبعد أن يكون فيما خلق الله تعالى من الأشعة أشعة قوية تخترق هذه الظلمات حتى يتبين الجنين ذكراً أم أنثى، وليس في الآية تصريح بذكر العلم بالذكورة والأنوثة، وكذلك لم تأت السنة بذلك...» أ هـ.^(١)

ب- حكم لباس السوار لعلاج (الروماتيزم).

وهل هذا يعارض ما جاء في حديث عمران بن حصين رضي الله عنه أن النبي ﷺ رأى رجلاً في يده حلقة من صُفْر، فقال : «ما هذه؟» قال: من الواهنة، فقال : «انزعها فإنها لا تزيدك إلا وهناً، فإنك لو مُتَ وهي عليك ما أفلحت أبداً». رواه أحمد^(٢) بسند لا بأس به، كما في كتاب التوحيد للإمام محمد بن عبد الوهاب رحمه الله تعالى.

قال رحمه الله تعالى :

«ظهر في الأسواق منذ ستين حلقة من النحاس، يقولون : إنها تنفع من (الروماتيزم)، ولها اسم لا أذكره، يزعمون أن الإنسان إذا وضعه على عضده، وفيه (روماتيزم) نفعته، ولا ندري هل هذا صحيح أم لا ؟ لكن الأصل أنه ليس بصحيح؛ لأنه ليس عندنا دليل شرعي ولا دليل حسي يدل على ذلك.

وهي لا تؤثر على الجسم، فليس فيها مادة دهنية حتى نقول : إن الجسم يشرب هذه المادة ويتنفع بها، فالأصل أنها ممنوعة، حتى يثبت لنا دليل صحيح صريح واضح أن لها اتصالاً مباشراً بهذا (الروماتيزم) حتى يتنفع بها» أ هـ.^(٣)

(١) مجموع فتاوى ورسائل ابن عثيمين (٦٨/١).

(٢) مسند أحمد (٤٤٥/٤).

(٣) القول المفيد على كتاب التوحيد (١٨٩/١) ط : دار العاصمة، وانظر أيضاً مجموع فتاوى

ورسائل ابن عثيمين (١١١/١).

ج- دوران الأرض، ودوران الشمس حول الأرض.

قال رحمه الله تعالى :

«خلاصة رأينا حول دوران الأرض أنه من الأمور التي لم يرد فيها نفي ولا إثبات، لا في الكتاب ولا في السنة.

أما رأينا حول دوران الشمس على الأرض، الذي يحصل به تعاقب الليل والنهار، فإننا مستمسكون بظاهر الكتاب والسنة من أن الشمس تدور على الأرض دوراناً يحصل به تعاقب الليل والنهار، حتى يقوم دليل قطعي يكون لنا حجة بصرف ظاهر الكتاب والسنة إليه - وأتى ذلك - فالواجب على المؤمن أن يستمسك بظاهر القرآن الكريم والسنة النبوية في هذه الأمور وغيرها...»^(١)

د- الصعود إلى القمر :

أشكل على كثير من الناس ما يُدعى من صعود بعض الناس إلى سطح القمر، وهل هذا يتعارض مع قوله تعالى : ﴿وَجَعَلَ الْقَمَرَ فِيهِنَّ نُوراً﴾ وكان الشيخ العلامة محمد الأمين الشنقيطي ينفي صعود أحد إلى القمر، وأن هذا لا يمكن لدلالة الآيات على أن القمر في السماء.

ويقول إن صح هذا يقيناً فأنا لم أفهم القرآن، أو كما قال رحمه الله تعالى :

«فكتب شيخنا ابن عثيمين في ذلك رسالة سَمَّاها (رسالة في الوصول إلى القمر).

(١) مجموع فتاوى ورسائل ابن عثيمين (٧٠/١). ولشيخ الإسلام في عصره العلامة عبد العزيز ابن باز رسالة يقرر فيها ثبوت الأرض، وعدم دورانها، وكذلك للعلامة الشيخ حمود التويجري كتابٌ حافلٌ بالأدلة على إبطال قول من يقول بالدوران، أتمناه (الصواعق الشديدة في الرد على علماء الهيئة الجديدة) رحمهم الله تعالى وغفر لهم.

قال في أولها بعد المقدمة :

أما بعد : فقد تواترت الأخبار بإنزال مركبة فضائية على سطح القمر بعد المحاولات العديدة التي استنفدت فيها الطاقات الفكرية والمادية والصناعية عدة سنوات، وقد أثار هذا النبأ تساؤلات، وأخذاً ورداً بين الناس...

إلى أن قال : وإذا صح ما تواترت به الأخبار من إنزال مركبة فضائية على سطح القمر، فإن الذي يظهر لي أن القرآن لا يكذبه ولا يصدقه، فليس في صريح القرآن ما يخالفه؛ كما أنه ليس في القرآن ما يدل عليه ويؤيده...»^(١).

وقال في نهاية البحث : «وبعد فإن هذا البحث في هذا الموضوع قد يكون من فضول العلم لولا ما دار حوله من البحث والمناقشات حتى بالغ بعض الناس في رده وإنكاره، وغلا بعضهم في قبوله وإثباته.

فالأولون جعلوه مخالفاً للقرآن، والآخرين جعلوه مطابقاً للقرآن، فأحببت أن أكتب ما حررته هنا على حسب ما فهمته بفهمي القاصر، وعلمي المحدود. وأسأل الله تعالى أن يجعل ذلك خالصاً لوجهه نافعاً لعباده، والحمد لله رب العالمين». أ هـ.^(٢)

هـ - حكم ربط نزول المطر بالضغط الجوي والمنخفض الجوي :

سئل رحمه الله تعالى عن هذه المسألة التي يكثر الحديث عنها، بل قد تكرر بصفة يومية في الإذاعات العربية وغيرها..

والتي قد يعتمد عليها العديد من الناس ممن لا علم لهم بحكمها.

(١) ص ٢١ ضمن مجموعة رسائل في العقيدة.

(٢) رسالة الوصول إلى القمر، ضمن (رسائل في العقيدة) من ص ١٢١ إلى ص ١٢٦. ط : مكتبة دار المعارف بالرياض.

فقال رحمه الله تعالى :

«تعليق المطر بالضغط الجوي والمنخفض الجوي، وهو إن كان قد يكون سبباً حقيقياً، ولكن لا ينبغي فتح هذا الباب، بل يقال : هذا من رحمة الله، هذا من فضله ونعمته، قال الله تعالى : ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يَرْجِي سَحَاباً ثُمَّ يُؤَلِّفُ بَيْنَهُ ثُمَّ يَجْعَلُهُ رُكَّاماً فَتَرَى الْوَدْقَ يَخْرُجُ مِنْ خِلَالِهِ﴾. [النور: ٤٣]. وقال عز وجل : ﴿اللَّهُ الَّذِي يُرْسِلُ الرِّيَّاحَ فَتُثِيرُ سَحَاباً فَيَبْسُطُهُ فِي السَّمَاءِ كَيْفَ يَشَاءُ وَيَجْعَلُهُ كِسْفَاءً فَتَرَى الْوَدْقَ يَخْرُجُ مِنْ خِلَالِهِ﴾. [الروم : ٤٨]. فتعليق المطر بالمنخفضات الجوية من الأمور الجاهلية التي تصرف الإنسان عن تعلقه بربه.

وليعلم أن النسبة تنقسم إلى ثلاثة أقسام :

القسم الأول : نسبة إجماد، وهذه شرك أكبر.

القسم الثاني : نسبة سبب، وهذه شرك أصغر.

القسم الثالث : نسبة وقت، وهذه جائزة. والله أعلم.^(١)

(١) مجموع فتاوى ورسائل فضيلة الشيخ محمد بن عثيمين (١٩٣/٢). وانظر أيضاً (٢٧١/٥-٢٧٢) عما يأتي في الإذاعات من التنبأ بظول المطر.

أهم المؤثرات في توجه الشيخ للعقيدة السلفية

إن توجه طالب العلم والعالم إلى العقيدة السلفية ليس أمراً سهلاً، والأصعب من ذلك الثبات عليها رغم الشبهات الكثيرة التي يثبها أصحاب العقائد الزائفة، وقد كان لثبات الشيخ على هذه العقيدة عدة مؤثرات بعد توفيق الله تعالى، منها :

١- تتلمذه على كبار علماء عصره الذين عُرفوا بعقيدتهم السلفية، واتباعهم سبيل السلف الصالح أهل السنة والجماعة.

٢- تأثره بكتابات شيخ الإسلام ابن تيمية وتلميذه ابن القيم، كما أشار هو إلى ذلك حيث قال : «الإنسان يقرأ ويتأثر، وأحياناً يقرأ ولا يتأثر، فالذي أرى أنه يتأثر القارئ بكتبه شيخ الإسلام ابن تيمية - رحمه الله تعالى - فإن له تأثيراً قوياً بالنسبة لإيمان العبد ومعرفته بأسرار الشريعة وبالنسبة لقوة الحجة، والإقناع، والدفاع.

ولذا فأنا أنصح كل من يريد الوصول إلى الحق من منيعه الصافي أن يقرأ في كتب هذا الإمام، لأنه حقاً إمام، جزاه الله عن الإسلام والمسلمين خيراً.

وكذلك أيضاً تلميذه ابن القيم: أسلوبه وإقناعه، يأخذان بالباب قارئه.

لكني قد تأثر بكلام الشيخ أكثر من تأثري بكلام ابن القيم؛ مما يدفع الإنسان إلى الاقتناع الكامل الكافي.

كذلك تأثرت بتلميذه ابن مفلح صاحب كتاب الفروع في مذهب الإمام أحمد بن حنبل لأن له توجيهات طيبة جداً في الفقه تدل على عمق معرفته بالشريعة.

وتأثرت أيضاً بمنهاج الشيخ محمد رشيد رضا؛ لأنه جيد في عرض المسائل، وإن كان عليه بعض الأخطاء، وجل من لا يخطئ، فهو على كل حال له أثر في منهجي في تحقيقه المسائل. وما أشبه ذلك»^(١).

٣- اعتصامه بالدليل، ودورانه مع الدليل حيث دار، وهذا جانب بارز جداً في حياة الشيخ سواء في دروسه أو كتاباته أو فتاواه.
قال رحمه الله تعالى :

«ولذلك أنا أدعو إخواني من أهل العلم أن يكون دائماً الأصل الذي يبنون عليه هو الكتاب والسنة، والتحرر في الأفكار، لكن الأصح التحرر في التفكير، وجعل الفكر تابعاً لما دلّ عليه الكتاب والسنة حتى يكون الإنسان متحرراً حقيقة، ثم بعد ذلك يعرض ما بدا له على ما استنبطه أهل العلم، فلعله يجد خطأ فيما استنبط، فيُوفق للرجوع إليه»^(٢).

٤- عدم تعصبه لمذهب معين أو قول معين تقليداً لغيره.
وهذه مسألة عظيمة، فكثيراً ما أعمى التعصب عيون جهابذة العقلاء عن الحق، وقادهم إلى مهاوي الضلالة، خاصة في الاعتقاد.

فكم ممن سمع قولاً لشيخه، أو اعتقد مذهباً لأستاذه فأعماه عن الحق الواضح الجليّ القريب منه، وعاش عليه دهرًا طويلاً، إلا أن يتداركه الله برحمته.

والأمثلة على ذلك عديدة، منها : قصة أبي جعفر الهمداني مع شيخه أبي المعالي الجويني، كما رواها الذهبي في سيره، حيث قال : «أخبرنا يحيى ابن أبي منصور

(١) مجلة الدعوة، العدد ١٧٧٦.

(٢) المصدر السابق.

الفقيه في كتابه، عن عبد القادر الحافظ، أخبرنا أبو العلاء الهمداني، أخبرني أبو جعفر الحافظ (يعني الهمداني)، سمعت أبا المعالي : وسئل عن قوله تعالى : ﴿الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى﴾. [طه : ٥]. فقال : كان الله ولا عرش، وجعل يتخبط، فقلت : هل عندك للضرورات من حيلة ؟ فقال : ما معنى هذه الإشارة ؟ قلت : ما قال عارف قط : يا رباه ! إلا قبل أن يتحرك لسانه، قام من باطنه قصد لا يلتفت يمنة ولا يسرة - يقصد الفوق - فهل لهذا القصد الضروري عندك من حيلة، فتنبأنا نتخلص من الفوق والتحت ؟ وبكيت، وبكى الخلق، فضرب بكمه على السرير، وصاح بالحيرة، ومزق ما كان عليه، وصارت قيامة في المسجد، ونزل يقول : يا حبيبي ! الحيرة الحيرة، والدهشة الدهشة»^(١).

فانظر - رحمك الله - ما الذي جعل الطالب الفقيه يترك ما دلّ عليه القرآن من إثبات الاستواء على العرش، ويسأل شيخه المخرج من ضرورة توجه العبيد إلى جهة العلو في دعائهم.

أليس هو التعصب لمذهب الأشياخ، وما الذي جعل شيخه يتحير، ويمزق قميصه؛ حيث لم يجد جواباً لهذه الضرورة الفطرية، أليس هو السبب نفسه، وكم فعل التعصب وفعل، ولذا عده الإمام المجدد الشيخ محمد بن عبد الوهاب رحمه الله تعالى من مسائل الجاهلية، فقال في المسألة الخامسة والخمسين : التعصب للمذهب، كقوله فيها : ﴿وَلَا تُؤْمِنُوا إِلَّا لِمَنْ تَبِعَ دِينَكُمْ﴾. [آل عمران : ٧٣].

وترتب عليها مخالفة عظيمة، فقال في المسألة الرابعة عشرة بعد المائة : (قاعدة الضلال، وهي : القول على الله بلا علم) نسأل الله تعالى العافية.

(١) السير (٤٧٧/١٨).

٥ - عدم دخوله في علم الكلام.

إن المتتبع لسير أفذاذ من العلماء المخالفين لأهل السنة، يجد أن من أعظم أسباب الانحراف لديهم دخولهم في علم الكلام والذي دخل على المسلمين بعد المائة الثانية، بعدما عُربت الكتب اليونانية والرومانية خاصة في عهد المأمون حيث حصل بذلك شر كثير، وبلاء مستطير.

وقد كان شيخنا رحمه الله تعالى من أبعد الناس عن الدخول في علم الكلام، أو اللجوء إليه في الاستدلال.

وقد عقد في كتابه «فتح رب البرية بتلخيص الحموية» باباً كاملاً، هو الباب الثاني والعشرون؛ حيث قال فيه :

«الباب الثاني والعشرون في تحذير السلف من علم الكلام» وقال أيضاً «علم الكلام هو ما أحدثه المتكلمون في أصول الدين من إثبات العقائد بالطرق التي ابتكروها، وأعرضوا بها عما جاء الكتاب والسنة به، وقد تنوعت عبارات السلف في التحذير عن الكلام وأهله؛ لما يفضي إليه من الشبهات والشكوك، حتى قال الإمام أحمد : لا يفلح صاحب كلام أبداً.

وقال الشافعي : حكيم في أهل الكلام أن يضربوا بالجريد والنعال، ويطاف بهم في العشائر والقبائل، ويقال : هذا جزء من ترك الكتاب والسنة، وأقبل على علم الكلام». أ هـ.

ثم قال الشيخ معلقاً :

«وهم مستحقون لما قال الإمام الشافعي من وجه، ليتوبوا إلى الله ويرتدع غيرهم من اتباع مذهبهم، وإذا نظرنا إليهم من وجه آخر وقد استولت عليهم

الحيرة، واستحوذ عليهم الشيطان، فإننا نرحمهم ونرق لهم. ونحمد الله الذي عافانا مما ابتلاهم به....

وأكثر من يخاف عليهم الضلال هم الذين دخلوا في علم الكلام ولم يصلوا إلى غايته، ووجه ذلك : أن من لم يدخل فيه فهو في عافية، ومن وصل إلى غايته فقد تبين له فساد، ورجع إلى الكتاب والسنة، كما جرى لبعض كبارهم، فبقى الخطر على من خرج عن الصراط المستقيم ولم يتبين له حقيقة الأمر»^(١) أ هـ.

وقد ذكر الشيخ نموذجاً ممن ضل بسبب علم الكلام، فقال : «هؤلاء الخلف الذين فضل هذا الغي طريقته في العلم والحكمة على طريقة السلف كانوا حيارى، مضطربين بسبب إعراضهم عما بعث الله به محمداً ﷺ من البينات والهدى، والتماسهم علم معرفة الله تعالى ممن لا يعرفه بإقراره على نفسه وشهادة الأمة عليه، حتى قال الرأزي وهو من رؤسائهم مبيناً ما ينتهي إليه أمرهم :

نَهَايَةُ إِقْدَامِ الْعُقُولِ عَقَالُ وَأَكْثَرُ سَعْيِ الْعَالَمِينَ ضَلَالُ
وَأَرْوَاحُنَا فِي وَخْشَةٍ مِنْ جُسُومِنَا وَغَايَةُ ذُنُوبِنَا أَذَى وَوَبَالُ
وَلَمْ نَسْتَفِدْ مِنْ بَحْثِنَا طُولَ عُمُرِنَا سِوَى أَنْ جَمَعْنَا فِيهِ قِلَ وَقَالَ

لقد تأملت الطرق الكلامية والمناهج السلفية فما رأيتها تشفي علبلاً ولا تروي غلبلاً، رأيت أقرب الطرق طريقة القرآن، اقرأ في الإثبات: «الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى»، «إِلَيْهِ يَصْعَدُ الْكَلِمُ الطَّيِّبُ»، واقرأ في النفي: «لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ»، «وَلَا يُحِيطُونَ بِهِ عِلْمًا»، ومن حرب مثل تجربتي عرف مثل معرفتي.. أ هـ.

(١) تلخيص الحموية، ص ٩٨.

ثم علق على كلامه قائلاً :

«فكيف تكون طريقة هؤلاء الحيارى الذين أقرّوا على أنفسهم بالضلال والخيرة أعلم وأحكم من طريقة السلف الذين هم أعلام الهدى ومصابيح الدجى، الذين وهبهم الله من العلم والحكمة ما برزوا به على سائر أتباع الأنبياء، والذين أدركوا من حقائق الإيمان والعلوم ما لو جمع إليه ما حصل لغيرهم لاستحيا من يطلب المقارنة فكيف بالحكم بتفضيل غيرهم عليهم ؟ وهذا يتبين أن طريقة السلف أسلم وأعلم وأحكم..» أ هـ.^(١)

٦- كثرة ابتهاله إلى الله تعالى أن يثبتته على السنة والجماعة، ويهديه إلى الطريق الأقوم.

ويلهج بهذا الدعاء : «اللهم ربّ جبرائيل وميكائيل وإسرافيل فاطر السماوات والأرض، عالم الغيب والشهادة أنت تحكم بين عبادك فيما كانوا فيه يختلفون، اهديني لما اختلفت فيه من الحق بإذنك إنك تهدي من تشاء إلى صراطٍ مستقيم».^(٢)

(٢) فقهه :

إن تميز شيخنا المترجم رحمه الله تعالى في الفقه لا يخفى على أحد من العوام أو العلماء وطلاب العلم، من غرب المعمورة إلى شرقها من المسلمين العجم، فضلاً عن العرب نساءً ورجالاً.

(١) فتح رب البرية، ص ٦٠.

(٢) رواه مسلم حديث رقم (٧٧٠).

وقد اشتهر شيخنا بالتميز الفقهي أكثر من تميزه في علوم الشريعة الأخرى، كالعقيدة والتفسير وغيرها..

فتجد العوام يحرصون على سماع فتواه في المسألة، ويسألون عنها إذا لم تنقل إليهم فإذا علموا بما انشروحت لها صدورهم وعملوا بما امثالاً لقوله تعالى: ﴿فَاسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾. [النحل: ٤٣]. فقد ارتضوا ابن عثيمين العالم العامل مرجعاً لهم ومبلغاً لأحكام الله، وإن شئت قلت: موقعاً عن رب العالمين.

وقد كان الشيخ رحمه الله تعالى فيما نحسبه والله حسيبه أهلاً لذلك. والله تعالى هو الموفق للصواب.

وسنحاول في هذا الفصل إلقاء بعض الضوء على الجانب الفقهي عند الشيخ رحمه الله تعالى بشيء من الإيجاز؛ لأن هذا الجانب يحتاج إلى دراسة تفصيلية متأنية موسعة، لا يتسع لها المقام هنا.

وستتناول هذا الجانب في أربعة مباحث :

المبحث الأول : الأسس التي تكونت من خلالها الملكية الفقهية لدى الشيخ.

المبحث الثاني : ما تميز به فقه ابن عثيمين، وفيه سمات البحث الفقهي لدى الشيخ.

المبحث الثالث : النتائج الفقهي العلمي.

المبحث الرابع : أثر ذلك على النهضة العلمية المعاصرة.

المبحث الأول :

الأسس التي تكونت من خلالها
الملكة الفقهية لابن عثيمين.

بعد توفيق الله تعالى وعونه، فإن الشخصية الفقهية للشيخ قد تشكلت وبرزت من خلال عدة أسس قد مرّ بنا بعضها في الباب الأول في مرحلة البناء والتكوين العلمي، ويأتي بعضها الآخر وسأذكرها بصورة موجزة مع شيء من الأمثلة، وذلك لأن الاستطراد هنا، ونقل الأمثلة العديدة سيأخذ قسطاً كبيراً من الكتاب. وما سنذكره يدل على ما وراءه، والله الموفق.

١- تأثره بشيخه ابن سعدي رحمه الله تعالى..

سبق في ترجمة ابن سعدي رحمه الله تعالى بيان أوجه التميز عنده، وخاصة من الناحية الفقهية الأصولية.

وقد ذكر شيخنا - كما سبق - أنه تأثر به غاية التأثر، حتى سأل أحد تلاميذه عن طريقة شيخه ابن سعدي، فقال : انظر ماذا أصنع أنا فهذه طريقة ابن سعدي، وقد كان رحمه الله تعالى من حبه لشيخه يقلده في خطه، وابن سعدي رحمه الله تعالى ممن برز في الفقه في هذا العصر وأصوله وقواعده، بروزاً منقطع النظير في سعة اطلاعه، وعمق فهمه، وقوة استنباطه، وبلوغه رتبة الاجتهاد.

فشيوخنا المترجم قد ارتوى من هذا المعين، ونهل من هذا البحر الزاخر، وورث من شيخه هذا التميز الفقهي، والذي سيأتي الكلام عليه في موضعه.

٢- تأثره بكتابات شيخ الإسلام ابن تيمية وتلميذه القيم رحمهما الله تعالى.

فقد دأب الشيخ منذ طلبه للعلم على إيمان النظر في كتب الشيخين، وجعلهما من المراجع الأساسية خاصة عند اشتداد الخلاف، أو تعسر الخروج منه، سواء في ذلك الكتب الصغيرة الحجم أو المطولات، فكان دائم الرجوع لـ (مجموع الفتاوى، جمع الشيخ العلامة عبد الرحمن بن قاسم) وكان سريع الاستحضار لمواضع المسائل، بل ينقل منه الصفحات العديدة معزوة لأجزائها ابتداءً وانتهاءً.

انظر على سبيل المثال كلامه في شرح شيخ الإسلام لحديث: «صنفان من أمتي من أهل النار لم أرهما..» الحديث، قال : قال شيخ الإسلام ابن تيمية (١٤٦/٢٢) (مجموع الفتاوى^(١)) ونقله من اقتضاء الصراط المستقيم ص ٧٠، في شرح حديث (هما بهم كفر) كلام شيخ الإسلام في الفرق بين الكفر المعروف بال والمنكر في الإثبات.^(٢) نقله عن ابن القيم في كتاب الصلاة.

(ص ٤٠٠، من مجموعة الحديث)^(٣) استحالة أن يترك الصلاة من كان في قلبه شيء من الإيمان.

نقله عن شيخ الإسلام في مجموع الفتاوى (٢٢٢/٢٣) قوله : اتفق العلماء على أنها - أي صلاة الجماعة - من أوكد العبادات، وأجل الطاعات، وأعظم شعائر الإسلام. أ هـ.^(٤)

(١) نقله في مجموع فتاوى ورسائل فضيلة الشيخ ابن عثيمين (٢٧١/١٢).

(٢) المصدر السابق (٥٩/١٢).

(٣) المصدر السابق (٤٤/١٢).

(٤) المصدر السابق (٤٠/١٢).

نقله عن ابن القيم (زاد المعاد ١/٢٣٨) في وضع اليدين بين السجدين.^(١)

نقله عن شيخ الإسلام من (الفتاوى الكبرى ١/٣٥٠) فتوى في التشويش على المصلين.^(٢) وانظر على سبيل المثال من مجموع فتاوى ورسائل ابن عثيمين، المواضع التالية: (٢٧٩/١٢)، (٢٧٢/١٢)، (٨٩/١٣)، (٨٧/١٣)، (٨٣/١٣)، (٨٠/١٣)، (١٤٩/١٣)، وغيرها الكثير..

وقد سبق نقل كلامه عن تأثره بابن تيمية :

«لكنني قد تأثر بكلام شيخ الإسلام أكثر من تأثري بكلام ابن القيم مما يدفع الإنسان إلى الاقتناع الكامل الكافي».^(٣)

وقد بلغ من شغف الشيخ بكتب الشيخين أن لخص العديد منها، وانتقى منها الفوائد الفريدة، في الفقه والعقيدة، من ذلك :

- ١- مختارات من زاد المعاد لابن القيم.
- ٢- مختارات من إعلام الموقعين له.
- ٣- مختارات من اقتضاء الصراط المستقيم لابن تيمية.

وقد ذكر في المقدمة أنه بدأ قراءته في عام ١٣٩٦هـ.

وهو مع كل ذلك لم يكن مقلداً لابن تيمية ولا لتلميذه، بل كان يحذره الدليل في كل ما تبعهما فيه، وكما أنه قد وافقهما في كثير من المسائل، فقد خالفهما في عدد من المسائل، كما سيأتي.

(١) المصدر السابق (١٩٧/١٣).

(٢) المصدر السابق (٧٦/١٣).

(٣) مجلة الدعوة، العدد ١٧٧٦.

٣- حفظ المتن :

قد كان الشيخ يردد كثيراً «من حفظ المتن حاز الفنون» وقد عني الشيخ بحفظ المتن منذ صغره كما أشرنا إلى ذلك في النشأة، فحفظ القرآن كاملاً عن ظهر قلب، وهو آية في استحضاره لمواضع الاستشهاد من الآيات.

وينبه الشيخ إلى ما يقع فيه بعض طلاب العلم من عدم حفظهم لكتاب الله تعالى في بداية الطلب، ويعتنون بغيره، فيقول رحمه الله تعالى :

«وإنه مما يؤسف له أن تجد بعض طلبة العلم لا يحفظ القرآن، بل بعضهم لا يحسن القراءة، وهذا خلل كبير في منهج طلب العلم، لذلك أكرر أنه يجب على طلبة العلم الحرص على حفظ القرآن، والعمل به، والدعوة إليه، وفهمه فهماً مطابقاً لفهم السلف الصالح» أ.هـ.^(١)

وقد ذكر الشيخ أحسن ما يراه في طريقة الحفظ، فقال :

«وأحسن ما رأيت في العلم أن الإنسان إذا حفظ شيئاً اليوم يقرأه مبكراً صباح اليوم التالي، فإن هذا يُعين كثيراً على حفظ ما حفظ في اليوم الأول، هذا شيء فعلته أنا، فإن هذا يعين على الحفظ الجيد».^(٢)

وقد حفظ من الأدلة متن (بلوغ المرام) ومارسه كثيراً، وحفظ (متن زاد المستقنع في الفقه الحنبلي)، وحفظ (ألفية ابن مالك)، و (قطر الندى لابن هشام).

وكان هو وزميله الشيخ عبد الله البسام يرتبان أوقاتاً للحفظ والتسميع، بعد صلاة العصر، والساعات الأولى من الليل.

(١) كتاب العلم، ص ٤٥، ط : دار الثريا.

(٢) المصدر السابق، ص ١٣٧.

وهذا الحفظ قد نفع الله به الشيخ كثيراً، فكان يسعفه عند إرادة الاستشهاد على مسألة ما، أو في كتابة، أو مناظرة، أو نحو ذلك..

وقد قال رحمه الله تعالى : (قرأنا كثيراً وما بقي إلا ما حفظنا).

وقد كان لهذا الحفظ في التأسيس العلمي الدور الكبير، مما قد غفل عنه الكثير من طلاب العلم اليوم، وإلى الله المشتكى.

قال الشيخ سليمان الضحيان: «قد سمعته يشدد على أهمية حفظ المتون العلمية، يقول : (أحياناً تعزب عنك بعض المعلومات في مسألة من المسائل، ثم بمجرد أن تذكر الفقرة في المتن الذي حفظته تسترجع تلك المعلومات» أو نحو هذا.

ولهذا يشترط على تلامذته الملازمين حفظ المتون، مثل (زاد المستقنع، والواسطية، والبرهانية).^(١)

وقد وضع الشيخ المتون التي يبدأ بها طالب العلم في عدد من الفنون، فقال رحمه الله تعالى :

«فإذا كنت تطلب النحو :

فإن كنت مبتدئاً فلا أرى أحسن من متن (الآجرومية)؛ لأنه واضح وجامع، وحَاصِرٌ، وفيه بركة.

ثم متن (ألفية ابن مالك)؛ لأنها خلاصة علم النحو، كما قال هو عن نفسه :

أَخْصَى مِنَ الْكَفَايَةِ الْخُلَاصَةَ كَمَا اقْتَضَى غِنًى بِلَا خَصَاصَةِ

وأما في الفقه :

فمتن (زاد المستقنع)، لأنه كتاب مخدوم بالشروح والخواشي والتدريس، وإن كان بعض المتن الأخرى أحسن منه من وجه، لكن هو أحسن من حيث كثرة المسائل الموجودة فيه، ومن حيث إنه مخدوم.

وأما في الحديث :

فمتن (عمدة الأحكام)، وإن ترقيت فـ (بلوغ المرام)، وإن كنت تقول إما هذا أو هذا، فبلوغ المرام أحسن؛ لأنه أكثر جمعاً للأحاديث، ولأن الحافظ ابن حجر - رحمه الله - بين درجة الحديث.

وأما في التوحيد :

فمن أحسن ما قرأنا متن (كتاب التوحيد لشيخ الإسلام محمد بن عبد الوهاب رحمه الله تعالى) وأما في توحيد الأسماء والصفات فمن أحسن ما قرأت (العقيدة الواسطية لشيخ الإسلام ابن تيمية - رحمه الله تعالى) فهو كتاب جامع، مبارك، مفيد وهلم جرا. خذ من كل فن تطلبه متناً مختصراً فيه، واحفظه.

وقال أيضاً :

«لا تنتقل من مختصر إلى آخر بلا موجب، فهذا من باب الضجر، وهذه آفة عظيمة تقطع على الطالب طلبه، وتضيع عليه أوقاته، فإذا كان كل يوم له كتاب يقرأ فيه، فهذا خطأ في منهج طالب العلم، فإذا قررت كتاباً من كتب العلم فاستمر فيه، ولا تقل : أقرأ كتاباً أو فصلاً من هذا الكتاب، ثم أنتقل للآخر، فإن هذا مضیعة للوقت» (١) أ.هـ.

(١) كتاب العلم، ص ٢٣٧ - ٢٣٨، ط : دار الثريا.

٤- تمكنه من علوم الآلة :

علوم الآلة أو العلوم المساعدة كعلم النحو، والأصول، والقواعد الفقهية، والبلاغة من أساسيات طالب العلم الناجح المبرز، والتي لا يتمكن من الغوص في العلوم الشرعية، والوقوف على أسرار الشريعة وحكمها إلا بتمكنه في هذا العلم، وقد بلغ الشيخ في ذلك القدر المعلي، فقد حفظ ألفية ابن مالك، والأجرومية، وقيل إنه أعرب الألفية إعراباً سريعاً في جلسة واحدة ! وكان يستدل كثيراً بشواهد من الألفية.

من ذلك : ما ذكره في الشرح الممتع :

(فإن قال قائل : وهل تأتي الكاف للتعليل ؟ قلنا : نعم تأتي للتعليل، استمع إليها من كلام العلماء، واستمع إلى مثالها.

قال ابن مالك :

شَيْئَةٌ بِكَافٍ وَبِهَا التَّغْلِيلُ قَدْ يَعْنِي وَزَائِدًا لِتَوْكِيدٍ وَرَدٍّ.^(١)

وما ذكره أيضاً في جواز حذف النعت وبقاء المنعوت :

قال : (قال ابن مالك :

وَمَا مِنَ الْمُنْعُوتِ وَالنَّعْتِ عَقْلٌ يَجُوزُ حَذْفُهُ وَفِي النَّعْتِ يَقِلُّ).^(٢)

وقال أيضاً في بيان الفرق بين اسم المرة والهيئة :

(قال ابن مالك :

وَفِعْلَةٌ لِمَرَّةٍ كَجَلَسَةٍ وَفِعْلَةٌ لِهَيْئَةٍ كَجَلَسَةٍ).^(٣)

(١) الشرح الممتع (٣/٢٣١).

(٢) الشرح الممتع (٣/١٩٤).

(٣) المصدر السابق (٣/٤٤٣).

وأذكر أننا ونحن في الدرس عندما يطلب إعراب كلمة من أحد الطلاب فيقوم بإعرابها، فيسأله مبادراً : ما الدليل على هذا من كلام ابن مالك رحمه الله تعالى ؟.

وأما بالنسبة لأصول الفقه والقواعد فحدث ولا حرج، فقد بلغ فيها الشيخ كل مبلغ حفظاً، وتأصيلاً، وتقعيداً، واستحضاراً وضرباً للأمثلة، وسيأتي نماذج من ذلك في مبحث التميز الفقهي.

قال الشيخ سليمان الضحيان : «ويكاد الشيخ ينفرد بالإحاطة في هذه العلوم، وحسبك أنه يكاد يحفظ (قواعد ابن رجب) مع كثرتها وصعوبتها...»^(١)

وبناءً على ما سبق فإن الشيخ كان يشرح دروسه بالعربية الفصحى، وكذا كلامه في الإذاعة، ودروس الحرم، وغيرها، وهذه مزية برز فيها الشيخ، وساعدت الكثير من مُحبي العلم، ومُريدي المعرفة على الإنصات للشيخ والإقبال على دروسه سواء من الرجال أو النساء أو الصبيان، خاصة من بلاد العجم، ولعل هذا هو أحد أسباب انتشار أشرطة الشيخ في أمريكا، ودول أوروبا، وإفريقيا، وهذا عامل مهم جداً، فإن العامية قد تفيد في بلد أنت فيه، ويتكلم أهلها بها، ولا تفيد في غيره ممن لا يعرف هذه اللهجة، وقد وقع في هذا عدد من الدعاة في وعظهم وإرشادهم، فلم يحصل بذلك النفع المرجو؛ بسبب اختلاف اللهجات. والله الموفق.

٥- قوة عقليته، وحدة ذكائه :

٦- عمق نظره، وطول تأمله :

فالشيخ رحمه الله تعالى قد أتى عقلية فذة، تبهر المستمع إليه، وتأخذ بلبه، وقد أهله ذلك للكلام في المسائل المعقدة، فيحللها، ويخرج برأي واضح فيها، يفهمه

(١) مجلة المعرفة، العدد ٦٩.

العامي وطالب العلم، ومن ذلك ما استنبطه الشيخ رحمه الله من آية الوضوء من سورة المائدة، فقد استخرج منها فوائد عجيبة سيأتي إيرادها كاملة، وأذكر هنا منها فائدة واحدة تدل على قوة عقليته رحمه الله تعالى :

قال : «من فوائد الآية وجوب الطهارة لصلاة الجنازة، لقوله : ﴿إِذَا قُمْتُمْ إِلَى الصَّلَاةِ﴾. والصلاة على الجنازة صلاة، كما تدل على ذلك الأحاديث الكثير عن النبي ﷺ مثل قوله ﷺ : «من شهد الجنازة حتى يصلي عليها فله قيراط»، وقال: «صلوا على صاحبكم» وفي شهداء أحد ولم يصل عليهم، وهي أحاديث لا تحصر، تطلق الصلاة على هذا الدعاء المخصوص على الميت، وعلى هذا فالصلاة على الجنازة لا بد فيها من طهارة.

بقي عندنا سجود التلاوة، وسجود الشكر، إن قلنا : إنهما صلاة اشترط لهما الطهارة، فمن قال إنهما يبدآن بالتكبير، ويختتمان بالتسليم، قال إنهما صلاة وتجب لهما الطهارة، ومن قال : لا يبدآن بالتكبير ولا يختتمان بالتسليم، قال : لا يشترط لهما الطهارة»^(١).

٧- الثاني في الأمور، وترك العجلة :

فقد كان رحمه الله تعالى ينصح طلبة العلم بالتأني خاصة في طلب العلم، وعدم العجلة، وقد سمعته يكرر: (العلم يؤخذ بالأيام والليالي)، و(ما أخذ جملة، ذهب جملة).

وكذلك اشتهر عن الشيخ تأنيه في الفتوى، قال رحمه الله تعالى :

«ويجب على المفتي أن يترث في الحكم عند الإشكال وألا يتعجل، فكم من حكم تعجل فيه، فيندم على ذلك، وربما لا يستطع أن يستدرك ما أفتى به، والمفتي

(١) مجلة الدعوة، العدد ١٧٨٥.

إذا عرف الناس منه التأني والثبوت وثقوا بقوله واعتبروه وإذا رأوه متسرعاً والمتسرع كثير الخطأ لم يكن عندهم ثقة فيما يقضي به، فيكون بتسرعه وخطئه قد حرّم نفسه وحرّم غيره ما عنده من علم وصواب...»^(١)

٨- تحرره الفكري، وترك التقليد الأعمى :

وقد انتفع الشيخ بهذا كثيراً، فقد أخرجه ترك التقليد للأسلاف إلى آفاق العلم الرحبة، حتى فتح للشيخ من أبواب العلم، ودقائقه، ومسائله، ما لم يسبقه إليه غيره، وقد قلت للشيخ يوماً : إننا نسمع منك في التفسير فوائد على الآيات لا نكاد نجدّها في الكتب - وهي غاية في القوة والروعة والاستدلال - لم لا تخرج في كتاب ؟ فقال رحمه الله تعالى وهو في غاية التواضع : (الموجود يكفي) يعني أن كتب التفسير المطبوعة كافية، ولا حاجة للمزيد من الكتب.

وقد كان الشيخ يكرر لتلاميذه في الدرس قائلاً: إنك لن تُسأل عن أحد سوى نبيك ﷺ، فلن تسأل في قبرك عن الشخص الفلاني، أو الإمام الفلاني، ويردد دائماً قوله تعالى: ﴿وَيَوْمَ يُنَادِيهِمْ فَيَقُولُ مَاذَا أَجَبْتُمُ الْمُرْسَلِينَ﴾، ولم يقل ماذا أجبتكم فلاناً وفلاناً.

وقال رحمه الله تعالى : (من يتعصب لمذهب أو شخص مع أن الدليل خلافه، أن هذا المتعصب مقدم على خطر عظيم جداً، وذلك لأنه أي بتعصبه يستلزم تقديم قول غير الله تعالى ورسوله على قول الله ورسوله، وهذا خطير جداً، فالواجب على الإنسان أن يتبع الدليل حيثما كان. صحيح أن الإنسان يتأثر إذا تفقه على يد عالم، أو على مذهب معين، يتأثر بهذا العالم، وبهذا المذهب وهذا لا يستلزم أن يكون الإنسان متعصباً لهذا المذهب أو لذلك الرجل، بل عليه إذا تبين له الدليل أن يتبع

(١) مجموع فتاوى ورسائل فضيلة الشيخ ابن عثيمين (٣٣٥/١١).

الدليل حيثما كان؛ لأن الله سبحانه وتعالى يقول: ﴿وَمَا اخْتَلَفْتُمْ فِيهِ مِنْ شَيْءٍ فَحُكْمُهُ إِلَى اللَّهِ﴾. [الشورى: ١٠]، ويقول: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ فَإِنْ تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ إِنْ كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا﴾. [النساء: ٥٩].^(١)

وقال أيضاً رحمه الله تعالى : «فالتقليد كما قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله تعالى بمنزلة الميتة، إن اضطرت إليها فكلها، وإن استغنيت عنها فهي حرام عليك...».^(٢)

ومع كل هذا فلم يكن الشيخ يجعل أقوال وآراء علماء الإسلام خلفه ظهرياً بل جعلها هي الحادي الذي يحدوه لفهم الدليل، واستنباط الأحكام على ضوء الأدلة الشرعية، فهو ليس مبتدعاً لقول جديد لم يسبق إليه، وليس مقلداً لغيره، ويتمثل بقول ابن مسعود رضي الله عنه: (لا تقلد دينك الرجال).

ومما يبين ذلك ما قاله رحمه الله تعالى : «.. حتى أئمة المذاهب ينهون عن تقليدهم تقليداً محضاً، ويقولون : «متى تبين الحق فإن الواجب الرجوع إليه».

فنقول لمن عارضنا بمذهب فلان أو فلان، نحن وأنت نشهد أن محمداً رسول الله، وتقتضي هذه الشهادة أن لا نتبع إلا رسول الله ﷺ، وهذه السنة بين أيدينا واضحة جلية، ولكن لست أعني بهذا القول أن نقلل من أهمية الرجوع لكتب الفقهاء وأهل العلم، بل إن الرجوع إلى كتبهم للارتفاع بها ومعرفة الطرق التي بها تستنبط الأحكام من أدلتها، من الأمور التي لا يمكن أن يحقق طلب العلم إلا بالرجوع إليها.

(١) مجلة الدعوة، العدد ١٧٧٦، آخر حوار مع الشيخ.

(٢) كتاب العلم، ص ١٢٢، ط : دار الثريا.

ولذلك نجد أولئك القوم الذين لم يتفقهوا على أيدي العلماء؛ نجد أن عندهم من الزلات شيئاً كثيراً؛ لأنهم صاروا ينظرون بنظر أقل مما ينبغي أن ينظروا فيه، يأخذون مثلاً صحيح البخاري فيذهبون إلى ما فيه من الأحاديث، مع أن في الأحاديث ما هو عام، ومخصص، ومطلق، ومقيّد، وشيء منسوخ، لكنهم لا يهتمون إلى ذلك؛ فيحصل بهذا الضلال الكبير» أ.هـ.^(١)

(١) كتاب العلم، ص ٥٠، ط : دار الثريا.

المبحث الثاني:

ما تميز به فقه ابن عثيمين :

مرّ معنا في المبحث السابق أنّ التأسيس الفقهي المتين للشيخ رحمه الله تعالى قد أنتج فقها متميزاً كان له سمات خاصة، بلغ به الشيخ مرتبة الاجتهاد، واستحق لقب الفقيه، وقد أطلقها عليه عدد من أهل العلم، منهم :
شيخنا العلامة : عبد المحسن بن حمد العباد البدر، حيث قال عنه «مكانته العلمية لا تخفى على أحد، فهو عالم كبير، وفقيه متمكن»^(١).

الشيخ حمد بن إبراهيم بن حمد الخطيلي : «بعض العلماء يختص ويتخصص في قسم من العلوم الشرعية؛ لكن الشيخ محمد العثيمين حاز الأصول والفروع بالتحقيق، والتدقيق»^(٢).

وقال الشيخ مساعد السلطان : «لقد تميز شيخنا محمد بن صالح العثيمين رحمه الله وأسكنه فسيح جناته، باستنباطه للفوائد الفقهية من الأدلة الشرعية، فتجده رحمه الله تعالى ينتقي الفوائد من النصوص الشرعية دون تكلف وعناء، وكأنما سطرت أمام عينيه»^(٣).

وقال فضيلة الشيخ صالح بن حميد عنه : «هو الإمام العالم العلامة، حبر العلوم، بحر المعارف، شيخ الفقه وإمام السنة»^(٤).

(١) من محاضرة بعنوان (الشيخ محمد بن صالح ابن عثيمين وشيء من سيرته ودعوته).

(٢) جريدة الجزيرة، العدد ١٣٣٥.

(٣) مجلة الدعوة، العدد ١٧٨٥.

(٤) جريدة الوطن، العدد ١١٥.

وقال فضيلة الشيخ صفوت نور الدين رئيس جماعة أنصار السنة المحمدية بمصر،
عنه : «العالم الفقيه»^(١).

وقال الشيخ عبد الرحمن بن فضيلة الشيخ أبي بكر الجزائري الأستاذ بالجامعة
الإسلامية بالمدينة المنورة : «وقد كان صرحاً من صروح العلم والمعرفة ونموذجاً
للعلماء والفقهاء المجتهدين...»^(٢).

وقال الشيخ الدكتور سليمان بن حمد الصقري - عضو هيئة التدريس بجامعة
الإمام بفرع القصيم - :

«كان فقيهاً مجتهداً له آراء يخالف فيها المذهب صاحب مدرسة فقهية متميزة»^(٣).

وقال الشيخ خالد بن عبد الرحمن الشايع : «وإن نظرت إلى علم الشيخ في
الفقه؛ فأنت واجدٌ عالماً غزيراً، وفهماً متيناً...»^(٤).

وقال الشيخ سليمان عبد العزيز الربيعي : «فقدت الأمة المسلمة بوفاته
- رحمه الله - عالماً موسوعياً كبيراً، وفقهياً ضليعاً، مجتهداً ومعلماً أميناً نصوحاً
من الرعيل الأول»^(٥).

هذا الفقه المتميز للشيخ كانت له معالم وسمات بارزة، سنلقي الضوء على ما
تيسر منها :

(١) جريدة البلاد، العدد ١٦٢٣٠.

(٢) عكاظ، العدد ١٢٥٥٨.

(٣) عكاظ، العدد ١٢٥٥٨.

(٤) جريدة الرياض، العدد ١١٨٩١.

(٥) جريدة الرياض، العدد ١١٨٩٣.

١- سهولة العبارة :

تميز فقه الشيخ رحمه الله تعالى بسهولة عبارته، ويسر أسوبه، ووضوح كلماته، فليست ألفاظه بالغريبة الوحشية التي تحتاج معها اصطحاب قاموساً لفك رموزها، وليست عباراته بالمتفجرة، بل يستحق أن يطلق على أسلوبه (السهل الممتنع) فيفهمه العامي من أول وهلة، ويمجد فيه طالب العلم بغيته.

ومن أمثلة ذلك : سئل رحمه الله تعالى :

إذا خشي الإنسان إن قضى حاجته أن تفوته صلاة الجماعة، فهل يصلي وهو حاقن ليدرك الجماعة، أو يقضي حاجته ولو فاتته الجماعة ؟

فأجاب رحمه الله تعالى : يقضي حاجته ويتوضأ، ولو فاتته الجماعة، لأن هذا عذر، وقد قال النبي ﷺ : « لا صلاة بمحضرة طعام، ولا هو يدافعه الأخبثان »^(١).

فانظر - يرحمك الله - إلى طول السؤال، وقصر الجواب.

وسئل رحمه الله تعالى : ما هي شهادة الزور ؟ وهل تبطل الصوم ؟

فأجاب : شهادة الزور من أكبر الكبائر، وهي أن يشهد الرجل بما لا يعلم، أو بما يعلم خلافه، ولا تبطل الصوم، ولكن؛ تنقص أجره^(٢).

وسئل : ما المراد بالاضطباع ؟ ومتى يشرع ؟

فأجاب : الاضطباع أن يكشف الإنسان كتفه الأيمن، ويجعل طرني الرء على الكتف الأيسر، وهو مشروع في طواف القدوم، وأما في غيره فإنه ليس بمشروع^(٣).

(١) فتاوى أركان الإسلام، ص ٣٤٠، سؤال رقم ٢٦٤، جمع : فهد السليمان.

(٢) فتاوى أركان الإسلام، س : ٤٣٤، ص : ٤٨٥.

(٣) المصدر السابق، س : ٤٩٦، ص : ٥٤٠.

وهذا لا يعني أنه لا يوجد للشيخ إجابات مُسَهَّبة، بل قد يكون للشيخ رسائل في مسألة واحدة في تعريفها وأحكامها وما يتعلق بها، وذلك لأن لكل مقام مقالاً، ولكل حادث حديثاً.

ومن ذلك :

- ١- رسالة في الصلاة والطهارة، وأهل الأعذار. كتبها سنة ١٤٠٠هـ.
- ٢- رسالة في مواقيت الصلاة. كتبها سنة ١٤٠٠هـ.
- ٣- رسالة في سجود السهو. كتبها سنة ١٤٠٠هـ.
- ٤- رسالة في أحكام الأضحية والزكاة.
- ٥- رسالة في أقسام المداينة. وغيرها..

٢- ربط الحكم بدليله أو تعليقه.

وهذا الجانب بارز في فقه الشيخ يقف عليه المتأمل في كتبه ورسائله وفتاواه من أول وهلة، فهو منهج للشيخ اختطه لنفسه، ولا يحيد عنه في تعليمه وتدريبه وخطبه وفتاواه. وقد لفت نظر المهتمين بالعلم؛ علماء وطلاب، فوثقوا في فقهه من أجل ذلك، فهو يدور مع الدليل حيث دار، ولا يقف عند ذلك، بل إذا كانت المسألة مما اشتهد فيها النزاع فإنه يحقق الدليل، ويذكر درجته وتخريجه، وهذا من آثار نبذه للتقليد والتعصب وهو يورد الدليل بين طلاب العلم بالطريقة المنهجية المعروفة من إيراد النص وتخريجه أو عزوه، أو ذكر القياس وأركانه، ونحو ذلك.

وأما بالنسبة للعوام ونحوهم؛ فيبسط لهم الدليل، ويشرحه لهم بما يفهمه مثلهم، وهذا من حسن تعليمه، ودماثة خلقه، وتمام نصحه للأمة، لذا أحبه العامي والعالم، ووثق في فتياه المرأة والرجل، والصغير والكبير.

فإذا لم يجد دليلاً ظاهراً للحكم فإنه يلجأ إلى التعليل المستقيم المبني على الأصول المشهورة عند أهل العلم، وإلا فإن الشيخ يحتاط في المسألة، ويتوقف فيه، وتكون محل تردد.

ومن أمثلة ذلك :

ما ذكره في مسألة الخلاف بين أهل العلم في حكم مس الذكر هل هو ناقض للوضوء أم لا ؟

قال رحمه الله تعالى :

«والخلاصة أن الإنسان إذا مس ذكره استحب له الوضوء مطلقاً سواء بشهوة أو بغير شهوة، وإذا مسه لشهوة فالقول بالوجوب قوي جداً لكنه ليس بظاهر، بمعنى أنني لا أجزم به، والاحتياط أن يتوضأ»^(١).

ومما يدل على أن الشيخ يدور مع الدليل حيث دار، رده القول باشتراط ثبات الخف بنفسه؛ لكي يسمح عليه، حيث رجح الشيخ عدم الاشتراط، وقال :

«على المذهب لا يجوز، وعلى القول الراجح يجوز، ووجه رجحانه أنه لا دليل على هذا الشرط، فإذا قال قائل: فما هو الدليل؟ نقول : الدليل عدم الدليل...»^(٢).

٣- إظهاره مقاصد الشريعة، وأسرارها، وحكمها.

وقد أوتي الشيخ في هذا فهماً ثاقباً، وفتحاً مبيناً، فيأتي من حكم الشريعة وأسرارها بما ينهر الألباب، ويأخذ بقلوب السامعين، فتخبت قلوبهم لله رب العالمين، لما وقفوا عليه من آياته العظيمة، وحكمته الباهرة.

(١) المتع (٢٣٤/١)، وقارن بما في مجموع فتاوى ورسائل ابن عثيمين (٢٠٣/٤).

(٢) المتع (١٩٢/١).

ومن ذلك :

لما انتشر استعمال (المايكروفون) في المساجد، وحصل حوله خلاف في شرعيته، كتب الشيخ لأحد الناس رسالة، جاء فيها.

وبعد: فإننا لا نرى بأساً بوضع مكبر الصوت الذي يسمى (المايكروفون) في المنارة للتأذين به، وذلك لما يشتمل عليه من المصالح الكثيرة، وسلامته من المحذور، ويدل على ذلك أمور...».

وذكر الشيخ ثمانية أدلة، ملخصها :

الأول : أنه مما خلق الله تعالى لنا في هذه الأرض وقد أحله لنا، كما يفيد قوله تعالى : ﴿هُوَ الَّذِي خَلَقَ لَكُمْ مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعاً﴾.

الثاني : أنه من القواعد المقررة عند أهل العلم (أن الأصل في الأعيان والمنافع الحل والإباحة إلا ما قام الدليل على تحريمه).

الثالث : أن قاعدة الشرع الأساسية (جلب المصالح، ودفع المفاسد).

والمايكروفون يشتمل على مصالح: كالمبالغة برفع الصوت بتكبير الله تعالى وتوحيده، والشهادة لرسوله ﷺ بالرسالة، والدعوة إلى الصلاة خصوصاً وإلى الفلاح عموماً.

ومن مصالحه : تنبيه الغافلين، وإيقاظ النائمين.

ومع هذه المصالح ليس فيه مفسدة تقابل أو تقارب هذه المصالح، بل ليس فيه مفسدة مطلقاً فيما نعلم.

الرابع : أن من القواعد المقررة في الشريعة الإسلامية (أن الوسائل لها أحكام المقاصد).

والميكروفون وسيلة ظاهرة إلى أسماع الناس الأذان والدعوة إلى الصلاة، وإبلاغهم ما يلقي في المساجد من خطب ومواعظ، وإسماع الناس الأذان من الأمور المأمور بها بإجماع أهل العلم، فما كان وسيلة إلى تعميمها وإيصالها إلى الناس كان مأموراً بها أيضاً.

الخامس : اشتراط أهل العلم في المؤذن أن يكون صيئاً، أي رفيع الصوت، والميكروفون من وسائل ذلك بلا شك، فيكون مطلوباً.

السادس : أن النبي ﷺ كان يتحرى من كان عالي الصوت في إبلاغ الناس.

السابع : قياس تكبير الصوت على تكبير النظارة للحروف والكلمات فمن أحل هذه أجاز تلك ولا بد.

الثامن : أنه يستعمل في أفضل المساجد : المسجد الحرام، ومسجد النبي ﷺ من غير تكبير من أهل العلم..^(١) انتهى ملخصاً

فانظر - رحمك الله - إلى فقه الشيخ في بيان مقصد الشريعة من الأذان وهو الإعلام برفع الصوت بالشهادتين، وحث الناس على الصلاة والفلاح، وكيف بين أن مكبر الصوت وسيلة مفيدة في ذلك. وأيضاً حرص الشرع على إيصال المواعظ والخطب والدعوة عموماً إلى أقصى ما يُستطاع للأمر العام بالبلاغ، وأن هذا أحد وسائله.

وقد سئل الشيخ رحمه الله تعالى هذا السؤال :

س : فضيلة الشيخ : هل يجوز الصيد بدون حاجة، بل مجرد ممارسة هواية الصيد فحسب، بحيث إنه يرمي الصيد ويتركه ميتاً، ولا يستفيد هو منه ولا غيره، وكذلك ما الحكم في صيدها من أجل أن يتسلى الصغار بها ؟

(١) انظر مجموع فتاوى ورسائل فضيلة الشيخ محمد بن عثيمين (٩١/١٣-٩٥).

فأجاب رحمه الله تعالى ما ملخصه :

ج : «الصيد لهواً وعبثاً محرم؛ لما في ذلك من اللهو والغفلة عن ذكر الله، ولأن ذلك يوجب ضياع المال في غير فائدة، وقد صرح بعض العلماء بكراهته، ولكن قواعد الشريعة تقتضي تحريمه؛ لأن النبي ﷺ هُي عن إضاعة المال، ومطاردة الصيد لأجل صيده وتركه لا شك إنه من السفه وقد قال الله تعالى : ﴿وَلَا تُؤْثِرُوا السُّفَهَاءَ أَمْوَالَكُمُ الَّتِي جَعَلَ اللَّهُ لَكُمْ قِيَامًا﴾. [النساء : ٥] وأما صيد الصيد من أجل أن يتسلى بها الصغار فلا بأس بها...»^(١).

٤- عنايته بالتقاسيم :

ولقد اشتهر الشيخ رحمه الله تعالى بعنايته بتقسيم الجواب أو الفتيا أو المسألة إلى أقسام؛ والكلام على كل قسم تأصيلاً واستدلالاً، ومن ذلك : قوله في التسمية :

(تكون واجبة؛ في الوضوء. وتكون مستحبة؛ كالتسمية عند الأكل، على رأي الجمهور، وقال بعض العلماء : إنها واجبة وهو الصحيح، وتكون بدعة عند الأذان مثلاً، إذا أراد أن يؤذن قال : ﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾، وكذا عند الصلاة.

أما عند قراءة القرآن فتقرأ في أول السورة، وأما في أثناء السورة فقال بعض العلماء : يستحب أن يقول : بسم الله، ورد بعض العلماء هذا - وهو الصحيح - وقال إن الله لم يأمرنا عند قراءة القرآن إلا أن نقول : ﴿أَعُوذُ بِاللَّهِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ﴾ فإذا أردت أن تقرأ في أثناء السورة فلا تسمي.^(٢)

تقسيمه لخروج الناس للنزهة إلى ثلاثة أقسام :

(١) فتاوى وتوجيهات في الإجازة والرحلات ص ١١٠، جمع خالد أبو صالح.

(٢) الشرح الممتع (١/١٣٢-١٣٣).

قال رحمه الله تعالى :

(إن كثيراً من الناس في أيام أجازة الربيع يخرجون إلى البرّ للنزهة والأنس مع أصحابهم وإخوانهم، وهذا من الأمور المباحة، لكن ينقسم الناس في الخروج إلى ثلاثة أقسام :

١- قسم: يكتسبون به إثماً، فتجد عندهم من آلات اللهو موسيقى، أغاني، ألعاب محرمة، يحصل منها شرّ، ويكون ذلك وبالاً عليهم.

٢- وقسم: آخر يقضون هذا الوقت في اللغو واللهو، وإن لم يصل إلى درجة التحريم.

٣- والقسم الثالث : من يستعمله بالدعوة إلى الله، ويكون إذا بقي في مخيم يتلو كتاب الله، يقرأ في كتب التفسير، في كتب الحديث، ويتجول بين المخيمات للدعوة إلى الله عز وجل، والترغيب والترهيب، يهدي الله به بشراً كثيراً^(١).

تقسيمه للناس في كيفية قضاء الإجازة إلى خمسة أصناف :

الأول : من يذهب إلى العمرة وزيارة المسجد النبوي.

الثاني : من يخرج للنزهة.

الثالث : من يبقى في بلده.

الرابع : من يخرج في الدعوة إلى الله.

الخامس : من يخرج خارج البلاد للمتعة.^(٢)

(١) فتاوى وتوجيهات في الإجازة والرحلات. إعداد : خالد أبو صالح.

(٢) المصدر السابق، ص ١٧.

تقسيمه لحال المأموم مع الإمام إلى أربعة أقسام :

قال رحمه الله تعالى : (حال المأموم مع إمامه تنقسم إلى أربعة أقسام :

الأول : مسابقة.

الثاني : تخلف.

الثالث : موافقة.

الرابع : متابعة^(١).

وشرع الشيخ رحمه الله تعالى في بيانها بأدلتها.

تقسيم التأويل إلى قسمين :

قال رحمه الله تعالى : (والتأويل قسمان : صحيح مقبول، وفاسد مردود

١- فالصحيح : ما دلّ عليه دليل صحيح كتأويل قوله تعالى : ﴿وَأَسْأَلُ الْقَرْيَةَ﴾

إلى معنى : وأسأل أهل القرية؛ لأن القرية نفسها لا يمكن توجيه السؤال إليها.

٢- والفاسد : ما ليس عليه دليل صحيح كتأويل المعطلة قوله تعالى :

﴿الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى﴾ إلى معنى استولى والصواب أن معناه العُلُوّ

والاستقرار من غير تكيف ولا تمثيل^(٢).

ولا شك أن تقسيم مسائل العلم أقرب لفهمها، وأضبط لحفظها، وأسهل

لتذكرها، وهي طريقة كثير من المحققين من السلف والخلف.

(١) مجموع فتاوى ورسائل فضيلة الشيخ محمد بن عثيمين (١٢/٤٩٨).

(٢) الأصول من علم الأصول ص ٥٨، ط : م الرسالة ١٤١٨هـ.

٥- عنايته بالفروق :

كذا عُرف رحمه الله تعالى بعنايته بذكر الفروق في الألفاظ والكلمات أو الأحكام والمصطلحات، وهذا باب خطير جداً؛ إذا لم يتقنه طالب العلم؛ فإنه سيقع في خلطٍ عظيم واضطراب هائل لتفريقه بين المتماثلات، وتسويته بين المختلفات، كما حصل ويحصل ممن لم يتقن هذا الباب، وقد كتب فيه المتقدمون والمتأخرون، فمن المتقدمين القرافي رحمه الله تعالى في كتابه (الفروق) ومن المتأخرين شيخ المترجم العلامة السعدي رحمه الله تعالى في كتابه الذي سبقت الإشارة إليه (القواعد والأصول الجامعة والفروق والتقسيم البديعة النافعة) ولقد ورث المترجم من شيخه السعدي هذا الإرث العظيم، فقد كان بارعاً رحمه الله تعالى في هذا الباب.

ومن ذلك : الفرق بين مسح الرأس وغسله في الوضوء :

قال رحمه الله تعالى : «الفرق بين المسح والغسل أن المسح لا يحتاج إلى جريان، بل يكفي أن يغمس يده في الماء ثم يمسح بها رأسه مبلولة بالماء، وإنما أوجب الله في الرأس المسح دون الغسل، لأن الغسل يشق على الإنسان ولا سيما إذا كثر الشعر، وكان في أيام الشتاء، إذ لو غسل لنزل الماء على الجسم، ولأن الشعر يبقى مبتلاً مدة طويلة، وهذا يلحق الناس به العسر والمشقة، والله إنما يريد بعباده اليسر»^(١).

الفرق بين الفجر الأول والفجر الثاني.

قال رحمه الله تعالى : (ذكر العلماء أن بينهما ثلاثة فروق :

الأول : أن الفجر الأول ممتد لا معترض، أي ممتد طويلاً من الشرق إلى الغرب، والثاني معترض من الشمال إلى الجنوب.

(١) الشرح المتع (١/١٥٠).

الثاني : أن الفجر الأول يظلم، أي يكون هذا النور لمدة قصيرة ثم يظلم، والفجر الثاني لا يظلم، بل يزداد نوراً وإضاءة.

الثالث : أن الفجر الثاني متصل بالأفق ليس بينه وبين الأفق ظلمة، والفجر الأول منقطع عن الأفق بينه وبين الأفق ظلمة.^(١)
الفرق بين : الأداء، والإعادة، والقضاء.

قال رحمه الله تعالى :

(الأداء : ما فعل في وقته لأول مرة.

والإعادة : ما فعل في وقته مرة ثانية

والقضاء : ما فعل بعد وقته).^(٢)

الفرق بين الفاسد والباطل.

قال رحمه الله تعالى :

(والفاسد والباطل بمعنى واحد إلا في موضعين :

الأول : في الإحرام، فرقوا بينهما بأن الفاسد ما وطئ فيه المحرم قبل التحلل الأول، والباطل ما ارتد فيه عن الإسلام.

الثاني : في النكاح، فرقوا بينهما بأن الفاسد ما اختلف العلماء في فساده كالنكاح بلا ولي، والباطل ما أجمعوا على فساده، كنكاح المعتدة).^(٣)

(١) مجموع فتاوى ورسائل فضيلة الشيخ محمد بن عثيمين (٢٠٧/١٢).

(٢) الشرح الممتع (٧٣-٧٢/٢).

(٣) الأصول من علم الأصول ص ١٨، ط : ٧، م الرسالة ١٤١٨.

٦- عنايته بالقواعد الفقهية.

اعتنى الشيخ رحمه الله تعالى بإبراز القواعد الفقهية الكلية أو الأغلبية، وربط جزئيات المسائل بها، وتخرجها عليها؛ عناية كبيرة، لما في ذلك من الفائدة المرجوة للمتعلم.

فطالب العلم الذي يدرس المسائل بدون معرفة قاعدتها سرعان ما تأتيه مسألة أو مسائل لا يستظهر دليلها، ولا يعرف كيف يردّها إلى نظائرها أو إلى قاعدتها، فيأخذها الاضطراب ويعتريه الخلل، وقد تكون من أيسر المسائل.

لذلك كله كان الشيخ رحمه الله تعالى يكثر من إيراد القواعد الفقهية، ويطلب بها طلابه. وقد اشتغل رحمه الله تعالى باختصار قواعد ابن رجب رحمه الله تعالى، وله منظومة فريدة في القواعد والأصول.

ومما يذكره الشيخ من القواعد :

- ١- العبر في الأمور بمعانيها لا بصورها.^(١)
- ٢- يثبت تبعاً ما لا يثبت استقلالاً.^(٢)
- ٣- المشقة تجلب التيسير.^(٣)
- ٤- ما كان معفواً عنه شرعاً زال ضرره قدرأ.^(٤)
- ٥- ما كان تحريمه تحريم وسائل أباحته الحاجة.^(٥)

(١) الشرح المتع (٢٠٧/١).

(٢) المصدر السابق (٤٣٤/١).

(٣) المصدر السابق (٤٣٩/١).

(٤) المصدر السابق (٣٥٧/١).

(٥) المصدر السابق (٢١١/٢).

٦- الشارع لا يُفرّق بين متماثلين، كما أنه لا يجمع بين متفرّقين.^(١)

٧- المحرم لا تبيحه إلّا الضرورة.^(٢)

وذكر الشيخ محمد صالح المنجد عدة قواعد أخرى :

٨- البديل له حكم المبدل منه.

٩- عدم السبب المعين لا يقتضي سبب المعين.

١٠- اليقين لا يزول بالشك.

١١- الشيء في معدنه لا حكم له.

١٢- ما شك في وجوده فالأصل عدمه.

١٣- الفرع أضعف من الأصل.

١٤- كل ما وجب في العبادة فإن فواته مبطل لها.

١٥- القضاء يحكي الأداء.^(٣)

وذكر أحد تلاميذ الشيخ وهو الأخ خالد بن صالح النزال أنه قرأ على الشيخ هو وأحد الطلاب أكثر من مائة قاعدة فقهية، وهو يمشي، وهي مسجلة كاملة.^(٤)

وسأذكر عدداً من القواعد الفقهية والأصولية التي دونتها أثناء حضوري لدروس الشيخ رحمه الله تعالى في شرح بلوغ المرام، ومعها بعض الفوائد الأخرى، وذلك في حدود سنة ١٤٠٣هـ، وما بعدها.

(١) المصدر السابق (١/٢٠٧).

(٢) المصدر السابق (٢/٢١١).

(٣) محاضرة للمنجد بعنوان ١٠٠ فائدة من الإمام العلامة ابن عثيمين رحمه الله تعالى.

(٤) جريدة الرياض، العدد ١١٨٩٣.

فوائد وقواعد فقهية وأصولية متنوعة مما كتبت

خلف الشيخ من التعليقات على بلوغ المرام :

- ١- قاعدة : لازم قول العالم ليس قولاً له.
- ٢- قاعدة : لا يلزم من العدل المساواة.
- ٣- فائدة : اسم (الصمد) أجمع ما قيل فيه أنه الكامل في صفاته، المفتقر إليه جميع مخلوقاته.
- ٤- فائدة : الحصر في العدد يوجب تذكر المعداد.
- ٥- فائدة : التفصيل بعد الإجمال أشوق للسامع.
- ٦- سميت الدنيا دنيا لدنوها زمنياً ودنوها رتبة، لأنها دون الآخرة.
- ٧- قاعدة: العلة المنصوصة يلحق بها كل ما يشترك معها في الحكم.
- ٨- فائدة : الصحيح أن آخر وقت العشاء منتصف الليل، وينبغي على هذا : إذا طهرت الحائض بعد منتصف الليل فإنه لا يلزمها القضاء.
- ٩- فائدة : سجود الشكر، ذكر، يجوز بغير وضوء.
- ١٠- قاعدة : إذا جاء الخير بمعنى النهي فهو تأكيد له.
- ١١- قاعدة : والشك بعد الفعل لا يؤثر
وهكذا إذا الشكوك تكثر
- ١٢- قاعدة : وكل ما أتى ولم يحدّد بالشرع
كالحرز فبالعرف احدد

معنى القاعدة : أن ما جاء من الأمور ولم يحدّد شرعاً رجع فيه إلى العرف.

١٣- قاعدة : قال : قال شيخ الإسلام : (لا يوجد حكم متعلق بشخص، ولا تتعلق الأحكام إلا بالمعاني).

١٤- فوائد قرن الحكم بالعلة :

أ - بيان سمو الشريعة.

ب- طمأنينة القلب.

ج - شمول الحكم بوجود العلة.

١٥- قاعدة : كلّ شيء وُجد سببه في عهد الرسول ﷺ ولم يفعله؛.. ففعله غير مشروع؛ لأن فعله ﷺ سنة، وتركه سنة.

١٦- فائدة : على العابد أن :

أ - ينوي العبادة.

ب- ينوي الامتثال.

ج - ينوي نية المعمول له.

د - استحضار الاتباع.

١٧- فائدة : العَجَب نوعان :

- عجب إنكار.

- عجب استحسان.

١٨- قاعدة : إذا كانت العلة منصوبة فتخصص العموم، وإلا فلا.

١٩- قاعدة : إذا كان القيد أغلبياً فلا مفهوم له، مثاله قوله تعالى : ﴿وَرَبَّائِكُمْ اللَّائِي فِي حُجُورِكُمْ﴾.

٢٠- النهي عن الشيء يتعلّق بكّله وجزئه لأنه مفسدة، والأمر.. بالشيء يتعلّق بالشيء كله، فلا يحصل الامتثال إلا بكّله.

٢١- قاعدة : الشرط العربي المطرد كالشرط اللفظي.

٢٢- قاعدة : اذا اختلف العلماء على قولين مع عدم وجود دليل مرجح؛ فالأخذ يكون بالأيسر على الأمة.

٢٣- قاعدة لغوية : ابتداء الغاية داخل، وانتهاءها خارج، وهذه ليست قاعدة مطردة بل أغلبية، ويعرف ذلك بالقرينة.

٢٤- قاعدة : مباشرة الممنوع للتخلص منه جائز.

٢٥- قاعدة : لا يمكن لدليلين قطعيين أن يتعارضا.

٧- ميله لترجيحات شيخ الإسلام ابن تيمية، وتلميذه ابن القيم رحمهما الله تعالى، ومخالفته لهما فيما ترجح عنده خلافه.

قد سبق بيان أن الشيخ تأثر كثيراً بكتابات الشيخين، وكانت كتبهما له صبوراً وغبوقاً، وذلك لقوة استدلالهما، وثبات منهجهما.

ومع ذلك فإنه لم يكن مقلداً لشيخ الإسلام رحمه الله تعالى ولا لتلميذه، ولم يكن ظلاً لهما، بل كان يأخذ بما قويت فيه الحجة، وظهرت المحجة، ويكرّر كلمة ابن القيم رحمه الله تعالى : «شيخ الإسلام حبيب إلينا، والحق أحب إلينا من شيخ الإسلام».

ومن المسائل المشهورة التي وافق فيها شيخ الإسلام :

١- (مسألة إيقاع الطلاق الثلاث واحدة، وهو أيضاً مذهب شيخه العلامة

الإمام عبد العزيز بن باز رحمه الله تعالى).

٢- مسألة عدم تحديد مسافة القصر بمقدار معين، بل ما يطلق عليه السفر هو المبيح للقصر.

٣- مسألة عدم قبول توبة ساب الرسول عليه الصلاة والسلام.^(١)

٤- جواز عيادة أهل الذمة للمصلحة، كالدعوة إلى الإسلام.^(٢)

٥- مشروعية أخذ الجزية من كل كافر.^(٣)

ومع ذلك فقد خالف شيخ الإسلام في أمور ظهر له أن الدليل خلافها، وقد ذكر الأخ وليد الحسين عدداً من هذه المخالفات، أذكرها نقلاً عنه :

١- يرى شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله تعالى أن الجماعة شرط لصحة الصلاة، ويرى شيخنا ابن عثيمين رحمه الله تعالى أنها واجبة.

٢- يرى شيخ الإسلام أن المتمتع في الحج يكفيه سعي العمرة عن سعي الحج، ويرى شيخنا أن سعي العمرة لا يكفي عن سعي الحج.

٣- يرى شيخ الإسلام جواز سفر المرأة بلا محرم مع الأمن، ويرى شيخنا عدم جواز سفر المرأة بلا محرم مطلقاً.

٤- يرى شيخ الإسلام جواز الجمع بين الأختين من الرضاع، ويرى شيخنا التحريم.

٥- يرى شيخ الإسلام جواز دفع الزكاة في قضاء دين الميت الذي لم يخلف وفاء، ويرى شيخنا عدم الجواز.

(١) الشرح المتمتع (١٠٠/٨).

(٢) المصدر السابق (٨٦/٨).

(٣) المصدر السابق (٦٣/٨).

٦- يرى شيخ الإسلام جواز تغفير الوجه بالتراب تذلاً لله تعالى، ويرى شيخنا ضعف هذا القول؛ لأن الأصل في العبادات المنع والحظر، حتى يقوم دليل على المشروعية.

٧- يرى شيخ الإسلام أن للأُم الثلث مع الإخوة المحجوبين بالأب، ويرى شيخنا أن للأُم السدس، أي أن الإخوة يحجبونها حجب نقصان مع أنهم غير وارثين.

٨- يرى شيخ الإسلام جواز الزيادة بين الربوتين من جنس واحد في مقابلة الصنعة، ويرى شيخنا عدم الجواز للعمومات الدالة على أن الذهب بالذهب لا بد فيه من التساوي سواءً بسواء.

٩- يرى شيخ الإسلام أن المأموم تكفيه قراءة إمامه في الصلاة الجهرية وهو المذهب، ويرى شيخنا وجوب قراءة الفاتحة على المأموم في الجهرية.^(١) إ.هـ.

ومما لم يذكره :

١٠- مسألة الشراء ممن أكره على بيع الشيء، هل يشرع الشراء منه أو يحرم ؟

يرى شيخ الإسلام صحة الشراء، ويرى شيخنا التفصيل، فإذا كان ترك الشراء سيجعل المكروه يرجع عن إكراهه حرّم الشراء، وإلا جاز لأنه من باب الإحسان إليه.^(٢)

٨- سعة استنباطاته من الأدلة.

وقد اشتهر رحمه الله تعالى بسعة فقهه، وقوة استنباطاته من الأدلة، وغزارة الفوائد التي يستخرجها من الآية الواحدة.

(١) مجلة الحكمة، العدد الثاني ١٤١٤هـ.

(٢) الشرح الممتع (١٢٣/٨).

وقد ذكر الشيخ أنه استنبط من آية القصاص أكثر من إحدى وعشرين مسألة^(١) وذكر الشيخ سليمان الضحيان أن الشيخ استنبط منها (بضعاً وثمانين) فائدة^(٢) وسأكتفي هنا بذكر آية واحدة استنبط منها الشيخ ثلاثاً وثلاثين فائدة، ألا وهي آية الوضوء.

قال تعالى : ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا قُمْتُمْ إِلَى الصَّلَاةِ فَاغْسِلُوا وُجُوهَكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ إِلَى الْمَرَافِقِ وَامْسَحُوا بِرُءُوسِكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ إِلَى الْكَعْبَيْنِ وَإِنْ كُنْتُمْ جُنُباً فَاطَّهَّرُوا وَإِنْ كُنْتُمْ مَرْضَى أَوْ عَلَى سَفَرٍ أَوْ جَاءَ أَحَدٌ مِنْكُمْ مِنَ الْغَائِطِ أَوْ لَامَسْتُمُ النِّسَاءَ فَلَمْ تَجِدُوا مَاءً فَتَيَمَّمُوا صَعِيداً طَيِّباً فَامْسَحُوا بِوُجُوهِكُمْ وَأَيْدِيكُمْ مِنْهُ، مَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيَجْعَلَ عَلَيْكُمْ مِنْ حَرَجٍ وَلَكِنْ يُرِيدُ لِيُطَهَّرَكُمْ وَلِيُتِمَّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾. [المائدة : ٦].

قال الشيخ رحمه الله تعالى : «يؤخذ من هذه الآية الكريمة عدة فوائد :

أولاً : أهمية الطهارة من الحديثين الأكبر والأصغر بقسميها : المائة والترابية، ونأخذ الأهمية من أن الله صَدَّرَ الخطاب عنها بالنداء.

ثانياً : أن الوضوء من مقتضيات الإيمان، لأن الخطاب به صَدَّرَ بـ ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا﴾ وأن الإخلال به نقص في الإيمان.

ثالثاً : عناية الله سبحانه وتعالى بالصلاة؛ حيث فرض علينا أن نتطهر إذا قمنا إليها، فغيرها من العبادات لا يشترط له الطهارة، ولم يجمع العلماء على أن شيئاً من العبادات تشترط له الطهارة إلا الصلاة، وما عداها ففيه خلاف.

(١) الدعوة، العدد ١٧٧٦.

(٢) مجلة المعرفة، العدد ٦٩.

فمثلاً : الطواف بالبيت جمهور أهل العلم على أنه يشترط له الطهارة، وذهب بعض العلماء ومنهم شيخ الإسلام ابن تيمية إلى أنه لا يشترط له الطهارة.

مس المصحف : جمهور العلماء أو أكثرهم على أنه لا يجوز إلا بطهارة، وذهب بعض العلماء ومنهم الشوكاني إلى أنه لا يشترط له الطهارة، وأظن أهل الظاهر كذلك.

رابعاً : من فوائد الآية وجوب الطهارة لصلاة الجنازة، لقوله : ﴿إِذَا قُمْتُمْ إِلَى الصَّلَاةِ﴾. والصلاة على الجنازة صلاة، كما تدل على ذلك الأحاديث الكثيرة عن النبي ﷺ مثل قوله ﷺ : «من شهد الجنازة حتى يُصلي عليها فله قيراط» وقال : «صلوا على صاحبكم» ودفن شهداء أحد، ولم يصلّ عليهم.

وهي أحاديث لا تُحصر، تطلق الصلاة على هذا الدعاء المخصوص على الميت، وعلى هذا فالصلاة على الجنازة لا بد فيها من طهارة.

بقي عندنا سجود التلاوة، وسجود الشكر إن قلنا إنهما صلاة اشترط لهما الطهارة، فمن قال، إنهما يبدآن بالتكبير ويختتمان بالتسليم قال : إنهما صلاة، وتجب لهما الطهارة، ومن قال : لا يبدآن بالتكبير، ولا يُختتمان بالتسليم قال : لا يُشترط لهما الطهارة.

خامساً : من فوائد الآية الكريمة وجوب غسل الوجه في الوضوء، وتأخذ من قوله : ﴿فَاغْسِلُوا وُجُوهَكُمْ﴾ والأصل في الأمر الوجوب.

سادساً : ومن فوائد الآية الكريمة تحريم مسح الوجه لقوله : ﴿اغْسِلُوا﴾ وقوله في الرأس : ﴿وَأَمْسَحُوا﴾ ففرّق الله تعالى بين الغسيل والمسح.

سابعاً : من فوائد الآية أنه يجب في الوضوء إزالة ما يمنع وصول الماء لأنه لو كان على العضو مانع يمنع الماء لم يصدق عليه أنه غسله، ولهذا يجب على الذين

يمارسون الشغل في «البوية» أن يلاحظوا ذلك، لأن «البوية» تمنع وصول الماء فإذا منعت وصول الماء لم تصح الطهارة.

ثامناً : من فوائد الآية الكريمة شرف الوجه، لأن الله بدأ به.

تاسعاً : من فوائد الآية الكريمة أنه لا يجب غسل الكفين قبل غسل الوجه: يعني لو أن الإنسان توضأ، وبدأ بغسل وجهه دون أن يغسل كفيه، فوضوؤه صحيح، ما وجه الدلالة من الآية ؟

لأن الله لم يذكر ذلك، ولو كان واجباً لذكره الله عز وجل، لكن غسل الكفين في مقدمة الوضوء سنة، فعله النبي ﷺ.

عاشراً : من فوائد الآية الكريمة وجوب المضمضة والاستنشاق، وتؤخذ من قوله : «اغسلوا وجوهكم» لأن الأنف والفم داخلان في مسمى الوجه، وعلى هذا فتجب المضمضة والاستنشاق.

المضمضة هي : إدارة الماء بالفم، والاستنشاق هو : سحب الماء إلى داخل الأنف، وقد أمر النبي ﷺ بالمبالغة في الاستنشاق إلا أن يكون الإنسان صائماً.

الحادية عشرة : من فوائد الآية الكريمة وجوب غسل اليدين إلى المرفقين لقوله تعالى : «وَأَيْدِيَكُمْ إِلَى الْمَرَافِقِ» ولكن هل تدل الآية على أن الإنسان يبدأ بغسل يده من أطراف الأصابع إلى المرفقين ؟

الجواب : قال بعض العلماء : إن في الآية دليلاً على أنه ينبغي أن تغسل اليد من أطراف الأصابع ماراً بها إلى المرفق.

الثانية عشرة : ومن فوائدها وجوب مسح الرأس لقوله : «وَأَمْسَحُوا بِرُءُوسِكُمْ» وأن المسح يجب تعميم الرأس به، لقوله : «بِرُءُوسِكُمْ» ولم يقل: ببعض رؤوسكم.

مسألة : لو غسل الإنسان الرأس بدل مسحه، هل يجزئه ؟

الجواب : هذا ينبغي على تقييد النص بالعلة، نحن نعلم أن الحكمة في مسح الرأس هو التخفيف عن الأمة، لأن الرأس لو غسل والغالب أن فيه شعراً تأذى الإنسان منه، ولا سيما أيام الشتاء، قال بعض العلماء : إنه يجزئه غسله بدلاً عن مسحه، وقال بعض العلماء : إن الغسل لا يجزئ، لماذا ؟

الجواب : لأنه خلاف أمر الله، وقد قال النبي ﷺ : «من عمل عملاً ليس عليه أمرنا فهو ردٌّ» إذاً فلا يجزئ الغسل بدلاً عن المسح.

وقال آخرون : يجزئ الغسل إن أمرٌ يده على الرأس لأنه أتى بالمسح وزيادة، وهذا القول أرجح، ومع ذلك فإننا نقول إن هذا خلاف الأولى وأن الأولى أن يمسح الإنسان رأسه كما أمر الله به.

الثالثة عشرة : من فوائد الآية الكريمة وجوب مسح الأذنين لأن الأذنين من الرأس، وعنى هذا فتكون الآية دالة على وجوب مسح الأذنين لأتهما من الرأس.

الرابعة عشرة : من فوائد الآية الكريمة وجوب غسل الرجلين إلى الكعبين، لقوله : ﴿وَأَرْجُلُكُمْ إِلَى الْكَعْبَيْنِ﴾.

الخامسة عشرة : من فوائدها جواز المسح على الخفين والجوربين على قراءة : ﴿وَأَرْجُلُكُمْ﴾ بالكسر.

السادسة عشرة : من فوائدها وجوب الترتيب بين الأعضاء الأربعة، فنبداً بالوجه، ثم اليدين إلى المرفقين، ثم الرأس، ثم الرجلين، ويؤخذ من أن الله بدأ بها مرتبة، ولأن الله عز وجل أدخل ممسوحاً بين المغسولات، والبلاغة تقتضي أن تذكر

المغسولات وحدها والمسح وحده إلا لسبب، ولا نعلم لذلك سبباً إلا مراعاة الترتيب، وعلى هذا فيكون في الآية دلالة على الترتيب من وجهين.

الوجه الأول : أن الله ذكرها مرتبة، والنبي ﷺ حين أقبل على الصفا ليسعى قرأ : ﴿إِنَّ الصَّفَا وَالْمَرْوَةَ مِنْ شَعَائِرِ اللَّهِ﴾ ثم قال : «أبدأ بما بدأ الله به» وفي رواية للنسائي «أبدوا بما بدأ الله به» بصيغة الأمر.

الوجه الثاني من الدلالة على الترتيب : أن الله تعالى أدخل المسح بين المغسولات ولا نرى لذلك فائدة إلا مراعاة الترتيب.

السابعة عشرة : من فوائد الآية الكريمة أنه لا يجب الترتيب بين اليمنى واليسرى، وأنه لو قدم اليسرى على اليمنى أجزاء، ويؤخذ من أنه قال : ﴿وَأَيَّدِيكُمْ إِلَى الْمَرَافِقِ﴾ ولم يقل واليد اليمنى، ثم اليد اليسرى، وقال : ﴿وَأَرْجُلَكُمْ إِلَى الْكَعْبَيْنِ﴾ ولم يقل اليمنى قبل اليسرى ولكن مع ذلك التيامن أفضل، قالت عائشة رضي الله عنها : «كان النبي ﷺ يعجبه التيامن في تنعله وترجله وطهوره وفي شأنه كله».

الثامنة عشرة : من فوائد الآية الكريمة وجوب الموالاة، يعني ألا تؤخر غسل عضو عن الذي بعده بزمان كبير تنقطع به الموالاة، لأنها ذكرت متواليه، وهي واقعة في جواب الشرط. والشرط ﴿إِذَا قُمْتُمْ﴾ وجواب الشرط ﴿فَاغْسِلُوا﴾ ومعلوم أن جواب الشرط يلي المشروط، فإذا كان جواب الشرط يلي المشروط، وقد ذكرت الأعضاء مرتبة دل على ذلك أنه لا بد من الموالاة، وقد جاءت السنة بذلك، وأن الرجل لو أخر غسل عضو عن الذي قبله بزمان كثير يعد منفصلاً وجب عليه الإعادة.

التاسعة عشرة : وفي الآية الكريمة جواز المسح على الخفين، وكذلك على الجوربين، وقد سبق الفرق بين الخفين والجوربين : وأن الخفين من جلود وشبهها،

والجوربان تكون من الصوف والقطن والكتان وما أشبه ذلك، وتسمى الجوارب عند الناس «الشُرَاب» وعلى هذا فيجوز المسح على الخفين أو الجوارب بدلالة القرآن في هذه الآية، كما أن السنة متواترة به، فقد تواتر عن النبي ﷺ أنه مسح على الخفين، وجاء فيه عن النبي ﷺ وعن الصحابة نحو أربعين حديثاً.

وقد قال الناظم :

مما تواتر حديث مَنْ كَذَبَ ومن بنى لله بيتاً واحتسب
ورؤية شفاعته والحوض ومسح خفين وهذي بعض

وهنا نتكلم بعض الشيء عن المسح على الخفين فنقول : يشترط لجواز المسح على الخفين :

- أن يتقدم لبسهما طهارة، ودليل ذلك حديث المغيرة بن شعبة رضي الله عنه، قال : كنت مع النبي ﷺ في سفر فتوضأ، فأهويت لأتزرع خفيه، فقال : «دعهما، فإنني أدخلتهما طاهرتين»، فلو أن أحداً لبسهما على غير طهارة للتدفئة، ونسي فمسح عليهما، وصلى، هل وضوءه صحيح وصلاته ؟

الجواب : ليس وضوءه صحيحاً ولا صلاته كذلك؛ لأنه لم يطهر رجلاه الطهارة الواجبة، وهذا ليس من باب فعل المحذور، ولكنه من باب ترك المأمور، وفي حديث المغيرة دليل على أن من كان عليه خفٌ فإن مسحهما أفضل من الغسل، ويؤخذ من قوله «دعهما». فلو سألنا سائل: أيهما أفضل: المسح على الخفين أو غسل الرجلين؟

الجواب : قلنا : الأفضل لمن كان لابساً للخفين المسح ومن لم يلبس الخفين فالغسل، ثانياً : من شروط جواز المسح على الخفين أن يكون في المدة المحددة، وهي يومٌ وليلة للمقيم، وثلاثة أيام بلياليها للمسافر، دليل ذلك حديث علي رضي الله عنه

قال: «جعل النبي ﷺ ثلاثة أيام ولياليها للمسافر، ويوماً وليلة للمقيم يعني للمسح على الخفين».

وحديث صفوان بن عسال رضي الله عنه، قال: «كان رسول الله ﷺ يأمرنا إذا كنا سفراً ألا ننزع خفافنا ثلاثة أيام ولياليهن إلا من جنابة، ولكن من غائط وبول ونوم».

متى تبدأ هذه المدة؟

الجواب: قيل وهو قول شاذ، تبدأ من اللبس، وقيل: تبدأ من الحدث بعد اللبس، وقيل: تبدأ من المسح بعد الحدث.

والقول الراجح أنها تبدأ من المسح، لأن النبي ﷺ قال: «يمسح» بعد الحدث. ولا يتحقق المسح إلا بوجوده فعلاً، فابتداء المدة إذاً من أول مرة مسح بعد الحدث، ثم عدّ أربعاً وعشرين ساعة بعد المسح إذا كنت مقيماً، واثنين وسبعين ساعة بعد المسح إذا كنت مسافراً، ومن شروط المسح على الخفين أن يكون المسح في الحدث الأصغر، أما في الجنابة فلا مسح، ودليل ذلك حديث صفوان المتقدم وفيه «إلا من جنابة، ولكن من غائط وبول ونوم». فإذا حصل للإنسان جنابة، وعليه خفان فإن الواجب عليه أن يخلعهما ليغسل رجليه؛ لأن طهارة الجنابة أغلظ من طهارة الحدث الأصغر، ولهذا يحرم على من عليه جنابة ما لا يحرم على من كان عليه حدث أصغر.

وإذا تمت المدة فهل ينتقض الوضوء؟

الجواب: الصحيح أنه لا ينتقض وضوؤه، وأن وضوءه باقٍ ولو تمت المدة، لكن لا يمسح بعد تمام المدة. ووجه كون ذلك هو القول الصحيح أن النبي ﷺ إنما

وقت المسح، ولم يوقت الطهارة، ما قال الطهارة يوم وليلة، فإذا أتم اليوم واللييلة فإن مقتضى ذلك ألا أمسح، وليس مقتضاه أن يبطل وضوئي، هذا وجه.

الوجه الثاني أن هذا الذي مسح قبل تمام المدة بنصف ساعة، ثم تمت المدة وهو ماسح، قد صح وضوؤه بمقتضى دليل شرعي، وما صح بمقتضى دليل شرعي فإنه لا يمكن إفساده إلا بدليل شرعي، وليس لمن قال : إنه ينتقض بتمام المدة دليل شرعي يدل على ذلك.

لو أن الرجل خلع الجورب الذي مسحه، أو الخف، فهل تنتقض طهارته ؟

الجواب : فيه خلاف، لكن الصحيح أن طهارته لا تنتقض، كيف ذلك ؟

الجواب : لأننا نقول هذا الرجل الذي مسح على الجورب أو الخف صحت طهارته، لأن المدة ما زالت باقية، فإذا خلع الخف فإننا نقول : ما دامت طهارته قد صحت بمقتضى دليل شرعي فإننا لا ننقضه إلا بدليل شرعي.

وأين الدليل على أن خلع الخف ناقض للوضوء ؟ ليس هناك دليل.

وأيضاً : لو أن رجلاً توضأ وعليه شعر كثير على رأسه ومسحه، ثم بعد أن أتم وضوءه حلقه، فزال الممسوح، فهل ينتقض وضوءه ؟

الجواب : لا ينتقض، حتى على قول من يقول إن الوضوء ينتقض بخلع الخف، وعلى هذا إذا خلع خفه فإن طهارته باقية، لا تنتقض، ولكن لا يمكن أن يعيد الخف مرة أخرى إلا بعد أن يتوضأ ويغسل رجليه.

العشرون : من فوائد الآية الكريمة : جواز التيمم، بل وجوبه عند عدم الماء أو عند الضرر باستعماله، ودليل ذلك قوله تعالى : ﴿وَإِنْ كُنْتُمْ مَرَضَىٰ أَوْ عَلَىٰ سَفَرٍ

أَوْ جَاءَ أَحَدٌ مِنْكُم مِّنَ الْغَائِطِ أَوْ لَامَسْتُمُ النِّسَاءَ فَلَمْ تَجِدُوا مَاءً فَتَيَمَّمُوا صَعِيدًا طَيِّبًا فَامْسَحُوا بِوُجُوهِكُمْ وَأَيْدِيكُمْ مِنْهُ».

الحادية والعشرون : من فوائد الآية أن التيمم يكون في الحدث الأكبر والأصغر لقوله: «أَوْ جَاءَ أَحَدٌ مِنْكُم مِّنَ الْغَائِطِ أَوْ لَامَسْتُمُ النِّسَاءَ» على التفسير الصحيح لقوله «أَوْ لَامَسْتُمُ» بأنه الجماع.

الثانية والعشرون : من فوائد الآية الكريمة : أن الغائط ناقض للوضوء، ويؤخذ من قوله : «أَوْ جَاءَ أَحَدٌ مِنْكُم مِّنَ الْغَائِطِ...».

وهل مثله البول ؟ نعم مثله، لأنه خارج من السبيل.

وهل مثله الريح ؟ نعم لأنه خارج من السبيل، وقد ثبت عن النبي ﷺ أنه قال : «إذا وجد أحدكم في بطنه شيئاً فأشكلك عليه : أخرج منه شيء أم لا ؟ فلا يخرُجَنَّ من المسجد حتَّى يسمع صوتاً، أو يجد ريحاً».

وهذا دليل على أن الريح ناقض للوضوء.

لو خرَّج من السبيلين دُم، ليس بولاً ولا غائطاً ولا ريحاً ولكنه دُم، مثل لو كان في الإنسان بواسير، أو تنحرج المثانة فيخرج الدم، هل ينتقض الوضوء أم لا ؟

الجواب : نعم، ينتقض الوضوء، ولهذا نقول: كل خارج من السبيلين فإنه ناقض للوضوء سواء كان بولاً أو غائطاً أو دماً أو ماءً أو مذيّاً، أمّا المني فإنه يوجب الغسل.

الثالثة والعشرون : من فوائد الآية الكريمة : جواز التيمم على كل أجزاء الأرض لقوله : «فَتَيَمَّمُوا صَعِيدًا طَيِّبًا» فيجوز التيمم على الأرض سواء كانت رملية أو طينية أو ذات تراب - غبار - أو ليس لها غبار، لأن الله تعالى لم يفصل.

ولأن النبي ﷺ وأصحابه كانوا يسافرون، ويمرّون بالأراضي الرملية والترابية ويتيممون، وهذا دليل على أنه يجوز التيمم بكل ما كان على وجه الأرض، هذا إذا كان من التراب، يعني من أصل الأرض كالأحجار والأتربة، وما أشبه ذلك.

فإذا كانت فرشاً فهل يتيمم عليها الإنسان ؟

الصحيح أنه لا يتيمم عليها إلا إذا عدم مكاناً من الأرض وكان عنده فرش وفيها غبار فحينئذ يتيمم عليها.

الرابعة والعشرون : من فوائد الآية الكريمة : أنه يشترط للتراب التيمّم به أن يكون طاهراً لقوله : ﴿فَتَيَمَّمُوا صَعِيداً طَيِّباً﴾.

الخامسة والعشرون : من فوائده : تساوي الطهارتين في التيمم طهارة الحدث الأصغر والحدث الأكبر لقوله تعالى : ﴿أَوْ جَاءَ أَحَدٌ مِنْكُمْ مِنَ الْغَائِطِ أَوْ لَامَسْتُمُ النِّسَاءَ فَلَمْ تَجِدُوا مَاءً فَتَيَمَّمُوا صَعِيداً طَيِّباً فَامْسَحُوا بِوُجُوْهِكُمْ وَأَيْدِيكُمْ مِنْهُ﴾، بينما الأعضاء المغسولة في طهارة الماء تختلف : ففي الجنابة يغسل جميع البدن، وفي الوضوء لا يغسل إلا الأعضاء الأربعة، أما التيمم فإن الطهارتين فيه على حد سواء، والفرق ظاهر؛ لأن المقصود بالتيمم إظهار التعبد لله؛ حيث إن الإنسان يمسح أشرف أعضائه بهذا التراب، وهذا لا يختلف فيه الموجب للغسل والموجب للوضوء، فإن التعبد حاصل بخلاف الطهارة بالماء، فإن فيها تنظيهاً، فلذلك خصت الأعضاء الأربعة بالوضوء، وجميع البدن بالغسل.

السادسة والعشرون : من فوائد الآية الكريمة : وجوب مسح الوجه بالتيمم، ويؤخذ من قوله : ﴿فَامْسَحُوا بِوُجُوْهِكُمْ وَأَيْدِيكُمْ مِنْهُ﴾.

فلو أن رجلاً هبّت عاصفة أمامه وليس عنده ماء، وهو ممن جاز له التيمم،

فاستقبلها بوجهه حتى امتلأ وجهه، واستقبلها بيديه حتى امتلأت غباراً، فهذا لا يجزئه لأنه ليس فيه مسح، والله عز وجل أوجب المسح.

السابعة والعشرون : من فوائد الآية الكريمة : أن التيمم مطهر، لقوله : ﴿وَلَكِنْ يُرِيدُ لِيُطَهَّرَكُمْ﴾ وقد جاءت السنة أيضاً بما جاء به القرآن، وهو أن التيمم مطهر مثل قوله ﷺ : «جعلت لي الأرض مسجداً وطهوراً» متفق عليه، عن جابر رضي الله عنه.

وبناءً على ذلك : لو تيمم الإنسان لصلاة الفجر وبقي على طهارته إلى صلاة الظهر هل يصلي بالتيمم صلاة الظهر ؟

الجواب : نعم، يصلي صلاة الظهر وإن بقي على طهارته إلى العصر صلى العصر، وإن بقي على طهارته إلى المغرب صلى المغرب، وإن بقي إلى العشاء صلى العشاء، لأن هذا التيمم طهارة بمقتضى دلالة القرآن والسنة، والطهارة إذا ثبتت بدليل شرعي فلا ترتفع إلا بدليل على أن التيمم يبطل بخروج الوقت، وعلى هذا فما دمت على طهارتك فإنك تبقى على طهارتك ولا تيمم.

وهذا القول : إن التيمم رافع للحدث هو القول الصحيح وهو اختيار شيخ الإسلام ابن تيمية، وجماعة من المحققين، لكن رفعه للحدث رفع مؤقت إذا وجد الماء، أو زال المانع من استعمال الماء وجب عليه أن يتوضأ إن كان تيممه عن حدث أكبر، ودليل ذلك ما ثبت في صحيح البخاري من حديث عمران بن حصين في قصة نقص الماء عليهم، وأخذهم المزايدة من المرأة المشركة، وتوضئهم منها.

وكان هناك رجل لما فرغ النبي ﷺ من صلاته رآه معتزلاً، فقال له النبي ﷺ : «ما منعك أن تصلي معنا؟» فقال يا رسول الله أصابني جنابة ولا ماء، فقال له

النبي ﷺ : «عليك بالصعيد فإنه يكفيك» أي : يكفيك عن الماء، وهذه الجملة دليل على أن التيمم رافع للحدث لأن الماء رافع للحدث، ثم جلس الرجل، فلما جيء بالماء وارتوى الناس، واستقوا، وبقي بقية، قال النبي ﷺ للرجل : «خذ هذا فأفرغه على نفسك».

فقوله : «خذ هذا فأفرغه» يدل على أن التيمم رافع للحدث عنه رفعاً مؤقتاً حتى يجد الماء، فإذا وجده وجب استعماله.

وكذلك قوله ﷺ في حديث أبي هريرة رضي الله عنه : «الصعيد وضوء المسلم، وإن لم يجد الماء عشر سنين، فإذا وجد الماء فليتق الله، وليمسحه بشرته».

الثامنة والعشرون : من فوائد الآية الكريمة : إثبات الإرادة لله في المعنى الشرعي، لقوله : ﴿مَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيَجْعَلَ عَلَيْكُمْ مِنْ حَرَجٍ وَلَكِنْ يُرِيدُ لِيُطَهِّرَكُمْ﴾.
التاسعة والعشرون : من فوائد الآية الكريمة : أن الحرج منفي شرعاً.

ولهذا يقول العلماء : كلما وجدت المشقة وجد التيسير، وبعضهم يعبر بعبارة أخرى، فيقول : المشقة تجلب التيسير، وهذا صحيح، قال النبي ﷺ لعمران بن حصين : «صل قائماً، فإن لم تستطع فقاعداً، فإن لم تستطع فعلى جنب» وهذا تيسير لوجود المشقة.

وقال ابن عباس رضي الله عنهما : جمع النبي ﷺ بين الظهر والعصر، وبين المغرب والعشاء في المدينة، من غير خوف ولا مطر، قالوا : ما أراد بذلك ؟ قال : أراد أن لا يخرج أمته. أي : لا يشق عليها.

وصلى النبي ﷺ بأصحابه في رمضان ثلاث ليالٍ، ثم ترك ذلك في الليلة الرابعة أو الثالثة، ثم قال : «إني خشيت أن تفرض عليكم، فتعجزوا عنها».

وقال ﷺ: «لولا أن أشق على أمتي لأمرهم بالسواك عند كل صلاة» وقال حين تأخر في صلاة العشاء إلى ثلث الليل: «إن هذا لوقتها، لولا أن أشق على أمتي».

والنصوص في هذا كثيرة، كلها تدلّ على أن هذا الدين ليس فيه حرج ولا مشقة، لا في أصل العبادات، ولا فيما إذا وجد طارئ يقتضي التخفيف، فالصوم مثلاً إذا سافر الإنسان فإنه يفطر، وإذا كان مريضاً فإنه يفطر، لأن الصوم قد يشق عليه.

الثلاثون : ومن فوائد الآية الكريمة : أنه لا يجوز أن يمسه القرآن رجلٌ بغير وضوء، ويؤخذ من قوله : «وَلَكِنْ يُرِيدُ لِيُطَهَّرَكُمْ» وقد قال النبي ﷺ: «لا يمسه القرآن إلا طاهر» فإذا قرنت الحديث بالآية عرفت أن معنى الطاهر هو الذي توضع أو تطهر بالماء أو بالتيمم، وعلى هذا فلا يجوز أن يمسه المصحف إلا طاهر، وقد قال بعض العلماء : إنه يجوز لغير الطاهر أن يمسه القرآن، يعني لغير المتوضئ، وقالوا : إن قوله ﷺ : «لا يمسه القرآن إلا طاهر» أي إلا مؤمن.

واستدلوا لقولهم بقول النبي ﷺ : «إن المؤمن لا ينجس» وبقوله تعالى : «إِنَّمَا الْمُشْرِكُونَ نَجَسٌ»، فقالوا : المراد بالطاهر أي المؤمن، أي لا يمسه القرآن إلا مؤمن، سواء كان متوضئاً أم غير متوضئ، ولكن هذا ليس بصواب، لأننا ما عهدنا أن النبي ﷺ يعبر عن المؤمن بالطاهر، وإنما يعبر عن المؤمن بالإيمان، ألم تر إلى قوله تعالى : «إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ» ولم يقل: إنما الطاهرون، [كان شيخنا - رحمه الله - يرى عدم اشتراط الطهارة لمس المصحف لكن ترجح عنده أخيراً أنه يُشترط].

الحادية والثلاثون : من فوائد الآية : أن الشرع من تمام النعمة، لقوله : «وَلِيْتِمَّ نِعْمَتُهُ عَلَيْكُمْ» ويدلّ على أن الشرع من تمام النعمة قوله تعالى : «الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ

لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتَمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا﴾ ولا شك أن أكبر نعمة ينعمها الله على العباد أن يشرع لهم ديناً يوصلهم إليه، ففتح الطريق الشرعي الموصل إلى الجنة، لا شك أنه إحسان، ولا طريق يوصل إلى الجنة إلا التمسك بشريعة الله عز وجل، فإن الله عز وجل قد سدّ جميع الطرق إلا الطريق الذي جاء به النبي ﷺ.

الثانية والثلاثون : وجوب الشكر لله، لقوله : ﴿لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾.

الثالثة والثلاثون : من فوائدها: إثبات الحكمة في أفعال الله عز وجل وشرعه، لقوله : ﴿وَلَكِنْ يُرِيدُ لِيُطَهِّرَكُمْ وَلِيُتِمَّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾.^(١)

٩- تناوله للمسائل المعاصرة :

يُعد شيخنا ابن عثيمين رحمه الله تعالى ممن جمع بين أصالة السلف من جهة الإحاطة بالأدلة وطرق الاستدلال، والتمكن في الآلات، وأدوات الاجتهاد، وبين الإلمام بواقع الناس وقضاياهم، أو ما أطلق عليه حديثاً «فقه الواقع».

فنتج عن هذين الأمرين أمور، منها :

- أ - تقريب الشيخ لفقه السلف، وخاصة المسائل الكبار، وبعض المسائل التي يعنى طلاب العلم في فهمها، ومعرفة معانيها، والموجودة في كتب الأئمة المتقدمين، كالمغني والمبسوط والمجموع، أو كتب المتن، كالزاد ونحوه.
- ب- إفتاء الشيخ وبيان رأيه في عدد من القضايا العصرية الحادثة، سواء كانت صغيرة أم كبيرة.

(١) مجلة الدعوة، العدد ١٧٥٨، بقلم الشيخ : مساعد السلطان.

مثل :

- ١- أحكام التأمين.
- ٢- حكم البطاقة الائتمانية والتخفيضية.
- ٣- حكم الجمعيات التعاونية.
- ٤- حكم التعامل بالشيكات في بيع الذهب.
- ٥- الصلاة خلف المذيع.
- ٦- التعامل من خلال الإنترنت.
- ٧- حكم العدسات اللاصقة.
- ٨- استخدام الميكروفون في الأذان والصلاة.
- ٩- غسيل الملابس بالبخار في المغاسل الآلية.
- ١٠- لبس الرجال للسلاسل.
- ١١- حكم الأسنان الذهبية.
- ١٢- تكرير الماء المتلوث بالنجاسات، واستعماله في السقي والطهارة.
- ١٣- أحكام الصلاة في الطائرة، والطهارة فيها.
- ١٤- حكم التطيب بالكولونيا، والصلاة مع ذلك.
- ١٥- حكم الزواج بنية الطلاق.
- ١٦- حكم لبس الساعة المطلية بالذهب.
- ١٧- حكم حجز مكان في المسجد الحرام لشخص معين.
- ١٨- حكم الصلاة خلف الدفايات الكهربائية.

- ١٩- حكم وضع مدخنة البخور أمام المصلين في المسجد.
 ٢٠- حكم تحديد القبلة بالبوصلة.
 ٢١- حكم لبس المرأة للبنطلون أمام النساء أو المحارم.
 ٢٢- حكم ما يعرف بالعباءة الفرنسية.
 ٢٣- حكم المسح على الغترة، والشماع، وحمار الرأس.
 ٢٤- حكم الصلاة في الدور الثاني في المسجد الحرام مع وجود مكان في الدور الأول.

- ٢٥- كيف نعين الصف الأول في المسجد الحرام.
 ٢٦- حكم اقتناء الدش وإدخاله على الأولاد.
 ٢٧- حكم من يلبس نظارات كبيرة لا تمكنه من السجود.
 ٢٨- حكم المصافحة بعد الصلاة، وقول (تَقَبَّلَ اللهُ).
 ٢٩- حكم دفع الزكاة للمجاهدين في أفغانستان والشيشان.
 ٣٠- حكم إدخال علب السجائر إلى المصلي.
 ٣١- حكم بيع المراجعة.
 ٣٢- حكم المصافحة خلف النساء في المسجد الحرام أو معهن.
 ٣٣- حكم الصلاة بالبنطال.
 ٣٤- حكم الصلاة خلف شارب الدخان.
 ٣٥- حكم الرطوبات الخارجة من فرج المرأة.
 ٣٦- حكم الصلاة خلف التلفاز دون رؤية الإمام.

- ٣٧- حكم قصر الصلاة للمبتعثين.
- ٣٨- كيف يفعل المصاب بالربو في الوضوء والصلاة.
- ٣٩- حكم القبول في البانيو أثناء الاستحمام.
- ٤٠- إمام يقرأ الفاتحة باللغة الإنجليزية، فما حكم صلاة من خلفه.
- ٤١- حكم بنوك الحليب الذي يشتري من الأمهات الحوامل.
- فهذه إحدى وأربعون مسألة من المسائل المعاصرة أجاب عنها الشيخ، وغيرها كثير. انظرها مع الإجابة عليها في مجموع فتاوى ورسائل فضيلة الشيخ محمد بن عثيمين، جمع الأخ فهد السليمان، أما المسائل الثلاث الأخيرة فهي من أسئلة المنجد للشيخ، ذكرها في محاضراته عن الشيخ بعنوان «١٠٠ فائدة من الإمام ابن عثيمين رحمه الله تعالى».
- وذكر الكثير غيرها من المسائل المعاصرة، فانظرها هناك.
- يقول الشيخ الفقيه عبد الله الركبان :

«يتميز فضيلة الشيخ محمد العثيمين بالعمق العلمي، وسعة الأفق، ودقة النظر، واستيعاب المتغيرات التي وجدت في هذا العصر، وتزيل الوقائع الجديدة على القواعد الشرعية»^(١).

سمات البحث الفقهي لدى الشيخ :

في هذه الأسطر أذكر سمات البحث الفقهي لدى الشيخ بصفة إجمالية ليكون ذلك نهماً لطالب الهدى والرشاد سائلاً المولى التوفيق والسداد.

(١) مجلة الدعوة، العدد ١٧٧٨.

- ١- البعد عن الهوى.
- ٢- التجرد الموضوعي في البحث.
- ٣- الأدب في المناظرة.
- ٤- العدل مع المخالف.
- ٥- رسوخ وسائل البحث عنده.
- ٦- التحرير الدقيق للمسائل.
- ٧- تحديد المصطلحات.
- ٨- ثبات المنهج البحثي واطراده.
- ٩- استحضار القواعد الأصولية العامة.
- ١٠- استحضار القواعد الفقهية الكلية.
- ١١- الانضباط في القياس.
- ١٢- الاستقامة في تفريع المسائل.
- ١٣- مناقشة القول المرجوح وأدلته بعناية.
- ١٤- رجوعه عن قوله إذا تبين له الصواب.
- ١٥- توقفه عن الترجيح إذا تساوت عنده الأدلة أو تكافأت.

هذه خلاصة ما كتبه عدد من الباحثين حول سمات البحث لدى الشيخ، ولا شك أن كل واحدة تحتاج إلى شرح وضرب للأمثلة لا يتسع لها المقام هنا، ولعلّه يأتي من يقوم بدراستها وتحريرها في دراسة موسعة.

ولكن هذه لفظة مجملة لها دور بارز في تميز الشيخ الفقهي رحمه الله تعالى وغفر له.

المبحث الثالث:

الحصاد الفقهي العلمي :

بعد هذه الحياة العلمية العامرة بالفقه تأصيلاً، وتقعيداً، وبذلاً، وعطاءً بارك الله عز وجل في هذا العمر، فنتج عن ذلك حصيلة مباركة على الأمة تمثلت في :

١- الشروح الفقهية والأصولية.

٢- المؤلفات المستقلة.

٣- الرسائل الخاصة.

٤- الأشرطة.

٥- الفتاوى.

وسأتكلم بصفة موجزة عن كل واحد مما سبق، فأقول وبالله التوفيق.

١- الشروح الفقهية والأصولية.

أ - يبرز في مقدمة الشروح الفقهية المطبوعة، شرح الشيخ لزاد المستقنع المسمى بـ (الشرح الممتع) والذي فرغ من الأشرطة، ثم قام الشيخ بمراجعته وطبعه بعناية الشيخين: د. سليمان أبا الخيل، ود. خالد المشيقح، مذيلاً بتعليقات واستطرادات نفيسة في الحواشي، بلغ ثمانية مجلدات، من أول الطهارة إلى آخر باب الصرف من كتاب البيوع.

ثم أعاد الشيخ طبعه بحذف التعليقات، وبتحقيق جديد، وصدر منه جزءان فقط حتى وفاته رحمه الله تعالى.

ويعتبر هذا الشرح من أنفس الشروح على زاد المستقنع، ومن أجل ما كتب الشيخ رحمه الله تعالى؛ حيث إنه يتميز بالآتي :

- سهولة العبارة.
- التعليق على المسائل الحادثة المعاصرة.
- تصحيح القول الصحيح، وبيان أوجه ضعف القول المرجوح.
- التعليق على أخطاء بعض الفقهاء.
- التنبيه على بعض الأقوال الشاذة.
- إبراز الكثير من توجيهات شيخ الإسلام رحمه الله تعالى.
- وقد لاقى هذا الكتاب قبولاً منقطع النظير، وكان بحق اسماً على مسمى.
- ب - كتاب الكافي في الفقه الحنبلي.
- قام الشيخ بشرحه في الدروس، وهو مسجل على الأشرطة.
- ج - البرهانية في الفرائض.
- قام الشيخ بشرحها، وقد فرغت بخط اليد، وهي مسجلة على الأشرطة.
- د - شرح عمدة الأحكام. لم يكتمل.
- هـ - شرح بلوغ المرام.
- طبع منه مجلد، وقد أوقف الشيخ طباعته لعل ذلك لأمر فنية خاصة بالطباعة، والمراجعة، والتحقيق.
- و - شرح المتقى.
- لم يكتمل، مسجل على الأشرطة.

ومن الشروحات الأصولية :

- أ - شرح مختصر التحرير (مسجل).
- ب - شرح قواعد ابن رجب (مسجل).
- ج - شرح كتابه : الأصول من علم الأصول (مسجل).
- د - شرح المنظومة في أصول الفقه (مسجل).
- هـ - شرح القواعد والأصول (مسجل).

و - شرح نظم الورقات للعمري، بدأ في شرحه في الخامس عشر من شهر صفر عام ١٤١٥هـ، وانتهى منه في غرة ربيع الثاني من العام نفسه، كما في مقدمة الكتاب الذي صدر عن مكتبة الكلبي (كتابة على الكمبيوتر) وهو أيضاً (مسجل). هذا وقد يضاف للشروحات الفقهية الشروحات لأبواب الفقه على صحيح البخاري ومسلم.

ومن ذلك : أبواب كتاب الوضوء، والصلاة، والأذان، والجمعة، والعيد، والوتر، والاستسقاء، والكسوف، والنكاح، والأطعمة، واللباس، والاستئذان، والأيمان، والنذور، والكفارات، والفرائض، والحدود، والمحاريق، والمعاندين، من صحيح البخاري.

ومن صحيح مسلم : الطهارة، والصلاة، والمساجد، ومواضع الصلاة، وصلاة المسافرين، والجمعة، والعيد، والاستسقاء، والكسوف، والزكاة، والصيام، والحج، والنكاح، والجهاد.

حسب فهرسة تسجيلات مؤسسة الاستقامة الإسلامية بعنيزة. والله أعلم.

٢- المؤلفات الفقهية :

مع تمكن الشيخ رحمه الله تعالى ورسوخ قدمه في الفقه إلا أن ضيق وقته لانشغاله بالدروس والفتوى ربما كان هو المانع لاشتغاله بالتأليف وكتابة المؤلفات الكبار التي تليق بمكانته العلمية، ومع ذلك فقد ترك لنا عدداً من الرسائل تعالج قضايا فقهية متنوعة.

من ذلك :

أ - رسالة في الوضوء والغسل والصلاة.

ب - رسالة في كفر تارك الصلاة.

ج - رسالة في الأضحية والزكاة.

د - كتاب تسهيل الفرائض.

هـ - رسالة في الحجاب.

و - رسالة في صلاة وطهارة أهل الأعذار.

ز - رسالة في مواقيت الصلاة.

ح - رسالة في سجود السهو في الصلاة.

ط - رسالة في المدائنة.

ي - رسالة في زكاة الحلبي.

ك - رسالة في المسح على الخفين.

ل - رسالة في الدماء الطبيعية للنساء.

م - رسالة في أحكام الميت وغسله.

ن - رسالة في الربا وأقسامه.

س - مجموعة أسئلة في بيع وشراء الذهب.

ع - رسالة في الزواج.

- المؤلفات في القواعد والأصول :

لم أفد للشيخ على مؤلفات في القواعد والأصول سوى كتابين فقط، هما :

١- الأصول من علم الأصول، وقد كان كتبه لطلاب المعهد العلمي.

٢- منظومة القواعد والأصول، وهي منظومة لطيفة جامعة مفيدة.

٣- الرسائل الخاصة :

كان من عادته رحمه الله تعالى الإجابة عن أسئلة المستفتين بنفسه في رسائل خاصة بهم، ترسل إليهم على عناوينهم في مشارق الأرض ومغاربها، وكان من تلك الفتاوى رسائل مطوّلة تصلح أن تكون أبحاثاً مستقلة في مسائل معينة.

تجد الكثير منها في مجموع فتاوى ابن عثيمين، جمع الشيخ فهد السليمان.

وهي تصلح لأن تجمع في مجلد مستقل باسم الرسائل الشخصية، وانظر على

سبيل المثال :

المجلد : ١٢ / الصفحات : ٥٩، ٨٦، ١٥٠، ١٥٤، ٣٣٠.

المجلد : ١٣ / ٨٦، ٨٨، ٩٦، ١٢٥، ٢٠٧، ٢٤٧، ٢٥٥، ٢٧١، ٢٧٦،

٣٦٣، ٤١٠.

المجلد : ١٤ / ٢٢، ٦٥، ١٤٣، ١٨١، ٢١٠، ٢١٤، ٢٥٥، ٢٧٣، ٢٩٣،

٣٠٧.

المجلد : ٢٣/١٥ ، ٢٥ ، ٣٥ ، ٣٨ ، ٦٠ ، ٧٦ ، ٩٣ ، ١٦٠ ، ١٦٦ ، ١٧٧ ،
١٩٨ ، ٢٠٠ ، ٢١٧ ، ٢٢١ ، ٢٤٤ ، ٢٦١ ، ٢٨١ ، ٢٨٤ ، ٢٨٨ ، ٣١٥ ، ٣٣٢ ،
٣٣٩ ، ٣٤٢ ، ٣٤٥ ، ٣٤٦ ، ٣٤٨ ، ٣٥٢ ، ٣٥٧ ، ٣٦٥ ، ٣٧٠ ، ٣٧٨ ،
٣٨٥ ، ٣٩٤ ، ٣٩٧ ، ٤٠٣ ، ٤٠٩ .

٤- الأشرطة المسجلة.

كان الشيخ رحمه الله تعالى حريص جداً على تسجيل دروسه وفتاواه، ويهتم بذلك، ويساعد القائمين على ذلك، ويشجع من يريد تسجيل الفتاوى أو المحاضرات. وذكر أحد المرافقين له وهو العقيد الركن / علي بن محمد الحشان : أنه يوماً كان الشيخ سيذهب معه في السيارة، ثم قام بإعلامه بأنه لديه بعض الفتاوى، فقال الشيخ : هل عندك مسجل ؟ قال : لا، فدخل الشيخ منزله وأحضر مسجلاً صغيراً ثم أعطاه إياه لكي يسجل.^(١)

وقد بلغت تسجيلات الشيخ لدى مؤسسة الاستقامة ٥٠٠٠ ساعة.^(٢)

وذكر الشيخ المنجد أن أشرطة الشيخ بلغت ٣١٨٣ شريطاً.^(٣)

وهذا بلا شك في كلّ الفنون، وسيكون نصيب الفقه منها الشيء الكبير.

وكان الشيخ رحمه الله تعالى يحرص على مراجعة ما سجل، وتدارك ما يحصل من خلل في التسجيل.

يقول مدير إنتاج دروس الشيخ، الأخ/ موسى الهادي بمؤسسة الاستقامة بعنيزة:

(١) مجلة الجندي المسلم، العدد ١٠٢.

(٢) مجلة الدعوة، العدد ١٧٧٨.

(٣) شريط : ١٠٠ فائدة من الإمام ابن عثيمين.

«الشيخ رحمه الله تعالى يقوم بمراجعة ومتابعة جميع ما نسجل، ومتابعتنا فيما يمكن تداركه من سقط أو نسيان، أو تحريف مسألة، أو فوات حديث، أو آية، وكان شديد الحرص على تسجيل جميع ما يلقيه من الدّروس، وكان الشيخ أيضاً رحمه الله تعالى يتصل بي بعد كلّ تسجيل لمراجعة ما سجّل له، وتوجيهي بحذف سؤال قد لا يستفيد منه العامة، أو يكون له تأثير على الأوضاع العامة، وكان رحمه الله في أغلب دروسه شديد التوجيه للناس على طاعة ولاية الأمور، وتوحيد الكلمة وعدم الفرقة».

وقال أيضاً :

«لقد قمت بتسجيل وإنتاج جميع الدروس التي يلقيها في الجامع الكبير بعنيزة، وكذلك الدروس التي تقام في منزله، ومن أبرز الدروس التي قمت بتسجيلها «زاد المستقنع في الفقه» و«بلوغ المرام» و«الصحيحين» و«آداب طالب العلم» وفي «السيرة» و«التفسير»، ومن ضمن لقاءات المنزل التفسير المفصّل من جزء الذاريات، وجزء عمّ، وكذلك تسجيل أسئلة العامة، والإجابة عليها»^(١).

٥- الفتاوى.

قد جُمعت فتاوى الشيخ الفقهية وترجيحاته في عدد من الرسائل قام بنشرها عدد من طلبة العلم لدى الشيخ بعد إذنه بذلك، وكثير منها مكرر؛ من ذلك :

أ - فتاوى الصيد.

ب - فتوى وتوجيهات في الإجازة والرحلات.

ج - الاختيارات والترجيحات.

(١) مجلة الدعوة، العدد ١٧٧٨.

- د - فتاوى في تربية الشباب.
- هـ - فتاوى نور على الدرب.
- و - فتاوى لقاء الباب المفتوح.
- ز - فتاوى اللقاء الشهري.
- ح - مجموع دروس وفتاوى الحرم المكي.
- ط - ٧٠ سؤالاً في أحكام الجنائز.
- ي - ٥٢ سؤالاً عن أحكام الحيض.
- ك - فتاوى أركان الإسلام.
- ل - فتاوى منار الإسلام.
- م - فتاوى سؤال من حاج.
- ن - جلسات رمضانية.
- س - جلسات الحج.
- جمع أكثر هذه الفتاوى الشيخ / فهد السليمان في مجموع فتاوى ورسائل فضيلة
الشيخ محمد بن عثيمين - ولا يزال المجموع لم يكتمل -.

المبحث الرابع:

أثر ذلك على النهضة العلمية، والدعوة إلى الله تعالى.

لا يشك الناظر في حياة الشيخ محمد بن عثيمين أنه أثر تأثيراً عظيماً على سير النهضة العلمية، وترشيد ما يعرف بالصحة الإسلامية.

لأن الدعوة إلى الله لا بد فيها من فقه، بل من فقه صحيح منضبط مبني على أسس شرعية.

وكثيراً ما حصل الاضطراب لشباب الصحوة في عدد من الأماكن بسبب عدم وجود رؤية فقهية صحيحة يُرجع فيها إلى العلماء الربانيين أمثال الإمام ابن عثيمين رحمه الله تعالى.

فدعوة بلا فقه هي دعوة متخبطة فاشلة، والمتأمل في تاريخ عدد من الدول الإسلامية وغيرها يجد في ذلك أعظم عبرة.

فشباب الصحوة أو النهضة الإسلامية المعاصرة، جعل الكثير منهم من الشيخ مرجعاً له في الحوادث المدهمة، سواء في قضايا الحكماء الذين يحكمون بغير ما أنزل الله، أو دعوة الكفار، أو السفر إلى بلاد الكفر، أو البقاء فيها، أو ما يتعلق بقضايا المرأة المعاصرة والغزو الفكري لبيوت المسلمين بالصحن الهوائية، وتعدّد الأحزاب والجماعات الإسلامية، وغير ذلك من المسائل المصاحبة للصحوة المعاصرة.

من ذلك ما ذكره الدكتور عبد الرحمن الخميس :

قال : «في أيام الحج بأحد الأعوام السالفة جاءته بمخى طائفتان، وكل طائفة مكونة من أربعة أشخاص، وكل واحدة تتهم الأخرى بالكفر واللعن، وهم جميعاً

من الحجاج، وملخص قصّتهم أن إحدى الطائفتين اتّهمت الطائفة الأخرى أنها إذا قامت تصليّ وضعت اليد اليمنى على اليسرى فوق الصدر، وهذا كفرٌ بالسّنة؛ حيث أن السّنة عند هذه الطائفة إرسال اليدين على الفخذين بينما تقول الطائفة الأخرى إن إرسال اليدين على الفخذين دون جعل اليمنى على اليسرى كفرٌ مبيح للعنة، وكان النزاع بينهما شديداً، وبفضل الله تعالى، ثم بجهود الشّيخ وآخرين معه حسم النزاع بينهم وتم تبيين الحقّ لهم، وما يجب أن يكونوا عليه من الائتلاف، وتفرقوا، وقد رضيت كلّ طائفة عن الأخرى بعد أن كانت تكفّرها وتلعنها^(١).

وقد استفاد شباب النهضة من جهة أخرى لا تقلّ أهميّة عن السابقة، وهي تلمذتهم على الشّيخ أو كتبه أو أشرطته في مشارق الأرض ومغاربها حتى إن من المسلمين في أمريكا من يعقد الدروس وكأنّ الشّيخ موجود بينهم فيأتون بأشرطة الشّيخ ويلتفّون حولها في وقت محدد، وبعد الانتهاء من الشريط أو الدّرس يأخذون في الأسئلة والمناقشة، وكأنّ الشّيخ حاضر معهم.

وقد حدّث بعض محبّي الشّيخ أنه وجد في أمريكا أشرطة للشّيخ لم يقف عليها في الجزيرة العربية.

قال الشّيخ عبد الله الجلاّلي : «قبل حوالي خمسة عشر عاماً زرت أمريكا، فالتقيت بطائفة من الشباب هناك، وعرضت عليهم هل عندكم من كتب الشّيخ محمد العثيمين وأشرطته؟ فقال أحدهم: عندي ثلاثمائة وخمسون شريطاً له، فوجدت أنّ هذه الأشرطة لم أسمعها أنا بنفسني ولم أرها، وعرفت أن الشّيخ قد منّ الله عز وجل عليه بما يناسب فضله بأن هبّاً له قلوباً وإخواناً نشرّوا علمه في أصقاع العالم حتّى في أمريكا»^(٢).

(١) جريدة البلاد، العدد ١٦٢٣٠.

(٢) «شريط الإمام ابن عثيمين، مجموعة من العلماء والدّعاة» تسجيلات «صدى التقوى» بالرياض.

هذا في أمريكا، وإذا انتقلنا إلى الجانب الآخر من العالم في روسيا الشيوعية، وتحت سياط العذاب والإرهاب نجد دعوة الشيخ قد وصلت إلى هناك تحت الأقبية إلى شباب وشيوخ الصحوة.

من ذلك : ما رواه الشيخ أحمد بن عبد العزيز الحمدان : « في حج عام ١٤١٦ هـ كنت مرافقاً لسماحته وهو يزور الحجاج - كعادته كل سنة - يسلم عليهم ويحدثهم، ويجيب على أسئلتهم في مطار الملك عبد العزيز بجدة، ودخلنا صالة استقبال كان فيها حجاج من جمهورية من الجمهوريات الإسلامية التي كانت تحت الحكم الروسي، وكان أصغرهم سنّاً قد بلغ السّتين، وليس فيهم من يتكلم العربية، فسأل الشيخ إن كان معهم مترجم يترجم كلامه إليهم، فلم نجد إلّا شاباً سعودياً كان في استقباليهم يتحدّث بلسانهم، فطلبنا منه أن يترجم كلام الشيخ، فوافق، وأخذ الشيخ يتحدّث والشاب يترجم، وفي أثناء حديثه دخل شابٌ يركض - علمنا فيما بعد أنه مرشد الحملة - وإذا به يتحدّث العربية بطلاقة، وطلب أن يقوم بالترجمة، وأخذ مكبر الصوت، وهو لا يعلم من هو الشيخ حتى فرغ الشيخ من حديثه ثم جاء يسلم، فقلنا له : هذا الشيخ محمد بن عثيمين، وإذا بالشاب ينظر إلى الشيخ باستغراب وقد اتسعت حدقتا عينيه، وقال : الشيخ محمد بن صالح العثيمين، فاستغربنا من معرفته لاسم الشيخ، وقلنا : نعم، وإذا به يضمّ الشيخ بذراعيه وأخذت الدموع تنهال من عينيه وهو يقول : الشيخ محمد العثيمين ويكرّر اسمه فرحاً، ثم ما لبث أن أخذ مكبر الصوت، ونادى في أفراد الحملة بكلام لم نفهم منه سوى ترديده لاسم الشيخ، وكانت المفاجأة أكبر عندما أخذ أفراد الحملة يركضون، وارتفعت أصواتهم وهم يرددون اسم الشيخ : الشيخ العثيمين، وقال الشاب : يا شيخ هؤلاء كلّهم طلابك، هؤلاء كانوا يدرسون كتبك في

الأقبية تحت الأرض لما كان تعليم الإسلام عندنا ممنوعاً، وهم في شوقٍ للسلام عليك فهل تأذن لهم؟ وأذن لهم الشيخ، فأقبلوا يقبلونه ويقبلون رأسه ويديه وهم يكون ويرددون اسمه، فكان من أشدّ المواقف تأثيراً، وما أعلم من بقي في ذلك المكان إلا وبكى تأثراً بما رأى وسمع»^(١).

قال الدكتور عبد الرحمن السديس : «أذكر أنني مرة في إحدى الدول الغربية دخلت أحد المراكز الإسلامية، وفيه مكتبة متواضعة، فإذا أنا بمجموعة من طلاب العلم في هاتيك الديار من محبي الشيخ رحمه الله تعالى وهم لم يروه، وقد عكفوا على كتبه ومؤلفاته ورسائله يقرؤنها ويبدلون جهودهم في ترجمتها بلغتهم، فقلت : سبحان الله الذي كتب لشيخنا القبول حتى في مجاهل الغرب وأقاصي الدنيا، ولقد بشرته بذلك فسرّ كثيراً»^(٢) وقد تكلم الشيخ في العديد من الضوابط التي تنهض بالدعوة المعاصرة، وتُرشد مسارها، والتي ينبغي على طالبي الإصلاح في الأمة بمحنتها ودراستها، ودراسة كيفية تطبيقها، وذلك لترشيد فقه الدعوة المعاصر وتنقيته مما دخله من الشوائب والمعوقات، من ذلك :

١- ضوابط مهمة لإنجاح الصحوة الإسلامية من كتاب الصحوة الإسلامية^(٣)

الضابط الأول : التمسك بالكتاب والسنة.

الضابط الثاني : العلم والبصيرة.

أولاً : أن يكون على بصيرة فيما يدعوا إليه.

(١) البلاد، عدد ١٦٢٢٣.

(٢) الجزيرة، العدد ١٠٣٣٥.

(٣) إعداد الأخ علي بن حسين أبو لوز - دار القاسم للنشر ط : ٣.

ثانياً : أن يكون على بصيرة بحال الدعوة.

ثالثاً : أن يكون على بصيرة في كيفية الدعوة.

الضابط الثالث : الفهم.

الضابط الرابع : الحكمة.

الضابط الخامس : التألف والتواد.

الضابط السادس : الصبر والاحتساب.

الضابط السابع : التخلق بالأخلاق الفاضلة.

الضابط الثامن : كسر الحواجز بين الداعية وبين الناس.

الضابط التاسع : استعمال الرفق واللين.

الضابط العاشر : اتساع صدور الشباب للخلاف بين العلماء.

الضابط الحادي عشر : تقييد العاطفة بما يقتضيه الشرع والعقل.

الضابط الثاني عشر : إقامة الزيارات بين الشباب.

الضابط الثالث عشر : عدم اليأس.

الضابط الرابع عشر : الاتصال بولاة الأمور.

٢- صفات الداعية إلى الله :

١- الإخلاص لله تعالى.

٢- أن يعتقد أنه بدعوته إلى الله وارث لنبيه ﷺ.

٣- أن يكون ثابتاً في دعوته إلى الله.

- ٤- أن يصبر ويصابر.
 - ٥- أن يسلك طريق الحكمة.
 - ٦- أن يكون الداعي عالماً بشرية الله.
 - ٧- أن يكون الداعي على جانب كبير من الدين والأخلاق.
 - ٨- أن يكون الداعي وقوراً.
- وغير ذلك من الأمور المهمة الكثيرة، والأسئلة المتعلقة بالدعوة المعاصرة تقف عليها في الكتاب المذكور، وبالله التوفيق.

(٣) الشيخ مفسراً :

قد آتى الله الشيخ المترجم فقهاً في التفسير وبصراً في كتاب الله العزيز، بما لو أقسمت بين الركن والمقام أنني لم أر مثله في أحد من علماء هذا العصر ما كنت حائثاً إن شاء الله تعالى.

فقد كنت في مجلس الشيخ أستشعر وهو يفسر آيات الكتاب العزيز كأنني بين يدي عالم من علماء القرون الأولى ممن رسخوا في العلم والفهم، وجمعوا أدوات الاجتهاد وآلات الاستنباط.

وقد سمعت من الشيخ في التفسير سورتي الروم والعنكبوت، وكتبت خلفه دفاتر فقدتها في أسفاري.

وقد كان الشيخ يكثر التأمل ويتعمق في الاستنباط، ويبحث على الفكرة والتدبر، ويغوص وراء المعاني؛ حتى إنه يستخرج عشرات الفوائد من الآية الواحدة وينوعها.

وقد يأتي بفوائد مقررّة من أدلّة أخرى، لكن الشيخ كان يقول إنها يستفاد منها في كثرة الأدلّة وتضافرها.

وقد سألت شيخنا ذات مرّة وقلت له : يا شيخ إننا نسمع منك تفسيراً قد لا نجده - أحياناً - في العديد من التفاسير؛ فهل تفكّر في طباعة تفسير مستقلّ ؟

فكان ردّ الشيخ عليّ أن قال :

الموجود يكفي إن شاء الله تعالى.

وقد كان من براعة الشيخ في التفسير ما لاحظته القاضي والدائي في مكة المكرمة في المسجد الحرام في درس الشيخ عندما ينتهي إمام الحرم من القراءة في صلاة المغرب أو الفجر يقوم الشيخ باستفتاح درسه بتفسير هذه الآيات التي ثلّيت في تلك الصلاة في أيّ موضع من القرآن كانت، وبدون تحضير سابق لها أو استعداد، ويفسّرها كأحسن تفسير كأنه قام بتحضيرها ويستخرج فوائدها.

وهذا مما أبحر العقول، وتكلّم به الناس في الآفاق ممن يحضر درسه، وهذا يدلّ على تمكّنه ورسوخه في هذا العلم العظيم.

ومن المناسب هنا أن أذكر بحثاً عن منهج الشيخ في التفسير لأحد تلامذة الشيخ الذين أوصى لهم بالتدريس في جامعته الكبير بعينزة وهو الشيخ عبد الرحمن الدهش، وإن كنت أرى أن منهج الشيخ في التفسير يحتاج إلى بحث موسّع ومراجعة لتفسير الشيخ سواء التفسير العام أو تعليقاته على الجلالين، أو التفسير على المقاطع التي كان يتلوها بعض أئمّة الحرم في رمضان وغيره، وكان الشيخ يقوم بتفسيرها.

أو في برنامج المشهور في إذاعة القرآن الكريم : (من أحكام القرآن)، وهذا نوع آخر من الكتابة لعلّ الله يعين عليه ويوفّق من شاء لذلك.

ولعلّي أخصّ بالذكر طلاب الدراسات العليا بقسم التفسير في الجامعات الإسلامية المختلفة، والله الموفق والهادي إلى سبيل الرشاد.

قال الشيخ عبد الرحمن الصالح الدهش المحاضر في قسم القرآن وعلومه في جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية بفرع القصيم :

منهج الشيخ في التفسير

الحمد لله وحده، والصلاة والسلام على من لا نبي بعده، وعلى آله وصحبه ومن تبعه إلى يوم الدين، أما بعد :

فإن الحديث عن منهج إمام من أئمة الدين في علم كان من اهتماماته، وأمضى فيه جزءاً من عمره، وخصّه بنصيب وافرم دروسه، وكثيراً ما وجّه طلابه للعناية به، بل والبداة به - حديث لا يمكن أن تستوعبه مقالة كهذه، ولذا سيكون الحديث فيها منصباً على بعض منهجه في تفسيره. وقبل الحديث عن منهجه أشير إلى موضوعين متعلقين بتفسيره : الأول : دروسه في التفسير حيث كان تفسيره القرآن لطلابه^(١) على ثلاثة طرق :

١- الطريق الأول : التفسير العام؛ حيث لم يرتبط الشيخ بكتاب تفسير ينطلق منه، وهذا يشمل الدرس الخاص بالطلبة، وابتدأ الشيخ في التفسير فيه من أوّل القرآن وانتهى فيه إلى سورة الأنعام، ولم يتمّها. ويشمل تفسيره في اللقاءات العامة حيث فسر الشيخ خلالها كثيراً من المفصل، ومواضع متفرقة من القرآن.

(١) يخرج بهذا ما كتبه الشيخ - رحمه الله - من تأليف في التفسير.

٢- الطريق الثاني : التفسير الذي ارتبط فيه الشيخ بتفسير الجلالين، فكان منطلقاً له، ولم يقتصر عليه، وبلغ فيه سورة الزخرف، ولم يتمها أيضاً.

٣- الطريق الثالث : التفسير المفرق ويمثل في تفسير الشيخ للآيات التي مر في أثناء شرحه لكتاب ما، وهي كثيرة، وربما أسهب الشيخ في تعليقه عليها، ورجح فيها. [من ذلك شرحه للآيات في كتاب التوحيد والواسطية ومقدمة التفسير وغيرها].

ومع تعدد الطرق التي تناول الشيخ التفسير من خلالها إلا أن منهجه فيها متقارب، حيث اتفقت في كثير من المعالم.

الثاني : مصادره في تفسيره :

الغالب في طريقة الشيخ - رحمه الله تعالى - ألا يذكر مصادره التي نقل منها، ولا أسماء العلماء الذين يذكر أقوالهم، بل تراه ييهم أسماءهم، ويذكر الأقوال منسوبة إلى بعض أهل العلم، أو بعض المفسرين دون تحديد، إلا أنه قد ينص في بعض الأحيان على بعضهم، ومنهم على سبيل المثال : ابن حزم (البقرة : ٢٢٢، ٢٢٨)، الزمخشري (آل عمران : ١)، ابن تيمية، ابن القيم (البقرة : ١، ٢٢٨)، ابن اللبان صاحب الاختيارات الفقهية (البقرة : ٢٢٨)، محمد رشيد رضا (البقرة : ٢١٩)، وشيخه عبد الرحمن السعدي (البقرة : ٢٢٩) وغيرهم..

المنهج العام للشيخ في التفسير :

لقد كان الشيخ - رحمه الله تعالى - موسوعي المعرفة، درس علوم الشريعة وتفقه فيها، وكان لها الأثر الواضح في تفسيره.

وقد عمد الشيخ إلى تقريب التفسير لعامة الناس فضلاً عن طلابه والمستفيدين منه؛ فالسهولة في العبارة والبعد عن غامض التراكيب واضح في العرض، ولذا خلا

تفسير الشيخ من الأقوال الكثيرة، والتفريعات البعيدة التي قد تجدها في بعض التفاسير، وكذا التعقيدات البلاغية، أو الأعراب المطولة.

ومع هذا تجد في تفسير الشيخ ما تجده عند غيره من الاعتماد على بيان القرآن بالقرآن وجمع نظائر الآية، وبيان القرآن بالسنة، وذكر للقراءات وتوجيهها معنى أو إعراباً، وبيان المشكل، وكذا الشعر، وهو قليل نسبياً، وفي غالبه شاهد لغوي، أو ضابط نحوي أو نحو ذلك.

ويجد القارئ والسامع في أثناء ذلك الترجيح المبني على قاعدة، أو التنبيه على خطأ في فهم آية، ففي تفسير قوله تعالى ﴿وَنُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَمِيتِ﴾ [آل عمران: ٢٧] يرجح الشيخ أن الآية عامة في الحياة الحسية، كإخراج الإنسان من النطفة، والمعنوية كإخراج الكافر من المؤمن، ويعلل الشيخ لهذا الترجيح بقوله: «إذا صلح اللفظ للمعنيين بدون تنافٍ بينهما فالواجب حملة عليهما» وعند قوله - تعالى - في وصف يحيى - عليه السلام -: ﴿وَسَيِّدًا وَحَصُورًا﴾ [آل عمران: ٣٩]

قال الشيخ: «أي حاصراً نفسه عن أراذل الأخلاق، أما من قال من المفسرين إن «الحصور» المنوع عن إتيان النساء، فإن في هذا نظراً واضحاً؛ لأن عدم قدرة الإنسان على النساء ليس كمالاً، ولكنه عيب، وفيها قول آخر أنه لا يأتي من النساء من لا تحل له فيكون وصفاً له بكمال العفة، لكن ما قلناه أشمل من هذا القول، فهو مقدم على المعنى الأول»، وعند قوله - تعالى - : ﴿كُلَّمَا دَخَلَ عَلَيْهَا زَكَرِيَّا الْمِحْرَابَ﴾ [آل عمران: ٣٧]. ينبه الشيخ على خطأ من كتب الآية على طاق القبلة، يظن أنه هو المحراب المراد بالآية، وإنما هو مكان العبادة.

والشيخ حريص كل الحرص على عدم الوقوع فيما وقع فيه كثير من المفسرين من حشد الإسرائيليات والاعتماد عليها؛ فعند قوله - تعالى - : ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ

تَذْبِخُوا بَقْرَةً» [البقرة: ٦٧]، قال الشيخ: «وقد ذكر المفسرون هنا إسرائيليات كثيرة حول هذا الموضوع ولكن لا يعني أن نُعَيِّنَ مَنْ هذا القاتل ومن هذا المقتول ! وإنما المقصود أنه قتلت نفس فادارؤوا فيها، أي : تخاصموا».

ثم هو يشك فيما قيل - عن مريم - عند قوله - تعالى - : ﴿وَأَنْبَتَهَا نَبَاتًا حَسَنًا﴾ [آل عمران: ٣٧]، إنما تنمو في العام ما ينمو غيرها في عامين قال الشيخ : ولعلها من الإسرائيليات... فالله أعلم».

وعند قوله - تعالى - : ﴿وَجَدَ عِنْدَهَا رِزْقًا﴾ [آل عمران: ٣٧].

قال الشيخ : «قال بعض المفسرين - وهو من الإسرائيليات - يجد عندها فاكهة الشتاء في الصيف، وفاكهة الصيف في الشتاء».

وبعد هذه المعالم العامة نجدنا مضطرين إلى إبراز معالم أساسية في منهج الشيخ في تفسيره وهي :

أولاً : التفصيل في أحكام القرآن، وبيان الراجح منها بدليله، دون تعصب للمذهب معين :

وهذا أشهر من أن يُذكر فيه مثال؛ لأن الشيخ - رحمه الله تعالى - كان فقيهاً مجتهداً، وكان لا يمرُّ بآية من آيات الأحكام إلا فصلَّ في ذلك الحكم وبينه.

ثانياً : ذكر القضايا الفقهية المعاصرة المرتبطة بالآية، وبيان الحكم فيها :

ومن ذلك ما قاله في تفسير قوله - تعالى - : ﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ﴾ [البقرة: ٢١٩]، قال : «فلو تقامرا على شيء من المال بأي صفة من الصفات؛ فإن ذلك يعتبر ميسراً، ومن ذلك ما يسمى بالحظ والنصيب، فإنه ميسر، ومن ذلك التأمين على الأموال أو على السيارات أو على البيوت أو على النفوس أو ما أشبه ذلك».

ثالثاً : تنزيل الآيات على الواقع المعاصر، وربطها به :

ففي قوله - تعالى - : ﴿وَلَا تَنكِحُوا الْمُشْرِكَاتِ حَتَّى يُؤْمِنَ﴾ [البقرة: ٢٢١]، قال : «إن في الآية رداً واضحاً على الذين أطلقوا أن دين الإسلام دين مساواة؛ لأن التفضيل ينافي المساواة.

والعجيب أنه لم يأت في الكتاب ولا في السنة لفظ المساواة أبداً؛ لأن الله ما أمر بما، ولا رغب فيها؛ لأنها ليست صحيحة، فإذا قلت بالمساواة دخل الفاسق والكافر والمؤمن والذكر والأنثى، وهذا هو الذي يريده أعداء الإسلام من المسلمين، لكن جاء الإسلام بكلمة هي خير من تلك الكلمة، وليس فيها احتمال أبداً، وهي : ﴿إِنَّ اللَّهَ يُأْمُرُ بِالْعَدْلِ﴾ [النحل: ٩٠]، فكلمة العدل تقتضي أن نسوي بين الاثنين حيث اتفقا في الصفات المقتضية للتسوية، وأن نفرق بينهما حيث اختلفا في الصفات المقتضية للتفريق.

وانظر أيضاً حديثه في هذه الآية عن التنبيه على الدعوة التنصيرية التي يقوم بها النصارى في هذا العصر، وانظر ذكره فائدة في قوله - تعالى - : ﴿نَسَاؤُكُمْ حَرْثٌ لَّكُمْ﴾ [البقرة: ٢٢٣]، فقد ذكر الدعوة إلى تحديد النسل، ورد عليها. وغيرها كثير من القضايا المعاصرة التي تطرق إليها الشيخ أثناء تفسيره.

رابعاً : الاهتمام بالجانب التربوي الذي تشير إليه الآيات. ويظهر ذلك في جانبين : الأول : الجانب الوعظي :

ومن ذلك تفسيره لقوله - تعالى - : ﴿وَاعْلَمُوا أَنَّكُمْ مُّلاقُونَ﴾ [البقرة: ٢٢٣]، قال : «والله لو كانت قلوبنا حيةً لكان لهذه الكلمة وقع في نفوسنا؛ لأنها من كلام الله - عز وجل - مصدرّة بـ «اعلموا»، لكن، والله القلوب ميتة، والشكوى إلى الله عز وجل». الثاني : جانب الإرشادات والتوجيهات لطالب العلم :

ومن ذلك تعليقه على قوله - تعالى - ﴿وَيُؤَيِّنُ آيَاتِهِ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ﴾ [البقرة: ٢٢١]، قال : «وأنت إذا آمنت بهذه الجملة، وهي قوله : ﴿وَيُؤَيِّنُ آيَاتِهِ لِلنَّاسِ﴾، فإنه قد يعرض لك مسألة لا تجدها في كلام الفقهاء ولا في كلام المحدثين، وعندما تتأمل القرآن تجدها واضحة صريحة، أو عندما تتأمل السنة تجدها واضحة مبينة فيها، وهذا شيء معلوم، ولهذا أحثكم أنتم - طلبة العلم - على أن يكون دأبكم في الوصول إلى غائص المسائل الرجوع إلى الكتاب والسنة، ولا حرج أن نستعين بكلام أهل العلم؛ لأن اعتماد الإنسان على نفسه في فهم الكتاب والسنة قد يحصل فيه خلل كثير؛ فلا بد أن يعرف القواعد التي قعدها السلف من الصحابة والتابعين، مستنبطين لها من كتاب الله وسنة رسوله ﷺ».

وعند قوله - تعالى - : ﴿وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ يَقُولُونَ آمَنَّا بِهِ﴾ [آل عمران: ٧]، قال الشيخ : «ينبغي للإنسان أن يحرص على أن يكون راسخاً في العلم لا جامعاً كثيراً منه؛ لأن العبرة بالرسوخ في العلم؛ فإن الإنسان إذا كان عنده رسوخ في العلم صار عنده ملكة يستطيع أن يُقَرَّبَ العلم بعضه من بعض، ويقيس ما لم يُنصَّ عليه على ما نُصَّ عليه، ويكون العلم لديه كالطبيعة الراسخة».

خامساً : النواحي اللغوية :

كان الشيخ - رحمه الله - يولي عناية واضحة بالنواحي اللغوية، فيبرز معنى الآية من خلال وقفات إعرابية، أو صرفية، أو بلاغية، والشيخ - رحمه الله - من خلال وقفاته تلك يهدف فيما يهدف إلى الناحية التطبيقية لطلابه، ولا أدل على ذلك من إعرابه بعض الآيات واضحة الإعراب إعراباً تفصيلياً^(١)، ومثله استطراداته

(١) انظر إعرابه لقوله - تعالى - : ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِ اللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ﴾ [آل عمران: ٤].

الكثيرة في قضايا نحوية بحثة فعند قوله - تعالى - ﴿وَمَنْ يَكْفُرْ بِآيَاتِ اللَّهِ فَإِنَّ اللَّهَ سَرِيعُ الْحِسَابِ﴾ [آل عمران : ١٩]، استطرد الشيخ في بيان سبب ارتباط جملة جواب الشرط بالفاء، بطريقته الحوارية في الدرس مع الطلبة، وذكر ما ذكره النحاة في ضابط ذلك :

اسمية طليعة وبجامد وبما وقد وبلن وبالتنفيص

وقريبٌ منه استطراده حول الاسم الممنوع من الصرف عند كلامه على قوله - تعالى - : ﴿أَنَّ اللَّهَ يُبَشِّرُكَ بِيحْيَى﴾ [آل عمران : ٣٩]، حيث أشار إلى الخلاف في عربية اسم (يحيى) واستطرد من خلاله إلى موانع الاسم من الصرف بطريقته السابقة. وأما وقفات الشيخ الصرفية فهي قريبة في منهجها من وقفاته النحوية، فيذكر وزنَ بعضِ الكلمات واشتقاق بعضها ليصلَ إلى معنى الكلمة القرآنية، فعند قوله - تعالى - : ﴿تَزُولُ عَلَيْكَ الْكِتَابُ﴾ [آل عمران : ٣] قال الشيخ : «هو هذا القرآن، وهو «فعال» بمعنى: «مفعول»؛ لأنه مكتوبٌ فهو كتابٌ مكتوبٌ في اللوح المحفوظ، كما قال - تعالى - : ﴿إِنَّهُ لَقُرْآنٌ كَرِيمٌ. فِي كِتَابٍ مَكْنُونٍ﴾ [الواقعة : ٧٧، ٧٨]. وفي تفسير قوله - تعالى - : ﴿ذُرِّيَّةٌ يَعْصِيهَا مِنْ بَعْضٍ﴾ [آل عمران : ٣٤]. قال الشيخ : والذرية مأخوذة من «ذراً» بمعنى «خلق»؛ لقوله - تعالى - : ﴿يَذَرُواكُم فِيهِ﴾ [الشورى : ١١]، يذروكم فيه : أي : يخلقكم، وقيل : من «وذر» بمعنى «ترك»، فعلى الأول تكون الذرية شاملة للأصول والفروع، لأن الأصول مخلوقون والفروع كذلك مخلوقون، أما إذا جعلناها من «وذر» بمعنى «ترك»، فهي للفروع فقط، وهذا هو المعروف عند عامة الناس أن الذرية هم الفروع، ثم يتساءل الشيخ - رحمه الله - : هل في القرآن ما يدلُّ على أن الذرية تطلق على الأصول ؟

فيجيب بقوله - تعالى - : ﴿وَأَيَّةٌ لَهُمْ أَنَّا حَمَلْنَا ذُرِّيَّتَهُمْ فِي الْفُلِّ الْمَشْحُونِ﴾ [يس: ٤١]. فإن الذين حُمِلُوا من الذرية هم الذين آمنوا مع نوح وهم سابقون، أي أصول».

والشيخ - رحمه الله - بإيجازه هذا غير المخل، وتساؤله الذي جاء عرضاً قد أجاب عن إشكال استوقف كثيراً من المفسرين، ومن آخرهم شيخه عبد الرحمن السعدي (ت: ١٣٧٦ هـ)، حيث قال في تفسيره عند هذه الآية : «وهذه الآية من أشكل المواضع عليّ في التفسير»^(١).

وأما اللفظات البلاغية فلم يخلُ تفسير الشيخ - رحمه الله - من وقفات عندها، ومن ذلك تفسيره قول الله - تعالى - : ﴿زَيْنَ النَّاسِ حُبُّ الشَّهَوَاتِ مِنَ النِّسَاءِ وَالْبَنِينَ﴾ [آل عمران: ١٤].

أشار الشيخ إلى قوة التعبير القرآني؛ حيث سلط الحب على الشهوات لا على هذه الأشياء؛ لأن هذه الأشياء حُبُّها قد يكون محموداً إذا لم يكن سبباً لصده عن دين الله.

وفي قوله - تعالى - : ﴿وَأَزْوَاجٌ مُطَهَّرَةٌ﴾ [آل عمران: ١٥]، يشير الشيخ إلى نقطة العموم في إطلاق (مطهرة) لتشمل التطهير الحسي والمعنوي معتمداً على قاعدة: أن حذف المعمول يؤذن بعموم العامل. قال الشيخ : «ولهذا أمثلة كثيرة - مثلاً - قوله - تعالى - : ﴿أَلَمْ يَجِدْكَ يَتِيمًا فَآوَى، وَوَجَدَكَ ضَالًّا فَهَدَى، وَوَجَدَكَ عَائِلًا فَأَغْنَى﴾ [الضحى: ٦-٨]، فالرسول ﷺ وجدته ربّه يتيمًا فأواه، وآوى به حتى جعله فئة لكل مؤمن، ضالًّا فهداه وهدى به، عائلاً فأغناه وأغنى به».

(١) تيسير كريم الرحمن، ص ٦٩٦، تحقيق : اللويحق.

سادساً : استنباط الفوائد :

تُشكّل الفوائد في درس التفسير جزءاً لا ينفصل في منهج الشيخ، وتأتي أهمية الفوائد من حيث إفرادها في الكلام، بمبحث الفوائد عقب آية أو آيات يتم الشيخ تفسيرها والكلام عليها، ومن ناحية أخرى توسّع الشيخ فيما يذكره تحت هذا المبحث؛ فهو لا يقتصر على الفوائد المباشرة في الآية؛ إذ يذكر الفائدة ثم يتبعها بما قد يتفرع أو يُشكل عليها ويجب عنه. فعند قوله - تعالى - : ﴿وَتَرْزُقُ مَنْ تَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾ [آل عمران: ٢٧].

يقول الشيخ - رحمه الله - : «ومن فوائد الآية الكريمة أن الرزق بيد الله لقوله - تعالى - : ﴿وَتَرْزُقُ مَنْ تَشَاءُ﴾ ويرتب على هذا أنه ينبغي للعاقل فضلاً عن المؤمن أن لا يطلب الرزق من أيدي الناس، وإنما يطلبه من الله - عز وجل -، ولهذا جاءت النصوص بفضيلة العفة». وعند قوله - تعالى - عن امرأة عمران : ﴿وَأِنِّي سَمَّيْتُهَا مَرْيَمَ﴾ [آل عمران: ٣٦]، يذكر الشيخ - رحمه الله - من فوائد الآية تسمية المولود حين يولد، ثم يقول : «وهذا هو السنة : أن يُسمّى الإنسان حين يولد إلا إذا لم يتهياً الاسم فإنه يسمي في اليوم السابع، وبهذا تجتمع الأدلة؛ فإن النبي ﷺ لما وُلِدَ إبراهيم، قال : «وُلِدَ لي الليلة غلام، فسميته باسم أبي إبراهيم»^(١) وفي حديث العقيقة قال : «تذبح يوم سابعه، ويحلق ويسمى...»^(٢). والفوائد بحال رحب عند الشيخ - رحمه الله - لتقرير العقيدة السليمة، وتصحيح الأخطاء العقدية بشيء من الاستطراد والبسط؛ فعند قوله - تعالى - : ﴿قَالُوا لَنْ نَمَسَّ النَّارَ إِلَّا أَيَّاماً

(١) أخرجه مسلم، ح / ٢٣١٥، أبو داود في الجنائز، ح / ٢٧١٩.

(٢) رواه أبو داود، ح / ٢٤٥٥.

مَعْدُودَاتٍ [آل عمران: ٢٤]. يقول الشيخ - رحمه الله - : «ومن فوائد هذه الآية الكريمة أن هؤلاء يؤمنون بالبعث؛ لقولهم : ﴿لَنْ نَمَسَا النَّارَ إِلَّا أَيَّامًا مَعْدُودَاتٍ﴾، ويتفرع على هذا أنه لا يكفي في الإيمان أن يؤمن الإنسان بالله وباليوم الآخر دون أن يستلزم هذا الإيمان قبولاً، وإذعاناً؛ فإن مجرد التصديق لا يعتبر إيماناً؛ إذ لا بد من القبول والإذعان، ولهذا أدلة).

وفي تفسير قوله - تعالى - : ﴿وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ [آل عمران : ٣٤] :

يقول الشيخ - رحمه الله - : (ومن فوائد الآية الكريمة إثبات اسمين من أسماء الله، وهما (السميع والعليم)، فالسميع يتعلق بالأصوات، والعليم يتعلق بكل شيء بالأصوات، والأحوال، والأعيان).

ثم يستطرد الشيخ في تقسيم أسماء الله إلى متعددة ولازمة، وما يتضمنه كل نوع من الدلالة، ثم يستطرد مرة ثانية إلى الفرق بين دلالة التضمن والاستلزام وتطبيق ذلك على اسم (الخالق، والرحمن، والحي). وفي مجال تصحيح الأخطاء العقدية يذكر الشيخ - رحمه الله - عند كلامه على آيات عموم القدرة في أكثر من موضع - يذكر مقالة السيوطي - رحمه الله - في تفسير قوله - تعالى - : ﴿لِلَّهِ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا فِيهِنَّ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ [المائدة: ١٢٠]، حين قال :

«وخصَّ العقل ذاته فليس عليها بقادر»^(١)، ثم يتعقبها، ففي تفسيره لقوله - تعالى - : ﴿قُلْ إِنْ تُخَفُّوا مَا فِي صُدُورِكُمْ أَوْ تُبْذَرُوا يَعْلَمُهُ اللَّهُ وَيَعْلَمُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ [آل عمران: ٢٩]، يقول الشيخ - رحمه الله - بعد ذكره مقالة السيوطي السابقة:

(١) تفسير الجلالين، ١ / ٥٤٧ بحاشية الجمل.

«فإن هذه كلمة باطلة، هو أراد معنى - والله أعلم - لكن التعبير بهذا خطأ، نقول : إن الله - تعالى - قادرٌ على كل شيء يتعلقُ بفعله، أو بفعل عبادِهِ، كل شيء يفعله الله فهو بقدرته - سبحانه وتعالى - (و) كل شيء يفعله العباد فهو بقدرته، وهذا الاستثناء أو هذا التخصيص غير صحيح، بل العقل يشهد لله - تعالى - بكمال أو بعموم القدرة وأنه على كل شيء قدير».

وفي مسألة التفاضل بين الملائكة وصالحى البشر، وهي مسألة أطال فيها بعض العلماء النفسَ، وحشدت لأجلها الأدلة يوردها الشيخ - رحمه الله - من فوائد قوله - تعالى - : ﴿إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَى آدَمَ وَنُوحًا وَآلَ إِبْرَاهِيمَ وَآلَ عِمْرَانَ عَلَى الْعَالَمِينَ﴾ [آل عمران : ٣٣]، يوردها بقوله : «من فوائد الآية الكريمة ما ذكره بعض أهل العلم من أن الصالحين من البشر أفضل من الملائكة، ثم يقول : «وعندي أن البحث في هذه المسألة من فضول العلم؛ لأنه أي فائدة لنا إذا قلنا : إن فلاناً أفضل من جبريل، أو جبريل أفضل من فلان...؟»، وبعد إشارته لشيء من أدلة الفريقين، يقول : (وجمع شيخ الإسلام - رحمه الله - بين هذين القولين، فقال : إن الملائكة أفضل باعتبار البداية، وصالحى البشر أفضل باعتبار النهاية). ثم ينهى الشيخ - رحمه الله - عرضه للمسألة بقوله : (ومع ذلك فيأني أرى أن الإمساك عن هذا أولى.. وأما أيهم أفضل فهذا أمر لم تكلف به).

والحق أن الجانب العقدي في تفسير الشيخ سواء ما يتعلق منه بتوحيد الربوبية أو الألوهية أو الأسماء والصفات، أو غيرها من مباحث العقيدة يستحق أن يفرد بدراسة استقرائية وافية يُبرز من خلالها منهج الشيخ في ذلك.

سابعاً: كثرة القواعد العلمية التي يذكرها ويذكر تطبيقها في الآية، وهي قواعد متنوعة من لغوية ونحوية وأصولية وغيرها ومنها :

- الحكم يدور مع علته وجوداً وعدمًا.
 - الأصل أن الوصف متحقق في الموصوف حتى يتبين خروجه عن ذلك.
 - من تأمل الشريعة وجد أنها تعني بالمعنى أكثر من الاعتناء باللفظ.
 - لا ينبغي الإطلاق في موضع يخشى فيه من التعميم.
 - العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب.
 - عند التنازع نرد المسألة إلى كتاب الله وسنة رسوله.
 - العام لا يدل على جميع أفراد دلالته قطعية، بل دلالة ظنية.
- ولو جمعت هذه القواعد العلمية العامة مع تطبيقاتها، لشكلت كتاباً نافعا لطلبة العلم.
- وبعد، فما ذكر في هذه المقالة غيضٌ من فيض، وقليل من كثير، وعسى الله أن يقيض من يقوم بدراسة منهج الشيخ في عموم العلوم التي برع فيها، فيبرز فيها ما يفيد طلبة العلم من تراث الشيخ المبارك ولا نملك في الختام إلا أن ندعو له بالمغفرة والرحمة، ونسأل الله أن يبلغه الفردوس الأعلى جزاء ما قدم، إنه سميع قدير، وبالإجابة جدير.

(٤) زهده :

اشتهر الشيخ بزهد في الحطام الفاني، وقد زرته في بيته القلبي بعينزة عندما دعاني لطعام الإفطار في رمضان، وقد كان من الطين، وكان بيتاً بسيطاً جداً يذكر بيوت الأوائل وزهدهم.

وكان الشيخ يؤثر أن يمشي من بيته إلى الجامع على قدميه غالب الأحيان، ويعتذر لمن يريد أن ينقله في السيارة، ويجب أن يمشي هذه المسافة التي تتراوح ما بين عشر دقائق وربع ساعة على رجليه، وقد كان يقرأ ورده من القرآن أو الأذكار.

وذلك في شدة الحر أو شدة البرد، فهذا ديدنه الذي أدركته عليه في بيته القدم، وقد حصل أن زارني الشيخ في مكة سنة ١٤٠٧ هـ عندما رزقت بابنتي الكبرى، وعند انصرافه قلت له : يا شيخ ألا ترغب أن يقوم أحد بتوصيلك إلى الحرم بالسيارة - حيث كان المتزل في مكان جبلي في منطقة أجياذ - فقال : لا، والحمد لله أنني لا أحسن قيادة السيارة.

وقد سألته في هذا المجلس عما يدعيه بعض العلماء من الاستدلال لجماعة التبليغ على توقيت الخروج، بقوله تعالى : ﴿قُلْ تَمَتَّعُوا فِي دَارِكُمْ ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ﴾. وقوله تعالى : ﴿وَوَاعِدْنَا مُوسَى ثَلَاثِينَ لَيْلَةً وَأَتَمَمْنَاهَا بِعَشْرِ﴾. إلى آخر ما استدل به. فكان جواب الشيخ بعد أن تبسم : هذا لا يصدر من عالم.

ومن زهد الشيخ : أنه كان يلبس نعلًا معروفًا لها أصبع، لا تتجاوز قيمتها خمسة عشر ريالاً، ويلبسها دوماً. وقال الشيخ محمد صالح المنجد :

«كان - رحمه الله تعالى - زاهداً في الدنيا، ليس من أهل العقارات والأموال، وما يأتيه من الرواتب ينفقه على أهله، وقد أعطي سيارة جديدة فلم يستعملها، فلما علاها الغبار سحبت من أمام البيت. وأعطى بيتاً كبيراً فوهبه لطلبة العلم.

وسيارته قديمة «مازدا» في الثمانينات «يعني الموديل»، ومن تأمل غترته وبشته، ونعاله عرف أنه رجل زاهد غير متعلق بالدنيا»^(١).

(١) محاضرة للمنجد بعنوان (١٠٠ الفائدة من العلامة ابن عثيمين)، وجاء في الاقتصادية بعدد : ٢٦٥٢ أن السيارة من نوع (كريسيدا).

قال الشيخ فهد بن عبد الله السنيـد : «وأما زهده فيكفي أن تعلم أن ريع كتبه التي تطبع بإذنه لصالح الأعمال الخيرية، ويشترط على من يقوم بطباعة كتبه ألا يحتفظ بحقوق لمن أراد طبعه، وتوزيعه مجاناً»^(١).

وقال سليمان السالم الحناكي : «وقد ذكر لي من أتى به موقنين للشيخ يعبران عن صفة الزهد لديه :

ففي أحد الأيام كان الشيخ يقف بجوار مسجده مع بعض طلبته يسألونه ويناقشونه في بعض المسائل الشرعية، فأتت سيارة فارهة ونزل منها السائق، وأعطاه مفاتيح السيارة قائلاً : إن هذه السيارة هدية من فلان الفلاني «أحد أعيان البلد» وأبى الشيخ إلا أن الشخص ألح عليه، فأخذ

الشيخ المفاتيح، وركب ذلك الشخص السيارة الأخرى وذهب.
فيقول محدثي :

أن الشيخ تابع حديثه مع طلبته وهو يقلب المفاتيح بيده، ولم يلتفت مطلقاً، وفجأة أتى شاب وسلم على الشيخ، وقال : يا شيخ الليلة زواجي، وإني أرجو أن تحضره، ولكن الشيخ تعذر لبعض الارتباطات، ولكن الشاب ألح عليه بالحضور، فلاحظه الشيخ وقال إن ظروفه لا تساعد، ولكن خذ مفاتيح هذه السيارة فهي هدية مني لك، وأخذ الشاب السيارة وذهب، وعاد الشيخ لحديثه وكأن شيئاً لم يكن.

وموقف آخر :

وهو أن الملك خالد رحمه الله تعالى زار الشيخ في بيته كعادة ولاية الأمر في تقدير العلماء وإجلالهم، ولما رأى الملك منزل الشيخ المتواضع عرض عليه أن يبنى له

(١) مجلة الدعوة، العدد ١٧٨١.

داراً جديدة، فشكره الشيخ وقال : إنني أبني لي داراً في الصالحية «حيّ في عنيزة» ولكن المسجد والوقف التابع له تنقصهما بعض الحاجيات والمستلزمات، وبعد أن ذهب الملك قال له بعض جلسائه يا شيخ ما علمنا أنك تبني داراً في الصالحية، فقال الشيخ : أليست المقبرة في الصالحية !!!^(١)

وقال الشيخ الدكتور عبد الله بن عبد المحسن التركي :

أذكر لفضيلته موقفين نادرين في عصرنا الحاضر :

أحدهما : أنه بعد صدور نظام الجامعة أجرت الجامعة تصنيفاً لأعضاء هيئة التدريس فيها حسب (الكادر) الجامعي، وكانت الإجراءات لبعض الدرجات تتطلب تقلم أبحاث ودراسات في مجال الاختصاص، فلم يتقدّم بأي بحث، وحينما فوُتِح برّر ذلك بأن العالم لا ينبغي أن يستشرف للرتب والترقيات، وأن أهل العلم الشرعي يحسن بهم الاحتساب والعمل لوجه الله، وما يأتي تبعاً لذلك فلا بأس به.^(٢)

وقال الشيخ محمد العبد الله الحميدي : «عينت مديراً للمعهد العلمي بعنيزة عام ١٣٩١هـ في الوقت الذي كان فيه الشيخ محمد بن عثيمين لا يزال في موقعه كمدرّس ولاحظت بأنه رحمه الله كان يتخرج من دخول المسابقات في الوظائف «نظام المراتب القديم» لاقتناعه الكامل فيما جاء بالأثر «ما جاءك من هذه الدنيا فخذها، وما لم يأتك فلا تتطلع إليه» ولزده في الدنيا وقدراته العلمية والرغبة في الاستفادة منها في مجال التعليم».^(٣)

(١) جريدة الجزيرة، العدد ١٠٣٣٦.

(٢) مجلة الفيصل، العدد ٢٩٤.

(٣) الجندى المسلم، العدد ١٠٢.

وقال الشيخ خالد بن عبد الرحمن الشايع :

«وما تحلى به الشيخ ذلك الزهد الذي يذكره زهد السلف الصالح وورعهم، وكان ذلك في لباس الشيخ المتواضع، وفي بعده عن كثير من مظاهر الأبهة التي يتعاطاها كثير من الناس، وجملة القول أن الشيخ قد زانه الله بخلق كريم، في بيته ومع أهله وطلابه وعموم الناس»^(١).

وقال محمد إبراهيم السبيعي :

«أما عن زهده فحدث ولا حرج، وأذكر أنه حينما زاره الملك خالد بن عبد العزيز يرحمه الله في منزله الطيني البسيط في عنيزة، عرض عليه أن ينتقل إلى سكنٍ آخر، أو قبول أي مبلغ لبناء سكن مناسب.

لكن الشيخ دعا للملك خالد الذي ألح على الشيخ لقبول هذا الأمر، فآثر أن يوجه هذا التبرع لشراء العمارة القرية من الجامع، لتكون مكتبة لطلبة العلم، فاشتراها الملك بسبعة ملايين مع مبالغ نقدية للطلبة»^(٢).

وقال الشيخ راشد الزهراني :

يقول أحد الإخوة وكان مرافقاً للشيخ : «رافقت الشيخ إلى زيارة أحد المسؤولين، فلما دخلنا قصره هالني ما رأيته من أنواع الأشجار والورود وجمال الطبيعة، فقلت وتذكرت نعمة الجنة : نسأل الله عز وجل أن يرزقنا الجنة، فقال رحمه الله : سبحان الله، سبحان الله، أو يحرك ذلك ما في قلبك عن الجنة ؟ إن الجنة أعظم بكثير من أن تقارن بها الدنيا الفانية.

(١) جريدة الرياض، العدد ١١٨٩١.

(٢) الاقتصادية، العدد ٢٦٥٠، وذكرتها للزيادة عما سبق.

يقول : ولما دخلنا المسجد لأداء الصلاة، خرج الشيخ فلم يجد حذاءه، فبدأنا بالبحث عنها، فأمر له بحذاء، فأبى، فرأيت جندياً يبكي، فقلت: ما يبكيك رحمك الله ؟ فقال : أبكي لما أرى، هذا ابن عثيمين الذي ملأ اسمه الآفاق، وهو بهذه الثياب، ويبحث عن حذاءه !»^(١)

وقال الشيخ أحمد القاضي: «وحتى حين عيّن على المرتبة الممتازة التي من خصائصها تعيين سائق وسيارة لصاحبها ظلّ لا يستعملها إلا في التنقلات المتعلقة بالعمل، حتى لربّما تمرّ الأيام دون أن تتحرك»^(٢).

(٥) ورعه :

الزهد والورع صفتان نبيلتان يتحلى بهما كرائم الرجال، والزهد كما عرفه أهل العلم : هو ترك ما لا ينفع في الآخرة، والورع: ترك ما يخشى ضرره في الآخرة. والشيخ رحمه الله تعالى قد تحلّى بكلا الصفتين الكريمتين، وقد سبق الحديث عن زهده، وهذه نماذج من ورعه.

قال الشيخ الدكتور يوسف بن عبد الله الزامل :

«جئته مع وفد اقتصادي في أمسية عصر جميلة في منزله القديم، وتحدثنا في بعض الأمور، وشكونا إليه شخصاً مسيئاً، فكأن الشيخ تكلم فيه بضع كلمات تبين أذاه، ثم تحدثنا في موضوعات أخرى وقضينا بعد مدة مجلسنا، وكان المجلس مسجلاً في

(١) شريط معالم في حياة فقيه المسلمين ابن عثيمين، بواسطة (صفحات مشرقة من حياة الإمام محمد

بن صالح العثيمين) لمحمد المطر.

(٢) المجلة الإسلامية، إذاعة القرآن الكريم.

شريط، وعندما أردنا أن نخرج قال لي: انتظر، أعطني الشريط، أريده ثم أرجعه لك، ثم بدا له فقال : أتعرف تلك الكلمة التي في الشريط عن فلان، امسحها»^(١)

وقال الشيخ عائض الراددي :

«وما زلت أذكر موقفَ الشيخ من اسم برنامج «من أحكام القرآن» في إذاعة القرآن الكريم، فقد أقرته الإذاعة باسم «أحكام القرآن» فأصرَّ الشيخ على أن يكون الاسم «من أحكام القرآن» التزاماً منه بخلق العلماء، وتواضعهم وورعهم، فهو لم يرد أن يوصف ما استنبطه من آيات الذكر الحكيم بأنه كل ما في الآيات من أحكام، بل أدخل «من» ليكون ما يقوله شيئاً مما استنبط من الآية»^(٢)

وقال الدكتور عبد الله بن عبد المحسن التويجري :

«إنه عرض لمسألة في المسح على الخفين، وذكر أن فهمه للدليل كذا، ولولا أنه لا يعرف من قال بها من السلف لأفتى بها»^(٣)

وقال الشيخ محمد صالح المنجد :

«وكان متحرّياً للدقة، وحتى في تصحيح درجات الطلاب فرمما يعطي واحداً من خمسٍ وأربعين، وواحداً من ثمانين، فيقول له بعض من حوله من المدرّسين : إلى هذه الدرجة الدقة ! فقال : لا أستطيع أن أزيده فأظلم غيره، ولا أنقصه فأظلمه»^(٤)

(١) مجلة الأسرة، العدد ٩٢.

(٢) الجزيرة.

(٣) مجلة الدعوة، العدد ١٧٧٦.

(٤) الدعوة، العدد ١٧٧٧.

وقال الشيخ الدكتور إبراهيم بن عبد الله المطلق :

«في عام ١٤١٧هـ وفي شهر شوال، استضافته جامعة الإمام في دورة المبتعثين في المعهد العلمي بجدة في محاضرة علمية للمبتعثين، ليجيب على أسئلتهم الشرعية، وقد تزامن ذلك مع اجتماع هيئة كبار العلماء في مدينة الرياض، فاعتذر الشيخ عن المحاضرة إلا أن يأذن له سماحة الشيخ عبد العزيز بن باز، فأذن له، فحضر وقد شرفت بمرافقته وقراءة الأسئلة على فضيلته، وفي نهاية المحاضرة طلبت منه توقيع نموذج يتم من واقعه صرف مكافأة لصاحب المحاضرة، فلما صلى الشيخ رحمه الله تعالى المغرب وجلست بجواره لاستكمال الإجابة على الأسئلة، قال لي: أين الورقة التي قبل قليل؟ فأعطيتها إياه، فمزقها، فقلت له : لما فعلت هذا يا شيخ أحسن الله إليك ؟

قال : نحن محسوبون الآن على هيئة كبار العلماء بالرياض.

فأكبرت هذا الورع العظيم في شخصه رحمه الله تعالى حيث رفض مكافأة الجامعة على هذه المحاضرة رغم تكلفة مشقة السفر إلى جدة معللاً ذلك بأنه في حال انتداب إلى الرياض لحضور اجتماع الهيئة، فرحمه الله رحمة واسعة»^(١).

وقال الشيخ عبد الرحمن العشماوي :

(ومما رواه لي بعض الأخوة الثقات عن أمانة الشيخ : أحد الإخوة كان ينقله معه من عترة إلى بريدة للعمل في الجامعة، ويقول : أنا في نقل الشيخ معي كنت أستفيد فائدة كبيرة؛ علم، وأسئلة، والشيخ يجيبني، وأفاجأ به في آخر كل شهر عندما يستلم راتبه يأخذ المبلغ المقتطع للنقل ويسلمه لي، وأنا أحاول ردّ المبلغ، فيقول : لا يمكن لأن هذا المبلغ مخصص للنقل، وأنت نقلتني فيجب أن تأخذه»^(٢)).

(١) مجلة الدعوة، العدد ١٧٧٦.

(٢) مجلة الدعوة، العدد ١٧٧٦.

وقال أيضاً : «ومن الأشياء العجيبة عنه أنه كان إذا استخدم قلمه في الجامعة واضطر أن يملأ قلمه بالخير من «الدواة» من مكتبة الجامعة، بعد أن ينتهي من العمل، وقبل أن يخرج يفرغ ما بقي من الحبر في قلمه في «الدواة» بالمكتب، ثم ينطلق»^(١)

وقال الشيخ عبد الرحمن بن علي التّهّابي إمام وخطيب جامع الصالحية، وعضو الجمعية الخيرية الصالحية :

«وفي مجالس الجمعية لاحظت الورع في تعامله رحمه الله، فلا يمكن أن يدخل على الجمعية ما لا يصحّ أن يدخل فيها أو يخرج منها، ما ليس فيه مصلحة ظاهرة، أو منفعة تعود على الجمعية.

ومن ذلك : أنه وصلنا تبرع من آل الإبراهيم وفقهم الله بمبلغ مائة ألف ريال، وكان مزيل في الشيك أنه زكاة، فعرضنا ذلك على فضيلته، فقد كان أفتى بعدم صرف الزكاة لجمعية تحفيظ القرآن الكريم، وقلنا سنضعه في الطلاب الفقراء والمعلمين المحتاجين، فقال : ليرد عليهم المبلغ، أو يراجعون في تحويله لصرفه لغرض الزكاة.

وكان يقول : نحن مسؤولون عن هذا المال الذي بين أيدينا فلا نستعين ولا بريال واحد»^(٢).

وقال الدكتور عبد الله بن علي الجعيش :

«ومن أمثلة ذلك : أنه كان رحمه الله يميل إلى قوة القول بأن لا بس الخفّ لو نزعه وهو على طهارة مسحاً أنه له إعادته والمسح عليه، لكنه أوقف القول به على وجود قائل به ممن سبقه، حيث قال - رحمه الله تعالى - فالذي يمنعني من

(١) المصدر السابق.

(٢) جريدة الجزيرة، العدد ١٠٣٤٦.

القول به هو أنني لم أطلع على أحدٍ قال به، فإن كان قال به أحد من أهل العلم فهو الصواب عندي»^(١).

ومن ذلك أن الشيخ أفق بفتيا اتهمه الناس على إثرها بتهم شتى تتعلق باعتقاده، وذات مرة سأل أحد طلبة العلم عن تلك الفتوى وما أثارته، فأجابه الشيخ، وقال ضمن إجابته: «إن الناس إذا رأوا إنساناً مشهوراً تكلموا عليه، وطعنوا فيه حسداً من عند أنفسهم» وفي المساء طلب الشيخ شريط التسجيل الذي تضمن هذا الكلام، وطلب حذفه، وقال: «قولي: إنساناً مشهوراً ما كان ينبغي لي قولها، فهذه فيها تزكية للنفس»^(٢).

وقال في شرح زاد المستقنع في أحد الدروس:

«قضية الأوامر والنواهي لم أصل إلى ضوابط محددة في هذه المسألة، لأننا لو قلنا بوجوب كل أمرٍ لكلفنا الناس، وإلى ساعتي هذه ما وجدت ضابطاً تنضبط به جميع الأوامر وجميع النواهي، لأنه يخرج من الوجوب كثير من الأوامر بالاتفاق، وأما ما خالف الإجماع فالأمر فيه واضح»^(٣).

وقال الشيخ عبد العزيز بن محمد الوهبي:

«وكان رحمه الله يرفض أن يتسلم رواتب الدروس التي يتخلف عن تدريسها في الجامعة، نظراً لبعض انشغالاته»^(٤).

(١) الدعوة، العدد ١٧٧٧.

(٢) الأسرة، العدد ٩٢.

(٣) المصدر السابق.

(٤) الاقتصادية، العدد ٢٦٥٠.

وقال الشيخ محمد بن صالح المنجد :

«خرج الشيخ مرة مع شخص في سيارته من عنيزة إلى بريدة في مهمة في مشروع خيرى، فأسرع السائق المرافق للشيخ، وكان في الطريق نقطة تفتيش على السرعة الزائدة، فأوقفوا السيارة لإعطائه المخالفة، فنظر العسكري في السيارة، فإذا فيها الشيخ محمد بن صالح العثيمين، فاستحيا وقال : تفضّلوا امشوا، فمشت السيارة، وبعد برهة يسيرة، قال الشيخ للذي معه : لماذا أوقفونا ؟ قال : لأجل السرعة الزائدة، قال : ارجع إلى هذه النقطة، فاستدار ورجع إلى أمر الشيخ، فلمّا وصل إلى المكان قال لهذا العسكري : لماذا أوقفنا قبل قليل ؟ قال : يا شيخ كان فيه سرعة زائدة، قال ولماذا تركنا غمضي ؟ قال : قلت لعلكم مستعجلين وعندكم مسألة مهمّة، قال : لا، كم هي مخالفة السرعة ؟ قال : يا شيخ ما فيه داعي ؟ قال : كم مخالفة السرعة ؟ ثلاثمائة، هذه مائة وخمسون متّى ومائة وخمسون تأخذها من هذا لأنه خالف ولأنّي ما نصحتّه، وأصرّ على دفع المبلغ»^(١).

وقال الدكتور أحمد بن سليمان العريبي :

«عندما درّسنا لمادة العقيدة في كلّية الشريعة بالقصيم، وأجرى لنا امتحان أعمال السنة، كان الامتحان يوم الأحد، وفي السّبت الذي يليه أحضر أوراق الإجابة مصحّحة، بينما عدد الطّلاب يفوق الثمانين، فسلمّ لنا الأوراق وقال : اقرؤوها، ومن وجد أنّي ظلّمت في شيء من الدرجات أثناء التصحيح فليراجعني، وأذكر أن أحد الزّملاء راجعه في نصف درجة فأضافها له»^(٢).

(١) شريط ١٠٠ فائدة من العلامة ابن عثيمين.

(٢) الدعوة، العدد ١٧٧٧.

وقال الشيخ بدر بن نادر المشاري :

«كان رحمه الله لا يستخدم أقلام وأوراق الدوائر الحكومية في أعماله الخاصة والشخصية، حدثني أحد طلاب الشيخ : أنه في أيام الحج يقول : كنّا في صحبة الشيخ، وقد وفّرت له الدولة وفقها الله هاتفاً مجانياً بالصّفر الداخلي، وإذا أراد أن يتصل الشيخ اتصالاً شخصياً اتصل بماتفه الخاص، وكان يقول : هذا هاتف يستقبل ولا يرسل، بل ويقول نفس طالب الشيخ :

اتصل بي في إحدى المحاكم بالملكة وقال : لديّ ورقة خاصة أريد أن أرسلها لك بالفاكس، أعطني رقم الفاكس، فقلت : هذا الرقم يا شيخ يتحول إلى فاكس، فقال الشيخ : أليس هذا رقم المحكمة ؟ قلت : بلى، قال : والفاكس أليس للمحكمة ؟ قلت : نعم، قال : كيف أرسل ورقة خاصة على حساب بيت مال المسلمين ؟ اذهب واشتري فاكساً لأرسل لك الورقة، وتم ذلك»^(١).

وقال الشيخ عقيل بن عبد العزيز العقيل :

«دعاني الشيخ ابن عثيمين للطعام، وكان نوعاً واحداً على السفرة، وبعد أن تناولنا الغداء أعطاني كيساً فيه مبلغ كبير من المال جُمع في المسجد لصالح المسلمين، ولما خرجت لحقني الشيخ مسرعاً قبل ركوعي، وينادي بي، فقلت : ماذا تريد يا شيخ ؟ فقال : انتبه، إن في الكيس نصف ريال، فقلت : أبشر يا شيخ، وعندما فتح الكيس وعددنا الأموال وجدنا نصف ريال، وكان الشيخ من حرصه على أموال الناس وصدقاهم خائفاً أن ننسى هذا النصف...»^(٢).

(١) شريط (أحب لقاء ربّه) نقلًا عن صفحات مشرقة لحمود المطر.

(٢) جريدة الرياض، العدد ١١٨٩١.

قال الأخ خالد بن صالح الشبل :

«كان للشيخ محاضرة في إحدى الدور الصيفية للبنات التابعة لجمعية تحفيظ القرآن في عنيزة، ولما حضر كنت أحضرت معي إناءً صغيراً فيه رطب، وكان الرطب في بدايته، ولما قَدَّمته للشيخ أكل منه اثنتين أو ثلاثاً، واستغرب أن يوجد هذا في ذلك الوقت، لكنني قلت له : إن هذا من نخلة عندنا بجوار المسجد، وتُسقى من ماء المسجد، ويأكل منها جماعة المسجد والمارة، فتغير وجهه وقال لي ولم يكن معنا أحد: يعني ليست عندك في البيت ؟ قلت : لا، فأخرج من جيبه عشرين ريالاً، ومدّها لي، فحاولتُ رَدّه، لكنه رفض بشدّة، فأدخلت المبلغ للمسجد، وندمت إن كنت أسأت إلى الشيخ من حيث لا أريد ذلك، وإِنَّمَا أَحْبَبْتُ أَنْ يَطْعَمَ مِنْهَا حُبّاً لَهُ»^(١).

وقال الشيخ عبد الله بن عبد العزيز الغفيص :

«ذات مرة ونحن في الغرفة التي يجلس بها في المسجد الحرام للرد على أسئلة المستفتين ازدحمت الغرفة كثيراً بسبب وفود قدمت من الجمهوريات الإسلامية في الاتحاد السوفيتي، وجاء وقت الإفطار، فأخذ يوزّع التمر على الضيوف بنفسه رحمه الله، وقام أحد الطلبة بإدخال أحد ترامس الماء التي خارج الغرفة بجوار الباب لكثرة الناس داخل الغرفة، وكان الترمس الذي بداخلها لا يكفي، فقال الشيخ : لا تُدخله، فهذا لم يوضع لنا داخل الغرفة، وإنما للمصلين الذين بالخارج.

ومن ذلك أيضاً : أنه كان يقتصد في الإضاءة داخل الغرفة، فعندما أشعل الأنوار وقد تكون ثلاثاً أو أربعاً، يقول : يكفي واحدة أو اثنتان ويأمرني بذلك»^(٢).

(١) الجزيرة، العدد ١٠٣٣٩.

(٢) ملحق الأربعاء، عدد يوم ٢٩/١٠/١٤٢١هـ.

وقال د. أحمد بن عبد الرحمن القاضي :

«من عجائب ورعه ودقته أنه إذا تغيب عن إمامة الجامع بسفرٍ أو نحوه دفع ما يقابل راتب الإمامة لمن استخلفه، وكان إبان تدريسه بالمعهد العلمي كما حدثونا من سبقونا أنه إذا تأخر عن الدوام ولو لبضع دقائق أثبت ذلك في سجل الحضور والانصراف، وكتب أمامه : بغير عذر»^(١).

ومن أبرز مظاهر الورع عند الشيخ رحمه الله تعالى ما اشتهر عنه من رفضه للمناصب الكبرى، ومنها منصب القضاء. فقد أصدر الشيخ محمد بن إبراهيم مفتي المملكة العربية السعودية ورئيس قضاها أمره بتولي الشيخ - المترجم - القضاء في محكمة الإحساء رئيساً لها.

فاعتذر الشيخ ولم يقبل الشيخ ابن إبراهيم رحمه الله تعالى اعتذاره لما يجده في الشيخ ابن عثيمين من القدرة على تولي هذا المنصب الهام والخطير في نفس الوقت، لكن الشيخ محمد ألح في رفضه، وبعد اتصالات مع الشيخ ابن إبراهيم - رحمه الله تعالى - قبل اعتذاره.

وقال الشيخ عبد القادر محمد العماري، رئيس المحاكم الشرعية بقطر سابقاً :

«فابتعاده رحمه الله عن القضاء على الرغم من إلحاح فضيلة الشيخ محمد ابن إبراهيم عليه يدل على زهده وورعه، ولكن إلحاح الشيخ محمد باعتباره رئيس القضاء كان مبنياً على أن من مسؤوليته أن يتولى الأكفاء والزهاء، وأن من واجبه المشاركة في المسؤولية حتى لا تخلو الساحة من الأكفاء والمخلصين، ويترك الحبل على الغارب، وتكون النتيجة عكسية، فيتحمل مسؤوليتها الجميع أمام الله...»^(٢).

(١) جريدة البلاد، العدد ١٦٢٤٤.

(٢) المستقبل الإسلامي، العدد ١١٥.

(٦) تواضعه :

إنَّ سجية التواضع من السَّجَايا التي تحلَّى بها الشيخ، وألقت له المحبة والقبول في نفوس العامة والخاصة من النَّاس، فهو متواضعٌ في ملبسه وممشاه، وجلوسه مع النَّاس، وتعامله معهم، وفي حله وترحاله، وفي سائر شؤونه رحمه الله تعالى وغفر له.

قال الدكتور يوسف بن عبد الله الزَّامل : «أتجهت صباح أحد الأيام إلى المطار لأسافر إلى الرياض لمناقشة رسالة [ماجستير] في الاقتصاد الإسلامي، ولم أشعر وأنا أمرّ بالفحص الأمني إلا والشيخ رحمه الله تعالى يمرّ بجانبني، فسلمت عليه بشعور اختلط فيه السرور، مع المفاجأة، وكان الشيخ خفيف الحمل فلم يكن معه خفية، ولذلك سرعان ما تقدّم حتى ابتعد كثيراً، وما إن جمعت حقيبتيّ بعد فتحها حتّى هرولت مسرعاً للحاق به، وما إن صعدنا الطائرة حتّى قال له أحد المضيفين : تقدّم ياشيخ، فالمقاعد في الدرجة الأولى خالية، فقال: لا، وإن أذنتم جلوسنا في مؤخرة الدرجة السياحية خلف النَّاس، فبادر المضيف : (تفضّلوا)، ولما أردنا الجلوس خلع الشيخ (البشت) أي [العباءة] فقال المضيف: أعطنا نعلقه، فقال الشيخ: لا، ما يحتاج (عتيق) أي أن البشت قديم لا يستحقّ مزيد عناية وطواه بنفسه ووضع في الكرسيّ الوسط وجلس إلى النافذة وجلست بجانبه على كرسيّ الممر...»^(١).

وقال الدكتور عبد الله بن عبد المحسن التويجري :

«ولا أنسى في هذا المقام أنني عاتبت أخانا الفاضل عبد الكريم المقرن - المذيع بإذاعة القرآن الكريم - حيث قلت له : لماذا عند التعريف بالشيخ عند تقديم برامج

(١) مجلة الأسرة، العدد ٩٢.

- مثل نور على الدرب - وسؤال على الهاتف، وتفسير آيات الأحكام، لا تذكرون أنه عضو هيئة كبار العلماء، لأنه أعلى الألقاب للشيخ؟ فقال: إن الشيخ يرفض ذلك بتاتاً، وقد حاول معه بعض المشايخ وطلبة العلم، ومع ذلك رفض^(١).

ويذكر الشيخ عبد الرحمن بن علي النهائي عن خروج الشيخ معهم في رحلة برية وهم طلاب في المرحلة الثانوية:

فقال الشيخ عبد الرحمن: «أتذكر أن فضيلته بعد التوجيهات، والتعليم، والترتيب، ابتدأنا بالسباق على الأقدام فكان والدنا الشيخ هو الأول مع أحد الطلاب، فكانت النتيجة أن سبق الشيخ الطالب لقوة جريه، ثم تتابع السباق»^(٢).

وقال الدكتور عبد الله بن حافظ الحكمي:

«ولقد حضرت مناسبات ومآدب لفضلاء أجلاء من كبار العلماء والمشايخ والوجهاء، والشيخ من المدعوين لها، فيأتي المدعوون بمظهر أنيق، وسيارات فاخرة بما أباحه الله لعباده، ويأخذون مجالسهم في هدوء منهم ومن الحاضرين، ويأتي الشيخ متأخراً، أين سيارته، إنها هذا الوئيت، أو الجيب، أو تلك السيارة الصغيرة التي يزدرى بها النظر لأحد طلبته من صغار السن، وإذا بالشيخ بقامته القصيرة، وجسمه النحيل، وعباءته المتواضعة، قد قصر ثوبه، ووضع غترته البيضاء على رأسه من غير تكلف، وقد أحاط به محبوه من كل مكان.

فإذا أقبل تسابق المستقبلون للحفاوة به، وإذا دخل المجلس ارتج المجلس لحضوره، يحبونه ويكرمونه بصدر مجلسهم، والشيخ هاش باش يرد التحية بأحسن

(١) الدعوة، العدد ١٧٧٦.

(٢) الجزيرة، العدد ١٠٣٤٦.

منها، ويقابل الثناء بالدعاء، تأخرت علينا يا شيخ، فيعتذر : نعم، نعم، لقد كان عندي درس وتأخرت لإجابة السائلين والمستفتين، ولم أتمكن من الحضور إلا الآن، فإذا جرى الكلام كان كلامه مقدماً ورأيه ظاهراً»^(١).

وقال العقيد الركن/ علي بن محمد الحشان : «دُعي مرة لإلقاء محاضرة في المعهد الملكي الفتي بالقصيم، فلما أفنى المحاضرة صار الخروج من باب غير باب الدخول، فسارع أحد الطلبة للإتيان بجذاء الشيخ، وقال ذلك الطالب : سأحمل الجذاء حتى تخرج، فرفض الشيخ، وقال مازحاً : أتريد أن تأخذها لك، وكان أيضاً إذا دخل المسجد حمل حذاءه بنفسه، ووضعه بجواره حيث يوجد عازل؛ لئلا تؤذي للمؤمنين»^(٢).

وذكر الشيخ عبد العزيز بن حمين الحمين رئيس محكمة محافظة الرّس مظهراً من مظاهر تواضعه :

«إشياء السلام على الصغير والكبير، حتى على عمّال النظافة والبيعة في الأسواق، في رحمة وألفة عجيبة تخرج بلا تكلف ولا عناء، مع ابتسامة إيمانية تأخذ القلوب، تطبيقاً لقوله ﷺ : «أفشوا السلام» الحديث.. وهو أسلوب تربوي دعوي لا يكلف شيئاً لكنه عظيم الأثر، عميق التأثير»^(٣).

قلت : ومن تواضع الشيخ قوله عن نفسه : «ولست من الذين يصحّ نسبتهم إلى علم الحديث، ولكنني اتجهت إلى علم الحديث»^(٤).

(١) الدعوة، العدد ١٧٧٨.

(٢) مجلة الجندي المسلم، العدد ١٠٢.

(٣) جريدة الرياض، العدد ١١٨٩٦.

(٤) الدعوة، العدد ١٧٧٦.

فليتعض بهذا من يحفظ حديثاً أو حديثين فيدعى بين الأنام محدثاً.

وقال الأخ كمال أحمد صابر «أمين مكتبة السكن الطلابي» :

«في مرحلة إنشاء السكن الجديد للطلاب كان الشيخ رحمه الله تعالى يأتي يومياً لمتابعة المبنى، ويتطلع على الأمور والمستجدات بنفسه مع العمال والمهندسين، وفي ذات يوم وهو يقوم بالتفقد للسكن أراد الشيخ رحمه الله تعالى أن يطمئن على خزان الماء الأرضي للسكن، فقام برفع غطاء الخزان الأرضي ليتأكد من نظافته، وذلك مما يدل على تواضع الشيخ وحرصه الشديد على طلابه»^(١).

وقال أيضاً :

«كان من تواضعه أنه رحمه الله يحمل معي بنفسه صناديق الكتب التي تأتيه إلى البيت، حيث إن الشيخ يقوم بالاتصال عليّ في المكتبة، ثم أذهب إليه في البيت، ثم أقوم بعمل فهرسة هذه الكتب التي تأتي من داخل البلاد وخارجها، فكان الشيخ رحمه الله تعالى يحمل معي الكتب، ويجلس على الأرض»^(٢).

ويقول إبراهيم بن الشيخ محمد بن عثيمين عن والده المترجم :

«كان للشيخ نفقات كثيرة وخدمات متعددة من الصعب أن أعرفها حتى لو علمت منها أشياء، فهناك الكثير الذي لا أعلمه، والسبب في ذلك أنه كان يدير أمواله وأعماله بنفسه، لم تكن له سكرتارية ومكتب، أو مثل هذه الأشياء، ورغم ذلك كان منظماً حتى مخاطباته كان يكتبها بخط يده»^(٣).

(١) الدعوة، العدد ١٧٧٧.

(٢) الدعوة، العدد ١٧٧٧.

(٣) الأسرة، العدد ٩٢.

ومن بساطته رحمه الله تعالى ما ذكره الشيخ عبد المحسن القاضي :

«أن الشيخ ذات مرة حين كان قادماً من مسجده إلى بيته على رجله أراد الجنود منعه من المرور بجوار منزله نظراً لأن ولي العهد سيقوم بزيارة الشيخ ابن عثيمين، فأخبرهم بأنه ابن عثيمين الذي سيزوره ولي العهد، ولم يعرفه الجنود حينها»^(١).

وقال محمد الناصر العربي :

«كان من شدة تواضعه لا يكتب اسمه تحت لقب الشيخ، ولا بالابن، وإنما يكتب محمد الصالح العثيمين كما ترونها في فتاواه وتزكياته، وسمعت في محرابه يقول لشخص : اذهب لفلان، وقل له يقول لك محمد العثيمين كذا وكذا»^(٢).

وقال الطالب عبد الرحمن الوكيل :

«وأذكر قصة حدثت في أحد تلك الدروس «في الحرم المكي» حيث كنت جالساً إلى جوار الشيخ، وعندما انتهى من الدرس قدم له أحد طلابه كوباً من الماء، فشرب نصفه، وقدم لي نصفه الآخر، فكان موقفاً لا ينسى بالنسبة لي»^(٣).

وقال الشيخ فهد بن عبد الله السنيدي :

«كنت أكل معه رحمه الله أكلة السحور في مكة، وكنت جالساً إلى جانبه، فلما شرع في أكل الفاكهة صار يعطيني منها، وهذا يدل على تواضعه، وحسن ملاحظته لطلابه».

(١) جريدة الوطن، العدد ١١٢، بتصرف يسير.

(٢) الجزيرة، العدد ١٠٣٣٥.

(٣) الجزيرة، العدد ١٠٣٣٦.

وأذكر أيضاً : في عام ١٤٠٦ هـ في عنيزة أن بعض الحاضرين أحضر نعلي الشيخ - رحمه الله تعالى - لما أراد الخروج من المسجد ليلبسهما، فرفض الشيخ ذلك، وأمره بأن يعيدهما إلى مكانهما»^(١).

قلت : وما أذكره مما رأيته من تواضع شيعي رحمه الله تعالى أنه في عام ١٤٠٦ هـ بعد تخرجي من الجامعة الإسلامية بالمدينة النبوية، احتجت إلى عدد من شهادات التعريف «التركيات» من الشيخ لأتقدم للحصول على الماجستير فطلبت من الشيخ أن يكتبها لي، وقد كان في الحرم المكي فجلس على الدرج النازل من الدور الثاني إلى الدور الأول ناحية باب الملك عبد العزيز، وبدأ يكتب لي هذه التعاريف، وأذكر أنها كانت خمسة مقدمة إلى خمس جهات.

وما أذكره أيضاً أنه في عام ١٤١٣ هـ أتى الشيخ للعمرة، ولم يكن كثير أحد يدري أنه في الحرم، فطلبت منه أن أصحبه في عمرته لأنظر ماذا يصنع، وبعد الانتهاء من العمرة أتجه إلى السيارة التي أتى فيها، وقام بتبديل ملابسه بجوار السيارة الواقفة أمام مستشفى أجياد كما يفعل الفقراء والضعفاء ممن لم يتيسر لهم مسكن بمكة، وهذا من تواضعه رحمه الله وغفر له، وفي هذه المرة وبعد صلاة العصر أراد الشيخ الخروج من الحرم، فذهب أحد محبيه لإحضار نعله، ففضب الشيخ وقال له: تب إلى الله، فقال حاضر يا شيخ سأفعل لكن ليس الآن، فقال : بل الآن.

وفي هذه السنة ١٤١٣ هـ احتجت أيضاً إلى تعريف من الشيخ، فطلبت منه ذلك، فجلس في الصحن حول الكعبة، وكتبه لي، ولا يزال معي إلى الآن^(٢). فرحمه الله تعالى وغفر له.

(١) الدعوة، العدد ١٧٨١.

(٢) انظر صورة منها في مقدمة الكتاب.

وقبل هذا بسنوات في عنيزة كنت جالساً مع فضيلته في المسجد الموقت أثناء بناء المسجد الجامع الجديد، وتعطل الميكروفون، فقلت للشيخ : هل تسمح لي بإصلاحه، فقال : إذا أردت أن أعلمك طريقة الإصلاح فأنا على استعداد لذلك، أو كما قال رحمه الله تعالى وغفر له.

وقال الشيخ عبد المحسن القاضي :

«مرة كان في إحدى حلقات التعليم، أحد طلابه ذهب إلى دورة المياه، فانكسرت «أنبوبة» الماء، فأتى إلى الشيخ في وسط الحلقة وأخبره بذلك فما كان من الشيخ رحمه الله - وكان في مسجد بجوار بيته يدرس في الصباح - إلا أن ذهب وأتى بعدة الإصلاح «السباكة» هو الطلاب، واجتمعوا وأصلحوا هذه «الماسورة»، ثم رجع لدرسه ليكمل»^(١).

وقال النقيب صالح بن عبد العزيز العجلان :

«أذكر في ذات مرة كنت في مجلسه في منى أثناء موسم الحج، وكان في نفس المجلس «المخيم» سماحة مفتي الديار السعودية الشيخ عبد العزيز بن باز رحمه الله تعالى حيث يجلس بجانبه، من أجل الفتوى لعامة الناس، وبينما الزحام يختلف من وقت لآخر وكلاهما رحمه الله مشغول في الفتوى والإجابة على الأسئلة دون كلل أو ملل حتى خفف الزحام، ولم يبق لديهما من يسأل، ثم أقبل رجل يريد الإجابة على سؤال، ثم أتجه لفضيلة الشيخ ابن عثيمين، وسأل الرجل، ثم رفض الشيخ محمد الإجابة وأشار لفضيلة الشيخ ابن باز قائلاً : «انظر الوالد» أي أسأل الوالد ابن باز»^(٢).

(١) برنامج «معكم على الهواء، حلقة خاصة عن الشيخ» بواسطة صفحات مشرقة، ص ٨.

(٢) الأربعاء عدد يوم ٢٩/١٠/١٤٢١هـ.

وقال عبد الله بن عبد العزيز الغفيص :

«في مرة كان له محاضرة في كلية البنات بمكة، وأنزلته بجوار باب الإدارة وكان في استقباله المسؤول، وذهبت أبحث عن موقف للسيارة، وبقي ينتظرني عند الباب حتى عُدت، ولم أكن أعلم أنه ينتظرني»^(١).

وقال إبراهيم بن الشيخ محمد بن عثيمين :

«أذكر في وقت مرضه كان في المسجد في الجامع الكبير بعنيزة صلى معه شخص قد جاء من «حفر الباطن» للسلام على الشيخ والاستفادة من علمه، وكان معه (طواقي) المعروفة والتي توضع على الرأس، فكانت اثنتين يقول أنهما من صديق له، والدته قامت بصنعها بيديها وهي من أهل جازان، فقام من تواضعه وبساطته رحمه الله بأخذها، وقام بترع غترته وطاقيته، ثم قام بوضع إحدى تلك الطاقيتين رغبة منه رحمه الله بحجر خاطر ذلك الرجل، وخرج من المسجد وهي على رأسه»^(٢).

وقال الشيخ محمد الشرافي :

«أحد الإخوان واسمه عبد الصمد سأل الشيخ مرة في درس التفسير قال : يا شيخ حفظك الله، إنا نجد في القرآن أن الله سبحانه وتعالى يذكر السمع مفرداً، والبصر مجموعاً، كقوله تعالى : ﴿فَمَا أَغْنَى عَنْهُمْ سَمْعُهُمْ وَلَا أَبْصَارُهُمْ﴾. [الأحقاف: ٢٦] وقوله: ﴿وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ وَالْأَفْئِدَةَ﴾. [السجدة: ٩] فلماذا؟ فأطرق الشيخ برهة، وقد أشرعنا أقلامنا لكتابة الجواب، ولكن كان الجواب أحسن مما نتوقع، فقال الشيخ : لا أعلم، فوالله ما أعطينا فائدة في تلك الليلة أعظم من تلك الفائدة»^(٣).

(١) المصدر السابق.

(٢) الرياض، العدد ١١٨٩٧.

(٣) شريط الإمام ابن عثيمين، مجموعة من طلبة الشيخ (تسجيلات صدى التقوى بالرياض).

وقال د. سعود حسن مختار بعد أن ذكر إجابة الشيخ للدعوة، قال : «ولقد حدث هذا معي شخصياً قبل أكثر من عشر سنوات، فقد رأيته مرة في مكان عام بمكة، وقلت له : يا شيخ أتمنى لو تجيب دعوتي مرة وتجلس إلى إخواني وأهلي، فقال : أين عنوانك، قلت : في جدة، فقال: إن تنتظر إلى بعد الحج آتيك، وإن دعوتني هنا في مكة آتيك، فدعوته في بيت صهري عدنان يماني رحمه الله بالعزيزة، فقلت له : متى آتيك يا شيخ لآخذك، قال : لا، أنا آتيك ! وأخذ العنوان، وفي الوقت المحدد تأخر الشيخ دقائق، فقلت : لعله نسي، وهذا من الطبيعي من مثله لثلي وإذا به يقف أمامي، ثم أدخلته إلى المنزل، وذهبت لأحضر مسجلاً لأسجل كلامه، فجلست بالمسجل، ثم ذهبت لإحضار الشاهي ودعوة إخواني الموجودين من أهلي، فلما رجعت رأيته قد غيّر مكانه إلى مكان آخر، وجّهز المسجل بعد أن أراح بعض الأثاث بنفسه حتى لا يعوق توصيل الكهرباء ! وأنا مندهش لتواضعه، ثم قال: لا تكلف على نفسك؛ الفول زين بمكة، ويكفينا للعشاء»^(١).

وقال أحد محبي الشيخ رحمه الله تعالى : «كان رحمه الله تعالى مع أحد محبيه بسيارة قديمة، كثيرة الأعطال فكانت تمشي وتتوقف، وفي مرة من المرات توقفت وهو في طريقه إلى الجامع، فما كان منه رحمه الله إلا أن قال للسائق : ابق مكانك، وسأنزل لأدفع السيارة، فنزل الشيخ رحمه الله تعالى ودفع السيارة بنفسه حتى تحركت»^(٢).

وقال الشيخ حمد بن عبد الله الجطيلي :

«كنت يوماً بجواره في احتفال المعهد العلمي بعنيزة، وسألني قائلاً : هل لك كلمة في الحفل ؟ فقلت : لم يُطلب مني ذلك، فدعا مدير المعهد خلال الحفل، وقال له :

(١) المدينة، العدد ١٣٧٧٩.

(٢) جريدة البلاد، العدد ١٦٢٣٧ بواسطة صفحات مشرقة ص ٥٨.

اجعلوا كلمة للشيخ حمد، فخرجت من نفسي أن يقول الشيخ عني شيخاً؛ وزاد على ذلك أن قال لمدير المعهد : اجعلوا كلمته قبل كلمتي، فزاد من حرجي وحيائي^(١).

وقال د. محمد رزق طرهوني بعد أن ذكر قصة لطيفة في تقبيل رأس الشيخ :

«وبعد صلاة التراويح بدأ درسه كالعادة بتفسير آية من الآيات تلاها إمام الحرم، ثم بدأ في درسه، وكان عنوانه «السلام» وتكلم كلاماً عجيباً وكأني لأول مرة أسمع، ثم استفاض في ذلك كعادته رحمه الله وأسكنه فسيح جناته، ثم أجاب عن الأسئلة المطروحة عليه، بعد ذلك قال : يا إخواني ويا أبنائي أرجو منكم بعد مغادرتي لهذا المكان ألا تجتمعوا عليّ وتقبلوا رأسي، ومن أراد السلام عليّ ففي المكان، وتكفي المصافحة ومن الإمام فقط ومن الإمام فقط، ثم قال رحمه الله تعالى : أرجو أن يسامحني كل من جفوته، أو نهرته، أو قسوت عليه، فلا أريد إلا الإصلاح ما استطعت، وأريد أن يكون طالب العلم متحلياً بسمات العالم، متميزاً عن غير^(٢)».

وقال أيمن بن عبد العزيز أبانمي :

«مرة ذهب ليلقي محاضرة في الحرس الوطني، وقد استعد كبار الضباط لاستقباله عند المسجد، فلما أتى ليتزل من السيارة جعل حذاءه داخل السيارة ونزل، فأشار إليه مرافقه أن يلبس للوجاهة، فقال الشيخ : لا، دعها، ونزل حافياً فما زاده ذلك إلا مهابة وتعظيماً^(٣)».

(١) جريدة الجزيرة، العدد ١٠٣٤١.

(٢) انظر صفحات مشرقة ص ١٢٤، وعزاه لجريدة المدينة، العدد ١٣٧٧٩.

(٣) الجزيرة، العدد ١٠٣٣٤.

وكان الشيخ مع أهله مثلاً للتواضع ولين الجانب، من ذلك ما ذكره ابنه إبراهيم حفظه الله تعالى قائلاً :

«كان لا يقدم على أمر يتعلّق بنا أو بالأسرة إلا بعد مشورتنا، فدائماً كان يكرّر رحمه الله كلمة : سوف نعقد مؤتمراً عائلياً وهو بمآزحنا، فكان يجتمع بنا ويستشيرنا، فرداً فرداً، ويطلب الرأي من الصغير والكبير، فيجمع الآراء، ونتفق سوياً»^(١). قلت :

ومما أذكره من تواضعه رحمه الله تعالى واحترامه لأهل العلم : أن الشيخ ألقى محاضرة في جامع الراجحي بالرياض بالربوة في «أحداث الشيشان» في يوم الأربعاء ١٦/٨/١٤٢٠ هـ وبعد أن انتهى كان من ضمن الأسئلة التي وجّهت إليه ؟ ماذا تقولون في الشيخ محمد ناصر الدين الألباني، وكان قد توفي منذ فترة، فأجاب الشيخ قائلاً : «مثلي لا يتكلّم عنه؛ لأنه أعلم منّي وأنفع مني للأمة، ونشهد الله على حبه، وهو أول من فتح الباب للبحث في علم الحديث، ونفع الله به الأمة !!» رحمه الله وغفر له.

«وفي أحد المرات دعي لافتتاح تسجيلات إسلامية فوجد لكل صاحب أشرطة لوحة كبيرة عليها اسمه، ولاحظ أن لوحة الشيخ الألباني صغيرة، فأنكر عليهم، وأمرهم بتكبير لوحة الألباني، أو تصغير لوحات المشايخ الآخرين»^(٢).

(١) شريط الإمام ابن عثيمين، بعض أقرباء الشيخ، تسجيلات (صدى القوى) بالرياض.

(٢) مجلة الأسرة، العدد ٩٢.

(٧) عدم محبته للمديح، والثناء عليه :

وقد كان رحمه الله تعالى لا يحب الإطراء عليه، أو مدحه والثناء عليه عند الناس، ويمنع من ذلك، بل يُخرج من يفعل ذلك إذا استمر عليه، ويوقفه عن ذلك : من ذلك ما اشتهر عنه أن أحد طلابه استأذن منه أن يتلو أمامه قصيدة، فأذن، فقال الطالب :

يَا أُمِّي إِنْ هَذَا اللَّيْلَ يَعْقِبُهُ فَجْرٌ وَأَنْوَارُهُ فِي الْأَرْضِ تَنْتَشِرُ
وَالْخَيْرُ مُرْتَقِبٌ وَالْفَتْحُ مُنْتَظَرٌ وَالْحَقُّ رَغَمَ جُهُودِ الشَّرِّ مُنْتَشِرُ
بِصَحْوَةِ بَارِكِ الْبَارِي مَسِيرَتِهَا نَقِيَّةٌ مَا بَقِيَ شَوْبٌ وَلَا كَذْرُ
مَا دَامَ فِينَا ابْنُ صَالِحٍ شَيْخُ صَخَوْتِنَا بِمِثْلِهِ يُرْتَجَى التَّائِيدُ وَالظَّفَرُ

فاعترض الشيخ على الطالب، وقال : أنا لا أوافق على هذا البيت لأني لا أريد أن يربط الحق بالأشخاص، فإذا ربطنا الحق بالأشخاص معناه أن الإنسان إذا مات قد يئأس الناس.

ثم قال : إذا كان يمكنك أن تبدل البيت :

ما دام فينا كتاب الله وسنة رسوله ﷺ هذا طيب.

فقال الطالب : ما دام فينا كتاب الله وسنة رسوله - ابن عثيمين - فاعترضه الشيخ قائلاً : لا، الله يهديك، لا، لا هذه لا تجيئها أبداً.. وقف وقف.

ثم قال من حوله : «خله يواصل يا شيخ».

فاعترض قائلاً : لا، لا والله ما أرضى، لا، لا ما أرغب.

ثم علّق قائلاً : «أنا أنصحكم من الآن وبعد الآن، أن لا تجعلوا الحق مربوطاً بالرجال، الرجال أولاً يضلّون، حتى ابن مسعود يقول : من كان مستنّاً فليستنّ بمن قد مات، فإن الحيّ لا تؤمن عليه الفتنة، الرجال إذا جعلتم الحقّ مربوطاً بهم يمكن الإنسان يغترّ بنفسه - نعوذ بالله من ذلك - ويسلك طرقاً غير صحيحة...»^(١)

وقال الشيخ محمد بن عبد الله المشوّح :

«طلبت منه رحمه الله أن نعقد معه لقاء عبر برنامج «في موكب الدعوة» المعروف، الذي يذاع عبر إذاعة القرآن الكريم، لنتناول شيئاً من سيرته وحياته، وطلبه للعلم، ومشائخه، وتوجيهاته لطلبة العلم، فلبّي بكلّ تواضع، فصدرت ذلكم اللقاء بتقلّم موجز مختصر، أثّبت فيه على الشيخ رحمه الله بما هو أهله من الأوصاف العلمية، والمديح الصادق.

فأوقفني وأوقف التسجيل، وطلب محو وإزالة تلك المقدّمة، والاكتفاء بالاسم مجرداً من أي مديح، أو إطراء، أو ثناء»^(٢).

وسمعت الشيخ محمد صالح المنجد يقول :

«كان الشيخ رحمه الله تعالى من تواضعه لا يرضى أن يقال له : العلامة، وإذا سجّل أحد طلابه ذلك في شريط، قال : امسح، امسحه من الشريط وقلت له مرّة : يا شيخ هذه المسائل التي سألتك إياها سنجمعها في كتاب مسائل العلامة الشيخ محمد بن صالح العثيمين، قال : لا نريد العلامة ولا غيرها»^(٣).

(١) من شريط (١٠٠ فائدة من العلامة ابن عثيمين) للمنجد.

(٢) جريدة الرياض، العدد ١١٨٩٣.

(٣) شريط (١٠٠ فائدة من العلامة ابن عثيمين) بالحرس الوطني بالرياض.

قلت : وهذا الذي أشار إليه سمعته بنفسي من الشيخ، فقد كان الشيخ يلقي محاضرة في مدينة بريدة في الجامع الكبير حوالي سنة ١٤٠٤ هـ، وقدم له المقدم بالثناء عليه ووصفه بالعلامة، وبعد أن انتهى عقب الشيخ عليه قبل بدأ المحاضرة منكرأ عليه وصفه بالعلامة، ثم قال : إن العلامة هو من يجمع علوماً كثيراً، وأنا لست كذلك وإنما يصح هذا على أمثال شيخ الإسلام ابن تيمية ونحوه، أو كما قال رحمه الله تعالى.

وقد حدث مثل هذا الموقف في الرياض في مسجد علي بن المديني في عام ١٤٢١ هـ قبل وفاة الشيخ بأشهر قليلة.

وأيضاً كان الشيخ يمنع إطلاق كلمة «الإمام» على كل عالم أو داعية، ويقول: إن الإمام من له أتباع يتبعونه في مذهبه وقوله، كالأئمة الأربعة ونحوهم ولا يصح أن تطلق على كل عالم، ومن ذلك ما ذكره عن الموفق ابن قدامة رحمه الله تعالى معلقاً في شرح زاد المستقنع على قول الحجاوي رحمه الله تعالى : «أما بعد : فهذا مختصر في الفقه من مقنع الإمام الموفق أبي محمد على قول واحد...» قال : «قوله : الإمام» هذا من باب التساهل بعض الشيء لأن الموفق ليس كالإمام أحمد أو الشافعي، أو مالك أو أبي حنيفة، لكنه إمام مقيد له من ينصر أقواله ويأخذ بها، فيكون إماماً بهذا الاعتبار.

أما الإمامة التي مثل إمامة الإمام أحمد وما أشبهه، فإنه لم يصل إلى هذه الدرجة، وقد كثر في الوقت الأخير إطلاق الإمام عند الناس، حتى إنه يكون الملقب بها من أدنى أهل العلم.

وهذا أمرٌ لو كان لا يتعدى اللفظ لكان هيناً، لكنه يتعدى إلى المعنى، لأن الإنسان إذا رأى هذا يوصف بالإمام تكون أقواله عنده قدوة مع أنه لا يستحق...»^(١).

(١) الشرح المتع (١٢/١) ط : ١.

(٨) إخلاصه :

الإخلاص لوجه الله جل وعلا أمره عظيم، وهو في نفس الوقت أمرٌ خفيٌّ لا يطلع عليه إلا علام الغيوب، لكن هناك دلائل قد تدلّ عليه، وتشير إليه، من ذلك محبة إخفاء العمل عن أعين الناس، وعدم الرغبة في ثنائهم، وأن يستوي ظاهر المرء مع باطنه، إلى غير ذلك مما هو مبسوط في محله.

وشيخنا رحمه الله تعالى نرجو الله تعالى له أن يكتبه في المخلصين.

ومما ذكر عنه في هذا الأمر ما رواه أحد تلامذته، وهو الأخ خالد بن عبد الله الزمام قال : «في ذات يوم كان الشيخ ينظر إلى السماء ويستغفر، فلما علم أننا ننظر إليه صرف بصره إلى سقف البناء حتى لا نشعر به أنه يستغفر».^(١)
وقد سأله الشيخ محمد الشرافي قائلاً :

«يا شيخ حفظك الله أحبّ أن تخبرني عن طريقتك في قيام الليل لعلني أقتدي بك، فقال : اسكت، الله يستر علينا، ولم يجب».^(٢)

وقال الأستاذ شديد بن غازي المطيري مدير عام تعليم البنات بحائل :

«حينما قدم له محاسب الرئاسة العامة لتعليم البنات راتبه لقاء تلك المحاضرات التي كان يلقيها فضيلته في كلية البنات حينما قال : وهل تريدني أن أتقاضى راتباً إزاء واجباتي تجاه بناتي وأخواتي في الدين».^(٣)

(١) جريدة الرياض، العدد ١١٨٨٩.

(٢) شريط الإمام ابن عثيمين (تسجيلات صدى التقوى بالرياض).

(٣) الجزيرة، العدد ١٠٣٣٧.

وقال الدكتور عبد الرحمن العثماوي :

«لقد زرت الشيخ في منزله عندما أجريت معه لقاء على طريق الدّعوة، واستقبلنا استقباله الذي يعرفه الجميع بتواضع جمّ، وكان حريصاً على كلّ كلمة يقولها في اللقاء لأنني وجهت إليه أسئلة على طريق الدعوة حول حياة الشيخ وحول علمه، وكان يقول رحمه الله تعالى : لولا أن هذا كما قلت لي سينفع المسلمين ما تحدثت لكم عن نفسي بهذه الصورة، ولكن ما دمت أكّدت لي بمسؤوليتكم أنتم أن هذا سينفع المسلمين، فواجب علينا أن نقوله، وقلنا له : عندما تتحدث عن تجربتكم وعن مراحلكم التعليمية فإنما تقدّم لشباب المسلمين أنموذجاً يقتدون به»^(١).

وقالت نورة بنت محمد السعيد :

«كان رحمه الله يذكرنا دائماً بالاحتساب في كلّ عمل نقوم به، ويهتم بذلك اهتماماً كبيراً من أجل أن تصبح العادة عبادة، وقد ذكر رحمه الله تعالى في كتابه «شرح رياض الصالحين» طرفاً من هذا الجانب في شرح حديث «من سقى مسلماً على ظمأ سقاه الله من الرحيق المختوم».

فقال رحمه الله تعالى : يعني لو كان ولدك الصغير وقف عند البرادة يقول لك : اسقني ماءً وأسقيته وهو ظمآن فقد سقيت مسلماً على ظمأ فإن الله يسقيك من الرحيق المختوم، ثم يقول رحمه الله : فكم من عمل صغير أصبح بالنية كبيراً وكم من عمل كبير أصبح بالغفلة صغيراً.

انتهى (٢٠٨/٣).^(٢)

(١) الدعوة، العدد ١٧٧٦.

(٢) الدعوة، العدد ١٧٧٦.

(٩) عبادته :

صلاته رحمه الله تعالى :

قالت سعاد بنت محمد بن حمد العثيمين :

«أما حبه للصلاة وطولها والخشوع فيها فحدّث ولا حرج، إذ قد أثارني منظر رأيتُه وأنا صغيرة، رأيتُ عجباً في سجّادته التي يصلي فيها النوافل في منزله، كانت السجّادة مبطّنة من الأسفل بالبلاستيك، رأيتها معلّقة على الجدار، وقد تشقّق موضع الجبهة، واليدين، والركبتين من البطّانة البلاستيكية، فهذا إن دلّ على شيءٍ، فإنّما يدلّ على كثرة صلاته وقيامه، وبالفعل هذا ما لوحظ عليه في صلاة التراويح والقيام رحمه الله رحمة واسعة»^(١).

قال الشيخ توفيق الصائغ :

«كان شيخنا رحمه الله تعالى لا يدع أن يصل صلاة الفجر بقيام الليل، يصلي من آخر الليل رحمه الله تعالى، ولا يأتي إلى صلاة الفجر إلا ووجهه يستهل ويبرق. وصلى بنا صلاة الاستسقاء ذات مرّة، فلم غمطر، ثم نودي بالصلاة مرّة أخرى، فصلى فلم غمطر، ثم نودي بالصلاة مرّة ثالثة، فخرج الشيخ من بيته - والله الذي لا إله إلا هو كأن وجهه فلقة قمر، لا أظن ذلك إلّا من قيام الليل - فلمّا صعد على درجات المنبر ما أن خطّب بالناس حتّى انهالت الدموع منه رحمه الله رحمة واسعة، ثم أخذ يدعو ويدعو ويدعو، فلم ننزل من ذلك المصلّي إلّا وقد مطرنا»^(٢).

(١) الدعوة، العدد ١٧٧٦.

(٢) شريط وداعاً للعثيمين بواسطة صفحات مشرقة ص ٣٣.

وقال الشيخ سعد بن عبد الله البريك :

«إن هذا العالم الجليل حتى آخر لحظة من لحظات عمره كما يخبرني الطبيب الذي كان معه آخر أيام حياته، وقابلته بعد موته بساعة أو ساعتين في المستشفى التخصصي في جدة، قال : إني كنت آخر الأيام مع الشيخ، فسألته ما كان دأبه في الأيام الأخيرة، قال : ما رأيت عليه سوى الصلاة، وقراءة القرآن ما اشتغل بغير ذلك بشيء أبداً»^(١)

قيامه الليل :

قال الشيخ محمد صالح المنجد :

«والشيخ رحمه الله تعالى كان يفتنم أوقاته جيداً، وينام مبكراً بعد العشاء فإذا جاءت الساعة الثانية ليلاً استيقظ تلقائياً من غير منه»^(٢)

ويقول مؤذن جامعه الشيخ عبد الرحمن الرئيس :

«وقد كان يحرص حرصاً شديداً على النوم مبكراً ليقوم للتهجد في آخر الليل»^(٣)

قال إحسان بن محمد العتيبي عن الشيخ :

«إنه كان يقيم الليل حتى مع شدة تعبته، وقد حدث عن ذلك بعض تلامذته

وهو - حمد العثمان - ومما قال بالمعنى :

أنه سافر مع الشيخ إلى الرياض، فمكثوا فيه وقتاً ثم غادروا إلى جدة فأدوا العمرة في مكة، فلما انتهوا من عمرتهم وإذا بالتعب قد سرى لجسدهم، فاستسلموا للنوم، قال الشيخ حمد : فقمتم في الليل إلى الحمام لقضاء الحاجة، وإذا بي أرى

(١) المصدر السابق ص ٨١، وعزاه لشريط ربانيون على فراش الموت.

(٢) الدعوة، العدد ١٧٧٧.

(٣) الدعوة، العدد ١٧٧٦.

الشيخ رحمه الله قائماً يصلي! افعلت : سبحان الله، أنا شاب واستسلمت للنوم، وهذا شيخ كبير تعب معي مثلي، ثم يقوم في الليل ليصلي، فتشجع أخونا (حمد) ليصلي، فقام وتوضأ، ولما أراد أن يصلي وإذا بالنعاس يغالبه...»^(١)

وقال الشيخ محمد صالح المنجد :

«كان الشيخ ذا عبادة، ينام مبكراً بعد العشاء، فإذا جاءت الساعة الثانية يستيقظ تلقائياً بغير منه ليقوم الليل، ويعمل ما يعمل.

وقال أحد من رافقه مرة في سفر، فذهب مع الشيخ في دعوة، فرجعا متأخرين كآلين متعبين إلى مسكنهما، فوضع كل منهما رأسه الساعة الواحدة ليلاً، واضطجع الشيخ.

قال المرافق : أثناء الليل، وأثناء النوم انتبهت قرابة الساعة الثالثة أو الثالثة والنصف، وكنا قد نمنا قرابة الواحدة فحينما انتبهت على صوت الشيخ وهو قائم يصلي في هذا الوقت الذي كان هو في أمس الحاجة إلى النوم والراحة»^(٢)

بكاؤه :

قال خالد بن عبد الله الحمودي :

«قبل وفاته رحمه الله حضرنا مجلساً، وكنت معه، فتليت قصيدة في هذا المجلس عن الموت، فبكى الشيخ بكاءً شديداً وهو يسأل الله قائلاً: اللهم أعني على الموت، اللهم أعنا على الموت، وكان ذلك قبل وفاته بأشهر قليلة»^(٣)

(١) جريدة المدينة - الرسالة العدد ١٣٧٨٨.

(٢) شريط ١٠٠ فائدة من الإمام ابن عثيمين.

(٣) المدينة، العدد ١٣٧٨٩.

صيامه :

قال الشيخ المنجد :

«كان لا يترك ثلاثة أيام من كل شهر، ولو سافر وانشغل قضاها بعد سفره»^(١)

حجه وعمرته وزيارته :

لقد عُرف عن الشيخ أنه يقصد البيت الحرام في العشر الأواخر من رمضان، وذلك لأداء العمرة ثم للجلوس لتدريس الوافدين إلى البيت الحرام للاعتكاف والاعتمار والصلاة وقد استمر الشيخ على هذا حتى قبيل الوفاة قد كان الشيخ يعتزم في أوقات أخرى وغيرها، منها ما يكون مرتبطاً فيها باجتماع هيئة كبار العلماء في الطائف.

قال الشيخ المنجد : «ولما اعتاد الذهاب إلى بيت الله الحرام، ومكة للتدريس استمر على هذه العادة، ولم ينقطع حتى في السنة التي مات فيها، وفي مرض الموت ذهب إلى هناك على عادته يعبد الله، ويدرس دين الله»^(٢).

أما عن حجه فقد كنت مع الشيخ في حج عام ١٤٠٤هـ أو ١٤٠٧هـ ولا أعلم أنه انقطع عن الحج من وقتئذ، بل بعد أن كان يشارك في محيّم التوعية في منى رقم (١) أصبح له مخيماً خاصاً به للدعوة إلى الله تعالى، أما قبل هذا التاريخ فلا علم لي به، ولم أجد أحداً نَبّه عليه، فالله تعالى أعلم.

وأذكر في تلك السنة أن الشيخ استضافني في خيمته الخاصة بالمشايخ داخل المخيم، وكان كعادته كريم الضيافة، وسألته عدّة مسائل، وفي آخر ليالي أيام

(١) شريط ١٠٠ فائدة من الإمام ابن عثيمين.

(٢) المصدر السابق.

التشريق، بعد صلاة العشاء قال : أريد أن أزور سماحة الشيخ ابن باز في مخيمه، وعند مرورنا في شوارع منى لاحظ الشيخ صناير المياه الأتوماتيكية ويبدو أن الشيخ كان يراها لأول مرة، فعرضت عليه أن يجربها، فقال «سبحان الله» تعجباً أي أنها إذا وضع الشخص يده تحتها فتحت، وإذا أخرها توقفت، وفي هذه الليلة لم نجد سماحة الشيخ ابن باز في مخيمه رحمه الله تعالى حيث كان في زيارة أحد الفضلاء.

ورده من القرآن الكريم.

قال الشيخ المنجد : «وكان - رحمه الله - مداوماً على قراءة ورده من القرآن باستمرار، يقرأه وهو ماشٍ إلى الصلاة، لا يركب، ولا يقبل أن يقاطعه أحد وهو ذاهبٌ إلى المسجد لأن هذا وقت الورد - ورد القرآن - فإذا اضطر إلى كلام صاحب الضرورة وتأخر شيئاً ما في قراءة الورد، ووصل إلى المسجد ولم يتم ورده وقف عند باب المسجد، ولم يدخل حتى ينهي ورده، فيستغرب بعض الذين يرونه ! الشيخ واقف وما معه أحد، ماذا يفعل ؟ وفي الحقيقة أنه يتم ورده»^(١).

وقال د. عبد الله بن علي الجعفي :

«إنه - رحمه الله تعالى - قال لي ذات مرة وقد طلبت منه المشي معه من بيته إلى المسجد : أن هذا الوقت من البيت إلى المسجد قد خصصته لمراجعة حفظي للقرآن»^(٢).

وقال الشيخ بدر بن نادر المشاري :

«قال الطبيب المعالج للشيخ أن الشيخ محمد رحمه الله تعالى كان يقرأ القرآن الكريم، ثم دخل في غيبوبة قبل وفاته بساعة، وكان الشيخ قليل الكلام وكثير

(١) المصدر السابق.

(٢) الجزيرة، العدد ١٠٣٣٨.

الحمد والاستغفار، يقول الطبيب: سمعته مرّة يقرأ سورة الفاتحة، وتارة كان يتمتم لصعوبة حالته الصحية، وعندما سُئل أبنائه عما يتمتم به الشيخ ذكروا بأنه كان يقرأ القرآن»^(١).

(١٠) مطالعته وكتبه ومكتبته :

تقول سعاد بنت محمد الحمد العثيمين :

«كان الشيخ يحبّ القراءة، ولا يردّ من يستفسر عن الأسئلة، وقته كله جعله لنفع المسلمين.

ولقد كنت وأنا صغيرة أتعجّب من شخصيته الفذة وحبه للقراءة، وردّه على الهاتف للفتوى بدون ملل، فقد كنت ألعب مع بناته حول مكتبته، وأسمع رثات الهاتف ترنّ بدون انقطاع.

ودخلت المكتبة فتمعجت لما رأيت من كثرة الكتب، إذ ليس في المكتبة مكان فارغ سوى مكان جلوسه، أعمدة من الكتب، وكلّها يكب عليها ويقرأها. ودائماً كنت أراه في مكتبته ليس كحائنا، يتراكم التراب والغبار على الكتب..»^(٢).

(١١) أعماله الخيرية :

صداقته وإنفاقه ومساعدته للمحاييج، ورعايته لليتامى والمساكين.

(١) شريط (أحبّ لقاء ربّه) بواسطة صفحات مشرقة ص ١٠٦.

(٢) مجلة الدعوة، العدد ١٧٧٦.

قال الشيخ بدر المشاري :

«مما لمسته زيارته المتواصلة لطلاب دار الملاحظة الاجتماعية بالرياض، حيث كان دائماً يوصيني أن أذكره بزيارتهم إذا كان موجوداً في الرياض، بل إذا ضاق به الوقت يحضر إليهم بالصباح، أوقيل الظهر ولو وقتاً قصيراً»^(١).
وقال أيضاً :

«كنت مرة من المرات في صحبة الشيخ رحمه الله تعالى بالسيارة. وفي الطريق وعند الإشارة المروية مرّ علينا رجل يطلب مساعدة، ففتح الشيخ النافذة فأعطاه ما جادت به نفسه، وأخطأ الرجل السائل عبارة قالها للشيخ، فجلس الشيخ يناصحه حتى تحرّكت السيارة»^(٢).

قال الشيخ عبد الله بن محمد الجبر :

«كم مرّة اتصل عليّ الشيخ وقال لي : اذهب إلى تلك المرأة أم الأيتام، وتحقق من حالها لنقف معها في محتتها، وكم مرّة قال : صلّ معي العصر، وإذا به يعطيني مساعدات بشيكات مكتوب على كلّ واحد اسم صاحبها حتّى يتم إيصاها إليهم.
في عام ١٤٠٧هـ فكّرنا بإنشاء صندوق لإقراض الراغبين في الزواج بعنيزة، بعدما شاهدنا الحاجة الملحة لإنشائه، نظراً لتردد كثير من الشباب عن الإقدام على الزواج من كثرة تكاليف المهور، وعدم القدرة على تحصيلها.
وعند عرض هذه الفكرة على فضيلته رحمه الله فرح جداً بها، واستبشر خيراً، وقال : أعدوا نماذج لهذا المشروع تحفظ حقّ الدائن والمدين.

(١) المصدر السابق، ص ٨٢.

(٢) المصدر السابق، ص ٩٠.

وبعد إعداد النماذج المطلوبة سارع بتزكية هذا المشروع والقائمين عليه، وحثّ الناس وأهل الخير أن يسارعوا بالبذل والعطاء والصدقة لهذا المشروع حتى يواصل عطاءه. وبحمد الله كان هذا المشروع النواة لجميع المشاريع الموجودة في معظم المملكة، رحمك الله يا شيخنا وأسكنك فسيح جنّاته»^(١).

وقال عبد الله بن عبد العزيز الغفيص :

«كان يساعد المحتاجين ويأمر بالمعروف وينهى عن المنكر، وهو يمشي في الطريق، وأذكر أن امرأة من المعتمرات كانت تبكي وتشتكي أنها فقدت حقبتها، وفيها نقودها وحاجاتها، وكنا نمشي، وإذا بالشيخ يقف ويخرج من جيبه ورقة ٥٠٠ ريال ويعطيها ويمضي»^(٢).

وقال د. عبد الله الموسى :

«أذكر أنني في إحدى زياراتي له في منزله عندما كنت أدرس في الولايات المتحدة الأمريكية، أنه أخذ بيدي إلى مختصر له فقال : يا عبد الله أنا وأنت هنا، ولا يرانا إلا الله، بخذ هذا المال - وكان كبيراً - وهو من مالي الخاص، واشتر به مصاحف ووزعها على المحتاجين في السجون الأمريكية، وأنت مسؤول عن الشراء وعن التوزيع، وأسألك بالله ألا تبلغ بهذا أحداً، ولم أبلغ بهذا أحداً منذ وقته إلى الآن، أما وقد انتقل الشيخ إلى الرفيق الأعلى فلا أرى بأساً أن أذكر أنه كان من المنفقين في السراء والضراء، وكان لا يريد علم الناس بذلك، رحم الله الشيخ رحمة واسعة وأجزل له المثوبة والعطاء»^(٣).

(١) الرياض، العدد ١١٨٩٨.

(٢) الأربعاء، العدد ١٠/٢٩/١٤٢١هـ.

(٣) الجزيرة، العدد ١٠٣٣٧.

ويقول الشيخ أحمد القرعاوي :

«في أغلب الأحيان وقبل دخول الشيخ إلى المسجد تقابله طفلة عمرها ست سنوات، فتطلب من الشيخ «ريالاً» فيقول لها الشيخ وهو يتنسم: هل تريدن ريالاً جديداً أو قديماً ؟ فنقول : أريد ريالاً جديداً، ثم تطلب لأختها، فيقوم الشيخ بإعطائها أيضاً»^(١).

يقول الشيخ عبد المحسن القاضي :

«حرص الشيخ على أن تكون أعمال البرّ التي يقوم بها خاصة جداً، فهو يساعد أي متقدم يرغب في الزواج، ويدفع له نصف المهر إذا انطبقت عليه الشروط، ويساعد الفقراء والمحتاجين، ويشجّع ويساهم في إنشاء أعمال البرّ، فقد أسّس مع ثلاثة من طلابه جمعية تحفيظ القرآن الكريم في مدينة عنيزة، وشجّع على افتتاح مكتب لهيئة الإغاثة الإسلامية في المدينة نفسها، وأنشأ عدداً من المساجد في مناطق عدّة بالملكة، وتبرّع بمبلغ ٣ ملايين ريال لزيادة آبار مياه الشرب في عنيزة، كما ساهم في إنشاء عدد من المساجد والمراكز الإسلامية في أوروبا، وأمريكا، وبنجلاديش، وغيرها...»^(٢).

وقال العقيد الركن / علي بن محمد الحشّان :

«بالنسبة لتلقّي المعارض أو الأسئلة المكتوبة فقد خصّص لها بعد صلاة العصر؛ فبعد أن يفرغ من شرح الحديث اليومي يبقى لتلقّي المعارض، ويسمع ما عند أصحابها، ويعمل ما يراه مناسباً»^(٣).

(١) الدعوة، العدد ١٧٧٧.

(٢) مجلة الأسرة، العدد ٩٢.

(٣) مجلة الجندي المسلم، العدد ١٠٢.

وقال الشيخ منصور بن إبراهيم الحسين :

«وقد قمت بزيارته في جناحه منذ سنوات في الحرم، وكان عند باب الفتحة، فتجد الكثير من أهل الحاجات عند جناحه من مشارق الأرض ومغاربها، وكان فضيلته يجلس في هذا الجناح بعد صلاة العصر لاستقبال أهل الفتاوى والمحتاجين، وكان أهل الخير يدفعون إليه صدقاتهم وزكاتهم للإشراف على توزيعها، وكان فضيلته حريصاً أشد الحرص على توزيعها وبدقة والتأكد من أنهم من ذوي الحاجات»^(١).

وقال الدكتور يوسف الزامل :

«ومن حبه للإحسان أتني تحدثت عرضاً له عن أسرة ذات قرابة بي، ليس على سبيل إثبات حاجتهم، لكنه - رحمه الله - بادرني بالسؤال عن وضعهم المادي، بغية إيصال الإحسان لهم إن كانوا محتاجين»^(٢).

وقال الشيخ المنجد :

«وكان الشيخ رحمه الله يواظب على الصدقة صباح كل يوم جمعة، ولم يترك هذه المواظبة إلا لما تبين له أنه لم يثبت في ذلك سنة عن النبي ﷺ»^(٣).

وقال الأخ إحسان بن محمد العتيبي :

«سافر شباب من الأردن إلى العمرة، وفي (خير) قدر الله عليهم حادثاً؛ صدموا به عمود الإنارة، فهرعت الشرطة لمكان الحادث، وأصرّوا على السائق أن يدفع تكاليف العمود، وكانوا قد قدروا ذلك بـ (٢١٠٠٠) ريال، وهذا السائق ومعه

(١) الرياض، العدد ١١٨٩٠.

(٢) الأسرة، العدد ٩٢.

(٣) شريط ١٠٠ فائدة من العلامة ابن عثيمين.

المعتمرون لا يقدرّون على دفع مثل هذا المبلغ فحجزت الشرطة جواز سفر السائق لحين تدبير المبلغ، ودفعه عند رجعتهم من أداء العمرة.

فغلب الشباب على أمرهم، وفكروا في طريقة تحصيل المبلغ، فلم يكن أمامهم إلا عرض الموضوع على بعض المشايخ، فكان أن ذهب واحدٌ منهم - وهو الذي حدّثني بالقصة - إلى الشيخ ابن عثيمين رحمه الله تعالى في غرفته في الحرم المكي بعد صلاة العصر.

فعرف الشيخ منه القصة، وقال له : تعال غداً وإن شاء الله يصير خيراً قال الشاب : فلم أرجع للشيخ لأنني عرفت أن المبلغ كبير، والشيخ لا يعرفنا، ولم يُعرف عن الشيخ أنه يساعد في مثل هذه الأمور، لكنني ذهبت - والكلام محدثي - تحقيقاً لرغبة الشباب في أن أكلم الشيخ فقط.

ثم رجعت القوم إلى (الأردن) وكان لا بدّ من المرور على (خبيبر) لأخذ الجواز، ولعلّ الله أن يكون قد رقق قلوبهم فيسقطوا عتاً المبلغ.

ولما دخل الشباب إلى المركز أصرّ الضابط على إحضار المبلغ كاملاً، وإلا لا سفر، فإن أرادوا السفر فمن غير السائق !! تخيّر الشباب وسائقهم ! ماذا يفعلون ؟ توجهوا للشباب الذي ذهب للشيخ ابن عثيمين، فقالوا له : ألم تذهب أنت للشيخ ماذا قال لك ؟ قال : تعال غداً !! قالوا : فهل ذهبت إليه ؟ قال : لا !!.

قالوا : اتصل به لعلّ الله أن يكون الفرج على يديه، ونحن محبوسون عن أهلنا هنا، ونحن في آخر أيام رمضان !! قال : فاتّصلت بالشيخ في غرفته فردّ عليّ وأخبرته بحالنا !.

قال : أنت الشاب الأردني !!!

قلت : نعم يا شيخ !

قال : ألم أقل لك تعال في الغد، لم كم تأت ؟

قال : استحييتُ !

قال : فلم كلمتي إذن؟؟ على كل حال: المبلغ كان جاهزاً في اليوم نفسه !!.

فلم يصدق صاحبي الخير، وكاد الشباب أن يطيروا فرحاً ومعهم السائق بالطبع.

قال الشاب : والحل يا شيخ ؟

قال : أن أحول المبلغ للمركز، وأطلب منهم أن يسروا أمركم، وترجعوا إلى أهليكم قبل العيد !!.

قال الشيخ : أعطني الضابط المسؤول !

كلم الضابط الشيخ بنوع من اللامبالاة !

قال الشيخ : المبلغ عندي وأعطني رقم حسابكم، وأنا أحوله لكم، وأطلقوا الشباب وسائقهم ليذهبوا إلى أهليهم !.

رد الضابط بقلة أدب : آسف يا شيخ ! لا بد من إحضار المبلغ نقداً، وإلا فلن يسافروا ولن يرجعوا !!

غضب الشيخ جداً من الضابط، وقال : أقول لك المبلغ عندي، دعهم يذهبون إلى أهليهم !!

رفض الضابط مرة أخرى !

أغلق الشيخ السّماعه.

قال الشاب : فما هي إلا لحظات إلا والمركز يتقلب رأساً على عقب، ما الخطب؟.

إنه أمير المدينة - الأمير عبد المجيد وقتها - اتصل يسأل عن الضابط الذي رفض طلب الشيخ، وبدأ يهدّد ويتوعّد بالعقوبة.

حاول الضابط وأفراد الشرطة التّستّر على زميلهم.

ورأى الشاب تغيّر اللهجة بصورة سريعة ومذهلة إلى رقّة وأدب.

فأمرهم أمير المدينة بإطلاق الشباب وسائقهم فوراً، وتصليح العمود على حساب الدّولة، لا يتصوّر أحد مدى فرحة الشباب بهذا الخير، فشكروا للشيخ جهوده ووقفته معهم، وارتفعت أصواتهم بالدعاء للشيخ، وأكبر في الأمير احترامه للعلماء وتقديره لمكانتهم، في موقفٍ لن ينساه أحد منهم ما عاش أبداً^(١).

(١) جريدة المدينة، ملحق الرسالة العدد ١٣٧٨٨.

تكملة أعمال الشيخ محمد الشفيق المشروح

بسم الله الرحمن الرحيم
الحمد لله رب العالمين وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد
أن محمدا عبده ورسوله صلى الله عليه وسلم وعلى آله وأصحابه ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين وسلم تسليما كثيرا .
وبعد : فقد جاءت النصوص القرآنية والسنة النبوية بالحكمة
على تعلم القرآن وتعليمه والثناء على أهله وبيان جزيل ثوابه وأجره
قال الله تعالى : (لِلَّذِينَ يَتْلُونَ كِتَابَ اللَّهِ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَأَتَوْا بِمَالِهِمْ
رِزْقًا لَّهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً يَرْجُونَ تِجَارَةً لَّنْ تَبْوَءَ لِيُوفِيَهُمْ أَجْرَهُمْ وَبِمِزْنٍ
مِّنْ فَضْلِهِ إِنَّهُ غَفُورٌ شَكُورٌ) وقال تعالى (الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَتْلُونَهُ
حَقِّ تِلَاوَةٍ أَوَّلَ كُلِّ يَوْمٍ) . وقال النبي صلى الله عليه وسلم : خيركم من تعلم القرآن وعلمه . وقال : اقرأوا القرآن فإنه يأتي يوم القيامة شفعا
لأصحابه . وقال : تعاودوا القرآن فوالذي نفس محمد بيده لو أشد تقصيرا
من الإبل في عقلها .

وفي هذه النصوص دليل على أن قراءة القرآن من أفضل الأعمال
كيف لا وهو كلام رب العالمين ومنهج أفضل المرسلين .
ولقد يسر الله تعالى إنشاء جمعيات لتحفيظ القرآن في مناطق من المملكة
وتخرج منها شباب كثير يحفظون القرآن كله أو أكثره أو شيئا منه .
وهذه الجمعيات تحتاج إلى دعم مالي ومعنوي لاسيما في الأوقات
التي يتبدل فيها العقارات ونحوها لتكون صدقات جارية لا صطبا بعد موتها .
ولقد تقدم إلى أعضاء جمعية التحفيظ في المنبأ بمشروع بناء مكتبة
مستجرا وهو مشروع حسن أهيب بأخوان المسلمين أن يدعموه بكل
ما يستطيعون لما فيه من الخير الدائم المحترم وأسأل الله لهم القبول والقبول .
كتبه الشيخ العتيبي في ١٤١٩/١٩/٩٨ هـ

مطبع الشافعية

نموذج من محبة الشيخ لأعمال البر، ومساهمته فيها.

(١٢) كرمه وحسن ضيافته :

قال الشيخ عبد العزيز بن عبد الرحمن العجلان :

«قمت بزيارة خاصة له أنا وفضيلة الشيخ عبد العزيز بن محمد السدحان قرابة عام ١٤٠٣هـ، فلما دخلنا ورحّب بنا وأحضر القهوة أخذ الشيخ يصبّ بنفسه لنا، وحاولنا جاهدين أن نقوم بذلك عنه فرفض، وامتنع بقوة، وأخذ هو الذي بنفسه يباشر ذلك، وكذلك ما بعد القهوة علماً بأن هذا هو منهجه مع ضيوفه غالباً»^(١).

وقال الدكتور عبد الرحمن العشماوي :

«لقد زرت الشيخ في منزله عندما أجريت معه لقاء على طريق الدعوة، واستقبلنا استقباله الذي يعرفه الجميع بتواضع جمّ، والشيخ في الحقيقة يشعرك كلّما زرته أو جلست معه أنك تتعلم منه علماً شرعياً في حركته وسكنته، في استقبله، في وداعه، في طعامه، تغذّينا معه ذلك اليوم الذي التقينا معه في بيته، فكان غداءً هنيئاً ومتواضعاً، ولكنه كان من ألدّ ما ذقناه في بيت رجلٍ أكرمنا باستقباله الذي تبرز منه عاطفته الصادقة»^(٢).

وقال الشيخ محمد بن صالح المنجد: «كان رحمه الله مكرماً للناس مكرماً للضيوف، وقد ألزم أحد طلبة العلم مرّة أن يبيت عنده، فقال : يا شيخ أنا مشغول وعندى أعمال، فأصرّ عليه حتّى شمر عن ساعديه وكأنه يقول : استعمل القوة، فوافق الآخر على أن يفرغ من شغله ثم يأتيه، فقال : أنتظر، فتأخر حتّى الساعة الثانية عشرة ليلاً، ثم قال : آتي بيت الشيخ لأنني وعدته، فأطرق عليه الباب طرقة

(١) مجلة الدعوة، العدد ١٧٧٨.

(٢) الدعوة، العدد ١٧٧٦.

واحدة، قال : فطرت عليه الباب من أول طرقة، ففتح لي الباب، وهذا يعني أنه كان ينتظر ضيفه إلى هذا الوقت وأدخله، وكان قد أعد له الفراش، والماء، والساعة، والمنبّه، حتى إذا أراد أن يقوم لقيام الليل». (١)

وقال الشيخ توفيق الصائغ : «كان رحمه الله تعالى يجلس مع طلابه على مائدة الإفطار في رمضان، لأنه يفتح بيته رحمه الله تعالى في عنيزة لطلاب العلم، طلاب العلم هناك؛ نجد طالباً من أمريكا، وآخر من بنجلاديش، وثالث من الصين، ورابع من تشاد، بل أحد الطلاب من تشاد وهو من المعجيين بالشيخ كثيراً ومن حملة فقهه، سمي أحد أبنائه هكذا اسماً مركباً (محمد بن عثيمين).

تجد كوكبة من الطلاب الذين قدموا من كل أقطار الأرض، فيفتح الشيخ رحمه الله تعالى بيته في رمضان، فيأتون يفطرون عنده، وكان الطلاب يرون أثناء الإفطار إنشغال الشيخ رحمه الله تعالى بالرد على الهاتف، والله لا يكاد يجمع التمرة إلى التمرة، ثم يشرب الماء حتى يأتيه اتصال من أقصى الأرض، وآخر من أقصى الأرض، فيجيب الشيخ رحمه الله تعالى». (٢)

قال فضيلة الشيخ عبد الله بن عبد الرحمن الجبرين : «كان آخر لقائنا به في مكة ليلة ٢٧ من رمضان، حيث استأذنا في الوصول إليه، وجلست إلى جواره نحو خمس دقائق، فكان سؤاله عني أكثر من سؤالي عنه، لأنني كنت لا أحب أن أشق عليه بتكرار السؤال لما أعلم من حالته الصحية، ولكنني كلما سكت بادر هو بالسؤال عن أحوالي وأخباري». (٣)

(١) جريدة البلاد، العدد ١٦٢٣٧.

(٢) شريط (وداعاً للعثيمين) بواسطة صفحات مشرقة ص ٨٦.

(٣) المصدر السابق ص ١٠٩ - نقلاً عن جريدة البلاد، العدد ١٦٢٢٣.

(١٣) صلته للرحم :

قال ابنه إبراهيم : « كان الوالد رحمه الله تعالى حريصاً على صلة الرحم، وكان يقوم بزيارة أعمامه وعماته كل يوم خميس «له من الأعمام اثنان ومن العمات واحدة» بعد صلاة العشاء يزور كل واحد منهم في بيته ولم ينقطع عن هذه العادة أبداً؛ أو يؤخر هذه الزيارة لأي ظرف كان طالما هو موجود في المنطقة، فكان يرتب التزاماته بما يمكنه من القيام بتلك الزيارة إلى أن توفي رحمه الله تعالى على هذه الحال، أما أقاربنا خارج المنطقة فكان يتصل بهم صباح يوم الجمعة»^(١).

وقالت منى بنت محمد الحمد العثيمين :

«وكان من عادته أن يرتب لصلة رحمه كعمته وعمته وقتاً معلوماً في يوم محدد ليصلهم ويوزورهم، وكان يواظب على مثل تلك المواعيد رغم ضيق وقته، وكنا ونحن أطفال نفرح كثيراً بمجيئه لمنزل أيّ منا ومن شدة فرحنا نتسابق لفتح الباب لنسير معه إلى المكان الذي يقصده، وكان يستغل ذلك الوقت في الحديث معنا ومداعبتنا»^(٢).

وقالت أيضاً :

«وعلى الرغم من قلة فراغه إلا أنه كان يصل رحمه، ويسأل عنهم، ويوزورهم، ويقوم بالواجب تجاههم.

فعلى سبيل المثال : كان إذا مات لنا عزيز قدم إلى المنزل، وعزى الجميع فيطوف على كل الأفراد في أنحاء المنزل مع أحد الرجال المحارم، حيث يقف على

(١) الأسرة، العدد ٩٢.

(٢) الدعوة، العدد ١٧٧٦.

باب الغرفة ويسلم على الجالسات فيه، ويواسيهن ويعزيهن، ويدعو للميت، وينصح أهله ألا يبكوا». (١)

وقالت لطيفة المشرف :

«عندما كنت في زيارة لأخي في القصيم، كان لدى عائلة الشيخ رحمه الله تعالى مناسبة خاصة، وقد دعيت زوجتي الأخت أم عبد الله، وحضرت المناسبة، واستأذن الشيخ للسلام على أقاربه من النساء، والترحيب بهن، ووقف بجوار باب الغرفة وألقى التحية، ورحّب وسأل عن أحوال أقاربه». (٢)

وقال الشيخ خالد المصلح [صهر الشيخ] :

«كان رحمه الله تعالى عظيم البرّ بأهله وأقاربه، فكان يتفقد الكبير والصغير، فكان رحمه الله تعالى إذا مرض بعض الأطفال الصغار يتصل ويسأل عن صحته، ولا يكتفي بذلك، بل يفاجئ أهل البيت بطرق الباب عليهم؛ يتفقد حال المريض ويسأل عنه». (٣)

وقال الشيخ حمود بن عبد العزيز الصائغ :

«حتى مع رحمه كان يخصص وقتاً يعلمه البعيد كما يعلمه القريب، فمثلاً ليلة الجمعة كان يخصصه لزيارة عمته؛ والعشاء عندها ولا يؤثر على ذلك أحداً حتى لو كانت أكبر مناسبة أو أكبر احتفال، فإذا لم يمكنه الاعتذار، ووجد أنه لا بد من الحضور جمع بينهما حتى إنه أحياناً يذهب إليها قبل موعد تلك المناسبة، وهذا والله من أعظم الدروس التي ربّى بها نفسه، وبارك الله له في وقته بسبب هذا التنظيم». (٤)

(١) الدعوة، العدد ١٧٧٦.

(٢) المصدر السابق.

(٣) المصدر السابق.

(٤) الدعوة، العدد ١٧٧٧.

(١٤) ملاطفته للصبيان :

قال الشيخ عبد المحسن بن عبد الرحمن القاضي :

«يحدثني أحد الأخوة كان ذاهباً ليصلي في الجامع مع ولده الصغير ذي الست سنوات بغرض السلام على الشيخ بعد عودته من السفر، وكان هذا الأخ يصلي الراتبه بعد الصلاة، فخشي ذلك الطفل أن يخرج الشيخ من الجامع، فذهب إليه في وسط طلابه وزواره، فقال له : تعال أبي يريد أن يسلم عليك، فما كان من فضيلة الشيخ رحمه الله إلا أن أعطى يده لهذا الطفل، فذهب به الطفل حتى أوقفه على والده، وظل الشيخ واقفاً حتى انتهى والد الطفل من الصلاة، فسلم عليه»^(١).

وقال بندر بن محمد المهنا :

«رأيت في جامع عنيزة بالقصيم عند خروجه من المسجد بعد الصلاة، فإذا بصبي مع أمه يطلبان المساعدة، فقال الشيخ : ماذا تريد ؟ فقال الصبي : أريد ريالاً جديداً، فقال الشيخ : أصلحك الله وأعطاه ريالاً جديداً كما أراد»^(٢).

وقال الشيخ أحمد القرعاوي :

«في أغلب الأحيان وقبل دخول الشيخ إلى المسجد تقابله طفلة عمرها ست سنوات فتطلب من الشيخ ريالاً، فيقول لها الشيخ وهو مبتسم : هل تريدين ريالاً جديداً أو ريالاً قديماً، فتقول : أريد ريالاً جديداً، فيقوم الشيخ بإعطائها ريالاً جديداً، ثم تطلب لأختها، فيقوم الشيخ بإعطائها أيضاً»^(٣).

(١) جريدة الوطن، العدد ١١٢.

(٢) الجزيرة، العدد ١٠٣٣٧.

(٣) الدعوة، العدد ١٧٧٧.

وقال الشيخ علي الحرير :

«قبل سنتين كان هناك في بلدنا حفل تخريج لحفظة كتاب الله تعالى، وحضر الشيخ، وبعد الانتهاء من صلاة العشاء وأراد أن يخرج، استقبله الناس عند الباب من أجل السلام عليه، ولما أراد أن يذهب وإذا بثلاثة صبيان يجرون، فلما رأوا الشيخ توقفوا، وناداهم الشيخ وسلّم عليهم، وكانوا يريدون أن يقبلوا رأسه فحني نفسه لهم»^(١).

وقال أيمن بن عبد العزيز أبانمي :

«أذكر مرةً أني كنت أسير معه متوجهين إلى الحرم، فكان إذا مرّ بأحد سلّم عليه، حتّى الصّبيان يمرّ عليهم ويسلّم عليهم، حتّى إنه سلّم على صبيّ، فعرف الشيخ، فأعطاه سواكاً فقبله منه بكلّ تواضع وابتسامة، ورحابة صدر»^(٢).

وقالت نورة بنت محمد السعيد :

«ومن مواقفه التعليمية، وإحقيقه للحقّ، وعدم السكوت عنه: ما حدث لأخي عندما كان صغيراً، فقد جاء إلى الصلاة، ووقف خلفه في روضة المسجد مع والدي، فقام أحد المصلّين، وأبعده عن مكانه، ووقف بدلاً منه، وبعد انتهاء الصلاة قال الشيخ لذلك الرّجل: لم فعلتَ ذلك، فهذا الطفل أحقّ منك بالمكان لأنه سبقك إليه»^(٣).

وقالت منى بنت محمد بن حمد العثيمين :

«أذكر موقفاً حدث لنا معه، وعمري ستّ سنوات حيث كنّا في بيته، وقد كنّا نلعب في فناء منزلهم، كلنا نحن وأبناءؤه، فمرّ من عندنا، وسلّم علينا، وداعبنا

(١) الجزيرة، العدد ١٠٣٤١.

(٢) الجزيرة، العدد ١٠٣٣٤.

(٣) الدعوة، العدد ١٧٧٦.

بكلماته اللطيفة، ولفت نظره لباس أخي الذي يبلغ من العمر أربع سنين، إذ كان يرتدي ملابس ملصقاً عليها قطعة بلاستيكية على شكل صورة (أسد) فجلس رحمه الله بجانب أخي، وأمسك به بيده الخانية، وأخذ يتحدث معنا، حتى استأنس أخي ثم أخرج له قطعة من النقود وقال له : أعطيك هذه النقود وأنزع هذه الصور، وربما علل الشيخ لأنها لا ترضي الله تعالى، ففرح أخي بذلك المبلغ، وغير الشيخ المنكر بالحكمة، واستفدنا جميعاً والله الحمد، فتجنّبنا لبس المصوّرات حتى اليوم»^(١).

وقال بندر بن محمد المهنا :

«رأيت ذات مرّة يمشي في الحرم، فقابله رجل، أظنه باكستاني الجنسية حاملاً معه طفل، فسلم عليه، وقال له الشيخ : هذا ابنك ؟ قال : نعم، فأخذ الشيخ الطفل وأراد أن يداعب والد هذا الطفل، فقال له : آخذه معي ؟ فقال الأب : خذه، فتبسّم الشيخ وأعطاه لأبيه»^(٢).

وقالت سعاد بنت محمد الحمد العثيمين :

«كان يحبّ الصغار، ويداعبهم، ومع ذلك لا ينسأهم من النصح والإرشاد والتعليم، ولقد كنت في سنّ صغيرة أبلغ من العمر عشر سنوات، ألعب مع بناته في فناء بيته، وكنت أرتدي ملابس قصيرة (الشانيل) فمسك بيدي وكلمني برفق وداعبني حتى شعرت بالفرح والسرور، ثم قال لي : إن هذا اللبس لبس النصاري، وأمرني أن أبلغ أُمّي بذلك، فقد كانت نعم التّضيحة، فلا أذكر والله أنني لبست بعدها هذا النوع من اللباس»^(٣).

(١) الدعوة، العدد ١٧٧٦.

(٢) الجزيرة، العدد ١٠٣٣٧.

(٣) الدعوة، العدد ١٧٧٦.

وقال الشيخ سامي بن صالح :

«ومرّة قام ابني الصغير أحمد عمره ثمان سنين بسحب الشيخ من بين تلاميذه إلى خارج المسجد قائلاً له : تعال سلّم على بابا سامي، وكنت خارج المسجد، فرأيت الشيخ الجليل يخرج مع ابني أحمد بهيته وهو يتسم، فقبلت رأسه وشكرته، واعتذرت منه على تصرّف الولد، ولكن كان مسروراً جداً ولم يد أيّ تضايق». ^(١)

وقال الشيخ أحمد القرعاوي :

«ونحن في طريقنا إلى المنزل، يرى بعض الصبية يلبسون (القبعات) فيقوم الشيخ رحمه الله بالذهاب إلى الصبيّ وهو مبتسم، ويسأله عن لبس هذه القبعة، ثم يخبره أنّها تحمية من الشمس، فيقوم الشيخ بتوجيهه، ويخبره بأن هذه القبعة مضرّة للعين، وفيها تشبه بالكفار». ^(٢)

وقال الشيخ عبد الرحمن بن علي النهابي :

«وكان رحمه الله يأنس بقراءة الصغار للقرآن الكريم، فكان يعرض عليه في بعض اللقاءات والمناشط التعليمية من يقرؤون بين يديه، فكان يصغي إليهم، ويتبادل معهم الحديث، ويدعو لهم ويبارك عليهم، وفي بعض الأحيان يشجعهم بالجوائز الماديّة في نفس الاحتفال، ويتخيّر الصغار للإجابة على الأسئلة التي يطرحها لتشجيعهم، وحفز همهم». ^(٣)

(١) الجزيرة، العدد ١٠٣٣٦.

(٢) الدعوة، العدد ١٧٧٧.

(٣) الجزيرة، العدد ١٠٣٤٦.

وقال الشيخ محمد بن صالح المنجد :

«جاء مرة طفل يقول : يا شيخ أجب لي على أسئلة هذه المسابقة، قال : أجب؛ ولكن إذا فزت تعطيني نصف الجائزة».^(١)

وقال د. عبد الله بن محمد الرميان :

«كان رحمه الله متواضعاً للصغير والكبير، وأذكر ذات مرة وقد أكرمنا الله بمحاضرة الشيخ لنا في أحد مواسم الحج أنه قدم من المسجد ونحن برفقته، وبعد صعوده الدرج خرج أحد أبنائي الصغار، فلما رآه الشيخ نزل من الدرج للسلام عليه، فأسرعت وحملته إليه لأمنعه من النزول، فقبله، ثم نزل لتقبيل الآخر فتعجبت من هذا الخلق، وشكرت له هذا التواضع، وهذا ديدنه رحمه الله مع جميع الصغار».^(٢)

وقال الشيخ أحمد القرعاوي :

«عند خروج الشيخ لصلاة الجمعة يقابل في الطريق أطفالاً مع آبائهم، فيسلمون عليه، ويقومون بتقبيل رأس الشيخ رحمه الله ويده، فيبتسم الشيخ لهم، ثم يسألهم؟ كم حفظتم من القرآن الكريم، وهل أنتم ملتحقون بحلقة لحفظ القرآن الكريم؟ ثم يجعلهم الشيخ يقرؤون عليه قصار السور، فيقوم بتشجيعهم وحثهم على تكرار الحفظ».^(٣)

وقال الشيخ محمد الشرافي :

«مرة كنت أبحث عن الشيخ، فوجدته في طريقه إلى صلاة العصر، فإذا قد وقف عند أحد الطلبة في سيارته، وقد نزل طفلاه الصغيران، يسلمان على الشيخ، فمسك

(١) شريط : ١٠٠ فائدة من العلامة الشيخ ابن عثيمين.

(٢) الجزيرة، العدد ١٠٣٣٤.

(٣) الدعوة، العدد ١٧٧٧.

الشيخ أحد الأطفال الصغار، وكان يرسم في يده ساعة، والطفل فرحان وكأنها ساعة ذهبية، ثم أخذ الطفل الثاني، وبدأ يرسم بيده، والناس في المسجد ينتظرونه^(١).
وقال حمد بن عبد الله الصغير :

«كان جمّ التواضع مع الصغار، فقد دعاه أحد الأفاضل في مدينة الرياض وهو مريض قبل أن يقعه المرض، وكنت أحد الحضور، وحين دخل إلى بيت الداعي كان في استقباله جميع الأطفال، صاحب المنزل وأقاربه عند الباب، ف قضى وقتاً في السلام عليهم ومدّاعبتهم^(٢)».

وقال الشيخ عبد المحسن بن عبد الرحمن القاضي :

«لقد كان رحمه الله يمرّ به أطفال مدرسة ابتدائية أثناء ذهابه إلى صلاة الظهر، فيقفون للسلام عليه، وهم كثير، فيسلم على كلّ واحدٍ منهم، ويعتف من يزجرهم^(٣)».

(١٥) رفقته بالمرأة وعنايته بها :

قال الشيخ توفيق الصائغ :

«أنته مرّة امرأة من الجزائر فقالت : أريدك يا شيخ على انفراد، فأفرغ الشيخ من كان في الغرفة إلا من يكون معه لئلا تكون خلوة، فأخذت المرأة تحدّثه عن الجرائم والأمر البشعة في الجزائر، والشيخ يسمع لها، ثم رفع سماعة الهاتف ليتحدّث مع الطوائف المتناحرة هناك^(٤)».

(١) شريط الإمام ابن عثيمين (تسجيلات صدق التقوى بالرياض).

(٢) الجزيرة، العدد ١٠٣٣٣.

(٣) الوطن، العدد ١١٢.

(٤) شريط (وداعاً العثيمين) نقلاً عن صفحات مشرقة ص ٢٩.

وقالت حصّة بنت سليمان العذطون : «وله من مدارس البنات شواهد رسمت على جبين الزمن بمداد من ذهب فكانت الثانوية الأولى بعنيزة لها الشرف في زيارته في يوم لا ينسى، فالرذاذ يتتابع، والبرودة في ازدياد، والهواء القارس الذي يلفح وجه شيخنا - يرحمه الله - لحظة إلقاء المحاضرة، حيث كان يجلس تلك اللحظة تحت مظلة مدخل المدرسة، رغم ذلك استمرّ في إلقائه دون اختصار أو نقص من المحاضرة، فقدم خلال ذلك توجيهاته لأعضاء المدرسة من معلمات وإداريات وطالبات، خاتماً تلك المحاضرة بحث المعلمة، وتذكيرها بالمسؤولية الملقاة على عاتقها ومسؤولية أمانة التعليم بحياً على أسئلة الجميع في عامة المسائل خاصة في الأمور التعليمية فلقد كانت توجيهاته التربوية كتوجيهات الأب لابنته»^(١).

وقالت نسيبة سليمان الربيعي :

«حدّثني أم إبراهيم وفقها الله، قال :

وقفت للشيخ في العام الماضي في الحرم المكي لأسأله عن شيء مما اختلف الناس فيه لأعرف رأي سماحته، فوقف مقتدياً في ذلك برسول الله ﷺ حيث توقفه المرأة والصبي في حاجتهما فيقف حتّى يقضي ذلك، وما أن وقف سماحته حتّى أحاط بي ومجموعة صغيرة من الناس؛ جمع غفير من الرجال هداهم الله لحرصهم على سماع أي فتوى منه، لكنّي قلت لسماحته إنّي لا أستطيع الكلام، وهؤلاء الرجال يحيطون بنا، فالتفت إليهم وقال: اذهبوا، حتّى فرّقهم جميعاً، ثمّ انضم إليّ جمع كثير من النساء، فاستمع الشيخ إلى استفتاءهنّ حتّى فرغن»^(٢).

(١) الدعوة، العدد ١٧٧٦.

(٢) الرياض، العدد ١١٨٩٥.

وقال د. عبد الرحمن بن علي كركمان :

«عندما أسلم مجموعة من الممرضات، وكان لديهنّ بعض الاستفسارات التي رأينا أنه لا يمكن أن يجاب عليها غير سماحته رحمه الله، حيث إن بعض الإخوان جزاهم الله خيراً كان لهم بعض الاجتهادات حول بعض المسائل، وبعد أن قابلن سماحته رحمه الله، واستمع إلى أسئلتهنّ وأجابهنّ بإجابات طمأنتهنّ كثيراً شجعهنّ وحثّهنّ على تشجيع غيرهنّ، وكذلك عوائلهنّ، وقدّم لهنّ بعض الدعم المالي مما كان له الأثر في نفوسهنّ ونفوس غيرهنّ عند إخبارهنّ بذلك»^(١).

وقالت فوزية بنت عبد الرحمن الزامل :

«ومن آخر مواقف رحمه الله التي أعرفها عنه حسن معاملته للمرأة، وحرصه على تفقيها في أمر دينها، امرأة متوسطة في العمر لا ولد لها ولا زوج ولا قريب، حيث إنهما من الإماء اللاتي من الله عليهنّ بالعتق، كانت تسكن بالقرب من منزل الشيخ، تذكر هذه المرأة بأنها في العام الماضي وقفت للشيخ في الشارع وقالت : يا عم أريد أن أحجّ أو أعتمر، وقف رحمه الله وأخذ يستمع إليها، وكان في طريقه إلى المسجد، وأخذت تحادثه وتبين له أنه ليس لديها محرم، وتشرح له وضعها وهو يستمع، وكان في لهجة هذه المرأة عجمة لا تستطيع معها إخراج الحروف صحيحة ويحتاج كلامها إلى وقتٍ ليفهم، ومع ذلك وقف الشيخ رحمه الله واستمع إليها على الرغم من مشاغله، ثم قال : يا بنيّ عليك بالصيام، والصلاة والتسبيح والتلهيل ولا تذهبي فرضيت بذلك وطابت نفسها»^(٢).

(١) الجزيرة، العدد ١٠٣٣٨.

(٢) الدعوة، العدد ١٧٧٦.

وقال الشيخ سليمان الجبيلان :

«امرأة من إحدى البلاد الإسلامية تنابعه وتريد أن تسأله، وهو خارج من المسجد الحرام، فما كان يرّد عليها، وكان يكلمها وهو معطيها ظهره، فكانت تقول : ردّ علي، التفت لي يا شيخ، وهي كانت حاسرة عن وجهها، فالشيخ جزاه الله خيراً قال : أردّ عليك بعدما تتحجّجني، فقالت : أنا متحجّجة، وكانت تأخذ بالحجاب في قضية إخراج الوجه واليدين، فوضع الشيخ رحمه الله غترته على وجهه، وغطّى وجهه، والتفت إلى المرأة وقال لها : هذا الحجاب، فأخذت الدعوة عملياً»^(١).

وقال الشيخ علي بن عبد الله السلطان :

«أذكر أنه يوم من الأيام في أحد الدروس وكان من عادته رحمه الله أن يجيب على عدد من الأسئلة قبل البداية بالدرس، ومن المعلوم أنه يحضر درسه النساء أيضاً، ففي ذلك اليوم جاءت من بين الأسئلة ورقة موسومة بأمر عبد الله وفيها من الكلام الشديد على الشيخ، وقد كان يقرؤه بصوت مسموع لدى الطلاب واضح مع تأثره أثناء القراءة حتى اغرورت عيناه بالدمع، وبعد أن أتمها ما كان منه إلا أن قال: لقد قست علينا أم عبد الله»^(٢).

قال الشيخ أحمد القرعاوي :

«في أغلب الفترات وهو في الطريق على رجله يقابله نساء، فيقف لمن ويقول لي : اذهب إليهنّ واسألنّ ماذا يردن، فأذهب للنساء والشيخ واقف وأعرف منهن ماذا يردن، فإذا أردن الفتوى يفتيهن الشيخ، وإذا كنّ طالبات للصدقة فيقوم الشيخ بإعطائي مبلغاً من المال وأعطيهن»^(٣).

(١) شريط الإمام ابن عثيمين، (تسجيلات صدى التقوى بالرياض).

(٢) المصدر السابق ص ١٠١.

(٣) الدعوة، العدد ١٧٧٧.

وقالت فوزية بنت عبد الرحمن الزامل :

«لقد كان له هبة عظيمة في نفوسنا، كم كنّا نشعر بالحنج حين نقترف ذنباً، مخافة أن يعلم به الشيخ، لقد كنّا نلعب بالشارع في انسجام تام، فحينما نرى الشيخ مقبلاً نقف إجلالاً له واحتراماً حتّى يتعدانا وقد ذكرت إحدى الأخوات؛ كم كان التدافع كبيراً بين الصغيرات حينما يقرب الشيخ منهن مخافة أن يراهنّ في لباسٍ مخالفٍ أو شعرٍ مقصوص... ولا يخل علينا رحمه الله ونحن في هذه السنّ الصغيرة بالتوجيه والدعاء لنا بالهداية»^(١).

وقالت نورة بنت عبد الله صالح الدامغ :

«... حريصٌ رحمه الله على تعليم القرآن وحفظه بين النساء كما هو بين الرجال، يتابع بنفسه الحلقات كرئيس لجمعية تحفيظ القرآن الكريم بعنيزة، كان شديد الحرص على القسم النسوي بالجمعية، يلقي الدّروس ويشارك بالدورات الصيفية، ويتابع الأنشطة، وكان من المرتب له هذا العام دروساً خاصة للمعلمات بدار القرآن، ثم هو يرحمه الله يسمع لآراء النساء، ويحاور ويناقش أطروحاتهن، لمست ذلك بنفسي حين قدمت له آراء حول أحد المواضيع الخاصة بالجمعية بخطاب أرسلناه له، فرحبَ غفر الله له بالنقاش، وتداول الرأي، ولم يستفرد فيه برأي وحده»^(٢).

وقالت د. لولوة بنت عبد الكريم المفلح :

«كنت أشاهده يخرج من المسجد الحرام بعد دروسه يستوقفه الكبير والصغير، يجيب على هذا، ويسمع لذاك، ويسلم على عمّال النظافة، وفوق ذلك فقد منح

(١) الدعوة، العدد ١٧٧٦.

(٢) الدعوة، العدد ١٧٧٦.

النساء من وقته وعلمه نصيباً كافياً؛ فكنّ يستوقفه للسؤال، وكان يتنحّى قليلاً عمن معه من الرجال ويستمتع لسؤالهنّ، ويجب بصدرٍ رحبٍ وعلمٍ جمٍّ»^(١).

وقالت منيرة الشبل : «.. عُرف رحمه الله تعالى بحرصه الشديد على نشر الدين الإسلامي بين أفراد المجتمع عامةً رجالاً ونساءً، فقد خصّص مكاناً للنساء لاستماع دروسه في المسجد، بل أبواب بيته مفتوحة لكلّ سائلٍ كذلك...، وله من الكتابات والخطب الكثير عن المرأة، وما يتعلّق بها من مسائلٍ كوجوب رعاية المرأة، ومنعها من التبرج، ومسؤولية رعايتها، وغير ذلك من المسائل...»^(٢).

وقال الدكتور علي بن مرشد المرشد الرئيس العام لتعليم البنات بالملكة:

«ولقد دعوت فضيلته مراراً لإلقاء محاضراتٍ على بناته الطالبات في مختلف أنحاء المملكة، وما أذكر أنه في يومٍ من الأيام اعتذر عن ذلك، بل إنّي أجد منه الرغبة والحرص في المبادرة إلى ذلك، وإضافةً إلى هذا فقد وجدت منه - رحمه الله - حرصه على الاجتماع بي سواءً في المكتب أو المنزل، والبحث في أمور تعليم البنات وخاصةً ماله علاقةً بالمنهج الدراسية»^(٣).

(١٦) مزاحه :

كان رحمه الله تعالى يحبّ أن يمزح أحياناً، ولا يقول إلا صدقاً لإدخال السرور على طلابه وبجالسيه بقدرٍ محدودٍ لا يؤثر على هيئته ومكانته بما كان يحصل به نوع من الاسترواح في دروس العامة والخاصة.

(١) المصدر السابق.

(٢) المصدر السابق.

(٣) الجزيرة، العدد ١٠٣٣٦.

ومن ذلك : ما قاله أحمد بن عبد الرحمن العواد :

«مازلت أتذكر ذلك الموقف الذي حصل أثناء زيارتي وبعض الأخوة الفضلاء لفضيلة الشيخ ابن عثيمين في عنيزة؛ حيث جلسنا مع فضيلته جلسة خاصة، وبعد بيان الشيخ للحكم الشرعي للمسألة قال لصاحب السؤال مازحاً : البس يا ولدي ساعة من خشب، وضحك رحمه الله، وكم كان لهذه الكلمة من أثر كبير في إزالة السامة والملل عن الطلاب»^(١).

وقال أيمن بن عبد العزيز أبانغي :

«وما شاهدت من تواضعه أنه مرة كان في أحد دروسه في سطح الحرم، فأنت هرة بين الصفوف، والشيخ كان يلقي الدرس، فأوقف الشيخ الدرس وقال : ماذا تريد هذه الهرة؟ لعلها تريد ماءً، اسقوها ماء، فسقوها، ثم ذكر الشيخ فائدة عن حكم سور الهرة، ثم قال بعد ذلك : هذه فائدة بمناسبة حضور الهرة، فضحك الجميع»^(٢).

وقال إحسان بن محمد العتيبي :

«كان النبي ﷺ يمزح ولا يقول إلا حقاً، وكان الشيخ ابن عثيمين رحمه الله مرحاً حلو المداعبة، وكان ذلك مما يضيفي جواً مريحاً على الطلبة أثناء تحصيلهم العلم والجد، وله في ذلك مواقف منها :

أنه جاءه عامي أثناء درسه في الحرم، وهو جالس على كرسيه من خلفه، والشيخ يشرح ويدرس، فقرب هذا العامي من الشيخ وتخطى الرقاب، حتى وصل إلى الشيخ من خلفه، فكأنه أرعب الشيخ قليلاً لأنه جاءه من الخلف.

(١) الدعوة، العدد ١٧٧٦.

(٢) الجزيرة، العدد ١٠٣٣٤.

قال العامي : عندي سؤال يا شيخ !

قال الشيخ : وراك تسوّرت الحراب - أو كلمة نحوها - ! ثم أصرّ العامي على السؤال، ولم يعرف طبيعة الدّرس، والشيخ يمازحه ويلطفه ويمتنع عن الإجابة ! فلما أصرّ العامي توجّه الشيخ للطلبة وقال : هل تسمحون له بالسؤال؟ فكلمهم أجاب : نعم نسمح، فسأل العامي - وأجاب الشيخ - وانصرف^(١).

وقال عبد العزيز الريمي :

«كنت في حلقة من حلقات العلم عند الشيخ ابن عثيمين، ولم أقصد الحضور دائماً، وكنت ألبس العقال فوق (شماغي)، وكنت الوحيد الذي يلبس العقال في تلك الحلقة، فكان الشيخ ابن عثيمين يناديني، فيقول : ماذا عندك يا أبا عقال ؟ وماذا تقول يا أبا عقال ؟ فظننت أنّ للشيخ رأياً في العقال، وأن في لبسه محذوراً، فلم أملك إلّا أن أفأف أمامه في الحلقة وأقول له : لماذا تناديني بأبي عقال؟ هل لبس العقال حرام؟ فقال الشيخ : ناولني عقالك ! فأعطيته إياه ولم أدر ماذا يريد أن يصنع به فقام فوضعه فوق غترته ثم ابتسم لي وقال : من قال لك إنّ لبس العقال حرام فقل له : إنّي رأيت محمد بن عثيمين يلبسه»^(٢).

وقال إحسان بن محمد العتيبي :

«صلّى الشيخ في الحرم المكي، وأراد بعد خروجه من الحرم الذهاب إلى مكان يحتاج الذهاب إليه إلى سيارة.

أوقف الشيخ ابن عثيمين سيارة تاكسي، وصعد معه، وأراد السائق التعرف على الراكب.

(١) جريدة المدينة (ملحق الرسالة) العدد ١٣٧٨٨.

(٢) المصدر السابق، وانظر التعليق الآتي على هذه القصة.

السائق : من الشيخ ؟

الشيخ : محمد بن عثيمين.

السائق : الشيخ ابن عثيمين ! وظنّ أن الشيخ يكذب عليه، إذ لم يخطر بباله أن يركب معه مثل الشيخ.

الشيخ : نعم، الشيخ.

السائق يهزّ رأسه متعجباً من هذه الجرأة في تقمّص شخصية الشيخ.

الشيخ ابن عثيمين : من الأخ ؟

السائق : الشيخ عبد العزيز بن باز.

فضحك الشيخ.

الشيخ : أنت الشيخ عبد العزيز بن باز.

السائق : يعني أنت الشيخ ابن عثيمين.

الشيخ : لكن الشيخ عبد العزيز ضرير، ولا يسوق سيارة.

ثم تأكّد للسائق أنه هو الشيخ رحمه الله، ووقع في إحراج^(١).

وقال الشيخ محمد صالح المنجد :

«مرّة اتصلت عليه، ولعلّي شعرت أنه كان يتغدّى، فقلت له : لعلّ هذا وقت الغداء يا شيخ، فقال لي : تفضّل معنا، وهو في القصيم وأنا أكلمه من المنطقة الشرقية»^(٢).

(١) المصدر السابق.

(٢) البلاد، العدد ١٦٢٣٧.

قال خالد بن صالح الشَّبل :

« كان مرةً معي في السيارة، ومررنا بمحلّ اتصالات، وكان هناك وقتها أزمة في أرقام الهاتف، فكان الشيخ يقرأ لوحة محل الاتصالات بصوت أسمعه، وإذا فيها : هاتف جوال، فالتفت إليّ وقال بلهجتنا : (حتّا نبي هاتف يعرج)». ^(١)

وقال الشيخ سليمان الضحيان :

«في أحد دروس شرح زاد المستقنع وصلت إليه ورقة يطلب صاحبها أن ينبّه الشيخ على الطلاب أن من له سيارة (فولفو) عند باب المسجد فليقم لييعدها، فإنها قد أغلقت على سيّارة أخرى يريد صاحبها الذهاب، فقرأ الشيخ الورقة : (من له سيارة (فول) قرأها (فول) قصداً ليروّح عن الطلاب، ثم علّق قائلاً بالعامية (عجيب، به سيارة اسمها فول) فضجّ التلاميذ بالضحك». ^(٢)

وقال الشيخ محمد صالح المنجد :

«كان الشيخ يتكلّم مرةً في درس عن عيوب النساء في أبواب النكاح، فسأله سائل وقال : إذا تزوّجت ثم وجدت زوجتي ليس لها أسنان، فهل هذا عيب يبيح لي طلب الفسخ، فضحك الشيخ وقال : هذه امرأة جيدة حتّى لا تعضّك.

وسأله سائل فقال : شخصٌ كبير في السنّ، ولا يستطيع الصوم، ويطعم عن كلّ يومٍ مسكيناً، وفي يومٍ من أيام رمضان أراد أن يأتي أهله، فهل يجوز ؟ فضحك الشيخ وقال : أولاً : أخبرني هل زوجته عجوز مثله أم لا ؟.

(١) الجزيرة، العدد ١٠٣٣٩.

(٢) المعرفة، العدد ٦٩.

وجاء مرة رجلٌ مسلمٌ أعجميٌّ من أهل باكستان يريد أن يسأل الشيخ ويناديه:
يا شيك، يا شيك، لأن الأعجميَّ لم يستطع نطق الحاء، فقال له الشيخ محمد : والله
إني شيك بمائة وعشرون ألف ريال، وهي مقدار الدية^(١).
وقال العقيد الركن / علي بن محمد الخشان :

«في محاضرة أخرى أُعد في المسجد شيء من البخور فلما حضر الشيخ قدم له
أحد الأخوة المبخرة، وأراد أن يزيد من العود، فرفض الشيخ وقال مازحاً : (إن
كنت مصرّاً فأعطينيها»^(٢).
وقال الطالب ناصر السعدي:

«في أحد الاجتماعات الخاصة التي كان يجتمع بها مع طلابه من سلطنة عمان،
قمت لأسأله فقال لي : من أنت ؟ قلت ناصر السعدي، فقال : ما العلاقة التي
تربطك بسهل (يقصد الصحابي سهل بن ساعدة رضي الله عنه) فقلت : أسأل الله
أن يجمعني به في الجنة، فقال : ونحن معكم»^(٣).
وقال عبد الكريم بن عبد الله الخلف :

«في أحد الأعوام أقامت الجماعة الخيرية لتحفيظ القرآن الكريم بالبكيرية
احتفالاً لطلبتها، وقد دُعي الشيخ لهذه المناسبة كالعادة، وكان من بين من حضر
هذا اللقاء فضيلة الشيخ عبد الرحمن السديس إمام وخطيب الحرم المكي الشريف،
وذلك لكي يقوم بامتحان الطلبة في محفوظاتهم، وقد اكتظ المسجد بالحضور، وكان

(١) شريط ١٠٠ فائدة من العلامة ابن عثيمين.

(٢) مجلة الجندي المسلم، العدد ١٠٢.

(٣) الجزيرة، العدد ١٠٣٣٦.

أكثرهم قد أتى لسماع صوت فضيلة الشيخ عبد الرحمن والاستمتاع بقراءته، لكن الشيخ اكتفى بالسؤال عن المقاطع دون ترتيل، فلما انتهى من ذلك أخذ الشيخ محمد ابن عثيمين (اللاقطه) وقال الآن نخترك يا شيخ عبد الرحمن، وذلك حينما عرف الشيخ ذلك من وجوه الحضور، فابتسم الشيخ عبد الرحمن وقال : لا بأس أن نحقّ الحقّ وفوق كلّ ذي علم عليم، فأعطاه الشيخ مقاطع وآيات فيها ذكر النار والجنة، فرأيت الشيخ محمداً قد أطرق رأسه وبدأ يهزّه حيناً وبدأ عليه التأثر، وذلك لما يعقله من تلك المعاني، ذلك الموقف الطريف لا أنساه أبداً^(١).

وقال الشيخ سليمان الضحيان :

«لديه مقدرة غريبة على اكتشاف الغافلين من الطلاب خلال الشرح، فكثيراً ما يسأل أحد الطلاب فجأة، ويقول: (يا فلان أين وصلت) فيجيب بعض الظرفاء من الطلبة (إلى الصّين يا شيخ) فيبتسم الشيخ ويأمره بالذهاب لغسل وجهه ليعود له الانتباه»^(٢).

(١٧) حلمه وصبره :

قال الشيخ عبد المحسن بن عبد الرحمن القاضي :

«قام شخصٌ في مسجده ذات مرة مطالباً بسرعة إقامة الصلاة، والشيخ لم يحضر بعد، فرفض الشيخ إبراهيم الرئيس مؤذن الجامع - رحمه الله تعالى - ذلك انتظاراً للشيخ، فما كان من هذا الشخص إلا أن أقام الصلاة بنفسه، وتقدّم للمسجد وصلى بالناس، فصلّى الناس وراءه، وكنت قد خرجت بحثاً عن الشيخ

(١) الجزيرة، العدد ١٠٣٣٥.

(٢) المعرفة، العدد ٦٩.

فرايته قادماً، فأخبرته الخبر، فقال لي: نصلي معه إن شاء الله، فلما أن انتهى من الصلاة حدّثه الشيخ وأخبره بأن عادته تأخير الإقامة للظهر، وطلب منه ألا يتعدى على حرمة إمام أو مؤذن في مسجد، فما كان من هذا الشخص إلا أن قال له : إذا أتيت مرةً أخرى إلى هذا المسجد فسأقيم الصلاة؛ فما كان من الشيخ إلا أن تبسم ودعا له بخير^(١).

وقال الشيخ محمد صالح المنجد :

«كان - الشيخ - مرةً يمشي في طريق العودة من المسجد وطلابه يقرؤون عليه، يقرأ عليه طالب في كتاب، فجاءه شخص من خلف الطلاب ودفع الطالب الأيمن ودفع الطالب الأيسر واخترق ما بينهما، وأمسك الشيخ من كتفه وجبّده بقوة حتى استدار جسد الشيخ من قوة الجبّدة، حتى قال بعض طلاب الشيخ (الآن ربما ينفجر عليه) ولكنه فاجأهم أن الشيخ رحمه الله ابتسم وهشّ في وجهه هذا الأعراي الذي جاء بهذه الجلالة وسأله عن حاجته، وقال : هذه حاجتي، اقرأ هذه مكتوبة في الورقة، أنت ما (تفضا لي) فاعتذر عن قضاء حاجته الآن، فأصرّ الرجل ولم يقبل اعتذار الشيخ ولم يزل بالشيخ حتى قضى له حاجته»^(٢).

قال سعد بن تركي الخثلان :

«حدثني شيخنا عبد الله بن حسن بن قعود - حفظه الله وشفاه - قال : إنَّ الشيخ معروف منذ نشأته بانصرافه بالكلية للعلم الشرعي، قال وحدثني بنفسه أنه

(١) جريدة الوطن، العدد ١١٢.

(٢) انظر الدعوة، العدد ١٧٧٧، وشريط ١٠٠ فائدة من العلامة ابن عثيمين مع اختلاف في سياق القصة.

كان في بداية أمره يلقي الدروس، وإنه ألقى ذات يوم درساً لم يحضر له سوى طالب واحد»^(١).

وقال الشيخ محمد الشرافي :

«أتاه مرة رجل في الدرس، وكانوا يبدو عليه أنه ضعيف العقل، وتخطى رقاب الطلبة حتى وصل إلى الشيخ مصراً على مقابلة الشيخ، فالتفت الشيخ رحمه الله إليه وبدأ يحادثه ويتكلم معه، وكأنه يتكلم مع رجل من أعقل الناس، ثم أخرج ذلك الرجل حزمة من أعواد الأراك (السواك) ثم أعطاه الشيخ وأصر أن يقبلها، فما كان من الشيخ رحمه الله تعالى إلا أن تقبلها، ثم ودّع الرجل، ثم وزّع أعواد الأراك علينا»^(٢).

وقال د. إبراهيم الحصري :

«كان يتحمل كثيراً من الانتقادات التي كانت توجه إليه من بعض الطلبة أذكر موقفاً طريفاً : أنه رحمه الله صلى في عنيزة، فسجد للسهو بعد السلام، فقام أعراي وقال: يا أخي إذا كنت لا تعرف تصلي فلا تتقدم، فهم طلبته بالأعراي، فاعتذر له الأعراي بعد ذلك»^(٣).

وقال الشيخ حمد بن عبد الله الجطيلي :

«كان لنا معه أحد مواقف كثيرة، فقد درست عنده وخلال ثلاثين عاماً في حلقات الجامع الكبير بعنيزة، حتى أنه لم يكن في بعض حلقات الدرس إلا أنا وآخر فقط، وصبر على ذلك حتى أصبحت الحلقة بالمئات»^(٤).

(١) الجزيرة، العدد ١٠٣٣٣.

(٢) شريط الإمام ابن عثيمين، (تسجيلات صدى التقوى بالرياض).

(٣) الدعوة، العدد ١٧٧٦.

(٤) الجزيرة، العدد ١٠٣٤١.

وقال د. أحمد بن عبد الرحمن القاضي :

«كان حريصاً على دوام الدّرس بين العشاءين، فلم يفت في عضده انتظام الناس وندرة الطلبة في فترة من الفترات، فلقد رأيته رحمه أكثر من مرّة في أواخر التسعينات الهجرية وليس أمامه إلّا طالبان فقط، فما يمنعه ذلك من الشرح والاستقراء والتفصيل، وكأن المكان غاصاً بطلاب العلم، فقد علم الله صدق نيته، وحسن قصده، فجعل أفئدة الطلاب قهوي إليه من أصقاع الأرض، فلربّما اجتمع في بعض دروس الفقه ٥٠٠ أو يزيدون»^(١).

(١٨) أمره بالمعروف ونهيّه عن المنكر، وغيّره على حرّمات الله :

من المعلوم أن خيرية هذه الأمة المباركة منوطة بالإيمان بالله والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وتعظيم حرّمات الله تعالى، ويحمل لواء هذه الشريعة العظيمة - بعد الأنبياء - العلماء الربانيون في كلّ أمة، فيكون أمرهم بالمعروف بالمعروف ونهيهم عن المنكر غير منكر بل بالحكمة والموعظة الحسنة، فينظرون إلى العصاة بنظرين : بعين القدر فيرحمونه، وبعين الشرع فيقيمون عليهم ما أوجبه الله تعالى، وقد عُرف شيخنا بغيّره على دين الله تعالى، وحرصه على الأمر والنهي على ما توجبه الشريعة.

فقه إنكار المنكر عند الشيخ.

يقول الشيخ رحمه الله تعالى :

«ليس من الحكمة أن تتعجل وتريد من الناس أن ينقلبوا عن حالهم التي هم عليها إلى الحال التي كان عليها الصحابة بين عشية وضحاها، ومن أراد ذلك فهو

(١) الدعوة، العدد ١٧٧٧.

سفيه في عقله بعيد عن الحكمة، فلا بد من طول النفس، واقل من أخيك الذي تدعوه ما عنده اليوم من الحق، وتدرج معه شيئاً فشيئاً حتى تنتشله من الباطل». ^(١) ويقول أيضاً :

«لا شك أن الدعوة الإسلامية منذ بعث الرسول ﷺ وإلى أن تقوم الساعة، أولياتها وأصولها واحدة لا تتغير بتغير الزمان، لكن قد تكون بعد الأصول محققة عند قوم، وليس فيها ما يُنْقَضُها أو يُنْقِصُها فيعمل الداعية إلى النظر في أمور أخرى يكون فيها من يدعوههم مقصّرين». ^(٢) ويقول أيضاً :

«والدعوة إلى الله لا بد أن تكون بالحكمة والموعظة الحسنة، ولين الجانب وعدم التعنيف، واللوم والتوبيخ...». ^(٣)

وقال رحمه الله : «إننا لو علمنا أن في بيت من بيوت هذا البلد مرضاً فتاكاً لأخذنا القلق والفرع، ولاستفدنا الأدوية، وأجهدنا الأطباء للقضاء عليه.

هذا وهو مرضٌ جسّمي، فكيف بأمراض القلوب التي تفتك بديننا وأخلاقنا. إن الواجب علينا إذا أحسنا بمرض ديني أو خلقي يفتك بالمجتمع، ويحرف اتجاهه الصحيح أن نبحث بصدق عن سبب هذا الداء، وأن نقضي عليه وعلى أسبابه قضاءً مبرماً من أي جهة كانت؛ لا تأخذنا في ذلك لومة لائم؛ قبل أن ينتشر الداء ويستفحل خطره...». ^(٤)

(١) صفحات من حياة الفقيه العالم الزاهد ص ٢٦، للدكتور عبد الله بن محمد الطيار.

(٢) المصدر السابق، وعزاه لـ (فتاوى الدعوة ١٥٤/٥).

(٣) المصدر السابق.

(٤) المصدر السابق.

نماذج من دعوة الشيخ للكفار، أو العصاة، وأمره ونهيهِ :

قال د. سعود بن عبد الرحمن العجاجي :

«بينما نحن مغادرين الفندق الذي سكنه توقف أمامه طفلٌ أمريكي ومعه والدته، فطبطب على رأسه وبدأ يداعب هذا الطفل الذي أثارته هيئة الشيخ، وهيبته بلبسه الثوب السعودي والمشلح، فطلبت الأم من ابنها أن يحمي الشيخ، فردَّ الشيخ بأحسن منها.

وقال الشيخ الراحل موجهاً كلامه للأم : الله يهديك بالإسلام، وكان الشيخ خلالها غاضاً النظر، وعاف الخاطر، ثم طلبت الأم من ابنها أن يودّع الشيخ بعبارة .Have a nice day

وسألني الشيخ : ماذا يقول الطفل ؟ فأبلغته أنه يتمنى لك يوماً سعيداً، لكن بعض المرافقين امتعضوا من ملابس المرأة، فقال أحدهم : قبح الله وجهك، لكن الشيخ لم يعجبه هذا الكلام، فقال : يا إخوان ليس هذا من سمات الإسلام، الطفل وأمه قابلانا بوجه حسنٍ وكلام طيّب، فأحرى أن نعاملهم بالمثل؛ فبدلاً من أن ندعو عليهم جدير أن ندعو لها بالهداية الذي هو منهج الدين الرفيع»^(١).

ويقول الشيخ خالد المصلح [صهر الشيخ] :

«شيخنا أمرٌ بالمعروف، وناهٍ عن المنكر في دقيق الأمور وجليلها، ويلاحظ ذلك كل من عرف الشيخ فعلى المجال الفردي يأمر بالمعروف ويحثّ على الصلاة في طريقه إلى المسجد، وإذا لاحظ على شخصٍ تقصيراً أنكر عليه، أما المنكرات العامة فالشيخ صاحب بيان، لكنه دائماً يقول : إنه لا يتكلّم إلا بما يكون فيه فائدة

(١) الاقتصادية، العدد ٢٦٥٠.

وبأسلوب مفيد يكون فيه اندفاع الشر وحصول الخير دون أن يترتب عليه مفسدة أعظم من المصلحة المرجوة منه»^(١).

وقال الدكتور إبراهيم بن عبد الله المطلق :

«صحبته رحمه الله يوماً من الجامع إلى منزله، وقرب إحدى إشارات المرور النفث رحمه الله، فرأى سيارة واقفة، وفيها رجلٌ عربي من إحدى الدول العربية، ومعه زوجته قد كشفت عن وجهها.

فانطلق رحمه الله كالسهم تجاه السيارة فغطت المرأة وجهها، ونزل زوجها وقبل رأس الشيخ واعتذر»^(٢).

وقال العقيد الركن علي بن محمد الحشّان :

«كان يحرص على ألا يدنس العلم الذي معه بما يشينه، فحينما همّ أن يدخل أحد المكاتب رأى فيه صوراً معلقة، فعدل إلى مكتب آخر ليس فيه صور، وكذلك لا يرضى بحضور مناسبات فيها منكرات، ويحرص الشيخ كثيراً على تصحيح الأخطاء عملياً، فكان الناس في السابق إذا أرادوا أن يصلوا على جنازة قاموا من حين يسلم الإمام وقد تعلمت من الشيخ التريث؛ لا سيما إذا كان من المصلين من يقضي ما فاته.

كذلك صلى الشيخ مرة على جنازة، ولاحظ أن بعض المأمومين يرفع صوته بالتكبير إذا كبر الإمام؛ فلما فرغ الشيخ من الصلاة على الجنازة نبّه الناس إلى عدم الجهر بالتكبير».

(١) الأسرة، العدد ٩٢.

(٢) الدعوة، العدد ١٧٧٦.

في بداية أحد دروسه رحمه الله في المسجد الحرام قال :

«إني ألاحظ أن أيدي بعض الناس قد قُطعت؛ فشدد الانتباه بذلك، ووضّح : أن البعض من احترامهم وتبجيلهم ربّما سارع بتقبيل الرأس قبل المصافحة، ويّين أن هذا خلاف الهدى النبوي، فلا بدّ من البدء بالمصافحة»^(١).

وقال عبد العزيز بن دغيش الدغيش :

«مرة وهو راجع من المسجد إلى بيته كان يمشي على الرصيف، فوجد سيارة قد أوقفها صاحبها فوق الرصيف تعترض الطريق، فوقف الشيخ وسأل عن صاحب السيارة، ثم طرق عليه الباب، فخرج صاحب السيارة، ووجد من ؟ وجد الناصح المتواضع، والموجه المشفق، نصحه الشيخ أولاً، ثم طلب منه أن يغيّر مكان السيارة فالطريق له حقّ»^(٢).

وقال الشيخ محمد بن عبد الله المشوّح :

«كان رحمه الله شفيقاً عطوفاً حديباً على الشباب، يستمع إليهم ويناقشهم، فيرشد ويعظ بكلّ لين وأدب.

لقد استمعتُ إلى بعضهم ينهر ويعليّ صوته عليهم حين يتحدثون عن بعض المنكرات، ولكن الشيخ رحمه الله يعاملهم بكلّ هدوء، ويبيّن لهم أصول الإنكار، وضوابطه بعيداً عن الحماس المرتجل، والعاطفة النائرة، المجردة من العلم والعقل»^(٣).

(١) مجلة الجندي المسلم، العدد ١٠٢.

(٢) جريدة الرياض، العدد ١١٨٩٦.

(٣) الرياض، العدد ١١٨٩٣.

وقالت نورة بنت محمد السعيد :

«كان لدى والدي رحمه الله بيت زائد عن حاجته، ورغب في إيقافه بعد موته، واستشار الشيخ هل يفعل أم يتصدق به في حياته ؟ فقال له الشيخ إذا كنت ماشياً فهل تضع السراج أمامك أم خلفك ؟ فقال : بل أمامي، فقال : تصدّق به الآن»^(١).

وكان من حرصه رحمه الله في صلاته أن يرسل من يسوي الصفوف ويتفقدوها بعد إقامة الصلاة، اقتداءً بالرسول ﷺ، وهي سنة مهجورة، تركها الكثيرون.^(٢)

وقال الشيخ أحمد القرعاوي :

«عندما يسير الشيخ مع طلبته من المسجد إلى المنزل يضيق الشارع بهم لكثرتهم، فيقوم الشيخ رحمه الله وينهاهم ويقول لهم: ابعدوا وأعطوا الطريق حقّه»^(٣).

وقال محمد بن أحمد الشدي :

«فضيلة الشيخ محمد بن عثيمين رحمه الله عالم كبير مهتم بالكتاب والاطلاع بشكل لم أره إلا لدى القلة من الناس ومعرفتي بفضيلته جاءت بالصدفة خلال عملي، فقد وصله بطريقة معينة أن الجمعية لديها لوحات. والعديد من الرسامين السعوديين تدخل رسوماتهم تحت طائلة (غير المباح) من الفن التشكيلي، وجاءت مكاملة فضيلته بهذا الخصوص مع سمو الأمير فيصل بن فهد رحمه الله في مكتبه مصادفة، وأنا لدى سموه لعرض بعض الأوراق، فقال سموه - رحمه الله - : لدي فلان سوف يتصل بفضيلتك، ويشرح لكم واقع الحال الذي هو الصحيح الذي

(١) الدعوة، العدد ١٧٧٦.

(٢) الرياض، العدد ١١٨٩٦.

(٣) الدعوة، العدد ١٧٧٧.

نسير عليه في جميع أعمالنا، وفعلًا في مساء ذلك اليوم اتصلت مع فضيلته وشرحت له، فوجدت الشيخ رحمه الله متفهمًا لدورنا في رعاية الشباب بكل أبعاده الفكرية والعملية، ومن ضمنها الفنون التشكيلية التي ليس فيها شائبة، وأكدت لفضيلته ذلك في كل ما نقيمه من معارض وأرسلت له نماذج مصغرة منها... ورضي فضيلته وقال: إن فيما ذكرته لي محاولة منكم لإشغال الشباب بأعمال مفيدة، وقد تصده عن ما يضره وحملني السلام لسمو الأمير فيصل رحمه الله، وتحدثت مع فضيلته عن بعض الكتب الهامة والمفيدة، وأصبحت علاقتي به ثقافية أبوية، رحمه الله وعوضنا عنه خيرًا»^(١).

وقال عبد الغني بن ناجي القش :

«كان الشيخ في أحد الليالي الرمضانية يصفح من استمعوا إلى الدرس، وإذا برجلٍ من المغالين في المشايخ أخذ يغالي في الشيخ، ويقول كلاماً فيه غلوٌ كبير، فما كان منه رحمه الله إلا أن دفع ذلك الرجل وقال له: أصلحك الله، أصلح عقيدتك أولاً، وبعد ذلك التفت إلى طلابه وسألهم أن يأتوا بالرجل الذي فعل ما فعل، وأخذ يحذنه ويلطفه، ثم خصص الدرس بعد ذلك في الغلو والمغالاة، وكيف أنه كانت سبباً في عبادة غير الله عز وجل»^(٢).

وقال الشيخ راشد الزهراني :

«يقول رحمه الله تعالى : كنت في مطار الملك عبد العزيز بجدة، فتأخرت الطائرة، فأردت أن أستفيد من الوقت، وفي مصلى المطار بدأت أتحدث عن اتباع

(١) الندوة، عدد ١٢٨٤١، نقلاً عن صفحات مشرقة، ص ٥٢.

(٢) المدينة، العدد ١٣٧٩٢.

السنة، وعن فرقة التيجانية وأنها فرقة ضالة، فقال أحد الأخوة : يا شيخ لو سمحت لي أن أترجم كلامك إلى لغة (الهوسا)، لوجود أناس كثير يتحدثون بهذه اللغة، يقول الشيخ : وبدأت بالحديث وهو يترجم، وفي أثناء الكلام قال شخصٌ : يا شيخنا أنت تدم الطائفة وهو يشي عليها، فأجلسه الشيخ، ولم يعد يثق في كل مترجم، وكان يقول : تمنيت أني تعلّمت اللغة الإنجليزية^(١).

وقال د. أحمد بن سليمان العريني :

«كان رحمه الله يعمل بالعلم ويطبّقه بخدافيه، ففي يوم من أيام شوال كنا في درسه في قاعة كلية الشريعة بالقصيم، فسأل أحد الطلاب الشيخ عن أناس اعتَمروا في رمضان الماضي، فلمّا دخلوا الحرم ورأوا الزحام الشديد رجعوا إلى بلدهم ولم يتموا عمرتهم، فقال الشيخ : أنعرفهم ؟ قال : إن زميلاً لي يعرفهم قد أوصاني بالسؤال، فقال الشيخ : اخرج الآن وبلغه ليأمرهم الآن بالتوجه إلى مكة، وإتمام نسك العمرة، فقال الطالب : حسناً، سوف أخبره بعد المحاضرة، فقال الشيخ : لا تنتظر، اخرج الآن وأخبره، فخرج الطالب من فوره»^(٢).

وقال الشيخ عبد الله الجلالى :

(أذكر أنا كنا في حفل في عنيزة قبل أكثر من عشرين سنة، فقام أحد الشعراء هداه الله وبحسن نية فأتى على رجلٍ من المسؤولين، فقال : لك النهي والأمر. فغضب فضيلته رحمه الله عليه وقال : هذا لا يكون إلا الله هو الذي له النهي والأمر، وكان ذلك المسؤول أيضاً رجلاً فاضلاً فشكر فضيلة الشيخ وقال : جزاك

(١) شريط معالم في حياة فقيد المسلمين ابن عثيمين، نقلاً عن صفحات مشرفة ص ٩٧.

(٢) الدعوة، العدد ١٧٧٧.

الله خيراً، أنا لا أستحقّ هذا لأن هذا من اختصاص الله عز وجل، هو الذي له النهي والأمر، خصوصاً وأن تقدّم ما حقّه التأخير في الكلام يدلّ على الحصر والنهي، والأمران محصوران لله عز وجل»^(١).

وقال عبد الله بن عبد العزيز الغفيص :

«مرّة بعد أن انتهينا من السعي للعمرة خرج الشيخ ليحلق رأسه، وإذا برجلٍ خارج المسعى يمسك بسيجارة، فوعظه الشيخ بكلمة طيبة، فكأن الرجل لم يعر الشيخ اهتماماً، ومضى، فلحقته به وقلت له: أتدري من هذا الذي يعظك؟ إنه الشيخ ابن عثيمين، فقال: صحيح! ابن عثيمين؟ فانطلق فاعتذر من الشيخ، ويقبله في رأسه، فقال له الشيخ: إذا كنت تريدني أقبل اعتذارك فاترك هذا الخبيث، فوعد خيراً»^(٢).

قلت : وما أذكره من المواقف في هذا الأمر العظيم ما يأتي :

في مكة المكرمة جاء الشيخ لأداء العمرة في حدود سنة ١٤١٣ هـ وطلبت منه أن الأزمه أثناء النسك للسؤال والاستفادة من عمله وعلمه، وكنت أسأله بين الحين والآخر عن مسائل.

وقد سألته عندما كان يشرب ماء زمزم بعد صلاة الركعتين خلف المقام، هل صح في استقبال القبلة شيء في هذا الموطن؟ فقال : لا.

وبعدما انتهى الشيخ من السعي ذهبت معه إلى الحلاق بجوار المروة فطلب منه الشيخ أن يحلق شعره ويأخذ من شعر الأذنين وأنا واقف خلفه أثناء الحلاقة قد عرضت عليه أن أدفع ثمن الحلق فرفض.

(١) شريط الإمام ابن عثيمين، (تسجيلات صدى التقوى بالرياض).

(٢) الأربعاء، يوم ٢٩/١٠/١٤٢١ هـ.

وبعدما انتهى أعطيت الخلاق الأجرة وأعطاه هو أيضاً الأجرة، ووجد عند الخلاق لوحة مكتوب فيها «ممنوع حلاقة الذقن» فأعجب الشيخ جداً وقام للخلاق وشكره وحثه على عدم حلق اللحية وأخبره أن هذا حرام. كل هذا والخلاق لا يعرف من الشيخ وهو في ذهول من أمره.

موقف آخر :

كنا مع الشيخ في زيارة لمدينة الرأس وركبنا معه في السيارة، وكان يطلب من كل واحد منا أن يقوم بقراءة شيء من القرآن، إلى أن وصلنا. دخل الشيخ على بعض الوجهاء في هذه المدينة، وكان ينهاتهم عن التصاوير التي توضع في المجالس، فيستمعون لأمره ويحيون له لما أمر به.

وجاء وقت العشاء وجلسنا نأكل على الأرض وكان وراءنا بعض الخدم قياماً للخدمة، فنهاتهم الشيخ عن الوقوف على رؤوسنا كما يقوم الأعاجم للوكهم ومعظميهم.

ومن تلمظ الشيخ في الإنكار عند الحاجة إليه :

ذات يوم كان الشيخ يصلي الظهر إماماً كعادته في مسجده، وخلفه مجموعة من المصلين من مصر؛ من صعيدها وكان إذا كبر الشيخ رفعوا أصواتهم بالتكبير خلفه.

فجاء الشيخ ذات يوم وقال : يا أبناء وادي النيل لا ترفعوا أصواتكم بالتكبير.

ومسألة إنكار المنكر مسألة عظيمة هلك فيها من هلك، وغلا فيها من غلا، من لدن الخوارج ثم المعتزلة فمن بعدهم منهم جماعات التكفير وغيرهم ممن لا يراعون الوسائل الشرعية في إنكار المنكر، ولا يقفون على كلام أهل العلم في مراتب إنكار المنكر.

وفي أحد الأيام في دروس الصباح في الصيف قام أحد الطلاب معترضاً على الشيخ قائلاً: انتشرت المنكرات والمعاصي كالربا والفاحشة والأفلام الماجنة... وغيرها.

فلماذا يسكت العلماء؟ وما هو دوركم؟ ولماذا لا تنكرون المنكر؟

فأجابه الشيخ بحكمة ورفق قائلاً: وما أدراك أننا لم ننكر المنكر ولم نأمر بالمعروف.

بل نحن ننكر المنكر ونأمر بالمعروف، لكن هل يلزم من كل من ينكر المنكر أن يُستمع له، وهل يلزم أن يخبر الناس أنه أنكر المنكر؟.

فكانت هذه إجابة حكيمة من الشيخ تُنقل للمتحمسين والمتحاملين على شيوخهم في كل عصر ومصر ممن يهتمون أهل العلم الربانيين بالتقاعس عن إنكار المنكر.

ومما أذكره في هذا الباب :

أن الشيخ كان سيحاضر في الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة، وكان يوجد بالقاعة الكبرى عدد من كاميرات التصوير بالفيديو، فقام الشيخ قبل صعوده المنصة للمحاضرة بالمرور على أصحاب الكاميرات ونكّسها بنفسه واحدة بعد واحدة، ثم صعد على المنصة وقبل بدأ المحاضرة، قال: إني لا أسمح لأحد بتصويري، ومن صورني فأنا خصمه يوم القيام، ثم بدأ في المحاضرة.

فليسمع هذا كل من لا يفقه قول الشيخ في التصوير الفوتوغرافي الذي يكون لحاجة الشخص كالهوية وغيرها وبين التصوير للاقتناء والذكرى.

وقد نسب إلى الشيخ في هذا الأمر شنائع من جراء الفهم المغلوط لفتوى الشيخ.

وقد نُوقِش الشيخ كثيراً في هذا الأمر في أن عموم الأدلة تدل على منع كل أنواع الصور إلا ما استثنته الضرورة كما عليه فتوى شيخ شيخنا العلامة ابن باز رحم الله الجميع وغفر لهم.

(١٩) اهتمامه بأحوال المسلمين في العالم، وقته بالواقع.

قال د. عبد الله بن محمد الرميان :

«مما يجدر بالذكر أن الشيخ رحمه الله لم يسافر خارج المملكة طوال عمره إلا مرة واحدة في إجازة الصيف الماضي لتشخيص المرض الذي أصابه، وكان يرى أن بقاءه في الداخل أكثر نفعاً وأجدي، لكنه كان شديد الحرص على مقابلة المسلمين من شتى بلاد الدنيا عند قدومهم للحج أو العمرة، وأذكر أنني دعوته ذات مرة لتناول طعام العشاء، وكان رحمه الله لا يردّ الدعوة إلا عند عدم استطاعته لإجابتها، فوافق على ذلك، ثم أرسل لي أحد تلاميذه بعد صلاة العصر للاعتذار، وطلب تأجيل الموعد لأن هناك وفداً من المسلمين الأمريكيّان طلبوا لقاء الشيخ، فخشي الشيخ أن يمتد الوقت بهم، فاعتذر، وفعلاً بقي معهم الشيخ إلى قرب منتصف الليل، وهذا يدلّ على حرصه رحمه الله على مقابلة المسلمين، والوقوف على مشاكلهم رغم عدم سفره إلى بلادهم»^(١).

وقال الشيخ عقيل بن عبد العزيز العقيل : «إن الشيخ كان يهتم بقضايا المسلمين في كلّ أنحاء العالم، وكان يتصل بي شخصياً في كثير من المرات يسأل ويستفسر عن أحوال المسلمين سواء أيام البوسنة، وأفغانستان، وكوسوفا، وكان يتابع متابعة دقيقة لبعض المشاريع، ويحرص عليها، ويخصّص جزءاً من محاضراته ودروسه لتوعية الناس بهذه القضايا، ويبحث على دعمها، وأذكر أنني زرت الشيخ في مسجده الجامع الكبير في عنيزة، وبدأت أحدثه بعد الصلاة عن بعض القضايا

(١) الجزيرة، العدد ١٠٣٣٤.

الهامة، وكان طبعاً المسجد مليئاً، وأمرني أن أنزل إلى القبو وأنتظر هناك، ونزل خلفي، وجلسنا وحدنا منفردين، وكان يصغي باهتمام للقضية التي أ طرحها عليه، وكان يعطي توجيهاته ونصائحه رحمه الله رحمة واسعة»^(١).

وقال د. عبد الرحمن بن عبد العزيز السديس :

«أذكر أنني مرة في إحدى الدول الغربية، دخلت أحد المراكز الإسلامية وفيه مكتبة متواضعة، فإذا أنا بمجموعة من طلاب العلم في هاتيك الديار من محبي الشيخ رحمه الله تعالى وهم لم يروه، وقد عكفوا على كتبه ومؤلفاته ورسائله، يقرؤونها، ويبدلون جهدهم في ترجمتها بلغتهم، فقلت : سبحان الله الذي كتب لشيخنا القبول حتى في مجاهل الغرب وأقاصي الدنيا، ولقد بشرته بذلك فسرّ كثيراً، وهذا من عاجل بشرى المؤمن، وقد كان يسألني عن أحوال المسلمين في الدول التي أزورها، ويشجعني على الاستمرار في ذلك كثيراً، فجزاه الله عني خير الجزاء»^(٢).

وقال ناصر السعدي :

«كان الشيخ رحمه الله جلدأً وصابراً، مستمراً في العلم والعبادة دائماً على ذلك، وأذكر أنه عندما علم بالحرب الإسرائيلية ضد الفلسطينيين تأثر كثيراً، وظهر ذلك واضحاً في قسّات وجهه، وهذا دليل على اهتمامه بواقع المسلمين، وله جهود واضحة في ذلك»^(٣).

(١) الرياض، العدد ١١٨٩١.

(٢) الجزيرة، العدد ١٠٣٣٥.

(٣) الجزيرة، العدد ١٠٣٣٦.

وقال الشيخ بدر بن نادر المشاري :

«رغم مرض الشيخ حرص على خطب الجمعة في الجامع الكبير والإمامة والالتقاء بالناس للإجابة على أسئلتهم واستفساراتهم رغم كلِّ معاناته حتى قيل له في وقت مرضه : أرح نفسك يا شيخ، قال : الراحة في خدمة المسلمين»^(١).

وقال د. عبد الله الموسى :

«ذهبت للولايات المتحدة الأمريكية، وكرمني الشيخ برقم الهاتف الخاص في المنزل، وطلب مني ألا أستخدمه إلا في الحالات القصوى التي تحدث دائماً في بلاد الغرب، وينتج عدم الفصل فيها إلى الفتنة والفرقة والشقاق والنزاع، وكنت أستخدم هذا الهاتف بين الفينة والأخرى، وكم كان هذا مفيداً على مستوى الولايات المتحدة الأمريكية، فقد اتصلت به مراراً، ولا سيما عندما يبلغ الخلاف الحلقوم، وبهذا الرقم الخاص انكشفت كرب، وانحلت عقد، واتحدت قلوب بهذه الفتوى، حتى إنه في أحد الأيام أحد الإخوان لم يصدقني في قول ابن عثيمين، فنقلته له وقال : لا مانع لديّ أن يكون اللقاء مباشراً عبر الهاتف، وأنا مستعد للمناقشة، ومرت الأيام، وفي زيارتي السنوية للمملكة العربية السعودية أعود لمجلس الشيخ مرة أو مرتين، وأذكر له بعض الصور الموجودة هناك وأحوال المسلمين، وأعرض عليه بعض الفتاوى، وكان يكتب ويسر، وكنت أناقشه بصراحة إلى درجة أنه رفض الفتوى في موضعين لما أخبرته بكامل القضية ولم يعطيني جواباً. وقال : أسأل غيري»^(٢).

(١) شريط (أحب لقاء ربّه) نقلاً عن صفحات مشرقة لحمود المطر ص ٦١.

(٢) الجزيرة، العدد ١٠٣٣٧.

وقال الشيخ توفيق الصائغ :

«لما عاد من رحلته العلاجية وقد أمضى أربع عشرة ساعة في الجو منتقلاً من الولايات المتحدة إلى المملكة، فلما وصل إلى الطائف اتصل بي هاتفياً، وقال رحمه الله تعالى : (إذا استطعت أن تعلم الناس في المواقع [مواقع الإنترنت] برقم هاتفنا في الطائف، وأنا انتقلنا إلى هناك فافعل حتى لا يُحرم الناس من السؤال والفتيا)»^(١)

قال الشيخ سعد بن عبد الله البريك :

«ما تواني عن النصح والإرشاد بعد أن دامه المرض، وأتمك قواه، وفتك بجسمه، يروي من رافقه في رحلة العلاج إلى (أمريكا) يقول : أمضى الشيخ عشرة أيام ملأها بجلوسات تفسير القرآن وتعليمه، والفقهاء ومدارسته، وتحول جناحه في المستشفى إلى حلقة من حلق العلم والفتيا والذكر والدعوة، اجتمع برؤساء المراكز الإسلامية الذين زاروه في المستشفى، فأكثر عليهم النصيحة وأعاد وكرر عليهم أن يتقوا الله، وأن يتحدثوا وأن يتكاتفوا، وأن يجمعوا كلمتهم، وأن يعتصموا بحبل الله جميعاً، وأن يبنذوا الفرقة، وأن يبدؤوا الحوار بينهم باللين والحكمة والحسن، وأن يتباعدوا عن رمي بعضهم بالعبارات التي لا تليق، أو اتهام بعضهم بما لا يجوز من سيئ الظنون»^(٢).

وقال عبد الله بن عبد العزيز الغفيص :

«كان يحمل همّ الأمة الإسلامية في مشارق الأرض ومغاربها، ففي ذات يوم كنا عائدين إلى السكن بعد الدرس الذي كان يلقيه عقب صلاة الفجر في المسجد

(١) شريط (وداعاً العثيمين) نقلاً عن صفحات مشرقة ص ٧٥.

(٢) شريط (ربانيون على فراش الموت) نقلاً عن صفحات مشرقة ص ٨٥.

الحرام، ووصلنا إلى السكن حوالي الساعة السابعة والنصف تقريباً لينام الشيخ وقت الضحى، فقد كان لا ينام في العشر الأخيرة من رمضان إلا في ذلك الوقت، حيث كان يجلس في غرفة في المسجد الحرام للرد على أسئلة المستفتين من بعد صلاة العصر إلى صلاة المغرب شفهاً لمن يقدم عليه، وتليفونياً لمن يتصل به، وبعد صلاة التراويح يجلس للدرس حتى صلاة القيام، ثم يصلي القيام وبعده ينام نصف ساعة فقط قبل السحور، ثم يصلي الفجر ويجلس للدرس حتى الشروق، فلا يجد وقتاً للنوم إلا وقت الضحى، وهكذا بقية العشر.

أعود للقصة عندما وصلنا للسكن، دخل الشيخ لينام وطلب مني إيقاظه الساعة التاسعة والنصف لمقابلة وفد قدم من إحدى الدول الإسلامية، وبالفعل لم تقترب عقارب الساعة من التاسعة والربع حتى وصل الوفد، فأخبرتهم أن الشيخ نائم، وطلب مني إيقاظه الساعة التاسعة والنصف.

واقترحت عليهم لو أنهم انتظروا ساعة أخرى حتى يستريح الشيخ فوافقوني بلا تردد، وما أن تجاوزت عقارب الساعة التاسعة والنصف بقليل حتى وجدت الشيخ قد استيقظ من تلقاء نفسه، وسألني عن الوفد، فأخبرته أنهم وصلوا، وأعلمته بما قلت لهم فعاتبني، وقال: ساحك الله، كان عليّ أن أكون في استقبالهم». (١)

وقال حمود الشميمري:

«زرت في محبته في منى مع عدد من إخواننا حديثي الإسلام للسلام عليه وإلقاء بعض الأسئلة، وكان رحمه الله عند دخولنا عليه يلقي درساً على عدد كبير من الحاضرين، فأسررت له أن معي بعض الأخوة الأمريكيين والأوروبيين يرغبون

(١) الأربعاء، عدد يوم ٢٩/١٠/١٤٢١هـ.

بالسلام عليه، والاستفادة في بعض الأمور التي همهم في بلاد الغرب، فما كان منه رحمه الله إلا أن طلب من أحد المشرفين على المخيم أن يستضيفهم في خيمته الخاصة حتى يفرغ من إلقاء درسه، وما هي إلا دقائق معدودة وإذا به يدخل علينا في خيمته هاشأً باشأً مرحباً بالأخوة حديثي الإسلام، ويهنتهم على نعمة الإسلام، ثم بين لهم وسائل الثبات ومسؤولياتهم نحو أسرهم وأقاربهم، ومجتمعهم، ثم جلس بعد ذلك يستمع إلى أسئلتهم، ويحبب عليها بكل اهتمام وسعادة، ويكرّر الإجابة للاطمئنان على فهمهم لها، وكنت أقوم بدور الترجمة، فأكد عليّ رحمه الله الاهتمام بهم، وتقلّم كلّ ما يحتاجونه للتفقه في دينهم وتقلّم أي مساعدة يحتاجونها، ثم ودّعهم رحمه الله بأحسن ما يكون التوديع، ودعا لهم^(١).

وقال عبد المحسن بن عبد الرحمن القاضي :

«أذكر في غير مرّة - رحمه الله - كنّا إذا حدثناه عن عملٍ خيري هنا أو هناك، يساهم بدعمه، ليس دعماً مادياً فقط، بل بالتوجيه والنصح والتحري في بذل المال، ولو أردت ضرب الأمثلة فإن المقام لا يسمح لذلك، ولكنني أذكر أنه في أحداث البوسنة والهرسك كان كثيراً ما يطلب مني المرور عليه لأخذ الأموال التي وصلت إليه، وإيصالها إلى هناك، ولقد قمنا بطباعة عددٍ من الكتب على حسابه بواسطة مكتب هيئة الإغاثة، أو بواسطة الهيئة العليا لجمع التبرعات لمسلمي البوسنة أو غيرها..

وكانت له صلة مباشرة رحمه الله مع المسلمين العاملين في البوسنة والهرسك حتى إنه أقام درساً أسبوعياً توجيهياً لأحد المراكز الإسلامية بالهاتف في البوسنة إبان أزمة ذلك البلد.

(١) جريدة المدينة، العدد ١٣٧٨٢.

وتكرّر اهتمامه رحمه الله، واتسعت همومه لعدد من قضايا المسلمين التي كان يشجعنا على العمل فيها وجمع التبرعات لها، بل وتخصيص خطبة الجمعة عنها كقضايا الشيشان التي حظيت بنصيب من اهتمامه، كبير في أواخر حياته رحمه الله، وكذلك قضية فلسطين، وكشمير، والفلبين، وإندونيسيا.

وأقمنا بواسطته عدداً من المراكز العلمية في العالم، التي كان يدعمها ويشارك في إلقاء المحاضرات بها، وإرسال الكتب والأشرطة إليها، وربما أن كثيراً ممن حوله لم يعلموا بذلك؛ لخصوصيته المتميزة - رحمه الله - في ذلك»^(١).

وقال الشيخ بدر بن نادر المشاري :

«بلغني من أحد طلابه أنه كان قليلاً من الليل ما ينام في أوقات النوازل الكبيرة على الأمة خصوصاً في أيام أزمة الخليج ومأساة إخواننا في البوسنة والشيشان؛ حيث كان يقوم الليل ويدعو ربّه لهم بالنصر والثبات، وردّ كيد أعداء الدين عنهم، وكذلك دعاؤه للمسلمين وحثّهم للوقوف معهم»^(٢).

وقال الشيخ محمد بن صالح المنجد :

«لقد اهتم الشيخ بأمور الجهاد، ومن ذلك جهاد المسلمين في بلاد البوسنة والهرسك، وكان قد خصّص من وقته ساعة أو أكثر في كلّ أسبوع لأمور الجهاد في البوسنة يتصلون به فيفتيهم، وينظر في حاجتهم، ويسمع أخبارهم ويستبشر بها وينشرها، واتصل به بعض المجاهدين من البوسنة مرّة، وسأله عن حكم قتل الخطأ؟ وماذا يجب على القاتل؟ واحداً من المسلمين قتل أخاه المسلم في الجهاد خطأ، فبعد

(١) جريدة الوطن، العدد ١١٠.

(٢) شريط (أحب لقاء ربّه) بواسطة صفحات مشرقة ص ١٦٣.

در الثمين ٣٠١

الإجابة؛ الشيخ لما أجابهم بما يجب عليهم من حقّ الله وحقّ أهل القتيل قال : أمّا دية المقتول فعليّ، وسأرسلها لكم إن شاء الله تعالى، وكذلك كان اهتمامه بالجهاد في الشيشان حتى ذهب بعض طلابه إلى هناك يعلمون ويدرسون، ويشرفون على تطبيق الشريعة في بلاد الشيشان...»^(١).

الشيخ ومحنة فلسطين والشيشان.

قد عاصر الشيخ طيلة حياته العديد والكثير من محن الأمة الإسلامية العالمية ابتداءً من محنة احتلال اليهود لفلسطين وانتهاءً بمحنة اغتصاب الروس لبلاد الشيشان. وقد كان للشيخ تجاه هذه المحن مواقف عظيمة لم يذخر فيها وسعاً للدفاع عن قضايا أمته بشتّى الوسائل، ومساعدة هذه الشعوب المسلمة المتّحنة. فقد كان رحمه الله تعالى يبذل ما يستطيعه من جهدٍ ماديّ وعلميّ ودعويّ في سبيل نصرة إخوانه المسلمين.

من ذلك : «في قضية فلسطين».

ما قاله رحمه الله تعالى في خطبته التي ألقاها بعد احتلال فلسطين بحوالي ثمان سنوات، قال فيها :

«أيّها الناس ! فلقد مضى على احتلال اليهود للمسجد الأقصى أكثر من ثمان سنوات وهم يعيشون به فساداً، وبأهله عذاباً، وفي هذه الأيام أصدرت محكمة يهودية حكماً بجواز تعبد اليهود في نفس المسجد الأقصى.

ومعنى هذا الحكم الطاغوتي إظهار شعائر الكفر في مسجد من أعظم المساجد الإسلامية حرمة...».

(١) شريط (١٠٠ فائدة من العلامة ابن عثيمين).

ثم ذكر فضل المسجد الأقصى والأدلة على ذلك.

ثم ذكر الحن التي مرّ بها المسجد الأقصى خلال القرون الماضية.

ثم قال : «وفي ربيع الأول سنة ١٣٨٧ هـ احتلّه اليهود، أعداء الله ورسوله بمعونة أوليائهم من النصارى، ولا يزال تحت سيطرتهم ولن يتخلوا عنه، وقد قالت رئيسة وزرائهم فيما بلغنا : «إن كان من الجائز أن تتنازل إسرائيل عن تل أبيب، فليس من الجائز أن تتنازل عن أورشليم القدس نعم؛ لن تتنازل إسرائيل عن القدس إلا بالقوة».

ولا قوة إلا بنصر من الله عز وجل، ولا نصر من الله إلا بعد أن نصره ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن تَنصُرُوا اللَّهَ يَنصُرْكُمْ وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ﴾.

وإن نصرنا الله لا يكون بالأقوال البراقة، والخطب الرنانة التي تحوّل القضية إلى قضية سياسية، وهزيمة مادية، ومشكلة إقليمية.

وإنها والله لمشكلة دينية إسلامية للعالم الإسلامي كله.

إن نصر الله عز وجل لا يكون إلا بالإخلاص له، والتمسك بدينه ظاهراً وباطناً والاستعانة به، وإعداد القوة المعنوية والحسية بكل ما تستطيع، ثم القتال؛ لتكون كلمة الله هي العليا، وتظهر بيوته من رجس أعدائه.

أما أن نحاول طرد أعدائنا من بلادنا ثم نسكنهم قلوبنا بالميل إلى منحرف أفكارهم، والتلطّخ بسافل أخلاقهم.

أما أن نحاول طردهم من بلادنا، ثم يلاحقهم رجال مستقبل أمتنا يتجرّعون أو يستمرّون صديد أفكارهم، ثم يرجعون بتقيؤونه بيننا.

أما أن نحاول طردهم من بلادنا، ثم نستقبل ما يرد منهم من أفلام فائنة، وصحف مضلة.

الدَّر الثَّمِين ٣٠٣

أَمَا أَنْ نَحَاوِلْ طَرْدَهُمْ مِنْ بِلَادِنَا مَعَ مِمَارَسَةِ هَذِهِ الْأُمُورِ، فَذَلِكَ التَّنَاقُضُ الْبَيِّنُ، وَالْمَسْلُوكُ غَيْرُ السَّلِيمِ.

وَالْفَجْوَةُ السَّحِيقَةُ بَيْنَنَا وَبَيْنَ التَّصَرُّفِ ﴿وَلَيَنْصُرَنَّ اللَّهُ مَنْ يَنْصُرُهُ إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ، الَّذِينَ إِنْ مَكَّنَّاهُمْ فِي الْأَرْضِ أَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ وَأَمَرُوا بِالْمَعْرُوفِ وَنَهَوْا عَنِ الْمُنْكَرِ وَاللَّهُ عَقِيبُ الْأُمُورِ﴾.

نعم، أقاموا الصلاة، وآتوا الزكاة، وأمروا بالمعروف، ونهوا عن المنكر.
لَا كَمَا قَالَ بَعْضُ الْمَذْبِيحِينَ أَيَّامَ الْحَرْبِ مَعَ الْيَهُودِ فِي عَامِ ٨٧ هـ غَدَاً تَغْنِي أَمْ كَلْتُمُوهُ فِي قَلْبِ تَلْ أَبِيبِ.

صَلَّى اللَّهُ عَلَى رَسُولِهِ، لَقَدْ صَلَّى غَدَاةً فَتَحَ مَكَّةَ ثَمَانِي رَكَعَاتٍ، إِمَّا شُكْرًا لِلَّهِ تَعَالَى عَلَى الْفَتْحِ خَاصَّةً، أَوْ تَعَبُّدًا بِصَلَاةِ الصُّبْحِ، وَالْعِبَادَةِ مِنَ الشُّكْرِ، وَهَكَذَا حَالُ الْفَاتِحِينَ فِي الْإِسْلَامِ، يَعْقُبُونَ الْفَتْحَ بِالشُّكْرِ وَالتَّقْوَى.

فَاتَّقُوا اللَّهَ أَيُّهَا الْمُسْلِمُونَ، وَأَنِيبُوا إِلَى رَبِّكُمْ وَأَقِيمُوا شَرِيعَتَهُ، وَاطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ.

اللَّهُمَّ انصُرِ الْإِسْلَامَ وَالْمُسْلِمِينَ، وَطَهِّرِ الْمَسْجِدَ الْأَقْصَى مِنَ الْيَهُودِ وَالتَّصَاوِرِ وَالْمُنَافِقِينَ...»^(١).

رَحِمَ اللَّهُ ابْنَ عَثِيمِينَ، كَمْ كَانَ فَقِيهَاً بِوَأَقْعِ الْأُمَّةِ، فَقِيهَاً بِحُكْمِ الشَّرْعِ، وَلَيْسَ كَمَا يَدْعِي بَعْضُ الْأَغْمَارِ أَنَّهُ لَا يَعْلَمُ عَنْ وَاقِعِ أُمَّتِهِ شَيْئاً.

وَاللَّهُ إِنْ هَذِهِ الْكَلِمَاتُ هَذَا التَّحْلِيلُ الدَّقِيقُ، وَالتَّشْخِصُ لِلدَّاءِ، وَوَصْفُ الدَّوَاءِ لِحَقِيقَةِ أَنْ تَكْتُبَ بِمَاءِ الذَّهَبِ عَلَى أَوْرَاقِ الْفِضَّةِ.

(١) الضياء اللامع من الخطب الجوامع للمترجم رحمه الله تعالى ص ٦٦٢ - ٦٦٥.

ووالله إن أسباب العلاج أو النصر التي أوردها مع اختصارها ووجازتها لجديرة أن تجتمع عليها الأمة الإسلامية والعربية بمؤتمراتها وجامعاتها، بل وجيوشها لدراستها وتدريسها والعمل بها للخروج من هذا المأزق التاريخي الذي امتحنت به أمة الإسلام اليوم، وإلى الله المشتكى، وهو وحده المستعان.

وأما قضية مأساة إخواننا المسلمين في الشيشان :

فقد كان الشيخ مهتماً بها غاية الاهتمام، وكما يقال الآن «على مستوى الأحداث» جمعاً للمال لدعم المجاهدين، ودعاءً لهم، وحثاً على الجهاد معهم، واتصالاً بهم هاتفياً، وتخصيصه الأوقات للرد على استفساراتهم، واستضافة وافدهم، وبيان قضيتهم في محاضراته وخطبه وكلماته.

فرحمه الله تعالى، ما كان أنصحهم ! وأحرصهم ! وأشفقهم ! على إخوانه المسلمين. وقد سمعت منه رحمه الله تعالى محاضرة عظيمة في نصرة إخواننا في الشيشان بجامع الراجحي بالربوة بالرياض أثناء اشتداد المأساة.

جاء فيها : «الأمة الإسلامية في هذه الأيام تستقبل شهر رمضان المبارك، ولكنها تعيش في ألم ونكد فيما يجري لإخواننا في الشيشان، من تسلط أولئك الملحدون الروس عليهم، لا شيء، إلا لأنهم شرعوا في نشر الدين الإسلامي الصافي من البدع في بلاد البلقان.

ولكن أعداء الإسلام لا يرضون بهذا أبداً، سواء كانوا من الملحدون الشيوعيين، أو من اليهود، أو من النصارى، أو غيرهم... وهذا ظاهر.

ولما أرادت تيمور الشرقية «يعني في بلاد إندونيسيا» وهي جزء من الأمة الإسلامية لما أرادت أن تتحرر لأن أكثرها نصارى، قام الغرب وقعد، وهيا

الأسطول الجوي والبحري والبري؛ من أجل أن يفصل هذا الجزء من إندونيسيا لأن أكثره نصارى.

أما جمهورية الشيشان الجمهورية الفتية التي عرفت حقيقة الحياة، وعرفت حقيقة التوحيد، وعرفت الدين الصافي، فهي عند الغرب منشقة؛ والمجاهدون فيها إرهابيون، وما أشبه ذلك..

ولكنني أقول ﴿كَمْ مِنْ فِئَةٍ قَلِيلَةٍ غَلَبَتْ فِئَةً كَثِيرَةً بِإِذْنِ اللَّهِ وَاللَّهُ مَعَ الصَّابِرِينَ﴾. إننا لن نأيس ولن نقنط، وسوف يرجع الروس على أعقابهم مخذولين مهزومين إن شاء الله كما رجعوا في أول مرة.

وإن من حقّ إخواننا علينا، بل أدنى حقّ؛ أن ندعو لهم أن ينجيهم الله من القوم الظالمين، وأن ينصرهم على القوم الكافرين، في أوقات الإجابة وفي أحوال الإجابة.....». وذكر أوقات الدعاء.

ثم قال : «المسألة خطيرة، وليت المسلمين عرفوا قدر هذه النكبة وقاموا ينكرون عليهم ..

فردى ومثنى ينكرون على الروس، وينكرون على دول الغرب، لأن دول الغرب نصرانية كافرة، والروس ملاحدة كفّار، والله يقول : ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ﴾.

لا تقل : هؤلاء أهل كتاب بدعواهم، وهؤلاء ملاحدة، كلّهم سواء، كلّهم حرب على الإسلام.

لهذا كان الواجب على الدول الإسلامية - وأرجو الله أن يصل كلامي أسماعهم - أن ينفروا خفافاً وثقلاً إلى نصره هؤلاء؛ ولو بالكلام.

أما السكوت هكذا ولا كأن شيء كان، هو والله مزرى.

وليس حزننا أن هُزم دولة مقابل دولة؛ حزننا أن هذا هزيمة للإسلام، لأن الروس ما تسلطوا هذا التسلط إلاّ خوفاً من الإسلام، مع أننا نسمع أن اليهود يساعدون الروس على القتال هذا، واليهود أعداؤنا.....».

ثم قال : «فما موقفنا الآن ١١٩٩ :

من المعلوم أننا ليس لنا حيلة ولا قدرة ولا قوة.

وأنّ الموقف كان يجب أن يكون من الدول الإسلامية في إنكار هذا الأمر الفظيع، ولكن قدّر الله وما شاء فعل، موقفنا الآن هو أن ندعو الله عز وجل...».

ثم شرع الشيخ في دعاء طويل مؤثّر، جاء فيه :

«اللهم : إنّنا نسألك في مقامنا هذا ونحن في انتظار فريضة فرضتها علينا (يعني صلاة العشاء) نسألك اللهم في هذا المقام أن تنصر إخواننا في الشيشان... اللهم أنزل بالروس بأسك الذي لا يردّ عن القوم المجرمين».

ثم قال : «أيها الإخوة : أكثروا من الدعاء لإخوانكم :

مخلصين لله، محبتين إليه، مضطرين إليه، أكثروا من الدعاء لهم فإنهم في محنة عظيمة، الصّواريخ تدمّر بلادهم، وتقتل شيوخهم وأطفالهم ونساءهم وتقدم مساجدهم.....».

ثم قال : «ادعوا الله لهم بإخلاص في الفروض والنوافل، في انتظار الصلاة، في التهجد، ادعوا لهم، ادعوا لهم، هذا أقلّ الواجب عليكم، نسأل الله أن يتقبّل دعاءنا...» آمين.

(٢٠) منهجه مع ولاية الأمور :

قال العقيد الركن علي بن محمد الخشان :

«مما يحسن ذكره عن الشيخ حرصه على تبجيل ولاية الأمر، وعدم تشويه سمعتهم، ومع ذلك فهو يسارع إلى إنكار أي منكر يراه بالكتابة والاتصال، وهو - رحمه الله - جمع بين تبجيل ولاية الأمر، وعدم المغالاة في الإطراء بمناسبة وبغير مناسبة، وهذه والله وسطية عزيزة»^(١).

وقال الشيخ خالد بن عبد الرحمن الشايع :

«ومن مجالات حرص الشيخ على جمع الكلمة تأكيده وعنايته على ضرورة الاجتماع على ولاية الأمر، وتحذيره من كل ما يؤول إلى الخروج عليهم ومشاققتهم، مع قيامه في الحين نفسه بواجب النصيح بالحكمة والموعظة الحسنة»^(٢).

وقال الشيخ عبد الرحمن النهائي :

«وأذكر أنه كان يأمر الخطباء بالتأني وعدم الاستعجال، والتثبت في الأمور، وعدم الخروج على النظام، وعدم استشارة الناس في الخطب، وبليلة أفكارهم»^(٣).
وقال أيضاً :

«وفي مجال توجيهاته العامة والخاصة كان يحرص على الانتظام في الأعمال وطاعة ولي الأمر، ويشدد في ذلك، ويرى أن معصيتهم من كبائر الذنوب، ويحذر

(١) مجلة الجندي المسلم، العدد ١٠٢.

(٢) الرياض، العدد ١١٨٩١.

(٣) الجزيرة، العدد ١٠٣٤٦.

من مغبة الاختلاف والتنازع، ويعالج بالحكمة وبيان الحق. فكان رحمه الله أنموذجاً من نماذج الخير، وينبوعاً من ينابيع العلم»^(١).

وقال الأمير فيصل بن بندر :

«كان يوصيني دائماً بمخافة الله سبحانه وتعالى أولاً، وثانياً الالتزام والاهتداء بولاة الأمر، الذي كان حريصاً طيلة عمره على تنفيذ أوامره وتوجيهاته.

وكنت أشعر أن لولاة الأمر عنده مكانة عظيمة لديه...».

وقال :

«لقد كانت تربطه بولاة الأمر عدة أمور :

أولاً المحبة، ثم التقدير له لأنهم يرون أنه بالفعل على قدر كبير من العلم، والحكمة، والمعرفة، والمحبة لهم».

وقال :

«كان مطلعاً على أمور كثيرة في العالم، ويعرف ما يدور فيه، وكان صاحب إدراك واسع جداً.

ولم يكن يهمل حق ولادة الأمر، ووجوب الالتزام بأوامره، مشدداً على ذلك في حديثه للأساتذة والطلاب معاً»^(٢).

(١) المصدر السابق.

(٢) الاقتصادية، العدد ٢٦٥٠.

(٢١) أدب الشيخ :

قد رزق الله الشيخ ابن عثيمين أدباً جمّاً مع العوام والخواص من قاصٍ ودانٍ.
ومن ذلك :

أنني في أحد المرات كان لي لقاء مع الشيخ سبق أن حجزت مواعده من شهر سابق، وكان اللقاء بعد صلاة العصر، وبعد الانتهاء من الصلاة اقتربت من الشيخ وذكرته بالموعد الذي أعطانيه لمناقشة بعض الإشكالات أثناء قراءاتي ومذاكراتي.

ثم لما بدأنا في المناقشة جاء رجل وقال للشيخ : إن امرأةً بالباب ترغب في سؤال الشيخ، فلما همّ الشيخ بالقيام قلت له يا شيخ : هذه الساعة من حقي، فرجع الشيخ إلى مكانه وقال للسائل : استأذن من الأخ صاحب الموعد، فمكث الرجل يلح عليّ في ذهاب الشيخ لقضاء حاجة المرأة، فأذنتُ له، بشرط أن لا يتأخر، فترك الشيخ مشلحه (العباءة) عندي ووعدني بأن لا يتأخر.

فانظر إلى هذا الأدب الجمّ في معاملة أحد طلابه.

فرحمه الله من إمام وأعلى درجته في الجنة.

ومما أذكره أيضاً : أن الشيخ رأيَ ذات يوم وأنا أصلي أنزل على يدي بدلاً من ركعتي.

وقد كان الشيخ يفتي ويرى صحة النزول على الركعتين، فلما كلمني مُنكراً عليّ ذلك ناقشته بالأدلة، وقد كتبت في ذلك رسالة وجمعت فيها كلام أهل العلم والجواب عما قاله ابن القيم في الزاد من انقلاب الحديث على الراوي وسميتها : «إزالة الشكوك، حول حديث البروك».

فلما رأى الشيخ أن مخالفتي هذه عن علم، ترك الإنكار عليّ.

وهذا من أدب الشيخ وفقهه. غفر الله له.

وقال الشيخ خالد بن عبد الرحمن الشايع :

«مهما التقيت بالشيخ فأنت واجدٌ تلك الابتسامة التي تنبئك عن حسن الطوية، وصفاء السريرة من الشيخ نحو الآخرين. وكان الشيخ برغم المهابة التي يضيفها عليه ما أتاحه الله من العلم في دينه والبصيرة فيه. كان يلقي الناس بالحفاوة، والمبالغة في الترحاب بهم، وسؤالهم عن أحوالهم، ولو كان مَنْ أمامه صغيراً في سنّه»^(١).

وقال الشيخ منصور بن توكي المطيري :

«كان رحمه الله تعالى كريم الأخلاق، لطيف المعشر، كثير البذل، لا يردّ سؤال سائلٍ ولا حاجة طالب، وكان لطلابه مثل الأب لأبنائه، بل كان أقرب»^(٢).

وقال الشيخ عبد الرحمن بن علي النهائي :

«ثم أوصاني بكلماتٍ جميلات، وقطوفٍ دانيات، فقال : اخطب وأنكر المنكر، ولا توغل ولا تدخل في الأمور الشائعات، ولا في الأحوال غير المعينات، وألح فيما تقصده من تصريحات.

وأذكر أنه قال في أحاديثٍ عن موضوع الخطب أن أعواد المنابر ليست للفضائح والشتائم، وكان يوجّهنا بالالتزام بأداب الخطب، والسير بها على منهج النبي ﷺ وأصحابه؛ والسلف الصالح، وقال : يسعكم ما يسعهم»^(٣).

(١) الرياض، العدد ١١٨٩١.

(٢) الرياض، العدد ١١٨٩٠.

(٣) الجزيرة، العدد ١٠٣٤٦.

(٢٢) دقته وتثبته في الأمور، وتحققه :

قال الشيخ عبد الرحمن بن علي النهاي :

«في مجال اهتماماته بمجتمعه كانت له المرجعية في التوثيق بعد النظر والتحقيق والتدقيق، فإذا ما عرض خطاباً لسؤال محتاج، أو طلب سؤال شفاعة حسنة؛ طلب التزكية لصاحبه من اثنين أو أكثر ليتحقق من ذلك، ومن ذلك :
كُتب لصاحب حاجة، وكنت أحد الشارحين المزكّين صاحبه، الموقعين عليه، فلما عرض على الشيخ اشتبه في توقيعي وأراد أن يتأكد ويتحقق فأرسل صاحبه إليّ، وقال : يريدك الشيخ، فلما قدمت إلى الشيخ قال : اشتبهت في التوقيع، وأريد أن أتأكد»^(١).

وقال الدكتور عبد الرحمن بن علي العربي :

«كان ذكياً فطناً حذراً أن يستغل اسمه من قبل بعض ضعاف النفوس، من ذوي الحاجات، فكان إذا طلب منه التعليق على أوراق بعض المحتاجين يتحرى صدقهم أو يعلق على كلام طالب العلم أو القاضي الذي زكاهم، وكان يُنهي تعليقه بتاريخ يكون قريباً من عرض المحتاج حاجته على القادرين، ولما كان أكثر المحتاجين يعرضون حاجاتهم في شهر رمضان وأهل الغنى والخير يخرجون زكاتهم وصدقاتهم في شهر رمضان، فإنه يجعل تاريخ تعليقه في نهاية شهر شعبان، فقد لمست هذا في أوراق تذيل بتوقيعه تزكية لأحد طلاب العلم، أو القضاة الذين يعرفون ذوي الحاجات، أو تعليقه لذوي الحاجات مباشرة، لمست هذا حينما كنت إماماً وخطيباً

(١) الجزيرة، العدد ١٠٣٤٦.

لأحد جوامع الرياض، وبسؤال أحد خاصته أفاد بأن الشيخ يؤكد على أن تركيته المؤرخة لا تكون إلا لفترة واحدة، وأنه لو جاء السائل في سنة أخرى فإن التزكية لا تفيده لأنها من سنة ماضية، ولهذا فإن استمرت حاجته أتى إلى الشيخ وتحقق منه، وكتب له تزكية جديدة بتاريخ جديد^(١).

وقد عُرف عن الشيخ واشتهر أنه لا يقبل إقامة الطالب في سكن الطلاب الذي يجوار الجامع إلا بتزكية من اثنين معدلين، وهذا ما حصل معي شخصياً عندما قدمت عليه ومعني تركيتان من اثنين من كبار مشايخي في المدينة النبوية.

وإذا جاء الطالب وليس معه التزكية المطلوبة رفض الشيخ تسكينه كما حصل مع الأخ / وليد الحسين كما حكاها عن نفسه في مجلة الحكمة، العدد الثاني.

وفي أحد المرات جاء الشيخ أحد الإخوة من اليمن، وكان قد مكث في ضيافة السكن فترة، فطلب من الشيخ الموافقة على تسكينه، فرفض إلا أن يأتي بالمطلوب، فحاولت التدخّل وطلبت من الشيخ قبوله، فقال لي : هل تشفع له ؟ قلت : نعم، أشفع له، فقبل الشيخ شفاعتي رحمه الله تعالى وغفر له.

(٢٣) حرصه على نشر السنة :

قال الشيخ عبد العزيز بن حمين الحمين «رئيس محكمة محافظة الرس» :

«كان رحمه الله يركّز تركيزاً على التطبيق العملي للسنة النبوية والتربية العملية عليها. ولشيخنا رحمه الله سجل حافل في هذا الميدان، يعرفه القريب والبعيد، والقاصي والداني، ولعلّ مما يذكر في هذا المقام وعُرف عن الشيخ، ولمسته شخصياً منه رحمه الله ما يلي:

(١) الدعوة، العدد ١٧٧٦.

أ - رفع صوته بالذكر والاستغفار بعد السلام من الصلاة، تطبيقاً عملياً للسنة، وتعليماً لطلبته على الصدع بها في كلِّ مقام، وتربية للجميع على هدي الرّسول ﷺ في الانصراف من الصلاة.

ب- إفشاء السلام على الصغير والكبير، حتى على عمّال النظافة والباعة في الأسواق، في رحمة وألفة عجيبة تخرج بلا تكلف ولا عناء، مع ابتسامة إيمانية تأخذ القلوب، تطبيقاً لقوله ﷺ : «أفشوا السلام..» الحديث، وهو أسلوب تربويّ دعوي لا يكلف شيئاً؛ لكنه عظيم الأثر عميق التأثير.

ج - إرساله من يسوّي الصفوف ويتفقّدها بعد إقامة الصلاة، اقتداء بالرسول ﷺ، وهي سنّة مهجورة تركها الكثيرون...»^(١).

وقال أيمن بن عبد العزيز أباغي :

«من أخلاق الشيخ رحمه الله وصفاته : تمسكه الشديد بالسنة والعمل بها.

والأمثلة على ذلك كثيرة، لكن أذكر منها حثّ الناس دائماً على التمسك بالدليل، وعدم تركه لرأي فقيه أو عالم، ومن ذلك : ما كان يقوله من وجوب غسل الجمعة لحديث : «غسل الجمعة واجب على كل محتلم».

فعندما يقال له بأن قول الجمهور بأنه سنّة يتعجب من ذلك ويقول : لو أن عالماً كبيراً قال قولاً لاحترمت قوله وعملت به ودافعت عنه.

وهذا رسول الله ﷺ يقول لكم : إن غسل الجمعة واجب، وتقولون : إن الجمهور يقول بأنه سنّة.

(١) الجزيرة، العدد ١٠٣٣٧.

ومن تمسكه بالسنة أنه ينبّه في كل وقت على ما هو سنة وما هو بدعة، ومن ذلك أنه قد يأتي أحد ليسلم عليه فيقبل رأسه ويصافحه، فينبّه أن ذلك بدعة، ويأمر بالمصافحة، حتّى إنه كان يأمر بذلك وهو على السرير في المستشفى، والذهاب إلى المسجد ماشياً، مع أن بيته في عنيزة بعيداً عن المسجد، ومع ذلك يذهب ماشياً.

ومن عمله بالسنة المشي حافياً أحياناً إلى المسجد^(١)؛ لأن النبي ﷺ كان يحتفي أحياناً.

أيضاً : عدم صلاته السنة الراتبة في مكة لأنه يكون مسافراً.

ولبسه البياض من الثياب.

ومن عمله بالسنة وإحيائها : إفشاء السلام؛ حيث كان مع أنه الشيخ العالم الكبير يسلم على كلّ من مرّ به، وأذكر مرّة أنّي كنت أسير معه متوجّهين إلى الحرم، فكان إذا مرّ بأحد سلّم عليه، حتّى الصبيان يمرّ عليهم ويسلم عليهم...^(٢) وقال خالد بن صالح النزال :

«أذكر أنّي استأذنته في السفر إلى إحدى المدن للدراسة على أحد علمائها ممن قدموا من خارج هذه البلاد في أصول الفقه، وكان هذا العالم قد عُرِفَ بجهله بعقيدة السلف الصالح، فنهاني الشيخ - رحمه الله - من السفر إلى ذلك الرّجل وقال : انت لي بالمتن الذي تريد دراسته على ذلك الرّجل وسأشرحه في طريقي إلى البيت بعد صلاة الفجر من كلّ يوم.

(١) بين الشيخ أحمد القرعوي أن احتفاء الشيخ كان في ذهابه لصلاة الفجر غالباً، انظر مجلة الدعوة، العدد ١٧٧٧.

(٢) الجزيرة، العدد ١٠٣٣٤.

وكان ذلك في سنة ١٤١٤هـ.

فهذا من حرصه رحمه الله على عقيدة السلف، وكان يأمر ألا تؤخذ إلا ممن عُرف بالعقيدة السليمة.^(١)

ومن حرص الشيخ على السنة ما عُرف عنه من عدم جلوسه للتعزية، واعتبارها بدعة، فقد نشر فتوى له في مجلّة الدعوة بعنوان «فتح الأبواب والجلوس للتعزية بدعة» وكان الشيخ عند وفاة أبيه ووالدته لم يفتح الباب للتعزية، بل إنه لما توفّي والده صلّى عليه بعد صلاة الظهر، وبعد صلاة المغرب حضر للمسجد لإلقاء الدرس.^(٢)

وقال الشيخ محمد بن مطر السهلي :

«كُنّا مرة مع سماحته في درس من دروس المسجد الحرام في ليالي رمضان، و- كان عليه رحمة الله - يتكلّم عن حرمة مكة، وأنه لا ينفر صيدها ولا يختلي خلاها، فقال - عليه رحمة الله - : وهذه جرادة الآن واقفة على رجلي ولم أنفرها، خوفاً أن يكون قد وقع في هبة عليه الصلاة والسلام بأنه لا ينفر صيد مكة، وذلك فضل الله جلّ وعلا يؤتبه من يشاء، والله ذو الفضل العظيم».^(٣)

(٢٤) فتاواه :

الناظر في حياة شيخنا المترجم رحمه الله تعالى يجد أن الفتاوى أخذت جزءاً غير يسير من حياة الشيخ، فهو حريص على نفع الناس ومساعدتهم فيما ينزل بهم من

(١) الرياض، العدد ١١٨٩٣.

(٢) الدعوة، العدد ١٧٧٧.

(٣) شريط (وتوارى العلم) نقلاً عن صفحات مشرقة ص ١٤٧.

الحوادث والقضايا سواء كانت صغيرة أم كبيرة على كافة المستويات، فقد بذل نفسه للصغير والكبير، للأمير والوزير، للرجل والمرأة، لا يمتنع دون أحد ولا يرد سائلاً، وقد كان الشيخ يُفتي في العديد من الوسائل المتاحة له، بل كلما وجد وسيلة أو مسلكاً ساهم فيه، ومن الممكن حصر مسالك الفتوى في النواحي الآتية :

١- الإذاعة «سؤال على الهاتف - نور على الدرب».

٢- التلفاز (بدون ظهور صورته).

٣- الهاتف.

٤- المجلات.

٥- الصحف.

٦- الرسائل الشخصية.

٧- الكتيبات الخاصة بالفتاوى.

٨- عبر الانترنت.

٩- في الطريق.

١٠- في المنزل «الباب المفتوح».

١١- في الجامع «اللقاء الشهري - المنبر».

١٢- فتاوى الحرمين الشريفين.

١٣- أثناء الدروس والمحاضرات.

وقد تميّزت فتوى الشيخ بمميزات عدة، منها :

أ - الوضوح وسهولة العرض.

ب- تأصيل الفتوى.

ج - استنادها للدليل.

وقد كان رحمه الله لا يتردد عن كلمة (لا أذري) إذا أشكلت عليه الفتوى، ويردد كلمة (انج بنفسك).

قال الدكتور صالح بن عبد العزيز المنصور :

«كان الشيخ رحمه الله تعالى ورعاً كثير الثبوت فيما يُفتى، فلا يتسرع في الفتوى قبل أن يظهر له الدليل، وكثيراً ما يقول : لا أعلم أو أتوقف في هذه المسألة أو لم يتبين فيها شيء، وهكذا العالم التقى الورع»^(١).

وقال مؤذن جامعه الشيخ عبد الرحمن الرئيس :

«كان يرحمه الله حريصاً على إفتاء الناس بوضوح، فهو يجلس عصراً يوماً عقب الصلاة ليقضي حوائج الناس، ويفتي في المسائل الفقهية...»^(٢).

وقال الدكتور مصطفى عبد الواحد :

«إنه كان موضع الثقة والطمأنينة من جماهير المستفتين والسائلين، ومن لطيف صنعته أنه وافق على أن يتلقى الأسئلة بالهاتف من المستمعين، وأن يجيب عليها في الحال، وينقل ذلك على الهواء في شتى الأنحاء، وهكذا نفع الله بعلمه وفقهه الألوفاً والملايين في العالم العربي والإسلامي، بل فيما وراء ذلك»^(٣).

(١) الرياض، العدد ١١٨٩٣.

(٢) عكاظ، العدد ١٢٥٥٧.

(٣) المصدر نفسه.

وقال فضيلة الشيخ محمد صفوت نور الدين «الرئيس العام لجماعة أنصار السنة المحمدية بمصر» :

«إن فتاوى الشيخ ابن عثيمين تتسم بالتدليل والتعليل، يذكر الحكم الشرعي ودليله من القرآن والسنة، والعلة التي في هذا الحكم إن خفيت في الاستنباط... وكان ابن عثيمين من مدرسة رسول الله ﷺ الذي إذا خيّر بين أمرين اختار أيسرهما...»^(١)

وقال مؤذن مسجده الشيخ عبد الرحمن الرّيس :

«كانت معاملته رحمه الله مع المستفتين بالحكمة والموعظة الحسنة والابتسامة والسهولة والتيسير على المسلمين، ولكنه رحمه الله لا يشقّ عليهم إلا لمصلحتهم، ولحكم عظيمة لا يعلمونها، ويخذ على سبيل المثال :

مسألة الشخص إذا طلق زوجته ثلاث تطليقات جميعاً من شدة الغضب، حيث كان لا يشعر بنفسه فإنه رحمه الله يشقّ عليه قليلاً قبل الإجابة عليه ولكن لمصلحته لكيلا يعود مثلها مرة أخرى، فيطلب إحضار الولي وإحضار الزوجة، وهكذا، ولكن هو بنفسه ليس له مصلحة إلا نفع هذا الشخص، وهذا يدخل في قوله ﷺ: «لا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه» رحمه الله وأسكنه فسيح جناته»^(٢)

وقال أيضاً عن منهج الشيخ :

«منهجه الكتاب والسنة، فإنه رحمه الله كان ينيه دائماً وأبداً على بعض المفتين الذين يحكمون على مسألة ثم بعد ذلك يستدلون لأحكامهم بأدلة من الكتاب والسنة، فيلوون أعناق الأدلة ودلائلها لكي توافق أحكامهم يقول الشيخ : وهذا

(١) البلاد، العدد ١٦٢٣٠.

(٢) الدعوة، العدد ١٧٧٦.

غلط عظيم، فإن الواجب على المفتي أن يأخذ الدليل ثم يبني عليه الحكم، أي يستدل ثم يبن الحكم على ما دلّ عليه الدليل، وليس يحكم ثم يحاول أن يستدلّ لحكمه هذا، فيلوي أعناق الأدلة لكي توافق حكمه»^(١).

يقول سامي عبد الله المرشد: «في أحد مجالسنا مع الشيخ رحمه الله تعلّمت شيئاً لن أنساه ما حييت، ألا وهو عدم التسرع في الفتيا إلّا عن علم، فقد استفناه أحد الطلاب لدى والدي الشيخ عبد الله بن عقيل عن شخص أحدث في الطواف، فإن ترضاً وأعاد الطواف فسيفوته موعد عودته بالطائرة، فهل يجتهد ويفتيه، أم ماذا يفعل؟ لا سيّما وأنه يريد إجابة عاجلة غير آجلة (فتمهل) الشيخ رحمه الله في إجابته، وصار في تفكير طويل وعميق، ثم أفنى رحمه الله بأن الإنسان، أي إنسان غير مضطر للفتيا حتّى ولو ألح عليه السائل وبين حاجته للفتوى إلّا عن علم؛ لأن المسؤول مسؤول عما يفتي به يوم القيامة، فلا يفتي (ولا ينقل الفتوى) إلّا عن علم وتيقن، فمن إجابته رحمه الله أن قال كلمتين شافيتين كافيتين وغنيتين عن الإيضاح ألا وهما: (انج بنفسك)»^(٢).

وعن الاوقات التي يردّ فيها الشيخ على الهاتف ويجيب على الفتاوى :

يقول إبراهيم العثيمين :

«بصفة عامة هو لا يرفض الردّ على المكالمات في أيّ وقت إلّا إذا كان عنده ما يشغله، أو إذا كان وقته لا يسمح له حتّى في مرضه الأخير، كان لا يستطيع أن يلقي محاضرات، ولكنه كان يجاوب الناس بالهاتف، لكن بعد الظهر بساعة أو بساعة ونصف، حسب جلوسه»^(٣).

(١) المصدر السابق.

(٢) الرياض، العدد ١١٨٩٦.

(٣) الأسرة، العدد ٩٢.

وقال إبراهيم بن محمد بن قاسم رحيم :

«أما في جانب الفتيا : فالشيخ رحمه الله يفتي الناس في كل وقت : في مسجده، وطريقه، وعبر وسائل الإعلام من صحافة وإذاعة.

ومما يميز شيخنا في جانب الفتوى بُعد نظره وعمق فهمه في معرفة مرام السائلين والمستفتين، فإذا كانت الفتوى من أمور الخصومات أحال فيها السائل على المحاكم الشرعية، وإذا كانت من أمور الطلاق تأتّى في المسألة، وأشعر السائل بخطورة ما وقع فيه، ولا يجيبه إلا بعد إحضار أطراف القضية من الولي والمرأة.

ويحتاط شيخنا بما لا يدع فرصة للنقل الخاطيء عنه، ولم تكن فتاويه مجرد أحكام، بل كان يستغلّها لتربية الناس وتصحيح أخطائهم، فإذا تضمن سؤال السائل مخالفة شرعية في اللفظ أو في طريقة العرض نبهه الشيخ.

فمثلاً : في مجال الدرس إذا سأله طالب من طلابه، واستأذنه برفع يده اليسرى والإشارة بها نحوه إلى ذلك.

وأحياناً يقول السائل : ما حكم الإسلام في كذا ؟ فينبهه الشيخ إلى أن الصواب أن يقول : ما رأيكم في كذا ؟ أو ما قولكم في كذا ؟..

وأحياناً يتضمن السؤال الحلف بالنبي ﷺ أو غير ذلك، فينبهه..

ولكي يستوثق الشيخ من فهم السائل لما يقوله كان يطلب منه إعادة الجواب، أو يسأله عن مدى فهمه لما قال الشيخ»^(١).

(١) جريدة المدينة، العدد ١٣٧٩١.

وعن حرص الشيخ على إفادة الآخرين وإجابتهم عما يشكّل عليهم : ما ذكره الشيخ أحمد القرعاوي، قال :

« كنت أعمل في إحدى القرى القريبة من عنيزة، وكنت آخذ الفتاوى من أهل القرية، وأعرضها على فضيلة الشيخ رحمه الله تعالى حيث أبلغته برغبة أهل القرى والمدن بالاستفتاء، ففرح الشيخ وقام رحمه الله بالإجابة على الفتاوى بالتسجيل، وخصّص لي وقتاً لعرض الأسئلة عليه، فكان الشيخ عندما يفتقدني وأتى، يناديني بـ (أهل القرية) وذلك لكثرة الأسئلة التي أجمعها من القرى للإجابة عليها»^(١)

(٢٥) معاملته مع طلابه، وحسن رعايته لهم :

لقد عُرف عن الشيخ رحمه الله مدى حبه لطلابه وتقديره لهم وعنايته بهم، وليس ذلك بغريب، فقد شغلوا بالخير والذكر جزءاً كبيراً من عمره المبارك، فقد جلس معهم أكثر مما جلس مع أهله وأبنائه، فأعطاهم ولم يخل عليهم، جهداً وعلماً ومالاً وجاهاً، فبقي ذكره حسناً بينهم.

وهذه مواقف له مع طلابه يستفيد منها كلّ دارسٍ وشيخٍ ومعلّمٍ رحمه الله وغفر له :

قال الشيخ خالد المصلح [صهر الشيخ] :

«شيخنا رحمه الله كان أباً حانياً على تلاميذه، حريصاً عليهم غاية الحرص. كان رحمه الله يخصّهم بعناية فائقة من حيث تزويدهم بالعلم والجوانب العلمية. بل حتّى في قضاء حوائجهم الخاصة.

(١) الدعوة، العدد ١٧٧٧.

فكان رحمه الله حريصاً على تهيئة المكان المناسب لهم، وما يتعلق بذلك مما يحتاجون إليه.

وكان رحمه الله يرتب لهم مكافآت شهرية سوى ما يعطيهم لسد حوائجهم من شراء الكتب، أو إهداء المعاملات، وغير ذلك..

وكان رحمه الله يخصص طلابه؛ ولا سيما الذين في السكن التابع له رحمه الله بقاء شهري يفتتحه بكلمة توجيهية، ثم يطلب من الطلاب أن يكتبوا الملاحظات المتعلقة بمعاشهم، فإذا لم يكن عندهم شيء من ذلك أجاب على أسئلتهم التي يقدمونها إليه مباشرة. أو غير ذلك.

وبعد هذا يُتناول معه رحمه الله طعام العشاء على مائدة واحدة، يتزاحمون على القرب منه، ولا يخلو المجلس من مداعباته، يدخل بها السرور على تلاميذه، ويشعرهم بقربه منهم، وأنه لهم كالأب^(١).

وفي مجال التدريس عُرف عن الشيخ أسلوبه المميز في توصيل المعلومة بأسهل طريقة إلى المتعلمين والسامعين، فلم يكن من أنصار أسلوب التلقين، بل كان يتبع أسلوب التفاعل عبر السؤال والجواب، الأمر الذي يشد انتباه الطلاب، ويضمن دوام المتابعة لأن أياً منهم معرض لأن يوقفه الشيخ ليجيب على سؤال أو يعيد آخر كلام قاله.

رأى أحد طلابه شارداً في الدرس، فأوقفه وسأله : هل أنت فاهم ؟ فأجاب الطالب : إن شاء الله، فسأله الشيخ : هل على رأسك (شماغ) ؟ فأجاب : نعم، فقال الشيخ : لم لم تقل إن شاء الله ؟

وأعاد الشيخ المسألة حتى تأكد من فهم الطالب لها.

وفي أحد الدروس استرعى انتباه الشيخ وجود واحد لم يسبق أن شارك في الدروس، فسأله : هل أنت فاهمٌ لما أقوله ؟ فأجاب : لا يا شيخ، فقال الشيخ : لماذا إذاً تأتي وتحضر معنا ؟ فردّ الطالب : لأحصل على ثواب : «قوموا مغفوراً لكم، قد بدلت سيئاتكم حسنات»، فسرّ الشيخ من جوابه، واعتنى به.^(١)

ولم تكن علاقة شيخنا بتلاميذه مجرد علاقة علميّة، فهو مرَبٌ قبل أن يكون معلماً، يزور تلاميذه ويتفقد غائبهم، ويعين محتاجهم.

أهدى إليه الملك خالد بن عبد العزيز رحمه الله عمارة، فأوقفها لسكن طلابه مجاناً، فافتتح لهم مطعماً، وفرّغ لهم عاملاً ليعدّ لهم الطعام، وهياً لهم مكتبة للكتب، وأخرى للأشرطة.^(٢)

وقال الطالب ناصر السعدي (من سلطنة عمان) :

«وقد كان له علاقة لصيقة بطلابه، وكان يأكل ويشرب معهم، حتى إنه عندما كانت تأتيه بعض النفقات الخاصة بحيلها لطلابه». ^(٣)

وقال الطالب عبد الله بن حمد العسيلان :

«كان يجتمع بطلابه شهرياً، وفي نهاية هذا الاجتماع كان يمازحهم ويؤانسهم، كما أنه يخرج معهم في نهاية السنة إلى أحد الاستراحات، حيث كانت لهم مكانة خاصة لدى الشيخ.

(١) مجلّة الأسرة، العدد ٩٢.

(٢) المصدر السابق.

(٣) الجزيرة، العدد ١٠٣٣٦.

وقد قصّ لي أحد طلابه موقفاً مع الشيخ يستحقّ الذكر، حيث قال :
 إنّ هناك صندوقاً في سكن الطلاب، ومن أراد أي مبلغ بإمكانه الأخذ منه،
 ويقول لي هذا الطالب : ذهبت إلى هذا الصندوق وكان خالياً، وكنت حينها
 مضطراً إلى السفر، الأمر الذي يحتاج إلى مبلغ من المال، فذهبت إلى الشيخ وطلبت
 منه ذلك، وبكلّ بساطة قال لي : اخرج معي خارج المسجد وسوف أعطيك ما
 نحتاج، فخرجت معه، وأدخل يده في جيبه وأعطاني مبلغاً فوق حاجتي، ففهمت من
 ذلك أن الشيخ لا يريد إحراجي أمام الطلاب، حرصاً منه على مشاعر طلابه^(١).
 يقول الطالب يحيى ستيفن (من أمريكا) :

«قد جئت هنا منذ سنة ونصف، ودرستُ على يد الشيخ مدّة سنة كاملة.
 لقد كان الشيخ رحيماً رؤوفاً بي؛ لأنه يعرف حالي، فأنا قد أكون أضعف على
 الثبات من غيري، فإذا أخطأت ساجني؛ ولا يؤاخذني، رغم أنه قد يعاقب غيري،
 وأنا ألتس ذلك، وأظنّ الجميع يلاحظه، ففرق المعاملة بيني وبين غيري واضح.
 ومن أعظم ما استفدته من الشيخ هو معرفة أهمية الدين والثبات عليه، والعمل
 بالعلم والتربية.
 وأذكر أنني عندما جئت لأول مرّة قال لي : أنتم من أحقّ الناس لهذا؛ يقصد
 طلب العلم.

ومن هذه الحقيقة كان اهتمام الشيخ بي واضحاً^(٢).

(١) الجزيرة، العدد ١٠٣٣٦.

(٢) المصدر السابق.

وقال الأخ عبد الله أحمد الشريفي (المشرف على سكن الطلاب) :
«كان دائماً ما يأخذني جانباً ليوصيني على الطلاب، ويقول : إذا كنت تعرف طالباً يحتاج إلى مساعدة فبلغنا به.

وهناك أمثلة كثيرة على مساعدته للإخوة الطلاب، حتى حينما كان في مرضه، وعندما زرته في المستشفى أوصاني على الطلاب وأن أحرص عليهم ، هذه الوصية منه رحمه الله في الوقت الذي كان في صراع مع المرض، كما أوصاني على السكن والحرص على شؤونه، وكانت هي آخر وصية أوصاني بها تغمده الله بواسع رحمته»^(١)
وقال الطالب خالد الجرعاوي (تشادي) :

«كان الشيخ خلال جلساته حريصاً على طلابه، ويقوم بتوجيههم، وحثهم على الآداب مع الكبير والصغير والعامي، وخاصة مع العلماء، ومع الطلبة فيما بينهم.
وكان يدعونا إلى كل خير، وكنا نعتبره أباً لنا ومرتبياً. ومن حرصه على طلابه أنه عندما تعرض أحدهم لحادث مروري كنت أزوره، وكان الشيخ كثيراً ما يسألني عنه، ويوصيني به، وكانت آخر مرة أوصاني فيها بأن أذكره بأن هذا من فضل العلم، وقد أعطاني رقم (جواله) الخاص، لأعطيه إياه إذا ما احتاج لشيء»^(٢)
وقال العقيد الركن علي بن محمد الحشان :

«كان ربّما حفّز الطلاب ونشطهم بإقامة مسابقة علمية كما في دروسه في الحرم المكي، وتعدّ جوائز لذلك»^(٣).

(١) المصدر السابق.

(٢) المصدر السابق.

(٣) مجلّة الجندي المسلم، العدد ١٠٢.

وقال الشيخ سليمان الضحيان في معرض كلامه على شخصية الشيخ من خلال أركان العملية التربوية: وأركانها الأربعة : «المعلم، والكتاب، والطالب، وطريقة الدرس»، قال : «ثالثاً : الطالب وهو الركن الثالث من العملية التربوية، وطلبة الشيخ لا يكاد يحصيهم العد، نظراً لكثرة دروسه، وطول زمن تعليمه، وتعدد مكان التعليم في عنيزة، وفرع الجامعة بالقصيم، وفي مكة المكرمة، لكن ثمة طلبة ملازمون، وهؤلاء يوليهم الشيخ عناية خاصة.

فالغريب منهم خصص لهم الشيخ سكناً على حسابه الخاص. ووضع على السكن مشرفاً ينقل إليه أحوال الطلبة ومشكلاتهم، فيسارع الشيخ لحل هذه المشكلات، والتنبيه على الأخطاء.

وخصص الشيخ لتلامذته الملازمين رحلة شهرية، يخرج معهم فيها إلى إحدى المزارع القريبة من عنيزة.

يقول أحد تلامذته : خرجنا مع الشيخ لإحدى المزارع، فترل الطلبة للسباحة، ولم يبق إلا الشيخ، فقال الشيخ : لم يبق إلا أنا، فقام وليس ثوب السباحة، وسيح معنا بمهارة أدهشتنا جميعاً.

وكان يتفقد الطلبة المميزين، ويسأل عنهم حال غيابهم، ويحيل الإجابة على الأسئلة عليهم أحياناً لتدريهم^(١).

وقال عن طريقة الشيخ في الكلية مع طلابه :

«... الحرص على الانضباط خلال تدريسه للعلم، فهو في الكلية مثلاً لا يسمح للطلاب بالدخول بعد دخوله هو إلى القاعة.

(١) مجلة المعرفة، العدد ٦٩.

وفي المسجد يوقف الشرح إذا سمع أحد الطلاب يتكلم، ثم يلوم الطالب على كلامه خلال الشرح».

وقال عن اهتمامه باللغة العربية :

«هو يشرح باللغة العربية الفصيحة، وينبّه الطلاب للتكلم بها، وإذا لحن القارئ طلب منه إعراب ما لحن فيه، وإذا كثّر اللحن نقل القراءة إلى غيره. ولديه مقدرة غريبة على اكتشاف الغافلين من الطلاب خلال الشرح. فكثيراً ما يسأل أحد الطلاب فجأة، ويقول :

«يا فلان أين وصلت» فيجيب بعض الطرفاء من الطلبة : «إلى الصّين يا شيخ» فيتسم الشيخ ويأمره بالذهاب لغسل وجهه ليعود له الانتباه.

ويحرص كثيراً على إشراك الطلبة في الشرح، فهو يوجّه لهم الأسئلة الجماعية، فيشرح مسألة ما، ثم يقول : أليس كذلك ؟ فيجيب الطلبة أجمعون : «بلى».

وأحياناً يسأل بعض الأسئلة المشكّلة خلال الشرح لشحذ أذهان الطلبة، ويغلّط نفسه أحياناً ليرى انتباه الطلبة ومدى فطنتهم»^(١).

وقد سُئل رحمه الله تعالى هذا السؤال :

س : التركيز على بعض الطلاب، كيف يكون تعاملك مع طلابك ؟

فأجاب رحمه الله تعالى :

نعم، هذا ملاحظ في كثير من أهل العلم؛ حيث يخصّون بعض طلابهم ويركّزون عليهم، ويصطحبونهم في أسفارهم، وأنا لم أسلك ذلك لأنني أودّ

(١) المعرفة، العدد ٦٩.

أن يستقل الطالب بنفسه، وألا يظهر أمام الطلبة أن لأحدهم عندي تفضيلاً على الآخر.

أحب أن يشعر الطلبة كلهم أنها بالنسبة إليّ على حدّ سواء، وألا يشعروا باختصاص باتصالي بأحد أكثر من الآخر.^(١)

سؤال آخر : ما هي معايير الطالب في مدرستكم ؟

فأجاب رحمه الله تعالى :

الشروط التي يجب توافرها : أن يكون المتقدم لديه تركية من أحد المشايخ المعترين من قبل أحد لنعرف بذلك مدى حرصه على طلب العلم.^(٢)

وقال الشيخ محمد بن صالح المنجد :

«وكان رحمه الله في فصل الشتاء يعطي طلاب السكن مبالغ يشترى بها ملابس شتوية لهم ولأولادهم».

وقال الشيخ عبد الرحمن بن صالح الدهش :

«... الشيخ رحمه الله تعالى له منهج : أوّله رأي فيما يتعلّق بقضية التحاق الطالب بإخوانه السابقين له، حيث كانت وجهته أن الطالب يحضر وإن كان مسبوقاً في المتون التي تدرس، وإن كان يصعب عليه بعضها، لكنه يقول : يحضر الطالب ويستفيد فائدة الحلقة وبركتها، ويستفيد كذلك تعويد نفسه على المواظبة والمراعاة في حلّ العلم».

(١) المصدر السابق.

(٢) المصدر السابق.

وكان لا يقبل إطلاقاً أن طالباً من طلابه المستمعين إليه ينشغل بشيء خارج الحلقة، سواء في المسجد أو في خارج المسجد، والحلقة قائمة. ويرى أن هذا نقص في الطالب، وخلل في طلبه»^(١).

وقال فضيلة الشيخ صالح بن عبد الله بن حميد :

«كان - رحمه الله - حسن الرعاية لتلاميذه متابِعاً لتحصيلهم، مما جعل قلوب طلاب العلم تتعلّق به، وترحل إليه، وتثني ركبها بين يديه، لقد كانت له يد طويلة في رعاية الشباب وحسن توجيههم، والتأني بهم عن مزالق الفتن، وانحرافات التحرّر، دؤوباً في التصحّح لهم وتوجيههم، وبيان المنهج الحقّ بما أوتي من علم وحكمة وقوّة وقول، لقد وسعهم بعلمه، كما وسعهم بحلمه، وشملهم برعايته كما شملهم بتوجيهه»^(٢).

وقال تلميذه خالد بن صالح النزال :

«مرّة قدم إليه أحد الطلاب كتاباً بين فيه المناسك على المذاهب الأربعة، فمزّقه الشيخ أمام الطلاب في الدرس كراهة منه للخلاف وإيقاع العامة في الحيرة، وإبعادهم عن نصوص الكتاب والسنة»^(٣).

وقال : «كان يكره الجدل في العلم والمخاصمة فيه، وإيراد الإيرادات على النصوص الشرعية، وربّما حصل ذلك من بعض الطلاب فيزجره زجراً شديداً، وكان ينهانا أن نذكر عنده رأي أحد من العلماء المعاصرين الأحياء خوفاً من الفتنة، وتنقيصاً لرأيهم، وفي ذلك مفاصد لا تخفى.

(١) الدعوة، العدد ١٧٧٧.

(٢) الوطن، العدد ١١٥.

(٣) الرياض، العدد ١١٨٩٣.

وكان يفرح فرحاً شديداً حينما يعلم أن أحداً من طلابه ألقى محاضرة أو أقام درساً، وشاهدت ذلك مراراً، وكيف أن الشيخ تظهر السعادة على محياه عندما يخبر بذلك». (١)

وقال الشيخ منصور بن تركي المطيري :

«قدمت لمدينة عنيزة للدراسة على فضيلته، وأنا ابن ست عشرة سنة، فكنت أنا وكثير من زملائي ندرس في الصباح في المعهد العلمي أو الكلية وفي المساء بعد صلاة المغرب من كل يوم على يد فضيلته في الجامع.

وكان الشيخ رحمه الله تعالى يتابع مستوانا الدراسي، بل أحياناً يوقع على التقرير الشهري مكان توقيع ولي الأمر.

وكان طلاب الشيخ من أميز الطلاب في المعهد والكلية، وكان ذلك يسرّ الشيخ رحمه الله حيث يرى أثر تدريسه لهم». (٢)

وقال الدكتور يوسف الزامل :

«ومن صفاته وسجاياه التي فيها تأدب بأداب القرآن والسنة : الإعراض وعدم المواجهة للمسيء أو المخطئ بخطئه وزلّله.

وأذكر أن أحد الطلبة في حلقة قام بعد انتهاء درس ليتوضأ قبل الدرس الذي يليه، ولم يترك شيئاً يحجز به مكانه، فتقدّم طالب آخر إلى مكان الذهاب، فلما عاد الأول طالب الشيخ بمكانه، وأن فلاناً جلس محله، فلم يوجه الشيخ الخطاب مباشرة إلى من عليه القيام، وإنما قال بلفظ الغائب : (يقوم) مشيراً بوجهه أنه يعنيه». (٣)

(١) المصدر السابق.

(٢) الرياض، العدد ١١٨٩٠.

(٣) الأسرة، العدد ٩٢.

وعن عدد طلاب الشيخ وجنسياتهم :

يقول علي بن سليمان الديلمي :

«ولقد حضرت يوماً أحد دروس الشيخ، وإذا من بين الحاضرين أكثر من ١٣ جنسية، كلهم حضروا للإقامة في عنيزة لينهلوا من علمه وفقهه رحمه الله وأسكنه الفردوس الأعلى»^(١).

وقال د. أحمد بن عبد الرحمن القاضي :

«كان حريصاً على دوام الدرس بين العشاءين، لم يفت في عضده انتظام التأس وندرة الطلبة في فترة من الفترات، فلقد رأيته رحمه الله أكثر من مرة في أواخر التسعينات الهجرية وليس أمامه إلا طالبان فقط، فما يمنعه ذلك من الشرح والاستقراء والتفصيل، وكان المكان غاصاً بطلاب العلم، فقد علم الله صدق نيته وحسن قصده، فجعل أفئدة الطلاب تموي إليه من أصقاع الأرض، فلربما اجتمع في بعض دروس الفقه ٥٠٠ أو يزيدون»^(٢).

قلت :

والنّاظر في دروسه في الحرم المكي الشريف في أواخر شهر رمضان بعد التراويح أو بعد صلاة الفجر يرى أنّ العدد يفوق هذا بكثير من الرجال والنساء، فضلاً عن يتحلّقون حول السّماعات البعيدة لسماع الشيخ داخل الحرم، رحمه الله تعالى وغفرله، وجزاه عن سمعه وأفاده خير الجزاء.

(١) الجزيرة، العدد ١٠٣٣٣.

(٢) الدعوة، العدد ١٧٧٧.

وقال علي بن عبد العزيز السعيد :

«سأل أحد الطلاب فضيلة الشيخ : يا شيخ أنا أتيت هنا للمشاركة في هذه المسابقة دون موافقة والدي ورضاه، فما الحكم ؟

فأجابه فضيلته بأن سفره دون علم والده وموافقة خطأ ولا يجوز، وأن عليه ألا يكررها مرة أخرى، أما عن هذه المرة وقد حدث الخطأ واعترافك به وندمك على حدوثه؛ فإني أتشفع لك عند والدك لكي يسامحك، فإذا عدت إلى أهلِكَ أخبر أباك بأن الشيخ محمد بن عثيمين يُقرئك السلام، ويطلب منك أن تسامحني»^(١).

وقال د. صالح بن إبراهيم آل الشيخ :

«حضر إلى الشيخ رجلٌ أمريكي وأنا عنده، فقال للشيخ : تتلمذت عليك في العقيدة، فقال الشيخ : لم أرك، فقال : عن طريق سماع الأشرطة التي سجّلت فيها بعض شروحك لكتب العقيدة، فسأله الشيخ بعض الأسئلة الدقيقة، فأجاب إجابة تدلّ على فهمه واستيعابه، فسرّ الشيخ بذلك»^(٢).

وقال علي بن عبد العزيز السعيد :

«في أثناء عرض فضيلته لبعض الأسئلة على الحضور، والتي كان يهدف منها معرفة مدى تحصيلهم الفقهي والشرعي رفع أحد الطلاب الحاضرين يده، فأذن له الشيخ، فقال الطالب : سؤال خاطئ يا شيخ، فتعالت صيحات الاستنكار من بعض الحضور لتجرؤ ذلك الطالب إلا أن الشيخ ابتسم، وطلب من الطالب الاقتراب للميكروفون، ثم طلب منه بكل تواضع العلماء أن يبدي حجته، وحينما أبدى

(١) الجزيرة، العدد ١٠٣٤٠.

(٢) الدعوة، العدد ١٧٧٨.

الطالب وجهة نظره أعاد له الشيخ السؤال ووضح له ما التبس عليه، وبيّن له خطأه في الفهم، ونصحه بكلّ أبوية ألاّ يتسرع في إطلاق الأحكام قبل الفهم»^(١).

وقال أحد طلبة الشيخ :

«اخترت موضوعاً في الحج، وذلك في عام ١٣٧٩هـ وذلك في شهر ذي القعدة، فقال الشيخ محمد : كأنك تريد الحج هذا العام ؟ فقلت : نعم، فقال : أنا أدركك وحدك، فتعال بعد صلاة العصر كلّ يوم، فكنت أحضر أنا وإياه في سطح المسجد، وأتى بمنسك كتبه على الآلة الكاتبة في دفتر، وأعطاني إياه.

ودرسني وحدي المناسك وأعطاني إياه وحملته معي للحج، واستفدت منه وأفدت الإخوة الذين معي، فهذا مثل من التواضع الكبير أن يخصص وقتاً لأحد طلابه لتدريسه هذا الموضوع»^(٢).

وقال كمال أحمد صابر :

«قبل سفر الشيخ محمد رحمه الله إلى الرياض في آخر يوم - وكان مريضاً - اتصل الشيخ على مكتبة السلام وهي بجوار الجامع الكبير بعنيزة، وطلب منهم أن يحضروا الفواتير الخاصة بالطلبة وغير الطلبة، وجميع المستحقّات التي على الشيخ، وذلك ليقوم بسدادها، وأرسلوا له جميع الفواتير وقام الشيخ بسدادها»^(٣).

وقد سأله مرة أحد الطلاب سؤالاً فيه طرافة، قال : «يا شيخ كثير من الليالي أرى في المنام كأتّي في درس فضيلتكم ويكون عندي بعض المسائل، فأسألك فيها، فتجيبني، فما حكم الجواب يا شيخ ؟

(١) الجزيرة، العدد ١٠٣٤٠.

(٢) شريط فقيد الزاهدين ابن عثيمين، نقلاً عن صفحات مشرقة ٩٦.

(٣) الدعوة، العدد ١٧٧٧.

قال الشيخ: أنا ما أستحضر هذا، ولا أشعر إذا حلمت أنك تسألني، لا تعتمد هذا. إن سمعت من الشريط، لا بأس، أما (نحن) ما ندرّس النومة، لو تكتب المسائل إعرضها علينا، يمكن أن تكون صحيحة»^(١).

(٢٦) رجوعه للصواب إذا تبين له :

وقد كان الشيخ رحمه الله تعالى كأمثاله من عظماء الرجال، وأئمة الدين لا يستكبر عن الحق، ولا يتعالى عليه، بل يصدع به ويخضع له، وهذه عادة الأفاضل ممن تضلعوا بالعلم، وملؤوا به حياتهم، كيف لا، وهذا العلم دين، يُسأل عنه حملته يوم الوقوف بين يدي الملك الوهاب.

وقد كان رحمه الله لا يستكف أن يرّد عليه أحد طلابه، أو رجل من العوام فضلاً عن العلماء.

وهو بهذا يعطي طلابه وسامعيه درساً عظيماً في الرجوع والعودة إلى الصواب.

وهاك بعض الصور لهذا الأمر الخطير :

قال الشيخ حمد بن عبد الله الجطيلي :

«وإن مما يزين الشيخ رجوعه للحق، ولو ذكره به أحد طلبته، فلقد قرأ يوماً حديثاً في حلقة الدرس، وكنا في الصيف على سطح المسجد، وكان بين المغرب والعشاء، فلما شرح الحديث وقال بعض الجمل في تفسيره قلت له : يا شيخ ليس هذا ظاهره، ومنهج أهل السنة والجماعة إمراره على ظاهره. فأذن المؤذن لصلاة العشاء، فقمنا للصلاة، وبعد الصلاة حمد الله الشيخ وقال: إن الصحيح في الحديث

(١) شريط ابن عثيمين علم وعمل - تسجيلات الاستقامة بعنيزة - .

هو ما ذكره فلان، يعني، وهو المعتبر والمعتمد، وهو مذهب أهل السنة والجماعة، وأوضح ذلك»^(١).

وقال د. سعود حسن مختار :

«كان للشيخ ابن عثيمين أسلوب تعليمي رائع، فهو يسأل ويناقش، ويوقف الطلاب ليعلمهم الجرأة والقضاء على الخجل، وأذكر أنه مرة تكلم في مسألة الإجهاض، ثم لما أذن لصلاة العشاء أبدت رأياً طيباً له في المسألة، وبعد استئناف الدرس حمد الله وقال : إن هنا طيباً يقول : «أخطأت يا ابن عثيمين»، ولم أقلها والله، ولكن يريد أن يعلمنا الحوار، وقبول النقد رحمه الله، ثم أخرجني رحمه الله فقال : قم، وألح عليّ حتى قمت، وقلت الرأي الطيب حسب فهمي له، ثم علق عليه رحمه الله.

وكان لربما سئل في مسألة فقال : لا أعلم، أو قال : سوف أسأل شيخنا ابن باز كما حدث مرة في مسألة الإبر المغذية [الجلوكوز] ثم عاد في اليوم الثاني بإجابة الشيخ ابن باز رحمه الله جميعاً»^(٢).

وقال د. أحمد بن سليمان العريني :

«وأذكر أن أحد الزملاء راجعه في نصف درجة فأضافها له»^(٣).

قال الشيخ سليمان الجبيلان :

«أذكر أنه في مرة في خطبة من الخطب في يوم الجمعة خطب وقال : إن رسول الله ﷺ قال عند المنام تقرأ سورة الفاتحة، وهي أعظم آية في القرآن، واستمر في هذا

(١) الجزيرة، العدد ١٠٣٤١.

(٢) المدينة، العدد ١٣٧٧٩.

(٣) الدعوة، العدد ١٧٧٧.

الكلام، وكان الشيخ رحمه الله يقصد آية الكرسي ولكنه التبس عليه في الخطبة، فتكلم عن سورة الفاتحة وفضلها، وأما هي التي تُقرأ عند المنام، وبعد صلاة الجمعة نبه أحد الإخوة وقال: يا شيخ أنت قلت سورة الفاتحة أعظم آية في القرآن وأما تقرأ عند النوم.

فقال الشيخ : لعلّي وهمت.

وعندما جاءت الجمعة الثانية وعلى الملأ من الناس، وعلى مسمع من الناس، ذكر أنه أخطأ في الجمعة الماضية، وقال : إن أعظم آية في القرآن هي سورة الفاتحة، وهي تُقرأ عند المنام، وهذا خطأ مني^(١).

وقد ذكر الشيخ إبراهيم بن محمد قاسم رحيم؛ عدداً من المسائل التي رجع فيها الشيخ، وقال : «شيخنا رحمه الله يسير على منهجه، ويعتمد الدليل، ويصرّح برجوعه عنه، ومن أمثلة ذلك :

- كان يرى رحمه الله أن مسح المصحف لا يشترط له الطهارة، ثم رجع وقال بوجوب الطهارة بناء على حديث عمرو بن حزم: «وأن لا يمسه القرآن إلا طاهر».

- كان يرى رحمه الله أن صاحب الحدث الدائم يجب عليه أن يتطهر لوقت كل صلاة، ثم رجع ورجّح أن طهارته صحيحة، ويصلي بها ما شاء ما لم يتجدّد سبب آخر للحدث.

- كان يرى أن الكدرة قبل الحيض لها حكم الحيض إذا صاحبها آلام العادة، ثم رجع واعتبر الحيض هو الدم، ولا عبرة بالكدرة والصفرة، ونحوها..

(١) شريط الإمام ابن عثيمين، (تسجيلات صدى التقوى بالرياض).

- كان يرى وجوبَ قصر الصلاة الرباعية للمسافر، ثم رجع وقال بالاستحباب. وغير ذلك كثير.. وهذا يظهر لنا حرصه على المتابعة وموافقة السنّة، وبعده عن الجمود والتعصب والتقليد»^(١).

(٢٧) مسائل متنوعة في حياة الشيخ :

- ١- رأيه في السفر للخارج للدعوة.
- ٢- الشيخ والصحف والمجلات.
- ٣- الشيخ والانترنت.
- ٤- ترجمة كتبه.
- ٥- البرنامج اليومي.
- ٦- برنامج المشي.

١- الشيخ والسفر إلى الخارج للدعوة.

لقد عُرف عن شيخنا رحمه الله تعالى عزوفه عن السفر لخارج المملكة للدعوة إلى الله أو لغير ذلك.

وقد دُعِيَ إلى عدّة دول عربية و غير عربية مراراً، فكان رحمه الله يرفض بلطف كما كان هذا هو رأي شيخه الإمام العلامة ابن باز رحمه الله تعالى.

وقد أوضح الشيخ أسباب هذا الأمر لما كثر الإلحاح عليه فيه، قال رحمه الله تعالى:

«الذي منعتني من السفر رغبتني الشخصية في عدم السفر خارج المملكة؛ لأنّ عندي أموراً تشغلني هنا.

(١) جريدة المدينة، العدد ١٣٧٩١.

وفي رأيي فائدتها أكثر من فائدة سفري إلى الخارج، لأن الإنسان لو قدّر السفر إلى بلد ما، وبقي فيها يومين أو ثلاثة، وحاضر في ذلك البلد ستّ محاضرات، وهذه المحاضرات ستكون في ستّة أسرطة، والإنسان لا يستطيع أن يكيّف الناس على ضوء ما يراه، لا في لقاء، ولا اثنين، ولا حتّى خمسة لقاءات.

والبقاء مع هؤلاء الناس خارج المملكة مدّة طويلة تفوّت مصالح كثيرة. فكنت أرى أن المحاضرة التي تلقى على مدى ثلاث أو أربع ليال تفيد فائدة الشريط الذي تقوله في بيتك.

والناس لا يمكن أن يكتفوا مع خطب وكلمات الداعية بمجرد لقاءهم به مرتين أو ثلاثاً.

وإن كان اللقاء بلا شك أكثر فائدة من الشريط، لكنه لا تستحمل أن يقطع الإنسان مشاغله ويسافر ليكبّد المشاق»^(١).

قلت :

وقد اضطر الشيخ للسفر إلى أمريكا في مرضه الأخير، تحت إلحاح ولاية الأمر ومحبيه، وألقى خطبة الجمعة في أمريكا، وألقى محاضرة في بوستن والتقى العديد من الجاليات المسلمة، وجلس مع الكثير ممن سمع به ولم يره، ونفع الله به كثيراً.

وذلك في أواخر شهر ربيع الثاني وأول جمادى الآخرة لعام ١٤٢١ هـ رحمه الله تعالى وغفر له.

(١) عكاظ، حديث الذكريات، العدد ١٢٥٥٦.

٢- الشيخ ومطالعة الصحف اليومية، والإذاعة، والتلفاز.

قال رحمه الله تعالى عن متابعته لوسائل الإعلام :

«أما من حيث المتابعة فأنا غير متابع لعدم وجود الوقت الكافي لذلك، ولكنني في أوقات الطعام كالغداء أو العشاء، أشغل هذا الوقت في الاستماع للإذاعة.

أما تفرغ وقت لذلك أو لقراءة الصحف فهذا أمر أفعله.

وأوضح رحمه الله «الكلام للجريدة» أن هناك عدداً من الإخوة يتابعون مثل هذه الأمور، وإذا حصلت مراجعة لأمرٍ ما فإنهم يطلعونني عليه»^(١).

أما بالنسبة للتلفاز فقد كان رحمه الله يشارك بصوته دون صورته في العديد من البرامج، كبرنامج : «دين ودنيا».

٣- الشيخ والانترنت.

كان الشيخ رحمه الله تعالى قد بحث مع أبنائه وعدد من تلاميذه قبل أيام من وفاته مشروع افتتاح موقع رسمي له على الشبكة العالمية «الانترنت».

وقال الشيخ محمد بن صالح المنجد :

«وإذا أعطى موعداً التزم به على كثرة مواعيده وأشغاله، وقد جربت ذلك معه في موعدين في الأسبوع على هاتفه الخاص، خصصت للرد على أسئلة المستفتين عبر الانترنت. فكان يلتزم بالإجابة ويخير بالتأجيل إذا حصل لظرف سفرٍ أو نحوه»^(٢).

وقد كان الشيخ حريصاً على إفادة الناس عبر الانترنت.

(١) المصدر السابق. كذا في المصدر، ولعلّ الصواب (لا أفعله) كي يستقيم الكلام.

(٢) شريط (١٠٠ فائدة من العلامة ابن عثيمين).

وقد سبق نقل كلام الشيخ توفيق الصائغ أن الشيخ عقب وصوله من رحلته لأمريكا إلى الطائف قال له : «إذا استطعت أن تعلم الناس في المواقع (موقع الانترنت) برقم هاتفنا فافعل حتى لا يحرم الناس من السؤال والفتيا».

وقال الأستاذ ممدوح بن محمد الحوشان :

«إن فضيلته قد وافق على المشاركة وفق ضوابط شرعية معينة في بعض برامج محطة فضائية إسلامية نزولاً منه - رحمه الله - عند رغبة العاملين فيها بأن يتحدث فضيلته من خلالها للمسلمين في أنحاء العالم».^(١)

موقع الشيخ على الانترنت^(٢) : [http / www / ibn othaimeen com](http://www/ibn_othaimeen.com).

٤- ترجمة كتبه.

قال الشيخ طلال بن أحمد العقيل «رئيس لجنة توزيع هدية خادم الحرمين الشريفين والمطبوعات الدينية على الحجاج والمعتمرين» :

«وفضيلة الشيخ مرب كبير، وصاحب فضل على طلبة العلم والدعاة الذين يسرون على منهج الرسول ﷺ، وكان من العلماء، والمجتهدين.. وله مؤلفات عظيمة، وقد وصلت مؤلفات الشيخ المترجمة لدينا أكثر من ١٦ لغة.

والشيخ كان في العام الماضي وفي كل عام يباشر ويزور لجنة توزيع هدية خادم الحرمين الشريفين والمطبوعات الدينية في المطار - مطار الملك عبد العزيز - ويشجع الشباب على توزيعه...».^(٣)

(١) الدعوة، العدد ١٧٧٦.

(٢) مجلة المستقبل الإسلامي، العدد ١١٧.

(٣) الجزيرة، العدد ١٠٣٣٣.

٥- البرنامج اليومي للشيخ.

قال الشيخ عبد الرحمن الرئيس مؤذن الجامع الكبير بعينزة :

أما الفترة الصباحية :

فإما أن يكون عنده تدريس في الجامعة في كلية الشريعة وأصول الدين.

وإما أن يكون في بيته للنظر في رسائل وخطابات الناس وطلباتهم والرد على بعض الفتاوى خطياً، والرد على بعض المكالمات الهاتفية الخاصة.

أما فترة بعد الظهر :

فهي مخصصة للرد على الأسئلة عبر الهاتف حتى وقت الغداء، فإنه كان يرد على أسئلة الناس.

ثم : إن كان هناك وقت قبل العصر ارتاح قليلاً، وإن لم يكن هناك وقت استمر. وإن كان عنده ضيوف جلس معهم ليؤنسهم، وليستفيدوا من علمه رحمه الله، وليتعرف هو رحمه الله على أحوال البلاد التي جاءوا منها، ونحو ذلك..

أما فترة العصر :

فإنه بعد صلاة العصر يقوم بشرح حديثين أو ثلاثة على جماعة المسجد في مدة أقصاها ربع ساعة.

وكان لهذا الحديث طعم خاص لخفته وقصر مدته، وفوائده العظيمة جداً.

ثم بعد ذلك يجلس للرد على أسئلتهم وطلباتهم الخاصة بهم، وغير ذلك..

حتى إنني أحياناً أحضر لأذان المغرب وهو يخرج من المسجد من بعد صلاة العصر، كل هذه المدة جالس للناس لقضاء حوائجهم.

حتى إن المرأة ليأتي هو بنفسه إليها خارج المسجد ويجب على سؤالها إن كان لديها سؤال، أو يقضي حاجتها إن كان لها حاجة.

أما بعد صلاة المغرب :

فهو الوقت المخصّص للدرس اليومي حسب جدول معيّن، وبعد أذان العشاء كذلك درس آخر لمدة نصف ساعة، ثمّ يصلي العشاء.

وبعد صلاة العشاء :

إنّما أن يكون لديه اجتماع مع بعض الجمعيات الخيرية مثل : جماعة تحفيظ القرآن الكريم الخيرية بعنيزة، أو مع هيئة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر أو غيرهم، ليستفيدوا من آرائه وعلمه..

وإنّما أن يصل رحمه الله بزيارة قرابته.

وإنّما أن يذهب لإجابة دعوة.

وقد كان يحرص حرصاً شديداً على النوم مبكراً ليقوم للتهجد في آخر الليل.

وقد كان رحمه الله في مسيره ومشيه من المسجد إلى البيت بعد صلاة الفجر، وبعد صلاة الظهر دروس يومية، وتصحيح لبعض الدروس والكتب وهو يسير ماشياً إلى بيته»^(١).

ويوضّح إبراهيم ابن الشيخ بعض الجوانب الأخرى في البرنامج اليومي، فيقول :

«يبدأ يومه صباحاً بعد عودته من صلاة الفجر في المكتبة مع الكتب بالكتابة أو

القراءة حتى صلاة الظهر؛ لأنه لم يكن عنده دروس بعد الفجر، ثم يصلي الظهر ويرجع أيضاً إلى المكتبة حتى الساعة الواحدة والنصف حيث موعد الغداء الذي كان فرصة

(١) مجلّة الدعوة، العدد ١٧٧٦.

يجلس فيها مع الأسرة، ورغم أن هذا هو الوقت الوحيد الذي يجلس معه إلا أنه كثيراً ما تأتيه في ذلك الوقت مكالمات هاتفية يردّ عليها، ويجيب الأسئلة أو الاستفتاءات حتى صلاة العصر أو قبل صلاة العصر بنصف ساعة، فيرتاح في هذه الدقائق القليلة، وبعد العصر يقابل الناس أصحاب الحاجات ويجلس معهم في المسجد، ثم يعود إلى البيت قبل المغرب ويرجع إلى المسجد لصلاة المغرب، بعدها يلقي درساً يومياً حتى صلاة العشاء، وبعد العشاء يعود إلى المنزل للاستعداد للمحاضرات، أو دروس طلابه التي تبدأ في هذا الموعد، وكان له درس خاصٌ ليلة [السبت] وليلة [الأربعاء]»^(١).

٦- برنامج المشي :

في ذهابه إلى المسجد

سبق بيان أن الشيخ كان يقرأ ورده من القرآن الكريم في ذهابه إلى المسجد، لا يتخلف عن ذلك، وإذا شغله شاغل فإنه يكمله قبل دخوله لإقامة الصلاة.

أما عند رجوعه من المسجد

فقد قال تلميذه خالد بن صالح التزالي :

«كان يذهب إلى المسجد ماشياً، ويرجع إلى بيته ماشياً كذلك.

والمسجد يبعد عن بيته كيلاً واحداً تقريباً، فهذه عشرة أكيال يقطعها - رحمه الله - يوماً ماشياً^١.

ونادراً ما نراه إلا ومعه عدد من طلبة العلم يسألونه، أو يقرؤون عليه متوناً.

ولقد قرأت عليه مما قرأت وهو يمشي أكثر من مائة قاعدة فقهية، جمعها وأخي

الشيخ مازن الغامدي.

(١) الأسرة، العدد ٩٢.

وشرحها الشيخ كاملة لنا في أشرطة مسجلة، وكنت أتعجب من صبره وأريحية نفسه. وربما كان ذلك في يوم شديد البرودة، حتى إنني ذات مرة كاد لساني أن ينعقد عن الكلام من شدة البرد، وهو لا يأبه لذلك ولا يهتم صابراً محتسباً رحمه الله...»^(١) وقال يوسف بن عبد الله الديني :

«ويمكن القول بأن يومه كله للعلم، والتعليم، والإفادة، والإفتاء، تجده يقبل من بيته ماشياً لكل صلاة، مع بعد المسافة، حرصاً منه على مراجعة محفوظه من القرآن، وقراءة ورده من الأذكار.

وفي العودة يقرأ عليه الطلاب قراءات خاصة متعددة، ويسجلون كل شاردة وواردة، بل هناك كثير من الكتب لم تشرح إلا في الطريق، ك: سلم الوصول في العقيدة، وكشف الشبهات.

واستمر على هذا البرنامج عشرات السنين، لا يدعه إلا للعمرة في رمضان، وموسم الحج، وأيام دورة هيئة كبار العلماء بالطائف...»^(٢)

وقال إبراهيم بن عبد العزيز الشثري :

«كان الشيخ رحمه الله حريصاً على الوقت، فلقد طلبت منه مرة أن أجري معه مقابلة لإحدى المجلات الإسلامية، فقال لي : سجل اللقاء في السيارة، ونحن متجهون من بيت أخيه عبد الرحمن في شرق الرياض (حي السلام) إلى رئاسة الإفتاء، وقد كان الوقت حوالي نصف ساعة»^(٣).

(١) المصدر السابق.

(٢) جريدة البلاد، الجمعة، العدد ١٦٢٤٤.

(٣) الدعوة، العدد ١٧٧٧.

فصل

سبك دعوته وتعليمه، وجهوده في نشر العلم

لقد عاش شيخنا رحمه الله تعالى حياته في العلم والتعليم، والدعوة إلى الله تعالى:
﴿وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِّمَّنْ دَعَا إِلَى اللَّهِ وَعَمِلَ صَالِحًا وَقَالَ إِنِّي مِنَ الْمُسْلِمِينَ﴾.

وهذه سبيل الأنبياء، ومهمة المرسلين، وصراط المؤمنين إلى يوم الدين.

وقد سلك لتطبيق هذه الغاية كل ما وسعه، ولم يدخر لذلك جهداً، فتجده
أمامك على منبر الجمعة ينذر ويبشّر، أو تسمع صوته في الإذاعة وأنت في بيتك
وسيارتك، أو تراه ماشياً في الطريق مع طلابه وسائليه، أو تطالع في الصحف اليومية
اللقاءات معه والفتاوى، أو تقتني رسالة له من مكتبة، أو تجدها تباع أمام جامع، أو
دار خيرية، أو تقتني شريطاً له تملأ به فراغك، أو تجده في المسجد الحرام جالساً على
كرسيه يشرح ما قرأه الإمام من آيات بينات ويستخرج ما فيها من الفوائد والعبر.

فرحمة الله عليه من إمام عاش ينشر العلم بين الناس، ويهدي الخلق للحق
مسلمهم وكافرهم، يمشي في أسواقهم، ويحاضر في أنديةهم، ويجب دعوتهم،
ويستقبل أسئلتهم على الهاتف فيجيب عليها، فيشفي عليهم ويروي غليلهم.

ينصح الولاة والرعية، ويعظ العصاة والمُسرفين، ويصلح بين الزوج وزوجه،
والابن وأبيه، والقريب وذويه.

يلاطف الصبي ويعلمه الآداب، ويفتي المرأة وينصحتها بالحجاب، ويهاتف
المسؤول ويرشده للصواب.

بأدب جم، ونصح خالص، وقول صادق.

فيقبل هذا منه، ويثني ذاك عليه، فسبحان الملك الوهاب الذي فتح له قلوب العباد، ولهجت بالدعاء له، والثناء عليه السنة لم ولن تره إلى يوم المعاد ﴿ذَلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ﴾.

وفي هذا الفصل أردت أن أبين السبل والمسالك التي سلكها الشيخ لبذل العلم من دروس ومحاضرات وغيرها على التفصيل..

ثم وجدت أحد تلاميذ الشيخ القدامى وهو الأستاذ الشيخ علي بن عبد الله السلطان الأستاذ بالمعهد العلمي بعنيزة وهو من خواص تلاميذ الشيخ المترجم كما كتب عنه في حاشية مقاله قد لخص هذه الدروس ومجالات دعوة الشيخ بطريقة منظمة جميلة تدل على قرب من المترجم وطول صحبته.

وذكر أشياء ما رأيته لغيره خاصة في الأعوام التي سبقت قدومي على الشيخ «أي قبل سنة ١٤٠٣هـ»، فأثرت أن أنقلها هنا كما كتبها مع التعليق بعد ذلك بما تيسر مما لم يذكره.

فجزى الله خيراً كاتبه، والله الموفق للصواب وإليه المرجع والمآب.

قال :

«المجالات التي من خلالها بذل علمه تتلخص فيما يلي :

أولاً : الدروس العلمية.

ثانياً : الدروس العامة والمحاضرات.

ثالثاً : اللقاءات.

رابعاً : الفتاوى.

خامساً : ذهابه وإيابه من المسجد.

سادساً : منبر الجمعة.

سابعاً : التعليم النظامي.

ثامناً : عبر الإذاعة.

تاسعاً : عبر بعض الصحف والمجلات.

عاشراً : عبر الشريط.

الحادي عشر : الإنترنت.

ودونك تفصيل ما سبق :

أولاً : الدروس العلمية : وهذه أساس عطائه، وقد كانت على فترتين :

الأولى : دروس ما بعد صلاة المغرب حتى الإقامة لصلاة العشاء، وهي في جميع أيام الأسبوع وطيلة العام ما عدا شهر رمضان ما دام الشيخ في عنيزة حتى في أيام الامتحانات، إلا أن الدراسة في هذه الفترة - أعني فترة الامتحانات - تقتصر في الغالب في جميع الليالي على قراءة صحيح البخاري ومسلم، أو تصحيح كتاب في الفترتين.

وما أذكر أن الشيخ تخلف عن درس المغرب إلا لعارض، مع أنه قد يأتي ولو في آخر الوقت إذا عرض له عارض، حرصاً منه على الاستمرار وعدم الانقطاع، مستحضراً ما ورد عن النبي ﷺ أن : «أحب الأعمال إلى الله أدومها وإن قلَّ»^(١).

(١) أخرجه البخاري حديث ٦٤٦٤، ومسلم حديث ٢٨١٨.

وهذه الفترة كانت بعد صلاة المغرب حتى أذان العشاء فقط، ثم ينتقل الشيخ بعد أذان العشاء لدرس لعموم الناس حتى الإقامة، وذلك في «مشكاة المصابيح» أو «بلوغ المرام»، وهذه الطريقة كانت حتى عام ١٤٠٠ هـ تقريباً.

وحينما زاد عدد الطلاب غلب الشيخ حاجتهم إلى هذا الوقت، فجعل الوقت كله من بعد صلاة المغرب إلى إقامة صلاة العشاء للدروس العلمية للطلاب، وكانت على مايلي :

أولاً : من بعد صلاة المغرب حتى أذان العشاء، وكانت على النحو التالي :

ليلة السبت : حديث (بلوغ المرام).

ليلة الأحد : فقه (زاد المستقنع).

ليلة الإثنين : حديث (بلوغ المرام).

ليلة الثلاثاء : فقه (زاد المستقنع).

ليلة الأربعاء : تفسير، من أول القرآن، ولم يكن هناك كتاب بين يدي الطلاب، بل كان الشيخ يشرح من المصحف مباشرة.

ليلة الخميس : صحيح البخاري، وصحيح مسلم.

ليلة الجمعة : تفسير.

مع تقديم وتأخير أحياناً وبشكل نادر، مراعاة لأحوال الطلبة.

ثانياً : ما بعد أذان العشاء الآخرة حتى الإقامة :

كانت هذه الفترة تدرّس بها مختلف الفنون على فترات، وذلك مثل : كتاب التوحيد، العقيدة الواسطية.

والفرائض والكافي في الفقه، والسيرة النبوية : نور اليقين.

واللغة : ألفية ابن مالك، قطر الندى، وغيرها مما يكون عارضاً..

وهذه المناسبة فإنه - رحمه الله - لم يكن ينظر متى ينتهي من الكتاب، أو أن طول السنين ستوهن من عزيمته، بل هو سائر على طريقته دون تغيير لمنهجه، في الطرح العلمي، وإشباع المسألة بحثاً.

حتى إنه قيل له مرة حينما بدأنا ببلوغ المرام : على هذه الطريقة يا شيخ فقد نحتاج إلى عشرين سنة لإتمامه ! فما كان منه إلا أن استمر في طريقته حتى أتمى الكتاب والحمد لله، وقد بُدئ بالكتاب حوالي سنة ١٤٠٠هـ وأتماه سنة ١٤١٧هـ وذلك بعد قرابة ثمانية عشرة سنة.

هذا وقد كانت بعض دروس هذه الفترة في الآونة الأخيرة تنقل عبر الهاتف إلى بعض مدن المملكة، بل وإلى البحرين، حتى وإن الشيخ - رحمه الله - كان يقسم الأسئلة بعد نهاية الدرس بين طلابه الحاضرين، والذين في البحرين في وقت واحد.

الثانية : الدراسة الصباحية.

وهذه في الجامع الكبير في عنيزة، وكانت إلى ما قبل عام ١٤٠٠هـ داخل مكتبة الجامع (المكتبة الوطنية) وهي مكتبة ملحقة ببناء الجامع يوم كان بناؤه من اللبن والطين، ثم لما كثر الطلاب بعد ذلك خرج منها إلى أروقة الجامع.

والدراسة من حيث الزمان : في صيف كل عام؛ حيث إن الشيخ يقف في نهاية الإجازة، ثم يكمل في العام التالي.

أما مدة الدراسة فهي طيلة أيام الأسبوع ما عدا يومي الثلاثاء والجمعة على طريقة شيخه الشيخ عبد الرحمن السعدي، ثم لما كثر الطلاب رأى حاجتهم تقتضي الاستمرار طوال الأسبوع ما عدا الجمعة.

ولضبط الوقت، وحتى لا يطغى وقت درسٍ على آخر جعل رحمه الله منبهاً قبل خمس دقائق من نهاية كل درس ليكون للأسئلة، ثم الانتقال إلى الدرس الذي بعده، دون فاصل بين الدروس وهو مستمر في جلسته، أما الوقت الزمني فيبدأ من الساعة الثامنة حتى العاشرة والنصف، أو الحادية عشرة أحياناً (صباحاً).

أما المنهج العلمي فهو كما يلي :

١- التفسير، وقد اعتمد في شرحه متناً بين يدي الطلاب وهو (تفسير الجلالين) إلا أن التسجيل الصوتي لهذه الدروس بدأ متأخراً.

٢- الحديث، وقد اعتمد في شرحه (المنتقى من أحاديث الأحكام) وكان له أحياناً اختيارات لبعض الأحاديث يملئها على أحد طلابه.

٣- الفقه، وقد اعتمد متن (زاد المستقنع) وهذه دراسة مستقلة عن دراسة المساء.

٤- العقيدة، وقد تعددت كتبها، فمنها : السفارينية، وكتاب التوحيد والواسطية، والقواعد المثلى.

وهذه الدروس الأربعة ثابتة كل يوم في الغالب، ويزاد أحياناً درس خامس لبعض الفنون، ومنها :

- الفرائض : (البرهانية).

- النحو : (ألفية ابن مالك).

- القواعد الفقهية : (قواعد ابن رجب) و(مختصر التحرير) و(مصطلح الحديث) و(الأصول من علم الأصول).

هذا ومع ما نرى من كثرة الكتب المقررة في الفترة المسائية والصباحية؛ إلا أنه رحمه الله غالباً ما يكون اختياره الكتاب من حيث المتن، والوقت شوري بينه وبين طلابه. وإن المتأمل في حاله رحمه الله يراه جامعة مستقلة؛ فتدريسه طوال العام، وفي الإجازة الصيفية في مختلف الفنون، مع ما نرى حال استعداد كثير من المدن بالدروس، والدورات العلمية الصيفية التي يجندون لها الأعداد الكثيرة من العلماء وطلبة العلم لتدريس سائر الفنون ربّما يجد المنظّمون لهذه الدروس والدورات، الحرج في تأمين من يقوم بها، بينما نجد مجلس شيخنا أبي عبد الله في دورة علمية متكاملة، لا في الصيف وحده، بل في سائر العام، وفي فترة واحدة وجلسة واحدة متنقلاً من فنّ إلى فنّ.

ثانياً : الدروس العامة والمحاضرات :

أ - الدّروس العامة وهي على ما يلي :

١- دروس ما بعد صلاة العصر : وكان يقرأ عليه خلال هذا الوقت في كلّ من : رياض الصالحين، أو بلوغ المرام، أو مشكاة المصابيح، ويعلّق على ذلك بما يفتح الله عليه. وكان هذا طيلة أيام الأسبوع في المسجد الكبير ما عدا يوم الجمعة. وإذا سافر إلى الرياض أو الطائف، فغالباً ما يستغلّ هذا الوقت.

٢- درس ما بعد أذان العشاء حتّى الإقامة، وهذا كان إلى حوالي عام ١٤٠٠هـ، وكان مما يدرّس فيه : مشكاة المصابيح، أو بلوغ المرام، ثم انقطع هذا الدّرس، وخصّص هذا الوقت بدرس للطلاب على ما سبق تفصيله في الدروس العلمية.

ب - دروس المسجد الحرام :

١- درس ما بعد صلاة الفجر في الحرم المكي في رمضان، وكان في عمدة الأحكام.

٢- درس ما بعد صلاة التراويح في الحرم المكي، وغالباً ما يكون تعليقاً على بعض الآيات التي ثلثت تلك الليلة أو كلمة مناسبة لتلك الليلة، ثم الإجابة على الأسئلة الواردة، ووقت هذا اللقاء من بعد صلاة التراويح، ويستمر قرابة ساعة ونصف في العشرتين الأولين من رمضان، وبعد دخول العشر الأواخر يكون الدرس ما بين التراويح والقيام في الغالب.

ج - المحاضرات :

وهذه كان له فيها نصيب أوفى في أماكن كثيرة؛ فحيثما دُعي لبي النداء رحمه الله حسبما يسمح له وقته، وهي على نوعين :

النوع الأول : محاضرات مباشرة، ومن أبرزها تنظيمه لمحاضرة في الجامع الكبير، وهو اللقاء الشهري بعد صلاة العشاء من أول ليلة أخذ من كل شهر، وغيرها من المحاضرات الدورية في الجامعات والمجمعات.

النوع الثاني : محاضرات عبر الهاتف، وكانت في داخل المملكة العربية السعودية، وخارجها لبعض المراكز الإسلامية من بيته، وقد خصّص رحمه الله رقماً هاتفياً لإلقاء هذه المحاضرات غير هاتف الفتوى والهاتف الخاص، وقد رتب بعض الإخوة في الآونة الأخيرة له محاضرة شهرية لمسجد التوحيد، في مدينة (ديترويت) في أمريكا، ويرتبط مع هذا المسجد - أحياناً - قرابة مائة مسجد أو مركز أو تجمع، وذلك من أمريكا وكندا وأوروبا في وقت واحد.

ثالثاً : اللقاءات :

وهي خاصة (اللقاء الأسبوعي)، وعامة (اللقاء الشهري) :

أ - الخاصة :

- ١ - درس عقده لخاصة طلابه ليلة السبت من كل أسبوع بعد صلاة العشاء في منزل أحد الطلاب بالتناوب، وكانت القراءة في كتاب الكافي.
- ٢ - درس للقضاة ليلة الأربعاء من كل أسبوع بعد صلاة العشاء في منزله وكان يقرأ فيها ماله علاقة بالقضاء، كالطرق الحكيمة، وإعلام الموقعين لابن القيم.

ب - العامة :

- ١ - لقاءه مع قسم العقيدة في فرع جامعة الإمام في القصيم، ليلة الأحد مرة في الشهر.
- ٢ - لقاءه بالخطباء ليلة الثلاثاء مرة في الشهر.
- ٣ - لقاءه بطلاب السكن لية الأحد مرة في الشهر.
- ٤ - لقاءه بأعضاء هيئة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ليلة الأحد مرة في الشهر.
- ٥ - لقاءه بطلاب المعهد العلمي في عنيزة أول إثنين من كل شهر.
- ٦ - لقاءه بأعضاء جمعية تحفيظ القرآن ليلة الإثنين مرتين في الشهر، وكان رئيساً لمجلسها طيلة حياته رحمه الله.
- ٧ - لقاءه ببعض طلاب العلم من خارج عنيزة ليلة الخميس مرة في الشهر.

رابعاً : الفتوى :

ومع أن الشيخ - رحمه الله - قد خصّص للفتوى وقتاً معيناً إلا أن المتبع للأمر لا يكاد يحصرها بوقت معين؛ فقد كانت في المسجد أو في طريقه إلى المنزل، أو

في سفره وتنقلاته، وحتى في حضور المناسبات وبعد دروس المسجد الحرام؛ مع أنه قد خصص وقتاً للفتوى عبر الهاتف من بعد صلاة الظهر حتى إذا جاء وقت غدائه قرّب الهاتف عنده؛ فهو وإن كان يغذي جسمه بما يحتاجه لما يقيمه إلا أنه في الوقت نفسه يغذي بل يشفي غليل سائليه بما أشكل عليهم.

وكان بعض النساء يأتين إلى الجامع ليسألن الشيخ عن بعض أمورهن.

فيخرج لمنّ عند باب المسجد؛ وربما آخر الدرس أحياناً حتى تقضي المرأة مسألتهن، وإذا سافر من عنيزة سجّل في هاتفه الرقم الذي سيكون عليه في البلد الآخر، حتى يسهل الاتصال به.

خامساً : ذهابه وإيابه من المسجد :

اعتاد الشيخ أن يذهب إلى المسجد، ويعود منه على قدميه - مع بُعد المسجد عن بيته - وإن كان هذا الوقت من الزمن قد لا يأبه به كثير من الناس إلا أن شيخنا رحمه الله قد رأى لهذا الوقت قيمته؛ ففي ذهابه خصصه لنفسه، وفي إياه جعله للناس؛ فكم من كتاب قد صُحح عليه وقُرى عليه، ناهيك عن أصحاب الحاجات والفتاوى الذين يرافقونه حتى يصلوا إلى بيته، بل قد يقف عند الباب أحياناً حتى ينهى حاجة سائليه.

سادساً : منبر الجمعة :

الحديث عن منبر الجمعة لا تفي بحقه هذه الأسطر؛ فالشيخ خلال ما يزيد على خمس وأربعين سنة ظلّ خطيباً للجمعة وخطيب العيدين، والاستسقاء.

وقد وظّف الشيخ هذا المنبر لتعليم الناس أمور دينهم، فكانت خطبته تشتمل على معارف وفوائد علمية قلّ أن تجدها عند غيره، ناهيك عن الموعظة

وتذكير الناس. وقد عُرف عنه أنه إذا كان مسافراً للرياض أو الطائف أو غيرها أنه يعود إلى عنيزة أحياناً ليلقي خطبته ثم يعود دون أن يظهر تبرماً أو مشقة.^(١)

سابعاً : التعليم النظامي :

وذلك أنه رحمه الله درّس في كلّ من معهد عنيزة العلمي، وفرع جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية بالقصيم، فكان يحط أنظار الجميع، وقد استفادت منه أجيال متتابعة.

وأصعب ما واجه الشيخ في هذه الفترة هو تصحيح الإجابات، حتى إنه اشتهر عنه ذلك، سواء كانت أعمال السنة، أو في الاختبارات الفصلية لأن منها إجابات يصعب تقويمها لوجود خللٍ فيها يحير الإنسان : ماذا يحسم عليها من الدرجات، فيقف متحيراً بين الأخذ بالحزم والأمانة، وبين الاحتمالات التي يحتملها الجواب المقدم إليه.

ثامناً : عبر الإذاعة :

كان للشيخ رحمه الله وجود في هذا الميدان، وقد ساهم في بعضها، واستقلّ بشيء منها، ومن ذلك : (نور على الدّرب)، (سؤال على الهاتف) و (من أحكام القرآن) و (برامج موسمية عن الحجّ والصوم) ونحوها..

تاسعاً : عبر بعض الصحف والمجالات :

كان له رحمه الله ركن الإفتاء في بعض الصحف والمجلات.

عاشراً : عبر الشريط : ولما للشريط من سهولة في التداول، والاستماع، فقد أولى رحمه الله الشريط عناية خاصة؛ حيث إن جميع دروسه وفتاواه السابق ذكرها

(١) انظر آخر خطبة له في الاستسقاء، عقب آخر هذا البحث.

قد سُجِّلَتْ إلَّا ما ندر، حتى إنه خَصَّ إحدى دور التسجيل بإخراج دروسه وفتاواه لتتَّخَذَ العناية بها، وهي مؤسسة الاستقامة الإسلامية بعنيزة.

الحادي عشر : الإنترنت : وهذا المجال وإن كان لم ينسَقَ مع الشيخ فيه إلَّا متأخراً إلَّا أنه رحمه الله قد أولى العناية بذلك كلَّ ما يتعلَّق بالإنترنت إلى لجنة خاصة تُعنى بشؤونه.

وأخيراً : فإن ما كتبتُه عن شيخنا رحمه الله في هذا الموضوع لا أدعي فيه الكمال، لا من حيث التقسيم، ولا الحصر، ولا الوصف؛ فقد فاتني منه ما هو من عادة البشر، والكمال لله سبحانه، والمنصف من اغتفر قليل خطأ المرء في كثير صوابه، والحمد لله ربَّ العالمين»^(١).

ومما يضاف لما ذكره الشيخ علي السلطان :

الثاني عشر : مشاركته في المؤتمرات.

فقد كان الشيخ يشارك في المؤتمرات المتنوعة، وينشر فيها علمه، سواء بالمشاركة في الأبحاث أو مناقشتها، أو الإدلاء بدلوه في القضايا الكبرى.

وقد ذكر شيخنا عبد المحسن العباد أن المترجم شارك في الجامعة الإسلامية في مؤتمرين هما :

١- مؤتمر الدعوة والدعاة.

٢- مؤتمر مكافحة المسكرات.

(١) البيان، العدد ١٦٠.

الثالث عشر : مشاركته في لجنة توعية الحجاج.

وهي منفذ عظيم جداً للتعليم والإرشاد.

قال شيخنا العباد :

« كنت وإياه في لجنة التوعية، نجتمع وننظر في شؤون التوعية، فكان يحضر معنا ويفيد اللجنة برأيه وعلمه.

وقيل له مرّة : هل ترغب في أخذ نسخة من التقرير، قال : لا، حتى لا أحتاج إلى إحراقه، يعني أنه لا يحتفظ بهذه الأوراق، ويحتاج إلى التخلص منها.

الرابع عشر : مشاركته في هيئة كبار العلماء، وقد صدر قرار تعيينه بها عام ١٤١٧هـ. ولا زال يحرص على اجتماعاتها حتى قبيل وفاته لإفادة المسلمين بما تراه الهيئة من قضايا ومسائل عظيمة تمّم الأمة.

الخامس عشر : المراسلات الخاصة بما يرد عليه من الرسائل جواباً عليها، وما يرسله الشيخ لغيره من بحث مسألة، أو نصيحة، أو غيرها..

وانظر في ذلك مجموع فتاوى ورسائل الشيخ، لفهد السليمان.

السادس عشر : مؤلفاته :

وهي من المجالات التي سلكها الشيخ لنشره العلم، وقد فات الأخ علي السلطان ذكرها في بحثه، وينبغي أن تضاف برقم مستقل.

وقد سبق فيما مرّ ذكر العديد من مؤلفات الشيخ خاصة في العقيدة والفقه، بما لا يحتاج إلى إعادته، لكنني مضطراً هنا أن أسردها مسرداً واحداً لتكون في مكان واحد ليسهل الوقوف عليها لمن أراد.

وسأذكر كل ما كتب عليه اسم الشيخ سواء مما كتبه هو ابتداءً أو فرغ من الأشرطة وطبع أو جمع من الفتاوى على حسب ما وقفت عليه، ولا شك أن ما حرره الشيخ بنفسه يختلف كثيراً عن الذي فرغ من الأشرطة لكنني قصدت هنا مجرد الجمع للفائدة، وقد قال الشيخ عن التأليف والمؤلفات :

«مَنْ أَلَفَ فَقَدْ اسْتَهْدَفَ، وَلَكِنْ الَّذِي شَجَعَنَا عَلَى التَّأْلِيفِ أَمْرَانِ : أَحَدُهُمَا : أَنَّ الْمُؤَلِّفَ يَحْرُصُ غَايَةَ الْحِرْصِ عَلَى أَنْ يَتَعَمَّقَ فِي الْمَادَّةِ الَّتِي يَرِيدُ التَّأْلِيفَ فِيهَا. وَهَذِهِ فَائِدَةٌ عَظِيمَةٌ لِلْمُؤَلِّفِ.

أضف إلى ذلك أنه إذا تعمق فيها وقيد ما تعمق به في هذه المؤلفات فستمكنك في نفسه أكثر»^(١).

وقال شيخنا عبد المحسن بن حمد العباد البدر عن مؤلفات الشيخ :

«كثيرة، صغيرة الحجم، عظيمة الفائدة، أغلبها تتعلق بالعقيدة والفقه»^(٢).

من آثار الشيخ [مما ألفه أو جمع له] :

- ١- فتح ربّ البرية بتلخيص الحموية، (أول كتاب ألفه).
- ٢- الأصول من علم الأصول.
- ٣- مصطلح الحديث.
- ٤- رسالة في الوضوء، والغسل، والصلاة.
- ٥- تسهيل الفرائض.

(١) الدعوة، العدد ١٧٧٦.

(٢) شريط (الشيخ محمد بن عثيمين وشيء من سيرته ودعوته) للشيخ العباد.

- ٦- المنهج لمريد الحج والعمرة.
- ٧- رسالة في كفر تارك الصلاة.
- ٨- رسالة في الأضحية والزكاة.
- ٩- مجالس شهر رمضان.
- ١٠- شرح العقيدة الواسطية، لشيخ الإسلام ابن تيمية.
- ١١- القول المفيد شرح كتاب التوحيد لشيخ الإسلام محمد بن عبد الوهاب.
- ١٢- شرح بلوغ المرام (مجلد واحد) لم يكتمل.
- ١٣- عقيدة أهل السنة والجماعة.
- ١٤- القواعد المثلى في صفات الله وأسمائه الحسنى.
- ١٥- رسالة في الحجاب.
- ١٦- رسالة في صلاة أهل الأعذار وطهارتهم.
- ١٧- رسالة في مواقيت الصلاة.
- ١٨- رسالة في المداينة وأقسامها.
- ١٩- رسالة في وجوب زكاة الحلبي.
- ٢٠- الضياء اللامع من الخطب والجوامع.
- ٢١- رسالة في علاج الوسواس في ضوء الكتاب والسنة.
- ٢٢- رسالة في مشكلات الشباب.
- ٢٣- رسالة في المسح على الخفين.
- ٢٤- رسالة في الدماء الطبيعية للنساء.

- ٢٥- رسالة في زاد الدّاعية إلى الله.
- ٢٦- حقوق دعت إليها الفطرة وقرّرتها الشريعة.
- ٢٧- رسالة في الخلاف بين العلماء، أسبابه وموقفنا منه.
- ٢٨- رسالة في سجود السهو.
- ٢٩- اثنان وخمسون سؤالاً عن أحكام الحيض.
- ٣٠- مجموع فتاوى الحرم المكي.
- ٣١- مختارات من اقتضاء الصّراط المستقيم.
- ٣٢- مختارات من زاد المعاد لابن القيم.
- ٣٣- مختارات من إعلام الموقعين.
- ٣٤- رسالة في الوصول إلى القمر.
- ٣٥- نبذة في العقيدة الإسلامية (وهي نفيسة جداً).
- ٣٦- رسالة في أصول التفسير.
- ٣٧- كتاب الدّعوة.
- ٣٨- إزالة الستار عن الجواب المختار (فتاوى في العقيدة).
- ٣٩- فتاوى التعزية.
- ٤٠- أسئلة من بعض بائعي السيارات.
- ٤١- الصحوة الإسلامية ضوابط وتوجيهات.
- ٤٢- شرح ثلاثة الأصول.
- ٤٣- شرح كشف الشبهات.

- ٤٤ - المنتقى من فرائد الفوائد.
- ٤٥ - فتاوى نور على الدرب.
- ٤٦ - فتاوى أركان الإسلام.
- ٤٧ - ألفاظ ومفاهيم في ميزان الشريعة.
- ٤٨ - الشرح المتمتع شرح زاد المستقنع (١-٨).
- ٤٩ - من أحكام القرآن (جزء).
- ٥٠ - فقه العبادات.
- ٥١ - فتاوى منار الإسلام.
- ٥٢ - لقاء الباب المفتوح (١-٧٠).
- ٥٣ - شرح رياض الصالحين (١-٧).
- ٥٤ - اللقاء الشهري (١-٧٤) لم يطبع كله.
- ٥٥ - مجموع فتاوى ورسائل فضيلة الشيخ محمد بن عثيمين، جمع وترتيب الشيخ فهد بن ناصر السليمان، وفيه أكثر الرسائل السابقة.
- ٥٦ - الصيد الثمين في رسائل ابن عثيمين.
- ٥٧ - فتاوى ابن عثيمين، جمع أشرف عبد المقصود.
- ٥٨ - تفسير آية الكرسي.
- ٥٩ - شرح لمعة الاعتقاد الهادي إلى سبيل الرشاد، لابن قدامة المقدسي.
- ٦٠ - تعليق على العقيدة الواسطية (مبسّط غير الشرح الموسّع).
- ٦١ - الإبداع في كمال الشرع وخطر الابتداع.

- ٦٢- رسالة في أحكام الميت وغسله.
- ٦٣- منظومة في أصول الفقه، وقواعد فقهية، ط: دار المحمدي بمكة. قال في أولها:
- الحمد لله المعبد المبدى معطي التوال كل من يستجدي
وهناك من هذي الأصول جملاً أرجو بها عال الجنان نولاً
قواعد من قول أهل العلم وليس لي فيها سوى ذا التظم
- ٦٤- رسالة في الربا وصوره، وأقسام الناس فيه.
- ٦٥- رسالة في الحكمة من إرسال الرسل.
- ٦٦- رسالة في شرح أصول الإيمان.
- ٦٧- رسالة في الزواج.
- ٦٨- شرح نظم الورقات للعريضي (مكتوب على الحاسب ومصور).
- ٦٩- شرح كتاب التوحيد من صحيح البخاري (مكتوب على الحاسب ومصور).
- ٧٠- كتاب العلم.
- ٧١- فتاوى وتوجيهات في الأجازة والرحلات.
- ٧٢- رسالة في القضاء والقدر.
- ٧٣- تفسير الفرائض (وهو غير تسهيل الفرائض).^(١)
- ٧٤- حكم الطلاق بالثلاث (مخطوط).^(٢)
- ٧٥- نيل الأرب من قواعد ابن رجب (مخطوط).

(١) مجلة الدعوة، العدد ١٧٧٦، (ولم له مخطوط).

(٢) المصدر السابق.

- ٧٦- تخريج أحاديث الرّوض المربع (مخطوط).
- ٧٧- شرح عمدة الأحكام (مخطوط).
- ٧٨- أحكام قصر الصلاة للمسافر (مخطوط).^(١)
- ٧٩- نبذ في الصيام.
- ٨٠- تقريب التدمرية لشيخ الإسلام ابن تيمية.
- ٨١- شرح الأصول الستة للشيخ محمد بن عبد الوهاب.
- ٨٢- مجالس رمضان.
- ٨٣- جلسات الحج.
- ٨٤- فتاوى الصّيد.
- ٨٥- الاختيارات والترجيحات.
- ٨٦- فتاوى سؤال من حاج.
- ٨٧- ٧٠ سؤالاً في أحكام الجنائز.
- ٨٨- الإخلاص.
- ٨٩- الوصايا العشر.
- ٩٠- العقيدة وأثرها.
- ٩١- المتابعة وقبول العمل.
- ٩٢- بعثة الرسول ﷺ.^(٢)

(١) انظر : مجلة الحكمة، العدد الثاني للأربعة الأخيرة.

(٢) انظر مجموع فتاوى ورسائل فضيلة الشيخ محمد بن عثيمين لفهد السليمان، وهذه الخمس الأخيرة كانت محاضرات وطُبعت رسائل في المجموع.

٩٣- شرح حديث جبريل.

٩٤- التوحيد ومعنى الشهادتين.

٩٥- دليل الأخطاء التي يقع فيها الحاج والمعتمر.

٩٦- رسالة في مكارم الأخلاق.

وأعيد القول هنا بأنه ينبغي التفرقة بين ما حرّره الشيخ بنفسه، وما جُمع من كلامه وفتاويه، فذاك لونٌ وهذا لونٌ آخر، والفرق بينهما لا يخفى، لكنني قصدت هنا التيسير والتقريب للباحثين وغيرهم ممن يرغب في عمل دراسات موسعة عن الشيخ، والله الموفق.

فيا عباد الله أكثرُوا من الاستغفار فإنه مفتاح الفرج، أكثرُوا من الاستغفار فإنه مغلاق الشر، وفي الحديث : «من لزم الاستغفار جعل الله له من كل هم فرجاً، ومن كل ضيق مخرجاً» وإنه في هذا اليوم تخرجون إلى هذا المكان طاعةً لولادة الأمور الذين أمروكم أن تخرجوا للاستسقاء في هذا اليوم، وطاعة ولاة الأمور من طاعة الله ورسوله، فادعوا ربكم تضرعاً وخفية إنه لا يحب المعتدين، اللهم أغثنا، اللهم أغثنا، اللهم أسقنا الغيث والرحمة ولا تجعلنا من القانطين، اللهم أسقنا رحمة لا سقيا بلاء ولا عذاب، ولا هدم ولا غرق، اللهم أسقنا الغيث والرحمة ولا تجعلنا من القانطين، اللهم أغثنا، اللهم أغثنا، اللهم أغثنا غيثاً مغياً هنيئاً مريئاً غداً عاماً دائماً نافعاً غير ضار، اللهم أسقنا غيثاً تحي به البلاد، وترحم به العباد، وتجعله بلاغاً للحاضر والباد اللهم أغثنا، اللهم أغثنا ياذا الجلال والإكرام، ربنا ظلمنا أنفسنا وإن لم تغفر لنا وترحمنا لنكونن من الخاسرين، نستغفر الله ونتوب إليه، اللهم

اغفر لنا ذنوبنا، وكفر عنا سيئاتنا، وتوفنا مع الأبرار، اللهم أغثنا، اللهم أغثنا، اللهم أغثنا يا ذا الجلال والإكرام، وكان النبي ﷺ يقلب رداءه حين الخطبة، قال أهل العلم: وذلك تفاؤلاً بأن يقلب الله الحال من الشدة إلى الرخاء والذي يقلب هو الرداء، ويكون بمنزلة المشلح والعباءة.

أما الغرة والشماع فإنها لا تقلب لأنها لا تسمى رداء، وإنما تسمى عمامة، وانتقل الاسم من العمامة إلى الغرة أو الشماع، وعلى هذا فلا تقلب، وينفذ^(١) أن ينصرف الإمام في أثناء الخطبة، فيدعو الله عز وجل سراً، وكذلك المأموم يدعو الله عز وجل. قال بعض العلماء: والحكمة في ذلك أن يشملوا في الدعاء بين الإسرار وبين الجهر ليكون ذلك أقرب إلى الإجابة، ونحن إن شاء الله تعالى فاعلون.

أيها الأخوة.. إن من أسباب منع الخير أن يظلم الناس بعضهم بعضاً، فانتبهوا لأنفسكم هل أنتم ظلمتم أنفسكم، هل ظلمتم أهلكم، هل ظلمتم من تعاملونه من العمال وغيرهم، فإلني ﷺ يقول: «ثلاثة أنا خصمهم يوم القيامة: رجل أعطي بي ثم غدر، ورجل باع حراً فاكل ثمنه ورجل استأجر أجيراً فاستوفى منه ولم يعطه أجره». ولقد كان بعض الناس (أي بعض العمال) يشكون من كاذلهم تأخر أجورهم، وهذا لا يحل؛ لقول النبي ﷺ: «مطل الغني ظلم» وقال: «أعطوا الأجير أجره قبل أن يجف عرقه».

ربنا ظلمنا أنفسنا وإن لم تغفر لنا وترحمنا لنكونن من الخاسرين، اللهم تقبل منا يا ذا الجلال والإكرام، اللهم تقبل منا، اللهم تقبل منا.

هذه كانت خطبة صلاة الاستسقاء.

(١) كذا في الأصل، ولعل الصواب (يُسحب).

أما آخر ما خطب من الجمع في الجامع : فكانت خطبته يوم الجمعة بتاريخ ١٤٢١/٧/٢٩ هـ، وكانت الخطبة تحت الناس على انتهاز الأوقات بالأعمال الصالحة، والتذكير بالموت وعدم الغفلة، وانتهاز الفرصة ما دام الإنسان في الحياة، وذكر حديث النبي ﷺ حينما وعظ رجلاً فقال: «اغتنم خمساً قبل خمس» وذكر الحديث. وذكر أثر ابن عمر رضي الله عنهما أنه كان يقول : «إذا أمسيت فلا تنتظر الصباح، وإذا أصبحت فلا تنتظر المساء، وخذ من صحتك لمرضك ومن حياتك لموتك» [رواه البخاري].^(١)

شيوخه وتلاميذه :

سبق في الباب الأول ذكر شيوخ الشيخ، والترجمة للعديد منهم.

أما التلاميذ فهم أكثر من أن يحصروا نظراً لتعدد الأماكن التي درس فيها الشيخ والبلدان، فقد درس الشيخ في الرياض والطائف ومكة والمدينة وبريدة وغيرها فضلاً عن عنيزة؛ فلذا يصعب حصر تلاميذه، لكنني سأذكر هنا من قدامى التلاميذ، وبعض من كان يرافقه في الطلب، منهم:

- ١- (محمد العثمان القاضي.
- ٢- محمد عبد الله السلطان.
- ٣- سليمان بن عبد العزيز البسام.
- ٤- إبراهيم بن عبد الله المطلق).^(٢)

(١) الدعوة، العدد ١٧٧٧، متابعة خالد المرشد، (والبخاري ح ٦٤١٦).

(٢) الدعوة، العدد ١٧٧٦.

٥- إبراهيم بن حمد الخطيلي^(١)

ومن رأيت في سكن الطلاب يسكن معنا في فترة ترددي على الشيخ من
الملازمين لدروس العطلة الصيفية :

١- مصطفى بن محمد بن كامل حورية.

٢- ماهر بن فهد السائر.

٣- وليد الحسين.

٤- زيد بن ثابت.

٥- مدين بن إبراهيم.

أما في الحلقة فقد كانوا كثيرين جداً، ولا أذكر الآن أسماءهم، فمنهم من
بريدة، والزلفي، وعنيزة، وغيرهم آخرون من بلاد مختلفة يصعب حصرهم وقد تردّد
بعد ذلك على الشيخ طلاب من دول الخليج وقطنوا عنده، وبعضهم يتردد بين
الحين والآخر، وقد بلغ عدد طلاب الحلقة ٥٠٠ طالباً في بعض الأوقات.

ومن ذكّرهم هم الذين رأيتهم وعشت معهم، وقد جاء بعدنا مئات إن لم يكن
ألف الطلاب أعني لعنيزة، أما خارجها فلا يحصيهم إلا الله عز وجل ممن يقصده
في رمضان، والحج، والعطلات المؤقتة، هذا غير من كان يحظى بدروس خاصة في
منزل الشيخ أو غيره من القضاة ونحوهم..

وقد ذكر الأخ وليد الحسين في ترجمته^(٢) عدداً غير قليل فليراجعه من شاء الزيادة.

(١) الجزيرة، العدد ١٠٣٣٥.

(٢) مجلة الحكمة، العدد الثاني.

رَفَعُ
عبد الرحمن النجدي
أسكنه الله الفردوس

الباب الثالث

وفيه فصلان:

الفصل الأول : مرضه.

الفصل الثاني : وفاته.

1

2

3

4

5

«إن الإنسان المؤمن إذا قام بطاعة الله، وفعل أوامره، واجتنب نواهيه، فإنه لا يرجو بذلك إلا رحمة الله ودخوله الجنة، ولا يمكن أن يصل الإنسان إلى الجنة إلا بالموت، والموت قد كتب على جميع البشرية، فمرحباً بالموت، إذا كان الموت هو الذي بيننا وبين الجنة».

وهذه الكلمات تدلُّ على قوة يقين الشيخ وحسن ظنه بالله عز وجل.^(١)

قال الشيخ محمد بن صالح المنجد :

«والشيخ يسمي المرض الخطير، ويرفض أن يسميه المرض الخبيث، ويقول : ليس في أفعال الله خبيثاً».^(٢)

كذا نُقل، وفيه تأمل لإطلاق وصف الخبيث في القرآن والسنة على عدة أصناف من المخلوقات.

ولا شك أن أفعال الله عز وجل كلها خير ليس فيها شرٌ ولا خبيث.

حالته مع المرض.

قال الشيخ عبد الرحمن الرّيس :

«مع شدة مرض الشيخ ثقلت عليه الحركة، فكان يأخذ وقتاً طويلاً في الرضوء والأكل والصلاة.

وفي آخر الأيام عندما كان في عنيزة ويوم المصلين عندما كان نشيطاً كان يحصل معه أثناء الصلاة (السلس) وكان يشعر بخروج شيء منه، فكان يقطع الصلاة ويقدمني للإمامة مكانه.

(١) الدعوة، العدد ١٧٧٦.

(٢) شريط ١٠٠ فائدة من العلامة ابن عثيمين.

وقد حصل هذا من الشيخ مرتين في صلاة الفجر، وأخرى في صلاة المغرب، فيقوم الشيخ بإعادة وضوئه في غرفته الخاصة في المسجد، ويطلب من ابنه أن يصلي معه حرصاً منه على تحصيل أجر الجماعة»^(١).
وقال أيضاً :

«رغم مرض الشيخ حرص على خطابة الجمعة في الجامع الكبير، والإمامة، ولقاء الناس للإجابة على أسئلتهم واستفساراتهم، وكان الشيخ حريصاً على إمامة المسجد رغم أن المرض ينهكه، ورغم كل معاناته»^(٢).

تاريخ بدايته أو (اكتشافه) :

جاء في جريدة (الاقتصادية) ما يلي :

«وكان الشيخ قد دخل المستشفى للمرة الأولى في نيسان (إبريل) الماضي»^(٣).
يعني في المحرم لعام ١٤٢١ هـ تقريباً.

العلاج :

بعد إجراء الفحوصات اللازمة على الشيخ في مستشفيات المملكة تبين للأطباء أن الشيخ مريض بالسرطان، وقد انتشر في جسده، وبدأت رحلة البحث عن العلاج، وجاءت رغبة أولياء الأمور، وخاصة سمو الأمير عبد الله بن عبد العزيز ولي العهد بضرورة سفره إلى الخارج للعلاج وإعادة التشخيص. وتحت هذا الإلحاح وافق الشيخ على السفر إلى أمريكا، وقد رافقه في هذه الرحلة :

(١) الدعوة، العدد ١٧٧٦.

(٢) المصدر السابق.

(٣) الاقتصادية، العدد ٢٦٥٠.

- أخوه د. عبد الله العثيمين.
- أبنائه الأربعة : عبد الله، إبراهيم، عبد الرحيم، عبد العزيز.
- خالد المصلح، وسامي الصقيّر، ومنصور التركي.
- د. عبد الرحمن النعيم.
- ناصر الراجحي «استشاري الأورام في مستشفى الملك فيصل التخصصي في الرياض».

وبعد إجراء الفحوصات اللازمة توافق تقرير الأطباء هناك مع التقرير الذي أُعد في مستشفى الملك فيصل التخصصي بالرياض.^(١)

دعوة الشيخ في أمريكا :

قال الدكتور سعود بن عبد الرحمن العجاجي :

«أمضى الشيخ ابن عثيمين في (بوسطن) عشرة أيام، تخلّلتها حلقات لتحفيظ القرآن، وجلسات دينية عقدها في مسجد الجمعية الإسلامية في (بوسطن)، تمحورت حول سبل وأوجه تقريب المسلمين فيما بينهم، وتوحيد كلمتهم، والدعوة للتعاون فيما بينهم».^(٢)

«وقد أمّ المسلمين الموجودين هناك في صلاة الجمعة مرتّين :

الأولى : في مسجد (كيويزي).

والثانية : في مسجد (شارون).

(١) المصدر السابق.

(٢) المصدر السابق.

ودعا فيهما لإصلاح ذات البين، وكيفية التعامل مع الأجانب، مذكراً المصلين بضرورة تجاوز صغائر الأمور، والدعوة إلى الله عز وجل، بـ : التسامح، والنصح، والإرشاد بالكلمة الطيبة والحسنة». ^(١)

وقد «زار الشيخ نادي الطلبة السعوديين في (بوستن) وألقى محاضرة قيمة تخللتها دعوة الطلبة إلى احترام الديار التي هم فيها، ونصحهم بعدم الغش أو الكذب على الأمريكان.

وآلا يستغلوا بعض نقاط الضعف الموجودة في أنظمتهم، مثل نظام التأمين وعليهم أن يمثلوا ديار المسلمين خير تمثيل». ^(٢)

وقال د. صالح بن عبد العزيز النصار :

«لقد حظيت في الولايات المتحدة الأمريكية كما حظى كثير من المسلمين هناك بسماع صوت الشيخ، والاستناره بتوجيهاته، والإجابة عن الأسئلة المعقدة التي تواجه الجالية المسلمة هناك، وذلك من خلال المحاضرة الهاتفية التي نُقلت إلى أكثر من مائة مسجد، ومركز إسلامي، ومنزل». ^(٣)

وقد ألقى الشيخ في (بوستن) في يوم الأربعاء ١٤٢١/٥/٢ هـ محاضرة بعنوان (وحدة المسلمين).

وخطب الجمعة في المركز الإسلامي في يوم الجمعة ١٤٢١/٥/٤ هـ.

(١) المصدر السابق.

(٢) المصدر السابق.

(٣) الرياض، العدد ١١٨٩٠.

العلاج المقترح :

من المعروف عالمياً أن هذا المرض خاصة بعد انتشاره واستفحال أمره لم يهتد العلم الحديث لعلاج، والأمر لا يتعدى تخفيف آلام المرض عن طريق : الإشعاع النووي، أو الكيماوي، أو المسكنات.

لما موقف الشيخ من كلا الأمرين ؟

١- أما الكيماوي :

فقد أوضح أخوه د. عبد الله العثيمين موقف الشيخ منه حيث قال :

«وقد اختلفت آراء الأطباء؛ سواء مَنْ كشفوا عليه أو من اطلعوا على التقارير عنه، واستشاروا حولها في طريقة علاجه، فكان منهم من رأى علاجه بالأشعة والكيماوي، ومنهم من لم ير ذلك.

وفي تلك الظروف كان الشيخ محمد متردداً لما رآه من اختلاف وجهات نظر الأطباء، ولزيد من الاطمئنان تشخيصاً وعلاجاً جاءت مشورة ولادة الأمر في هذا الوطن له كي يسافر إلى أمريكا - حفظهم الله ورعاهم وجزاهم أفضل ما يجزي به عباده الصالحين - على ما أبدوه تجاهه من عطف وما قاموا به من رعاية وقد أكدت الفحوصات هناك ما توصل إليه من تشخيص في المملكة، واستقرّ الرأي الطبي على أن يعالج مدة بالأشعة مع جرعات مخففة بالكيماوي، ثم يبدأ العلاج بالكيماوي وحده. وسرّ الشيخ محمد بذلك.

فقدم إلى الوطن ليبدأ في مستشفى الملك فيصل التخصصي ما استقرّ الرأي الطبي عليه.

وعالج بالأشعة فعلاً على أَنَّ الأطباء رأوا أخيراً أَنَّ سلبيات علاجه بالكيماوي أوضح من إيجابياته، ففضّلوا عدم علاجه به، وقَبِلَ الشيخ ما فضّلوه»^(١).

هذا ما ذكره شقيق الشيخ، وقد كان مرافقاً له في رحلته، وفي علاجه بالمستشفى في المملكة. وقد ذكر غيره أَنَّ الشيخ عندما عُرض عليه العلاج بالإشعاع النووي، أو الكيماوي، ووضّحوا له أَنَّ هذا الأخير يسبّب تساقط الشعر، فسأل الشيخ : حتّى شعر لحيتي ؟ فقالوا : نعم، قال : لا أحبُّ أَنَّ أَلْقِي رَبِّي بلا لحيتي»^(٢).

وقد تناقل الناس هذا الأخير واشتهر، فالله أعلم.

٢- أما المسكنات الأخرى :

فقد قال الشيخ محمد بن صالح المنجد :

«كان الشيخ رحمه الله يكره المسكنات كما قال لي أحد الأطباء الذين يعالجونه لأنّها تنوّمه، وتعيقه عن قيام الليل والتدريس»^(٣).

٣- الرقبة :

قال الشيخ عبد الرحمن الدهش :

«ومما يُذكر في صبره في مرضه أَنه عُرض عليه رحمه الله أَن يُسترقى، أي تطلب الرقّة له، ولكنه أبى حرصاً على أَن لا يخرج من السبعين ألفاً الذين ذكرهم النبي ﷺ، وأن من صفاقهم أنهم لا يَسْتَرْقُونَ، أي لا يطلبون الرقّة لهم.

لكن لما أتى الرقّة إليه بطلب أحد طلابه لم يردهم، وسمح لهم أَن يرقوه»^(٤).

(١) الرياض، العدد ١١٨٩٦.

(٢) جريدة الوطن، العدد ١٠٥.

(٣) شريط : ١٠٠ فائدة من العلامة ابن عثيمين.

(٤) شريط الإمام ابن عثيمين، (تسجيلات صدى التقوى بالرياض).

مواقف رائعة على فراش المرض

مع رحلة العلاج القاسية، وعدم تيسر دواء يعلمه البشر لهذا الداء العضال، والذي استحكم في جسد الشيخ النحيل، والذي بدأ تدريجياً في الذبول، أخذ الألم يتزايد عليه يوماً بعد يوم، ويتجلد الشيخ ويصبر، حتى إنه لا يجئ للناظر إليه أنه يشعر بشيء احتساباً وصبراً وأملاً ورجاءً في موعود الله تعالى للصابرين.

يقول الشيخ عبد الرحمن الرئيس :

«يحدثني ابنه عبد الرحمن الذي لازم والده الشيخ محمد بن عثيمين طوال فترة مرضه، يقول ابنه عبد الرحمن : إني أرى الشيخ كثيراً من المرات يعضّ على شفتيه من آلام المرض، فيسأله ابنه : هل تتألم من شيء ؟ فإذا كان بالغرفة أحد غير ابنه يقول : لا، أبداً. أما إذا لم يوجد إلا ابنه فإنه يقول : إني أتألم، ولكن قولي هذا من باب الإخبار، ليس من باب الشكوى»^(١).

وقال الشيخ محمد بن صالح المنجد :

«سألته بعد فترة بالهاتف عن الألم فقال : يأتي ويذهب إلا في موضع المرض الأصلي الذي انتشر منه فإنه مستمر»^(٢).

وقال : «لم يتمكّن الشيخ رحمه الله من صيام رمضان الماضي لمرضه، وقد عذره الله سبحانه وتعالى عذر المريض»^(٣).

(١) الدعوة، العدد ١٧٧٦.

(٢) شريط : ١٠٠ فائدة من العلامة ابن عثيمين.

(٣) المصدر السابق.

ومع كل هذه الآلام فإن الشيخ لم يترك الدعوة إلى الله، وتعليم العلم، والنصح والتوجيه وهو على فراشه، بل والإجابة على أسئلة المستفتين والسائلين، والمسترشدين.
من ذلك :

١- ما قاله د. حسن بن فهد الهويمل :

«توفي أحد جيرانه قبل أسبوع من وفاته، فهاتف أولاده من المستشفى في جدة معزياً ومواسياً، وداعياً وناصحاً لهم، وقال لهم بالحرف الواحد : أنا مريض ولا أعلم ما يكتب الله لي، فاستوصوا بوالدكم وإخوانكم الصغار خيراً»^(١).

٢- في يوم الخميس السابع والعشرين من شهر شعبان زاره فضيلة الشيخ حمود الصائغ، وذكر ما من الله به على الشيخ من الصبر والجلد، وذكر وصيته.
كما ذكر أن أحد الإخوة سأله عن ميراث أختين شقيقتين وأخت لهما من أب فكيف يقسم ؟

فقال رحمه الله : للأختين ثلثان، وللأخت للأب الباقي.^(٢)

٣- قال الشيخ بدر بن نادر المشاري :

«لما رجع من أمريكا بعد العلاج سُئل عن حالته العلاجية والصحية، فقال الشيخ كلمة تدون بماء الذهب : اعلّموا أن المرض لا يقدم الآجال وأن العافية لا تؤخر الآمال والآجال، وأن أجلي مكتوب، وأجلكم مكتوب من قبل أن يخلق الله السموات والأرض، فآمنوا بهذا فإني آمنت به»^(٣).

(١) الجزيرة، العدد ١٠٣٣٧.

(٢) الدعوة، العدد ١٧٧٧.

(٣) شريط (أحب لقاء ربّه) نقلاً عن صفحات مشرقة ص ١١١.

٤- قال إبراهيم بن محمد العثيمين :

«أتذكر في اليوم التاسع والعشرين من رمضان في الصباح حصل معه بعض الأثر (التعب) وقرر الطبيب المرافق بنقله إلى مستشفى جدة التخصصي، وبالفعل تم نقله رحمه الله من مكانه في الحرم بسيارة الإسعاف إلى مستشفى التخصصي في جدة، وأدخل فوراً إلى غرفة العناية المركزة، ومكث فيها قرابة الست إلى السبع ساعات، ثم بعدما خرج من غرفة العناية المركزة وأحس بشيء بسيط من النشاط أصر على أن يعود إلى مكة مرة أخرى في نفس اليوم.

وحاولنا والإخوان أن نثنيه عن هذا القرار لكنه أصر إلا أن يذهب لأنها آخر ليلة من ليالي رمضان، ولا يرغب أن تفوته هذه الليلة، وأن هناك الكثير ممن ينتظرونه في الحرم وينتظرون الدرس. فأصر على أن يعود مرة ثانية.

وفعلأ عدنا ووصلنا إلى مكة في وقت صلاة العشاء، ثم أخذناه من سيارة الإسعاف محمولاً على النقلة الخاصة بالإسعاف، وكان الأوكسجين على فمه، واسطوانة الأوكسجين بين أرجله، إلى أن وصلنا به إلى الغرفة المخصصة له.

ثم أول عمل قام به أن توضأ ثم صلى العشاء، وبعدها طلب مكبرات الصوت، لأنهم كانوا على وشك الانتهاء من صلاة التراويح، وأرسل الأخ عبد الرحمن إلى مكان الدرس لتلقي الأسئلة من السائلين، وقام الطبيب بإبعاد الأوكسجين عنه، ووضع الأنبوب الذي يوضع على الأنف، ثم بدأ الدرس وسط ذهول من الأطباء والمرافقين له.

وألقي الدرس في موقف عجيب جداً، وبعدها كان يقول : لو جلسنا في جدة لفاتنا هذا الخير العظيم»^(١).

(١) شريط الإمام ابن عثيمين، (تسجيلات صدى التقوى بالرياض).

قلت : وقد قال الشيخ في هذا الدرس الأخير :

«الحمد لله رب العالمين، وأصلي وأسلم على نبيِّنا محمد وعلى آله وأصحابه
ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين.

أما بعد..

فإن هذه الليلة هي الليلة الموافية للثلاثين من شهر رمضان المبارك عام ١٤٢١ هـ
والله أعلم أنه يكون آخر لقاء في هذا الشهر المبارك في المسجد الحرام.

أيها الإخوة الكرام : لقد منَّ الله على عباده باستكمال هذا الشهر المبارك وبما
تيسَّر من الأعمال الصالحة المقربة من الله تعالى، أسأل الله أن يجعلها ودعة لنا عنده،
ومغفرةً للذنوب، وتكفيراً للسيئات، ورفعاً للدرجات».

ثم تكلم الشيخ على أعياد المسلمين الثلاثة : الأضحى والفطر والجمعة.

ثم ختم كلمته بقوله :

«اللهم اختم لنا شهر رمضان بغفرانك، وجُدْ علينا بفضلك وامتنانك، واجعل
مآلنا إلى جنانك، وأعد علينا شهر رمضان، والأمة الإسلامية ترفل بالعزيز والكرامة
والسلامة، إنك على كل شيء قدير.

وإلى الأسئلة، أسأل الله أن يوفَّقني لصواب الجواب».

ثم أجاب الشيخ على سبعة عشر سؤالاً في أمورٍ مختلفة.

في الزكاة، والتَّذوُّر، والاعتكاف، والصيام، وطواف الوداع، والعمرة، وسفر
المرأة بدون محرم، وغيرها..

ثم ختم هذا اللقاء وهو على فراش المرض في غرفته داخل الحرم، والناس متحلّقون حول سماعات الميكروفون في مكانه المعهود الذي كان يلتقي بمحببيه وطالبه كل عام عنده.

قال رحمه الله وصوته ضعيف، ولسانه يثقل :

«وإلى هنا ينتهي هذا اللقاء المبارك أسأل الله أن يعينني وإياكم على الخير وأن يتوفانا على الإسلام، وأن يجعلنا من دعاة الخير وأنصار الحق، إنه على كل شيء قدير»^(١).

هذا وقد حضرتُ درسه الذي ألقاه في ليلة السابع والعشرين من رمضان من غرفته، ونحن متوزعون حول السماعات على سطح المسجد الحرام، والجميع متعجب من صبر الشيخ وجلده، وحضور ذهنه، وصحة استدلاله بالنصوص، وعدم اضطرابه؛ مع شدة المرض، ونحول الجسد، فسبحان المعطي الوهاب الذي لا إله إلا هو.

٥- وقال الشيخ محمد بن صالح المنجد : قلت للشيخ مسلماً :

«يا شيخ محمد إن عشت فهو إن شاء الله خيرٌ لنا بهذه الفتاوى والدروس وما تنفع به الأمة، وإن رحلت فارجوا إن شاء الله أن ما عند الله خيرٌ لك مما عندنا، وليس في الدنيا كبير شيء يوسف على فراقه؟ فقال لي : أقول كما قال عمر بن عبد العزيز فيما رواه البخاري : إن للإيمان فرائض، وشرائع، وحدوداً، وستناً، فمن استكملها استكمل الإيمان، ومن لم يستكملها لم يستكمل الإيمان، فإن أعش فسأبينها لكم؛ حتى تعملوا بها، وإن أمت فما أنا على صحبتكم بحريص، ثم أشاح بوجهه وقال لي : هين، كلٌ يريد الحياة»^(٢).

(١) الدعوة، العدد ١٧٧٧.

(٢) شريط ١٠٠ فائدة من العلامة ابن عثيمين.

٦- وقال الأمير فيصل بن بندر :

« كان بكامل إدراكه للأمور وبأسلوبه نفسه وطريقته في النصيح والإرشاد، لقد اتصلت به عدة مرات في مستشفى الملك فيصل التخصصي، وظللت على اتصال به قبل أن يسافر إلى مكة، وأقول هنا : إنه كان في كلامه وإجاباته وصوته هو نفسه الشيخ محمد بن صالح العثيمين، الذي لم يتغير في صوته وإدراكه، وإيضاحه للأمور. لا تشعر بأن من يحبك إنسان مريض، ووصل معه المرض إلى هذا الحجم كان صوته يقول لك : هذا هو العالم الفذ في قمة عطائه، وتواصله مع الناس». ^(١)

٧- قال الشيخ عبد الله الجلالي :

«أيام مرضه رحمه الله عليه في رمضان لمدة شهر كامل، قضاه داخل المسجد الحرام في الصلاة الخاصة، كان قد وضع الميكروفون بجواره، وكنت أزوره بعد التراويح وهو في شبه نوم، وفي تعب شديد، فكان يتحدث إلى الجمهور داخل المسجد الحرام، ويجيب على الأسئلة، ويقول كلاماً موزوناً، ولم يؤثر فيه هذا المرض بالرغم أن هذا المرض قد أنهكه كثيراً، وكان إذا نبهه أهله وقد فاتت الفرصة كان يلومهم ويقول: لماذا لم توقظوني، حيث كان لا يرغب أن تفوت فرصة إلقاء الدرس من حرصه رحمه الله تعالى». ^(٢)

٨- وقال فضيلة الشيخ عبد الله بن عبد الرحمن الجبرين :

«كان آخر لقائنا في مكة ليلة ٢٧ من رمضان، حيث استأذنا في الوصول إليه، وجلست إلى جواره نحو خمس دقائق، فكان سؤاله عني أكثر من سؤالي عنه، لأنني

(١) الاقتصاد، العدد ٢٦٥٠.

(٢) شريط الإمام ابن عثيمين، (تسجيلات صدى التقوى بالرياض).

كنت لا أحب أن أشقّ عليه بتكرار السؤال لما أعلم من حالته الصحيّة، ولكنني كلما سكّتُ بادر هو بالسؤال عن أحوالي وأخباري»^(١).

وفي مقابل هذا العطاء المتواصل ومحبة الخير، والنصح للناس، بادلّه طلابه ومحّبوه هذا الشعور، فأخذت الوفود تتوافد على الشيخ في المستشفى التخصصي في الرياض لزيارته وعيادته، ولإلقاء النظرة الأخيرة عليه.

وقد سرّ الله لي بفضل عيادة الشيخ في الجناح الخاص به، والذي أطلق عليه : جناح كبار الشخصيات، وقد قمت بالسلام عليه والدعاء له، ووقع نظري على عينيه تنظران إليّ في شفقة ورحمة، وكأنيما تسترجعان تاريخ بداية قدمي عليه في عنيزة وهو في كامل صحّته ونشاطه وعافيته.

وقد وجدت أمام غرفته الوفود تلو الوفود كلّ في انتظار الإذن له بالدخول، فبعضهم جاء من مسافات بعيدة جداً، من المنطقة الشرقية، أو الغربية، أو القصيم. وقد يتسوّى له الدخول للسلام عليه، وقد يرجع وهو خائبٌ حسير نظراً لتعب الشيخ وإرهاقه من كثرة عائديه.

«وكان الشيخ يلاحظ عليه الانخفاض الواضح في وزنه، وهو الأمر الذي يصيب أغلب من يصابون بذات مرضه»^(٢).

«هذا وقد غادر الشيخ مستشفى الملك فيصل التخصصي بالرياض يوم الثلاثاء التاسع من رمضان متوجّهاً إلى مكة المكرمة بجوار بيت الله الحرام»^(٣).

(١) البلاد، العدد ١٦٢٢٣، نقلاً عن صفحات مشرقة ص ١٠٨.

(٢) الوطن، العدد ١٠٥.

(٣) مجلة التوحيد، العدد (١١) للسنة ٢٩.

ويحكى لنا أخو الشيخ ثلاثة مواقف تبين مدى محبة الناس له، ومدى ما وضع له من القبول في الأرض.

يقول الدكتور عبد الله العثيمين :

«ذات ليلة وأنا عند باب الغرفة التي كان فيها الشيخ رحمه الله، اقترب مني طفلان في العاشرة أو التاسعة من عمرهما، وقالوا : «حنّا عيال الخليوي يا عم، ودنا نشوف الشيخ محمد».

وما كان ألد على قلبي من أن ألبي رغبتيهما، وخرجا منه والسعادة بادية على وجهيهما أبقاهما الله لأسرتهما مصدر غبطة وحبور.

وفي ليلة أخرى كان الشيخ رحمه الله قد تعب بعد ساعة من رؤيته الزائرين، والدعاء المتبادل بينهم وبينه، ورغب في أن يرتاح، عند ذلك كان من بين من لم يكن هناك وقت لدخوله إليه، شاب يبدو في العشرين من عمره، فتقدّم إلى الباب مصمّماً على الدخول إلى الشيخ، وأخبر بأن الشيخ متعب، لكنه ازداد تصميماً على الدخول، وصاح : لا يمكن إلا أن أراه، فقد مات الشيخ ابن باز ولم أره، وانفجر باكياً، وأقنع أخيراً بأن يأتي مبكراً في مساء اليوم التالي، ففعل، وكان أول من دخل إلى الشيخ، فخرج منه سعيداً مسروراً.

أما الموقف الثالث فرمز وفاء ونبل : شيخ في التسعين من عمره، أو ينيف على ذلك، فقد بصره وخرج لتوه من المستشفى العسكري بعد إجراء عملية في قلبه، أثني به محمولاً في عربة، ودخل إلى الشيخ رحمه الله وأخذ يكي ويدعو، ذلكم هو النبل الكريم أبو خالد، عبد الله بن عبد الرحمن القاضي، متع الله به وأثابه أحسن الجزاء».^(١)

وقد سألت نفسي سؤالاً وطرحته على غيري بعد زيارتي للشيخ: ما الذي جعل الشيخ ابن عثيمين يُمرض في جناح كبار الشخصيات ؟

وليس هو من أصحاب الثراء أو الأرصدّة والعقارات، وليس من الأمراء والملوك، وليس هو من أصحاب المناصب المشهورة كالوزراء والمدراء.

بل لم يحصل الشيخ على شهادة الماجستير ولا الدكتوراة، إذاً ما الذي جعله يتبوأ هذه المكانة، ويأتيه المجتمع بكل طبقاته يعودونه.

الأمراء والوزراء والوجهاء والأثرياء والشباب والشبيبة والأطفال والعوام الدهماء وغيرهم... فكان الجواب الذي لا شك فيه :

إنه العلم، وهذه هي مكانة العلماء، وشرف أهل العلم الذي تواترت به النصوص والآثار.

ويكفي في هذا آية واحدة وهي قوله تعالى : ﴿شَهِدَ اللَّهُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَالْمَلَائِكَةُ وَأُولُوا الْعِلْمِ﴾.

فلم يقرن معهم من البشر أحداً في شهادتهم بالوحدانية، والتي هي أجل شهادة من أعظم شاهد - وهو الله عز وجل - .

فسبحان من بلغ الشيخ هذه المكانة السامقة.

مرضه بالالتهاب الرئوي :

قال الشيخ محمد صالح المنجد :

«كذلك فإن الشيخ رحمه الله لما نُقل من الحرم في آخر يوم، بعدما انتهى من الدرس لشدة الالتهاب الرئوي الذي أصابه إلى جدة في العيد عولج من هذا الالتهاب

الرثوي، فقال لي الطبيب المعالج: تحسنت حالة الشيخ، ففرحنا، ولكن ما زالت آثار السرطان باقية وشديدة.

قالوا: كان طيلة الوقت يقرأ القرآن، ويذكر الله، إذا أفاق يقرأ القرآن ويذكر الله^(١).

الأيام الأخيرة، الساعات الأخيرة :

قال الشيخ المنجد : قال الطبيب المعالج :

«وفي آخر ليلتين اشتدّ عليه المرض جدّاً، وسمعناه يقرأ أشياء من القرآن فاستمعنا وأنصتنا.

فقال : فسمعناه يقرأ قول الله تعالى : ﴿إِذْ يُغَشِّكُمُ النُّعَاسُ أَمَنَةً مِنْهُ﴾. قال : فأعجبنا ذلك، ثم في آخر يومين اشتدّ عليه المرض جدّاً^(٢).

وقد وصف الدكتور رضوي (الطبيب المعالج) الأيام التي قضاها بجوار الشيخ بأنّه كان يحسّ بالألم لمرض الشيخ، وأنه يتعامل معه مثل ما يتعامل الابن مع أبيه، وكنت أدعو الله له بالشفاء؛ لكن قدر الله كان أسرع.

وذكر الدكتور رضوي بأن الشيخ رحمه الله كان قليل الكلام كثير الحمد والاستغفار.

وقد سمعه يقرأ سورة الفاتحة، وفي مرّات أخرى كان يتمنّى لصعوبة حالته الصحيّة، وعندما سأل أبنائه عن ما يتمنّى به الشيخ ذكروا بأنه يقرأ القرآن، وهذا هو ديدن العلماء أمثال فضيلة الشيخ رحمه الله^(٣).

(١) شريط ١٠٠ فائدة من العلامة ابن عثيمين.

(٢) ١٠٠ فائدة من شريط العلامة ابن عثيمين.

(٣) الوطن، العدد ١٠٨.

شوقه للقاء الله.

قال الشيخ عبد الله بن محمد اليحيى (وكيل وزارة العدل) :

«في آخر أيامه كان الشيخ يوصي من يزوره بتقوى الله عز وجل، والدعوة إلى الله، والقيام بحقوق الناس، وكان يقول : إنه اشتاق لملاقاة ربّه»^(١).

وصيته.

كان الشيخ رحمه الله تعالى لا يكاد يفتر من التصحح للآخرين حتى في أشد لحظات مرضه. وكان يوصي العامة والخاصة.

وتتلخص الأمور التي أوصى بها الشيخ قبل موته في ثلاثة أشياء :

١- وصيته العامة بتقوى الله عز وجل، والاجتهاد في الدعوة إلى الله تعالى.

قال إبراهيم بن محمد بن عثيمين (ابن الشيخ) عن وصية الشيخ محمد آخر حياته وأيام المرض :

«كان يوصينا بمثل ما يوصي به الأمة الإسلامية كلّها بتقوى الله عز وجل، والعلم، والحرص على الخير، وطاعة ولاة الأمر في مرضاته، والدعوة إلى الله تعالى، ومحبة الفقراء والمحتاجين»^(٢).

وقال الشيخ حمود بن عبد العزيز الصائغ :

• إنه أوصى بتقوى الله عز وجل.

• والدعوة إليه بالحكمة والموعظة الحسنة.

(١) الجزيرة، العدد ١٠٣٣٧.

(٢) الرياض، العدد ١١٨٨٩.

- وعدم الاستعجال في الأمور، والرفق، والتأسي بهدي النبي ﷺ في ذلك.
- وأن على الإنسان إذا رأى منكراً ألا تحمله الغيرة على أن يتصرف من منطلقها بدون تأمل بالعواقب والنظر في الأمور.

وذكر بأن الاستعجال في الفتوى لا يحسن من الإنسان، بل عليه أن ينظر إلى العواقب قبل أن يفتي بفتوى، وأكد على موضوع الحكمة، والصبر على الدعوة إلى الله تعالى»^(١).

وقال الشيخ صالح الوثيان :

- «كانت وصيته الشفهية من دون واسطة وهو ممدد على الفراش أنه يقول :
- عليكم بالجدّ في دعوة الناس إلى الله.
 - عليكم بالتيسير على الناس.
 - عليكم بنبذ الفرقة والاختلاف والشحناء وتفهم الأمور والحكمة في الدعوة إلى الله تعالى»^(٢).

قلت : فرحة الله على هذا الإمام الذي نصح ووصّى وهو على فراش المرض، ومشارف الموت، ولم يدخر جهداً في بذل الوصية الجامعة النافعة لعموم الأمة، وللولاة والرعية.

٢- وصيته بالجامع والدروس.

لم ينس شيخنا المترجم جامعته العظيمة التي كانت مصدر نور وهداية، ليس لعنيزة فقط، بل للعالم أجمع، أي الجامع الكبير الذي تعاقب عليه علماء أفاضل، كان

(١) الدعوة، العدد ١٧٧٧.

(٢) شريط (وخسف القمر، ورحل العلامة ابن عثيمين) نقلاً عن صفحات مشرقة ص ١٥٢.

شيخنا من آخرهم، فحمل همّه وحرص قبل موته على تنظيم أموره ليستمرّ هذا الخير والعطاء.

فقد : «أوصى، ووضع من يخلفه ويقوم بشؤونه - أي الجامع الكبير بعنيزة - وأن يقوم الشيخ محمد بن سليمان السلطان بصلاة وخطبة الجمعة - (وصلاة الاستسقاء والأعياد) -، وأن يقوم الشيخ سامي بن محمد الصقيّر بصلاة الفروض، وأن يخلفه في الدروس اليومية :

- الشيخ خالد بن عبد الله المصلح «بتدريس التوحيد والحديث».
 - والشيخ عبد الرحمن بن صالح الدهش «بتدريس اللغة العربية والتفسير».
 - والشيخ سامي بن محمد الصقيّر «بتدريس الفقه والفرائض».
- وأن تقام الدروس في نفس المكان الذي كان يلقي فيه دروسه رحمه الله. وأن يقوم بشؤون الطلاب كلّ من الشيخ: عبد الرحمن الدهش، والشيخ خالد المصلح»^(١).
- ٣- وصيته الخاصة بموته ودفنه.

«وفي اللحظات الأخيرة لوفاته، والتي تجمّع فيها أبنائه حوله في تخصّصي جدة كان يذكّرهم بضرورة تعجيل دفنه بعد موته.

يقول : خالد العثيمين : لقد كانت هذه نصيحة الشيخ لذوي كلّ من حضرته الوفاة، يذكّرهم بسنة المصطفى عليه أفضل الصلاة والسلام»^(٢). «ويذكر أنه أوصى الأطباء بأنه إذا وافته المنية أن لا يحاولوا استخدام الصدمات الكهربائية لإنعاش قلبه»^(٣).

(١) الجزيرة، العدد ١٠٣٣٥.

(٢) الوطن، العدد ١٠٥.

(٣) الوطن، العدد ١٠٨.

أمنيته :

لا شك أن أمانى الرجال تكون على قدرهم،
وإذا كانت النفوس كباراً تعبت في مُرَادِها الأجسامُ
وشبخنا من أعظم رجال هذا العصر همةً وعملاً، فيا تُرى ماذا كانت أمنيته
قبل موته !!؟

لقد ثمنى الشيخ - فيما وصلنا - أمنتين عظيمتين يتمناها كل مسلم :

الأولى : الشهادة :

قال عبد الله خان :

«لقد كانت أمنية شيخى محمد أن ينال الشهادة؛ حيث كنت أرافقه ذات يومٍ
وحصل موقف، وقال رحمه الله : يا عبد الله أتمنى موت الشهادة.
وحقق الله ما يريد، ومات رحمه الله شهيداً؛ لأنه ورد عن النبي ﷺ أنه قال :
«المبطون شهيد» وشيخى أصابه داء البطن»^(١).

والثانية : الموت على طاعة والدفن في الحرم.

قال الشيخ محمد صالح المنجد :

«وكانت له أمنية حدث بها أحد المشايخ فقال : «أنا أريد أن أموت وأنا قريب
من الكعبة أنشر العلم» وكان الشيخ يرى نشر العلم من أعظم القربات»^(٢).

(١) الرياض، العدد ١١٨٩٩.

(٢) شريط : ١٠٠ فائدة من العلامة ابن عثيمين.

الساعة الأخيرة :

«تحدث الدكتور عامر رضوى (الطبيب المعالج) عن آخر ساعة في حياة الشيخ ابن عثيمين قائلاً : إنه كان يقرأ القرآن الكريم، ثم دخل في غيبوبة، وبعدها بساعة انتقل إلى جوار ربّه الكريم»^(١).

وذكر أحد طلاب الشيخ أنه كان يردّد - رحمه الله - الآية الكرّمة : ﴿يَا أَيُّهَا الْإِنْسَانُ إِنَّكَ كَادِحٌ إِلَىٰ رَبِّكَ كَدْحًا فَمُلَاقِيهِ﴾^(٢).

(١) الوطن، العدد ١٠٨.

(٢) المصدر السابق.

الفصل الثاني

الوفاة وما بعدها

قال الله تعالى لنبية ﷺ: ﴿وَمَا جَعَلْنَا لِبَشَرٍ مِنْ قَبْلِكَ الْخُلْدَ أَفَإِنْ مِتَّ فَهُمْ الْخَالِدُونَ﴾.

وقال تعالى: ﴿كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ﴾.

وقال تعالى: ﴿إِنَّمَا تُكُونُوا يُذَرِّكُمْ الْمَوْتُ وَلَوْ كُنْتُمْ فِي بُرُوجٍ مُشِيدَةٍ﴾.

فقد كتب الله الموت على كل نفس مخلوقة طال عمرها أم قصر، فقد مات الأنبياء والمرسلون، ومات الخلفاء الراشدون، ومات الأئمة المرضيون، ومات الدعاة والمصلحون. فمن أصيب بمصيبة الموت في أحد ذويه أو محبيه فليتصبر بالمصيبة الكبرى في وفاة نبينا ﷺ.

وقد مات ابن عثيمين كما مات من قبله، ونرجو له من الأجر والثوبة وسكنى الفردوس الأعلى ما نرجوه لأمثاله من العلماء الصادقين المجاهدين في الله حق جهاده.

سائلين المولى جلت قدرته أن يجعل هذا المرض تكفيراً للخطايا، ورفعة للدرجات، وأن يكتبه في الشهداء، وأن يُجرى عليه أجر علمه وتعليمه ودعوته بعد موته إلى قيام الساعة، وإنا لله وإنا إليه راجعون.

قال الشيخ عبد الرحمن الرئيس :

«كانت حالة الشيخ مستقرة صباحاً يوم الأربعاء يوم وفاته - يعني ١٥ / ١٠ /

١٤٢١ هـ - حتى الساعة الواحدة ظهراً، فقد كان مستلقياً مفتحاً عينيه، وقد بدا

عليه التعب الشديد، وبدأ العرق يخرج منه، وكأنه يشعر بشيء، ولوحظ أنه يكرر ذكر الله، وتبين ذلك في حركة أصبعه وشفتيه، وقد كان القلب وجميع أجهزته طبيعية، كذلك التنفس، وكان الأوكسجين موضوعاً في فم الشيخ إلى أعلى درجته، ومع ذلك كان لدى الشيخ هبوط في الأوكسجين، حتى استدعى الأطباء، فحضروا جميعاً إلى غرفة الشيخ، فقالوا حسب خبرقم : إن هذا بداية خروج الروح، فبدأ الموجودون عنده في الغرفة ومنهم : أخوه عبد الرحمن وابنه عبد الرحمن يذكرون الله، ويقرؤون عليه سورة ﴿يس﴾.

وبعدما شاهدوا رعشة خفيفة جداً لدى الشيخ، فخرجت الروح وتوقفت جميع الأجهزة، وتوفي الشيخ رحمه الله تعالى»^(١).

سنه وعمره :

«توفي الشيخ يوم الأربعاء الخامس عشر من شهر شوال لعام ١٤٢١ هـ في الساعة الخامسة وخمس وخمسين دقيقة»^(٢). قبل غروب شمس ذلك اليوم. وعليه فيكون عمره يوم الوفاة أربعة وسبعين عاماً وثمانية عشر يوماً بالسنين القمرية^(٣).

التفصيل والتكفين :

قال الشيخ عبد الرحمن الرئيس :

«الذين قاموا بتفصيل الشيخ وتكفينه شاهدوا نوراً وبشاشة في الوجه، وسهولة في التفصيل، حتى إن المغسلين تفاجؤوا من نظافة الشيخ عندما أتوا به، وكانوا

(١) الدعوة، العدد ١٧٧٦.

(٢) الجزيرة، العدد ١٠٣٣٣.

(٣) الوطن، العدد ١٠٥.

يعتقدون أنه قد غُسل قبل مجيئه، وبسبب ارتخاء في الفكّين كان فم الشيخ مفتوحاً ظاهرة أسنانه، وكأنه مبتسم، فحاول ابنه عبد الرحمن قفل فم الشيخ لمدة نصف ساعة، ومع ذلك لم يستطيعوا، وبعد وفاة الشيخ كان قد وُضع في ثلاجة المستشفى العسكري بجدة، ولم يوجد غيره فيها، وغُسل في نفس المستشفى^(١).

نقله من جدة إلى مكة، والصلاة عليه، وتشيعه :

نُقل الشيخ من جدة من المستشفى التخصصي وسط جموع المشيعين الغفيرة من طلابه ومحبيه، في سيارة الإسعاف المجهزة لذلك، ووصل إلى المسجد الحرام عند الساعة الثالثة والنصف قبل صلاة عصر يوم الخميس الموافق السادس عشر من شهر شوال ١٤٢١هـ.

وقد امتلأ المسجد الحرام بالمصلين، وأغلقت العديد من المداخل إلى المسجد الحرام نظراً لزحام السيارات الشديد، وقُدّم الشيخ للصلاة عليه أمام الكعبة المشرفة في المكان الذي صلى هو فيه على شيخه ابن باز، في يوم الجمعة ٢٨ محرم ١٤٢١هـ، أي كان بين موته وموت شيخه سنة وتسعة أشهر وثلاثة عشر يوماً تقريباً، وهو حقيق أن يقال فيه مثل ما قيل في شيخه :

هَذَا إِمَامُ الْجِيلِ فِي نَعْشِهِ قُومُوا انْظُرُوا كَيْفَ تَزُولُ الْجِبَالُ^(٢)

ها هو الشيخ العالم العامل المجاهد مسجّى في مشلحه أمام بيت الله الحرام للصلاة عليه، إنها أمنية الشيخ قد تحققت، وأكرمه الله تعالى بها، وهو سبحانه وتعالى أجود الأجودين وأكرم الأكرمين.

(١) الدعوة، العدد ١٧٧٦.

(٢) إمام العصر ص ٢٤٩.

تقدّم المصلين صاحب السمو الملكي الأمير نايف بن عبد العزيز.
 وصاحب السمو الملكي الأمير فيصل بن بندر بن عبد العزيز، أمير منطقة القصيم.
 وصاحب السمو الملكي الأمير مشعل بن ماجد بن عبد العزيز، محافظ محافظة جدة.
 وعدد كبير من أصحاب الفضيلة العلماء، وأعضاء هيئة كبار العلماء والمشايخ
 وطلبة العلم، وكان إمام الصلاة فضيلة الشيخ محمد السبيل.

وقد يسّر الله لي الوصول إلى المسجد الحرام، وأدركت آخر صلاة العصر،
 وانتظرت مع الجموع الحاشدة - والتي تقدّر بنصف مليون - حتى كبر الإمام
 لصلاة الجنازة أربع تكبيرات، قطعت نياط القلوب وسط دموع الناس وبكائهم على
 فقيه الأمة وحرر العصر. في هذا المكان المبارك المعمور بطاعة الله، والذي طالما عمّره
 الشيخ بالدعوة إلى الله تعالى

وتعليم العلم، والصلاة فيه، والاعتمار، والنصح، وإرشاد الخلق.
 ووالله إنها لساعات رهيبة مرت على قلوب محبيه وهم يتذكرون شيخهم الذي
 كان صوته يملأ أرجاء الحرم، وفتاواه تطير هنا وهناك.

ها هو جاءه الأجل المحتوم الذي كُتب على كل نفس كما قال تعالى: ﴿كُلُّ
 نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ وَإِنَّمَا تُوَفَّقُونَ أُجُورَكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَمَنْ زُخْزِحَ عَنِ النَّارِ وَأُدْخِلَ
 الْجَنَّةَ فَقَدْ فَازَ وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا مَتَاعُ الْغُرُورِ﴾.

عقب الصلاة تدافع الناس لحمل الجنازة وتشيعها، وتزاحوا وتدافعوا أيهم
 يحملها، حتى كادت تسقط من أيديهم ومن على أكتافهم، لكن قوات الشرطة
 كانت أكثر تنظيماً وحزمًا في معالجة هذا الأمر الخطير، وقد استفادت يقيناً مما
 حصل في جنازة الإمام ابن باز رحمه الله تعالى.

فكانت الشرطة تحيط بالجنائز، وتحاول دفع هذا التراحم الشديد، الذي كاد يهلك طائفة من المشيعين حتى خرجت من باب الملك عبد العزيز، ووضعت في سيارة الإسعاف متجهة إلى مقابر العدل، وحولها الناس من كل جهة.

وتدافع الناس للذهاب إلى المقابر، فمن سائر على قدميه، ومن راكب، ومن هائم على وجهه لا يدري ماذا يصنع.

حتى امتلأت شعاب مكة ووهادها بالبشر وسياراتهم، ورأى أهل مكة منظراً لم يرونه من قبل في الأيام العادية إلا في جنازة الشيخ ابن باز رحمه الله تعالى.

ودخلت الجنائز إلى المقبرة وسط هذا الزحام، ولم يستطع الكثير الوصول إلى القبر أول الأمر، فوقفوا على المرتفعات والمضارب والأسوار المحيطة بالمقبرة يدعون لشيخهم ويودّعون.

ونزل الجثمان من على الأكتف، والأيدي؛ التي كثيراً ما دعت للشيخ وصافحته. أنزلوه ليوضع في قبره ولحده قريباً من شيخه الإمام ابن باز، فليس بينه وبينه إلا خطوات معدودة.

لحده :

قال خالد بن علي الزمام (أحد طلبة الشيخ) :

«لما سافرنا للصلاة عليه، من الله عليّ بدخول المقبرة والتزول إلى قبره، وتنزيله في لحده، والدعاء له.

وكان الذي لحده ولده عبد الرحمن لرغبته بذلك، وحين التلحيد كان واقفاً على القبر صاحب السمو الملكي الأمير فيصل بن بندر، أمير منطقة القصيم.

والشيخ محمد بن سبيل، والشيخ صالح بن حميد، والأخ متعب الطيار، وزوج ابنته الأخ خالد المصلح؛ حيث قدم مع الجنازة ومعه أولاده سوى عبد الله الذي كان خارج المقبرة أثناء الدفن، والأخ خالد الفضل الذي بصحبتنا في الرحلة»^(١).

مَا كُنْتُ أَحْسَبُ قَبْلَ دَفْنِكَ فِي الثَّرَى أَنَّ الْكَوَكِبَ فِي السَّمَاءِ تُمُورٌ^(٢)

التعزية :

قال الشيخ محمد بن صالح المنجد :

«والشيخ رحمه الله كان في حياته لا يرى بالجلوس للعزاء، وكان يُنفذ ما يراه صواباً، فلما مات أبوه ولما ماتت أمه لم يفتح بيته للعزاء، تلتقى العزاء في المسجد، في الطريق، وهكذا فعل أولاده من بعده - رحمه الله تعالى رحمة واسعة -»^(٣).

وقد أوضح الدكتور عبد الله العثيمين شيئاً مما أثير في مسألة التعزية فقال:

«أما بالنسبة للعزاء فقد تردّد في المجالس، وفي بعض الكتابات أنه قد أوصى بعدم الجلوس للتعزية به.

والوصية عرفاً لها مفهومها، مكتوبة أو منطوقة.

والواقع أن الشيخ رحمه الله تعالى لم يوص كتابة أو شفهاً بعدم الجلوس للتعزية به، لكنه كان لا يرى من حيث المبدأ الجلوس للتعزية، وطُبق رأيه هذا بعدم جلوسه للعزاء في المنزل عند وفاة والده ثم وفاة أمه، رحمهما الله، ولأن عدم الجلوس للتعزية هو موقفه، رأياً وتطبيقاً؛ فإن أولاده وبقية أفراد أسرته لم يلبسوا

(١) الرياض، العدد ١١٨٨٩.

(٢) مجلة التوحيد، العدد ١١، السنة ٢٩.

(٣) شريط : ١٠٠ فائدة من العلامة ابن عثيمين.

للعرء؛ مكتفين بما حدث من تعزية لهم في المقبرة التي دُفِن فيها، وفي مسجد الجامع بعنيزة وغيره من المساجد، وما تلقَّوه من تعزيات عبر الهاتف، أو من خلال البرقيات والكتابات»^(١).

الرؤى والبشارات.

قال الشيخ شادي السيد أحمد عبد الله تحت عنوان (بشارات للشيخ) :

«لقد رأى عدد من الناس وطلاب العلم رؤى كثيرة للشيخ رحمه الله تعالى سواء قبل موته أو بعده، وسأكتفي هاهنا بذكر بعضها :

١ - جاءت امرأة إلى الشيخ تسأله عن رؤيا رأتها لرجلٍ تعرفه، فأولها الشيخ بأن هذا الرجل الذي رأت له الرؤيا مغفورٌ له ومقبول حجّه، فقالت المرأة: رأيتك أنت! فبكى الشيخ لذلك تواضعاً وفرحاً^(٢).

٢ - حدثني أحد مشايخي أنه رأى رحمه الله تعالى - فجر يوم الخميس - بعد موته وقبل أن يدفن، وهو مسجّى ليصلّى عليه، فذهبت - والكلام لشيخه - وقبلت يده وجبينه، فإذا عليه هالة من نور، ووجهه أبيض من اللبن، ومعروف أن الشيخ أسمر اللون، فنصحني، فقممت من النوم وأنا مستبشر.

٣ - أخبرني أخٌ لي عن زميله - وأحسبه من الصالحين - أنه رأى النبي ﷺ قد مات، فأولها بعض طلبة العلم أن سنة من السنن ستندثر، أو أن عالماً من أهل السنة سيقبض، وبعد هذه الرؤيا بيومين فقط مات الشيخ ابن عثيمين^(٣).

(١) الرياض، العدد ١١٨٩٦.

(٢) انظر التعليق الآتي على هذه الرؤيا.

(٣) مجلة التوحيد المصرية، العدد (١١) السنة ٢٩.

٤- وقال الشيخ ناصر بن محمد بن عثمان العمري (رئيس المحكمة المستعجلة بتيوك، المساعد) :

«في إحدى ليالي رمضان لهذا العام رأيت وأنا نائم أنني في أرض فلاة واسعة ومعشبة، ومعني شخص آخر في ليلة مقمرة، وبينما نحن نتحدث وننظر إلى القمر وهو في صورة البدر التمام إذا به ييسم عن ثغري، وأخذ يتدرج في الاختفاء قليلاً قليلاً، وهو يتسهم، حتى اختفى تماماً.

فأخذ كل منا ينظر إلى الآخر في ذهولٍ وتعجبٍ، وقد حفّ بنا الظلام من كل جانب، ولم نعد نر في السماء إلا النجوم.

ثم قابلت بعد ذلك شخص آخر أعرفه أيضاً، وقلت له : ألم تر إلى القمر كيف اختفى عنا بطريقة عجيبة، فما ردّ علي سوى أن قال : إنه قدر الله.

وبعدما أفقت من نومي أحسست أن شيئاً ما سيحدث، وأصبحت قلقاً وكنت كلما تذكرت تلك الرؤيا طمعت في أن أجدها تفسيراً، لكنني كنت أتردد في عرضها لتخوفي من نتيجة تفسيرها، رغم إحساسي العميق أن شخصاً عظيماً سنفقده، ويودّعنا ونودّعه.

ثم صليت بعدها صلاة التراويح مع أحد أئمة المساجد، فكان يدعو في القنوت بالشفاء العاجل للشيخ محمد رحمه الله، فأحسست عند ذلك برهبة عظيمة، ودبت في جسدي القشعريرة، وسالت مني دموع غزيرة، وتذكرت عند ذلك تلك الرؤيا العجيبة، فصرفت تفكيري عنها محاولاً إقناع نفسي بأنها مجرد أضغاث أحلام، ثم خسف القمر في اليوم الرابع عشر من شهر شوال هذا العام، فقلت : لعل هذا تأويل رؤياي، لكن القمر الذي رأيته هو بدر التمام، فساورني عند ذلك الشك في هذا

التأويل، وما إن غربت شمس اليوم الخامس عشر من شهر شوال إلا وقد جاء الخبر الذي لم يكن بالحسبان، فنزل عليّ مثل الصاعقة المدوية، وقلت في نفسي : هذا تأويل رؤيائي...»^(١).

تعليق على رؤيا المرأة.

كما سبق في أول الرؤى أن امرأة رأت رجلاً بعدما حجّ وهو عريان، وأن الشيخ محمد أولها بأن هذا دليل على أن الرجل غُفر له ذنبه، فقالت له: هو أنت يا شيخ.. إلخ. هذه الرؤيا قد اشتهرت وانتشرت، وذاع صيتها نظراً لأنها كانت في برنامج (سؤال على الهاتف) الذي يسمعه الناس في بيوتهم وأماكنهم عبر المذياع، ومع ذلك فقد نقل غير واحد عن الشيخ تكذيبها.

من ذلك ما رواه الشيخ فهد بن عبد الله السنيدي قال :

«فسألته رحمه الله عن ذلك فأنكرها، وقال : ما أذكر هذا، ولا أذكر أنني بكيت، وهذه المرأة مجهولة لا يؤخذ بقولها».^(٢)

وقد جاء عن الشيخ أحمد بن عبد الله القرعاوي (أحد تلاميذ الشيخ) نحو من هذا الكلام، فقال :

«وقد كثر السؤال عن هذه الرؤيا من الناس من خلال الاتصالات أو المقابلات، فعرضت هذا الموضوع (الرؤيا) على فضيلة الشيخ محمد بن صالح العثيمين رحمه الله قبل وفاته، فأنكر صحّة هذه الرؤيا، مؤكداً أنها غير صحيحة... إلخ».^(٣)

(١) الرياض العدد ١١٨٨٩.

(٢) الدعوة، العدد ١٧٨١.

(٣) الدعوة، العدد ١٧٧٩.

تواريخ هامة في حياة الشيخ - رحمه الله تعالى - :

- الأحد ١٣٧٦/٦/٢٦ هـ أول صلاة صلاها إماماً في الجامع الكبير بعنيزة صلاة الظهر.
- رمضان ١٤٠٣ هـ، أو ١٤٠٥ هـ صلى إماماً بالناس في المسجد الحرام في القيام بعض الليالي، وقيل ١٤٠٢ هـ فالله أعلم.
- عام ١٤٠٧ هـ صدر قرار تعيينه عضواً في هيئة كبار العلماء بالمملكة.
- عام ١٤١٤ هـ حصل على جائزة الملك فيصل الخيرية لخدمة الإسلام.

أواخر :

- ١٤٢١/٢/١٤ هـ آخر لقاء تم في منزله.
- ١٤٢١/٣/١٥ هـ آخر دورة صيفية درسها الشيخ بعد المغرب.
- ١٤٢١/٤/١٠ هـ آخر الدروس الصباحية والمسائية.
- ١٤٢١/٤/٢٠ هـ يوم السبت : آخر اللقاءات الشهرية في الجامع الكبير.
- ١٤٢١/٥/٢ هـ يوم الأربعاء : المحاضرة التي ألقاها الشيخ في بوستن بأمريكا، بعنوان (وحدة المسلمين).
- ١٤٢١/٥/٤ هـ خطبة الجمعة التي ألقاها الشيخ في المركز الإسلامي بأمريكا، ونقلت إلى جامع الأشرفية بعنيزة.
- ١٤٢١/٧/٣٠ هـ آخر خطبة جمعة بعنيزة.

درج الدر الثمين ٤٠٣

- ١٤٢١ هـ / ٨ / ٢ يوم الأحد، آخر درس بعد صلاة العصر، وكان شرحاً لكتاب الجنائز من مشكاة المصابيح.
- ١٤٢١ هـ / ٨ / ٣ آخر صلاة صلاها في عنيزة هي صلاة الاستسقاء.
- ١٤٢١ هـ / ٩ / ٢٩ آخر درس ألقاه في المسجد الحرام بعد صلاة التراويح، وهو على فراش المرض، وهو آخر دروسه رحمه الله تعالى.^(١)

~~~~~

---

(١) انظر فيما سبق : شريط ابن عثيمين علم وعمل، لتسجيلات الاستقامة، ومجلة الدعوة، العدد ١٧٧٧، والاقتصادية، العدد ٢٦٥٠.

رَفَعُ

عبد الرحمن النجدي  
أسكنه الله الفردوس

رَفَعُ  
عبد الرحمن النجدي  
أسكنه الله الفردوس

## الباب الرابع ثناء الناس عَلَيْهِ رحمه الله تعالى

الملوك، والأمراء، والعلماء، والوجهاء، والدعاة،  
والمؤسسات الإسلامية في الداخل والخارج

رَفَعُ

عبد الرحمن النجدي  
أسكنه الله الفردوس

## در الثمين ٤٠٧

بعث خادم الحرمين الشريفين الملك فهد بن عبد العزيز - حفظه الله تعالى - برقية إلى شقيق الشيخ، جاء فيها :

«فلقد كدّرنا أشد الكدر نبأ وفاة شقيقكم فضيلة الشيخ محمد، وإننا إذ نبعث إليكم وإلى جميع أسرتم بأحر تعازينا ومواساتنا لنبتهل إلى المولى جل وعلا أن يتغمّده بواسع رحمته ومغفرته، ويسكنه فسيح جناته، وأن يلهمكم الصبر، ويجزل لكم الأجر، ويعوّضكم والمسلمين بفقده خيراً، والحمد لله على قضائه وقدره (إنّا لله وإنّا إليه راجعون)»<sup>(١)</sup>

وبعث برقية أخرى إلى أبناء الشيخ جاء فيها :

المكرم عبد الله بن محمد بن صالح بن عثيمين وإخوانه :

«السلام عليكم ورحمة الله وبركاته.. وبعد :

فلقد كدّرنا أشد الكدر نبأ وفاة والدكم، وإننا إذ نبعث إليكم وإلى جميع أسرتم بأحر تعازينا ومواساتنا، لسأل الله جلّت قدرته أن يتغمّده بواسع رحمته ومغفرته، ويسكنه فسيح جناته، ويلهمكم الصبر، ويهبكم جزيل الأجر، ويعوّضكم والمسلمين بفقده خيراً، والحمد لله على قضائه وقدره، (إنّا لله وإنّا إليه راجعون)»<sup>(٢)</sup>

فهد بن عبد العزيز آل سعود

وبعث صاحب السمو الملكي الأمير عبد الله بن عبد العزيز، ولي العهد ونائب رئيس مجلس الوزراء، ورئيس الحرس الوطني، برقية عزاء إلى عبد الله بن محمد بن صالح بن عثيمين وإخوانه في وفاة والدهم فضيلة الشيخ محمد بن صالح بن عثيمين هذا نصّها :

(١) الجزيرة، العدد ١٠٣٣٣.

(٢) جريدة المدينة، العدد ١٣٧٧٨.

«السلام عليكم ورحمة الله وبركاته.. فلقد علمنا نبأ وفاة والدكم، وكدرنا ذلك، وإننا لنبعث لكم ولكافة أفراد أسرتم أحراً تعازينا وصادق مواساتنا، ونسأل الله جلت قدرته أن يتغمده بواسع رحمته ورضوانه، ويسكنه فسيح جناته، ويهبكم الصبر، ويجزل لكم الأجر، ويعوضكم والمسلمين بفقده خيراً، والحمد لله على قضائه وقدره (إنّا لله وإنا إليه راجعون)»<sup>(١)</sup>.

عبد الله بن عبد العزيز آل سعود

وبعث صاحب السمو الملكي الأمير سلطان بن عبد العزيز، النائب الثاني لرئيس مجلس الوزراء، ووزير الدفاع والطيران، والمفتش العام، برقية عزاء إلى عبد الله بن محمد بن صالح العثيمين وإخوانه في وفاة والدهم فضيلة الشيخ محمد بن صالح العثيمين هذا نصّها :

المكرم عبد الله بن محمد بن صالح العثيمين وإخوانه :

«السلام عليكم ورحمة الله وبركاته.. وبعد :

فقد بلغنا نبأ وفاة والدكم، وكدرنا ذلك، وإننا إذ نبعث لكم ولأفراد أسرتم جميعاً بتعازينا ومواساتنا، نسأل الله سبحانه وتعالى أن يتغمّد الفقيد بواسع رحمته ومغفرته، ويسكنه فسيح جنّاته، وأن يجزل لكم الأجر، ويهبكم الصبر، ويعوضكم والمسلمين بفقده خيراً، إنه سميع مجيب، والحمد لله على قضائه وقدره (إنّا لله وإنا إليه راجعون)»<sup>(٢)</sup>.

سلطان بن عبد العزيز آل سعود

وقال صاحب السمو الملكي الأمير ممدوح بن عبد العزيز :

«إنّ وفاة الشيخ الفاضل، والعلامة البارز فضيلة الشيخ محمد بن صالح ابن عثيمين تعتبر خسارة كبيرة للعلم وطلّابه في هذه البلاد وجميع بلاد المسلمين التي وصلت إليها

(١) الجزيرة، العدد ١٠٣٣٣.

(٢) المصدر السابق.

## در الثمين ٤٠٩

كتب الشيخ ومؤلفاته الكبيرة، وفتاواه الكثيرة.. ولا أدل على مكانة الشيخ وفضله أكثر من هذه الجموع العظيمة التي حضرت لأداء صلاة الجنازة عليه طمعاً في الثواب، والحرص على الدعاء له مقابل ما قدمه من أعمال جليلة<sup>(١)</sup>.

ممدوح بن عبد العزيز آل سعود

وقال صاحب السمو الملكي الأمير فيصل بن بندر بن عبد العزيز (أمير منطقة القصيم) :

«إن فضيلة الشيخ محمد بن صالح بن عثيمين يعتبر فقيداً للعلم في العالم الإسلامي، نذر حياته وسخر جهوده للبحث والتأليف والتنقيب والتحقيق في شتى المسائل العلمية، وخاصة المسائل الفقهية التي برع فيها بشكل قل أن يكون له نظير ومثيل، ولا شك أن منطقة القصيم قد فقدت أحد علمائها الأفاضل.

وكان رحمه الله باراً بأهلها، وخاصة طلاب العلم.

وكان يمتلك أسلوباً فريداً ومحجباً في بيان المسائل، وشرح الدروس بشكل علمي محبب؛ مما يجعل التفاعل معه قوياً، والاستفادة منه كبيرة.

وقد كنت أحرص على الاستشارة برأيه دائماً، وأحرص على زيارته وسماع توجيهاته الطيبة التي دائماً ما تكون في جو من لطف أخلاقه وحرصه على معاملة الجميع، مسؤولين وطلاب علم، كأنهم أحد أبنائه غفر الله للفقيد، وعوض بلاد الحرمين الشريفين عنه خيراً، وعلماء آخرين يحملون راية العلم والدعوة التي قامت عليها هذه الدولة المباركة و﴿إنا لله وإنا إليه راجعون﴾<sup>(٢)</sup>.

فيصل بن بندر بن عبد العزيز آل سعود

(١) عكاظ، العدد ١٢٥٥٧.

(٢) المصدر السابق.

وقال صاحب السمو الملكي الأمير عبد العزيز بن ماجد بن عبد العزيز (نائب أمير منطقة القصيم) :

«لقد فقدنا بوفاة الشيخ ابن عثيمين رمزاً من رموز العلم والفقه في العالم الإسلامي، سخر جل حياته لخدمة الدين الإسلامي ونشر تعاليمه السمحة.

وأضاف سموه : وإن عزاءنا في الفقيه ما تركه لنا من المؤلفات والرسائل الدينية، وما قدّمه من جهود مضيئة في سبيل خدمة الدين.

ورفع سمو نائب أمير منطقة القصيم التعازي إلى مقام خادم الحرمين الشريفين، وسمو ولي عهده الأمين، وسمو النائب الثاني، وسمو أمير منطقة القصيم، وللشعب السعودي، ولأسرة الفقيه، داعياً المولى عز وجل أن يتنمّد الفقيد بواسع رحمته، وأن يلهم أهله وذويه الصبر والسلوان»<sup>(١)</sup>.

عبد العزيز بن ماجد آل سعود

وقال سماحة مفتي عام المملكة الشيخ عبد العزيز آل الشيخ :

«الحمد لله والصلاة والسلام على نبينا محمد وعلى آله وأصحابه أجمعين، العزاء لأنفسنا وللمسلمين جميعاً في فقيدنا الشيخ المبارك، نرجو الله أن يغفر ذنبه، ويقلل عثرته، وأن يلحقه بال صالحين، وأن يرزق أولاده الصبر والاحتساب، وأن يخلفه عليهم بخير، إن فقدان العلماء أمرٌ عظيم، ولكن عزاءنا أن هذا قضاء الله وقدره، والمؤمنون أمام المصائب يصبرون ويحتسبون، ويرضون عن الله ﴿الَّذِينَ إِذَا أَصَابَتْهُمْ مُصِيبَةٌ قَالُوا إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ﴾. أُولَئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَاتٌ مِنْ رَبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُهْتَدُونَ»، ونسأله أن يبارك في علمائنا وأن يوفقهم، ويجمع كلمتهم،

(١) عكاظ، العدد ١٢٥٥٦.



ويجعلهم سائرين إن شاء الله على الطريق المستقيم، إنه على كل شيء قدير، ولا بدّ للمسلمين من الصبر والدعوة للفقيد بالبركة والرضوان، ويعلمون أن هذا قضاء الله وقدره، وللعلماء فضلهم ومكانتهم، فينبغي للمسلمين احترامهم وطاعتهم في طاعة الله، والالتفاف حولهم، لأن العلماء الراسخين المخلصين هم الذين ينبغي لهم أن يُقتدى بهم، ويُتأسى بالذين ساروا على الطريق المستقيم، بعيدين عن الإفراط والتفريط، سائرين على منهج الله.

قال الله تعالى : ﴿وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَنْ سَبِيلِهِ﴾<sup>(١)</sup>.

وذكر أيضاً : «أنّه واحد من الرجال الأخيار وعالم كبير كانت له إسهامات واجتهادات كبيرة في خدمة الدين والدنيا، وأوضح أن المسلمين يتلقون المصائب، بالالتجاء إلى الله، وحمده على قضاائه وقدره قائلين (إنا لله وإنا إليه راجعون).

وذكر أن الشيخ ابن عثيمين لا تخفى مآثره ومكانته في التأليف، والعلم، والفتاوى، والمحاضرات، والدروس، والمقالات، والأشرطة التي تحمل في طياتها كل خير.

ووصف خطه بالاعتدال والبعد عن الإفراط والتفريط، وأنه كان على طريق مستقيم، وعدّد مآثره في تربية الطلاب، وشرح الكتب، وإفادة المستفيدين.

وأضاف مفتي المملكة أن الشيخ ابن عثيمين كان زميلاً لهم في هيئة كبار العلماء، فكان نعم الزميل؛ إذ كان ذا علم وفضل، ومناقشة، وعدم اعتداد بالرأي، فكان عالماً فاضلاً ذا علم وفضل، وتواضع، وأخلاق عالية<sup>(٢)</sup>.

(١) الوطن، العدد ١٠٥.

(٢) المستقبل الإسلامي، العدد ١١٥، والتعليق للمجلة.

وقال الشيخ محمد بن جبير :

«إن الشيخ محمد بن صالح العثيمين قام على نشر الثقافة الإسلامية، وتوضيح بعض المفاهيم، كما أنه أثري المكتبة الإسلامية برسائله ومؤلفاته وفتاواه، فجزاه الله خيراً عن الإسلام والمسلمين، والحقيقة أن وفاته خسارة كبيرة وحدث جلل، ليس لسكان المملكة العربية السعودية فحسب؛ ولكن العالم الإسلامي الذي يعرف فضله، ودائماً على صلة كبيرة به، ويستفيد من علمه ومن فتاواه»<sup>(١)</sup>.

وقال فضيلة الشيخ محمد بن عبد الله السبيل (إمام وخطيب المسجد الحرام) :

«إن الشيخ ابن عثيمين من علماء الأمة الكبار، وأوضح أنه - رحمه الله - قضى وقته كله بالتعليم والإرشاد والتوجيه والفتاوى، وهو علمٌ بارز في العالم الإسلامي. نسأل الله أن يرفع درجاته في عليين، وأن يخلف على المسلمين في مصابهم الجلل، ولا نقول إلا (إنا لله وإنا إليه راجعون)»<sup>(٢)</sup>.

وقال فضيلة الشيخ عبد الله البسام (عضو هيئة كبار العلماء) :

«أن وفاة الشيخ محمد بن عثيمين مصيبة كبيرة على المسلمين، لأن فضيلته بذل نفسه ونشر علمه بين المسلمين في شتى وسائل الإعلام المقروءة، والمسموعة، والمنظورة، وبذل ذلك في المساجد والجامعات والدوائر والمجتمعات، وكلها استفادت من علمه الغزير، وبحوثه العظيمة». وأضاف : «أنه اهتم ببذل العلم ونشر الدعوة بأيّ سبيل يرى فيه تعميم الفائدة والتفّع على جميع المسلمين، ولم يصدّه ذلك عن المؤلفات المفيدة، والبحوث النافعة»<sup>(٣)</sup>.

(١) الوطن، العدد ١٠٥، الجمعة ١٧ شوال ١٤٢٢هـ.

(٢) المصدر السابق.

(٣) المستقبل الإسلامي، العدد ١١٥.

وقال فضيلة الشيخ صالح بن غانم السدلان :

«إن وفاة العلامة الكبير تعدّ خسارة عظيمة، ومصيبة كبيرة للأمة» وسأل الله أن يرفع درجاته، وأن يجزيه على ما بذل من جهد وجهاد وعمل في سبيل نشر العلم والتعليم والدعوة خير الجزاء، وأضاف : «أنه سلك طرقاً كثيرة في ذلك السبيل من خلال التأليف والتدريس والدعوة والكتابة والخطابة، وكان متواضعاً بسيطاً مع طلاب العلم، متيحاً السؤال للجميع والمناقشة بحرية»<sup>(١)</sup>.

وقال د. عبد الله بن محمد بن إبراهيم آل الشيخ (وزير العدل السعودي) :

«إن الشيخ ابن عثيمين كان من أكثر الناس توجيهاً بالصبر على المصائب والاستعداد للآخرة».

وأوضح : «أنه عاش حياته وجعلها طريقاً للآخرة، فأخذ منها ما يسدّ حاجته، وتخفّف من محاسنها ولذاتها».

وأضاف : «أنه كان متبسّطاً للناس وناصحاً لولاة الأمر محباً لهم، وقال :

«إنه كان حريصاً على تحمّل توجهات بعض الذين ينقصهم العلم الشرعي وكان يجمع بين التأصيل العلمي، والأسلوب الرصين».

ووصفه بأنه كان حاضر الدليل، واسع البحث، حريصاً على الاجتهاد، فحزاه الله عن الإسلام والمسلمين خير الجزاء، وأسكنه فسيح جنّاته، وعوّض المسلمين عنه خيراً»<sup>(٢)</sup>.

(١) المصدر السابق.

(٢) المستقبل الإسلامي، العدد ١١٥.

وقال فضيلة الشيخ أبي بكر الجزائري :

«إن العالم إذا مات انتلم من الإسلام ثلثة إلى يوم القيامة، وموت العالم الرباني الشيخ محمد بن عثيمين آلم الجميع، وهزّ مشاعر المسلمين في العالم». وسأل الله أن يتغمّده بواسع رحمته وأن يسكنه فسيح جنّاته.<sup>(١)</sup>

وقال الشيخ العلامة عبد المحسن بن حمد العباد :

«مكانته العلمية لا تخفى على أحد، وهو ممن رُزق القبول، وأحبّه الناس، وحرصوا على سماع دروسه وسماع فتواه، فهو عالم كبير، وفقه متمكّن وقد نفع الله به، وهو محلّ التوقير والإجلال من العلماء، ومن طلبة العلم والولاة.

حزن عليه الكثير ممن لهم اهتمام بالحقّ، وحرصه على معرفة السنة، وحرصه على اتباع الكتاب والسنة، وما كان عليه سلف الأمة، وحزنوا لفراقه».

وقال : «كانت وفاته مصيبة من أعظم المصائب التي حلّت بالمسلمين».<sup>(٢)</sup>

وقال الشيخ عبد الله بن منيع (عضو هيئة كبار العلماء) :

«الحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلّم على نبيّنا محمد وعلى آله وأصحابه أجمعين، وبعد..

فقد فجعت الأمة الإسلامية عامة، والبلاد السعودية خاصة بوفاة عالم من أبرز علماء المسلمين، وفقه له باع واسع في التبصير والتوجيه والتعليم والبحث والتحقيق والتحرّي وبذل المجهود من وقت وغيره في سبيل نفع المسلمين، وإشاعة المعرفة

(١) المصدر السابق.

(٢) محاضرة للشيخ بعنوان (الشيخ ابن عثيمين وشيء من سيرته ودعوته).

بينهم، فضلاً عما كان يميّز به رحمه الله من الحرص على تعليم أكبر عدد ممكن من أبناء المسلمين، ما فيه سلامة لعقيدتهم، والحرص على توجيههم الوجهة السليمة نحو التحصيل العلمي ونحو التمسك بالمقتضيات الشرعية، والحرص على سلامة العقيدة. فرحمه الله رحمة واسعة، وأسكنه فسيح جنّاته، ولا شك أن فضيلته رحمه الله كان يميّز بالقدرة على الاجتهاد، والنظر، وبذل الجهد في سبيل التوسعة على المسلمين، وتيسير أمورهم بغير إثم ولا تأثيم، ولا خروج عن نصوص شرعية، فإنّا لله وإنا إليه راجعون...»<sup>(١)</sup>.

وقال الشيخ صالح بن عبد الله بن حميد (إمام وخطيب المسجد الحرام) :

«... بحياة العلماء تحيا الأمم، ويموتهم يضيع الناس، وإن من الناس من لا يفقده إلا أهله، بل فيهم من منيته أمنية الأمان، فلا حول ولا قوة إلا بالله، والباعث للتقدم، بهذه الكلمات ما تعيشه الأمة في هذه الأيام من لوعة فقد إمام جهيد، وعالم علم، نحن على فراقه محزونون، ولا نقول إلا ما يرضي ربنا، ذلكم هو الإمام العالم العلامة حبر العلوم، وبحر المعارف، شيخ الفقه، وإمام السنة، الشيخ : محمد بن صالح العثيمين - رحمه الله -، ورفع درجاته في عليين، وأسكنه فسيح جنّاته، وأمطر عليه من شآبيب رحمته، عظم الخطب بفقده، وجل الأسى لفراقه بعظم المكانة التي بوأها الله له في القلوب...».

وقال أيضاً : «وليعلم أنه لا يحظى بالتقدير والاحترام، ولا تعظم المكانة، ولا يكتب القبول، والإمامة بإذن الله إلا لمن جمع بين العلم والعمل، وحسن قصده، وابتغى الله والدار الآخرة، ذلكم هو الذي يفقد إذا غاب، ويعظم به المصاب إذا

واراه التراب، ونحسب أن الشيخ محمداً - رحمه الله - من هؤلاء العلماء العاملين، ولا نزكي على الله أحد».

وقال : «لقد كان رحمه الله لسان صدق، صادعاً بالحق ملتزماً به، مقيماً عليه مع رعاية الحكمة، في حديثه ألفة، وفي ابتسامته مودة، وفي كلامه بيان، وجه طليق، وجلس لا يمل، كان محل الثقة والقبول، إذا فزعوا إليه فقد فزعوا إلى ركن شديد. خلف رحمه الله ثروة علمية هائلة، ينتفع بها بعده - إن شاء الله - ليمتد له أجرها وثوابها»<sup>(١)</sup>.

قال الشيخ عبد الرحمن بن عبد العزيز السديس (إمام وخطيب المسجد الحرام):  
«يُعدّ الشيخ رحمه الله من بقية السلف الصالح، وإماماً من أئمة أهل السنة والجماعة، نحسبه كذلك ولا نزكي على الله أحداً، فهو ممن قلّ نظيره، ومن جلّ أن ترى العيون مثله بلا مبالغة، لما حباه الله عز وجل، فهو موسوعة علمية أخلاقية، ودعوية، ومنهجية، يقلّ نظيرها، فهو أئمة في إمام، وأمة وحده، ونسيج بمفرده، وطرّاز مستقل طالما نفع الله به، وذاع صيته، وعلا قدره، واستفاد منه القاصي والداني.  
متميّز المنهج، فذّ العقيرة، معتدل الرؤى، متماسك الشخصية، متوازن النظرة.  
وعلى الرغم من حصول زوابع، وهبوب عواصف، وهيجان أمواج؛ إلا أنه ظلّ بتوفيق الله ثابت في صدق المسلك، ونفاذ البصيرة، والنصح لله ولرسوله ولكتابه ولأئمة المسلمين وعامتهم.

لقد تعرضت الأمة لكثير من جوانب الخلل العقدي والفكري والمنهجي والأخلاقي، فكان الشيخ رحمه الله نعم الموجه في تماسك بنية المجتمع التحتية،

وقاعدته الصلبة، والحفاظ على أمن الأمة بصوره المتعددة وجوانبه المختلفة، حتى لقد كان مدرسة يصدر الدعاة وطلاب العلم عن رأيه في النوازل، وتوجيهه في المستجدات، ونصحه في المتغيرات، تمسكاً بالتأصيل الصحيح، والمنهجية المنضبطة بالدليل والقاعدة الشرعية والمقصد الإسلامي النبيل.

لقد كان نبأ فقده هزة عنيفة، وخسارة فادحة، شديدة الوقع، عظيمة الأثر في نفوس محبيه محلياً وعالمياً<sup>(١)</sup>.

وقال الدكتور علي بن عبد الرحمن الحذيفي (إمام وخطيب المسجد النبوي) :

«إن الأمة الإسلامية فقدت فضيلة الشيخ محمد بن صالح بن عثيمين العالم الفقيه الرباني الذي يتحلّى بالصبر والتقوى والحلم، والذي تصدى لإفادة المسلمين، فعظم مصابها بوفاته، فأحسن الله عزاء ولاة الأمر فيه، وأحسن الله عزاء أسرته، وعزاءنا والمسلمين، وإن وفاة العالم ثلثة كبيرة في الإسلام، وإنا لله وإنا إليه راجعون»<sup>(٢)</sup>.

وقال الشيخ عبد الباري الشيبتي (إمام وخطيب المسجد النبوي) :

«من المعلوم أن سماحة الشيخ محمد بن عثيمين من علماء الأمة الإسلامية وقد أفنى حياته في نشر العلم، ولا يخفى على القاصي والداني أنه من العلماء العاملين، وقد فاض خيره وعلمه حتى بلغ أرجاء المعمورة.

وكان يتسم بسمات العلماء، وقد كان صبوراً حليماً، وصاحب عبادة، لا يفتر عن ذكر ربه في كل حال.

(١) الرياض، العدد ١١٨٩٢.

(٢) عكاظ، العدد ١٢٥٥٦.

وقد كان متواضعاً يتحدث مع الصغير والكبير، ويفتح صدره للحوار والنقاش، ولا يكل ولا يملّ، فقد كان العلم هو زاده وطعامه وشرابه، بل يجد اللذة والمتعة والأنس في حلق العلم، وعظات وإرشاد من خلال المحاضرات والندوات والدروس، نسأل الله تعالى أن يتغمّده برحمته، ويعظم أجر الجميع»<sup>(١)</sup>.

وقال الشيخ عبد الله بن حسن بن قعود :

«إن الشيخ محمد معروف منذ نشأته بانصرافه بالكلية للعلم الشرع، قال : وحدثني بنفسه أنه كان في بداية أمره يلقي الدروس، وأنه ألقى ذات يوم درساً لم يحضر له فيه سوى طالب واحد»<sup>(٢)</sup>.

وقال فضيلة الشيخ محمد صفوت نور الدين (رئيس جماعة أنصار السنة المحمدية بمصر):

«ونحن إذ نودّع في هذه الأيام علامة العصر الشيخ محمد بن صالح بن عثيمين رحمه الله، إنما نذكر من تاريخه الحفاوة بالعلم صغيراً وكبيراً، ونذكر جمعه بين طريق العلم على يد الشيوخ المرّين، وبين العلم في معاهد العلم الحديثة، ونذكر جمعه بين ذكر الدليل على القول الذي يرتضيه، وبين بيان التعليل لهذا الحكم ما أمكن ذلك.

ونذكر أن الشيخ جمع بين العمق في علمه والبساطة في حياته، وبين حفاوته بضيفه وزائره، ومحافظته على دقائق وقته، فلا يفوته شيء من الوقت الذي يضيع هباءً عند غيره، ويجمع بين الرضا والقناعة ببقائه في بلده، وبين أهله، وبين اتصاله بالمسلمين في كلّ أرجاء الأرض، وبين السهولة في حياته، وبين استخدامه لأحدث الوسائل في نشر علمه.

(١) المستقبل الإسلامي، العدد ١١٥.

(٢) الرياض، العدد ١١٨٩١.



حتى مات وموقعه على شبكة الإنترنت تحت الإعداد»<sup>(١)</sup>.

وقال الشيخ أبو إسحاق الحويني :

«مات شيخنا والحاجة إلى مثله ماسة، فقد كان والله إماماً فقيه النفس، رجل عامة، وضع الله عز وجل له محبة في القلوب، ولست أنسى آخر عهدي به عندما التقينا في المسجد الحرام منذ أربع سنوات.

لقد كان وجهه ينطق بالبشر، وما رأيته مرة إلا وتبادر إلى ذهني قول النبي ﷺ: «نَضَّرَ اللَّهُ عَبْدًا سَمِعَ مَقَالَتِي فَوَعَاها...»؛ لما كنت أراه في وجهه من التضرعة.

وقد اقتضت حكمة الله تعالى أنه جعل كل شيء يولد صغيراً ثم يكبر؛ إلا المصيبة، فإنها تولد كبيرة كبراً قد يهتد الجبال الراسيات، ثم تصغر صغيراً حتى تضمحل، ولولا ذلك لمات الناس من الكمد موتاً ذريعاً، فإن نجزع فبسبب جلال المصيبة؛ لا سيما والمصيبة عظيمة»<sup>(٢)</sup>.

وقال الشيخ محمود غريب الشربيني (مدير تحرير مجلة التوحيد المصرية):

«آخر هذه المصائب هي فاجعة هذه الأيام بموت العلامة الفقيه الأصولي الذي أجاد تدريس علوم الشرع بكاملها.

فكان بارعاً بحق في تدريسه للفقهاء وأصوله، وبارعاً بحق في تدريسه لعقيدة أهل السنة والجماعة، وبارعاً بحق في تدريسه للحديث وعلومه، وبارعاً بحق في تدريسه للغة العربية وخباياها، وبارعاً بحق في تدريسه للتفسير، وقبل ذلك كان مريباً متميزاً.

(١) مجلة التوحيد، العدد ١١، السنة : ٢٩.

(٢) مجلة التوحيد، العدد ١١، السنة : ٢٩.

ألا وهو فضيلة الشيخ الجليل : محمد بن صالح بن عثيمين رحمه الله رحمةً واسعة، وحشرنا وإياه مع هؤلاء العلماء في جنته مع النبيين والصديقين والشهداء، آمين يا رب العالمين»<sup>(١)</sup>.

وقال فضيلة الشيخ عبد العزيز المسند :

«الحقيقة أن فقد الشيخ ابن عثيمين فادحة كبيرة على المسلمين، لما له من مكانة علمية كبيرة، ولما كان له من أثر كبير في إيصاله للناس، لأنه يوجد علماء كثير، لكن الفرق بين من يستطيع أن يوصله للناس بأسلوبه الفذّ الأخاذ؛ ففضيلته رحمه الله كان يمتاز بأسلوب كيس، حتى إنه كان يتكلم العربية الفصحى بطريقة سهلة ميسرة يفهمها العامة.

وكان موهوباً وحريصاً على إيصال العلم للناس، فلا يخرج حتى يلقي بدرس في المسجد أو في الحرم، أو في الجامعة»<sup>(٢)</sup>.

وقال الشيخ وحيد عبد السلام بالي : عنه :

«فقيه الأمة، وإمام الأئمة، العالم الرباني العلامة : محمد بن صالح بن عثيمين، فاهتزت لموته المشاعر، وصاحت برثائه المنابر... لقد برع الشيخ رحمه الله في علوم الدين، فما من علم إلا وشرح فيه ودرس، فقد كتب في العقيدة والأصول والفقه والحديث والتفسير والرقائق، وغيرها..

لقد كرّس حياته للتدريس والإفادة رحمه الله، وقد كان بشوش الوجه، جميل الحياء، يتواضع للخاصة والعامة رحمه الله وغفر له»<sup>(٣)</sup>.

(١) مجلة التوحيد، العدد ١١، لسنة : ٢٩.

(٢) الدعوة، العدد ١٧٧٦.

(٣) مجلة التوحيد، العدد ١١، لسنة : ٢٩.

وقال الشيخ مصطفى العدوي :

«لقد تصدعت قلعة من قلاع العلم العتيدة بمدينة عنيزة بالقصيم، بذهاب عالمها وفقيهها، ومفسرها، ورجل الأصول فيها، وهو الشيخ الفاضل محمد بن صالح بن عثيمين، والله الأمر من قبل و من بعد.

لقد أزعج رحيل مئات الأسر، وطلاب العلم عن بلاد القصيم بفراق هذا الشيخ الجليل رحمه الله، لقد ذكرتني وفاة الشيخ رحمه الله بمقالة ابن عباس في زيد بن ثابت ؓ لما مات زيد، - وزيد بن ثابت هو الذي تتبع القرآن فجمعه، وكان أيضاً من أعلم الصحابة بالفرائض - فإذا بابن عباس يقول بعد دفنه ؓ: هكذا ذهب العلم، لقد دُفن اليوم علمٌ كثير. وحقاً فلقد دفن مع الشيخ رحمه الله علمٌ كثير، نسال الله أن يعوض المسلمين خيراً»<sup>(١)</sup>.

وقال الشيخ محمد حسين يعقوب :

«اليوم مات الإمام محمد بن صالح بن عثيمين العلامة، الرجل الأمة، فقيه عصره، المجتهد الجهد، الداعية الرباني، المربي القدوة. مات الشيخ ابن عثيمين، وكان نسيجاً وحده، خلف وراءه تركة مباركة من الكتب، والمحاضرات العلمية في كافة فروع العلم، من : فقه ومصطلح، ولغة وعقيدة، وحديث وتفسير، فكان بحق من نواذر هذا الزمان، فلا تجد من على شاكلته الآن»<sup>(٢)</sup>.

قال الشيخ مجدي عرفات : «وكبا جواد من تلك الجياد التي كانت تعادى في مضمار الدعوة والتعليم، ونشر السنة وقمع البدعة، ذلك هو شيخنا محمد بن صالح

(١) المصدر السابق.

(٢) المصدر السابق.

بن عثيمين، ذلك العالم الفذ، الفقيه، التَّيْل، اللغوي، المدقق، الأصولي، المحقق، الذي رأيته فرأيت فيه علم العلماء الكبار، وزهد الزَّهاد الأوائل، وتواضع العباد، جلست بين يديه في حلقات العلم بالطائف ومكة المكرمة، وبلدته عنيزة التي استنارت من علومه، فرأيت فيه المعلِّم المخلص في تعليمه، الحريص على إبلاغ ما يقول لكلِّ جالس، فتجده يسأل هذا، وينبّه ذاك، ويجيب السائل على مسألته وزيادة، يجيبه بجواب الفقيه، وما أحلى مسائله، تأمل في دقة تعبيراته، وكثرة تفرعاته، وفوائده التي يستنبطها من كلِّ ما يقرأ، وما أخلص نصيحته لطلبة العلم خاصة، وللمسلمين عامة في لزوم السَّنة والجماعة، وترك البدعة والفرقة»<sup>(١)</sup>.

وقال الشيخ عبد الله بن عبد العزيز بن إدريس :

«وكان من أسطع تلك النجوم في العصر الحاضر العلماء الأفاضل الشيخ محمد بن إبراهيم آل الشيخ - مفتي الديار السعودية سابقاً - ثم الشيخ عبد العزيز بن باز، ثم الشيخ محمد بن عثيمين رحمهم الله جميعاً، وغيرهم من أكابر العلماء المحققين، أما أحدث ففيد من جلة العلماء الجهابذة الذين فقدتهم الأمة الإسلامية باتساع رقعتها هو العلامة الفقيه والداعية الشهير والعفيف الزاهد المجاهد في الله حقَّ جهاده الشيخ محمد بن صالح ابن عثيمين أحد كبار العلماء ومشاهيرهم في هذا العصر والذي لم يكن الحزن بفقدته من أقلِّ الحزن بفقد شيخه محمد بن إبراهيم آل الشيخ، وعبد العزيز بن باز من في مستواهم علماً وتقياً»<sup>(٢)</sup>.

وقد عرفت فيه كثيراً من خصال الخير والتقى والزهد والورع إلى جانب الغزارة العلمية، والدقة الفقهية، والحرص الشديد على إيصال العلم النافع

(١) المصدر السابق.

(٢) مجلة التوحيد، العدد ١١، لسنة ٢٩.

والقدوة بالعمل الصالح إلى إخوانه المسلمين في وطنه قبل أن يتسع مجال عطائه في العالم الإسلامي»<sup>(١)</sup>.

وقال د. حسن بن فهد الهويمل :

«.. البلاد تعيش حالة من الحزن والألم على فقد علم من أعلام البلاد، وركن من أركان الدين، وهل أحد يجهل العالم الفدّ، والفقيه المجتهد، والعايد الورع الزاهد: محمد بن صالح بن عثيمين»<sup>(٢)</sup>.

.. لقد عرفت فضيلته عن قرب، وكلما استمعت إليه أو اقتربت منه بحكم العمل المشترك في فرع الجامعة أحسست أنني أمام شخصيّة فذة في تواضعها وغبارة علمها، وبُعد نظرها وزهدها في مباحج الحياة، واشتغالها فيما يهمّ الناس من أمر دينهم، وكلما استمعت إليه يتحدث في أمر من أمور الدين، أدركت كم هو الفرق بين لغة الفقهاء، وكلام المنشئين»<sup>(٣)</sup>.

وقال عبد المحسن بن سليمان المنيع :

«الحمد لله ربّ العالمين، الحمد لله الذي لا يُحمد على مكروه سواه، الحمد لله الحيّ الدائم الذي لا يموت، الحمد لله في السراء والضراء، الحمد لله على كلّ حال، والحمد لله الذي جعل لمن أصيب فصير خيراً، وأخلف له الأجر، والحمد لله القائل في محكم التنزيل : ﴿وَلَتَبْلُوكُمْ بِشَيْءٍ مِنَ الْخَوْفِ وَالْجُوعِ وَنَقْصٍ مِنَ الْأَمْوَالِ وَالْأَنْفُسِ وَالثَّمَرَاتِ وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ الَّذِينَ إِذَا أَصَابَتْهُمُ مُصِيبَةٌ قَالُوا إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ﴾، فَإِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ.

(١) مجلة التوحيد، العدد ١١، لسنة : ٢٩.

(٢) الجزيرة، العدد ١٠٣٣٧.

(٣) الجزيرة، العدد ١٠٣٣٧.

اللهم أجزنا في مصيبتنا وأخلفنا خيراً منها، من منّا لم يصب بفقد شيخ جليل؟؟!!  
 شيخ أفنى عمره في خدمة الإسلام والمسلمين، شيخ يعرفه القاضي والداني، شيخ  
 بسط مجلسه في التعليم والفتوى، شيخ ملأ قلبه الإيمان، وشعّ في جبينه نور الطاعة،  
 شيخ : التواضع ديدنه، والحكمة منطقته، والقرآن خلقه، والوقار سمته، والعلم مجلسه،  
 شيخ : إن قابله ملك قلبك، وإن سمعته أسرك بحكمته، وإن استفتيته اطمأنت  
 لفتواه، فمن منّا لم يصب بفقد الشيخ العلامة محمد بن صالح العثيمين؟؟!!.

إن فقد هذا العالم الجهد مصيبة عظيمة ليست على أهله وذويه فقط، بل  
 مصيبة أصيبت بها الأمة الإسلامية جمعاء، فلا حول ولا قوة إلا بالله العليّ العظيم،  
 رحل العلامة وترك لنا علماً كثيراً تزخر به المكتبات ودور العلم رحل العلامة وقد  
 أصبح إشعاع التور، ومصباح الهدى، رحل الشيخ والقلوب يعتصرها الحزن،  
 والعيون أجهشها البكاء فجادت بالدموع، رحل من بيننا وبقي ذكره عالياً شامخاً بما  
 بقي لنا من علمه في كتبه ودروسه وطلابه، رحل عتاً ونحن نثني عليه، بل إن ثناءنا  
 لا يوفيه حقّه، بل ونعجز على أن نوفيه حقّه مهما قلنا ومهما ذكرنا.

فاللهم أنت ربّه وأنت خلقتّه، وأنت هديته للإسلام، وأنت قبضت روحه،  
 وأنت أعلم بسرّه وعلايته رفعنا أكفنا شفعاء له فاغفر له...»<sup>(١)</sup>.

قال الشيخ الدكتور صالح بن سعد السحيمي (الأستاذ المساعد بكلية الدعوة  
 بالجامعة الإسلامية والمدرّس بالمسجد النبوي) :

«إن الله تبارك وتعالى هو القابض الباسط، له ما أخذ وله ما أعطى، وقد تلقينا  
 ببالغ الحزن نبأ وفاة شيخنا الشيخ محمد بن صالح العثيمين رحمه الله في يوم الأربعاء

الخامس عشر من شهر شوال، ولا شك أنه حدث عظيم وخطب جسيم، بأن كل مفقود يهون مع فقد العلماء الذين ينفون عن كتاب الله تعالى تحريف الغالين، وانتحال المكذبين وتأويل الجاهلين، ونحسب أن فقيدنا يرحمه الله من أولئك الأفذاذ المجتهدين في إظهار الحق، والذائين عن السنة المجتهدين فيما يرضي الله تبارك وتعالى، والذين نفع الله بهم الإسلام والمسلمين بما خلفه من علوم نافعة ومؤلفات قيمة، ودروس جامعة»<sup>(١)</sup>.

قال مساعد بن عبد الله المحيا :

«يوم الأربعاء الماضي ودعت الأمة الإسلامية واحداً من أعلامها الأفذاذ، وشمساً مشرقة في كلّ فهار، وقمرأ ساطعاً في سموات ضدّ الجهل في كثير من أنحاء عالمنا الإسلامي، فقد كان بحراً من بحور الفقه، وصخرة من صخور العقيدة الراسخة، ومدرسة من المدراس العلمية التي أسهمت بعمق في توجيه الجيل، والتهوض بالنشء ليس في منطقة واحدة، وإنما في مختلف أرجاء المملكة وخارجها.

والعالم الإسلامي بمؤسساته ومراكزه يشهد كيف امتدّ علمه، واستفاد منه المسلمون على نحو مباشر وغير مباشر.

لا أستطيع هنا وفي هذه العجالة أن أوفي الشيخ، ولو بعضاً مما يستحقّه، فالمصيبة عظيمة، وفي المصيبة لا يستطيع المرء أن يقول كلّ ما يجيش بنفسه، وما هذه إلا كلمات سريعة أكتبها على عجل، أودع بها شيخنا الجليل، وفاءً لبعض حقه، وحباً له، ومعرفةً بقدره، وتقديراً لفضله ومكانته.

ذلك أن موت العلماء العاملين المخلصين المصلحين مصيبة، وأي مصيبة، فإن الأمة تفقد بفقدهم النور الذي يهدي، والمشعل الذي يضيء للناس الطريق.

يقول علي عليه السلام: «إذا مات العالم تلم في الإسلام ثلثة لا يسدّها إلى خلف منه»، وقال ابن عمر رضي الله عنهما: «ما قبض الله عالماً إلّا كان ثغر في الإسلام ثغرة لا تسدّ».

وفي حديث عبد الله بن عمرو المتفق عليه: «إن الله لا يقبض العلم انتزاعاً من صدور الناس، ولكنه يقبض العلم بقبض العلماء، حتى إذا لم يبق عالم اتخذ الناس رؤوساً جهالاً ففسلوا، فأفتوا بغير علم، فضلّوا وأضلّوا».

وكم يصدق عليه قول الشاعر:

كذّاً فليجلّ الخطبُ وليفدح الأمرُ      فليس لعين لم يفيض ماؤها غدرُ  
عليك سلام الله وقفاً فإني      رأيت الكريم الحرّ ليس له عمرُ  
ثوى طاهر الأردان لم تبق بقعة      غداً ثوى إلّا اشتتت أنهارُ

إن القلب ليحزن، وإن العين لتدمع، ولا نقول إلا ما يرضي ربنا، وإنا على فراق شيخنا ووالدنا لمحزونون، والحمد لله على كلّ حال، وإنا لله وإليه راجعون»<sup>(١)</sup>.

وقال الشيخ زيد بن هادي مدخلي:

«الحمد لله على كلّ حال، وإنا لله وإليه راجعون، ففي مساء الأربعاء ١٥/١٠/١٤٢١هـ توفّي الشيخ محمد بن صالح العثيمين الإمام الثاني، والمجدد الباني بعد سماحة الشيخ عبد العزيز بن باز رحمهما الله ورفع قدرهما».

وقد غلبني الحزن الشديد فذكرتهما بما لا يجهله عاقل أن الحياة لا تدوم لأحد من الخلق، وواصلت التذكر لنفسني التي ضعفت عند سماع هذا الخطب الجسيم،

(١) الجزيرة، العدد ١٠٣٣٥، الأحد ١٩/١٠/١٤٢١هـ.



والمصاب الجلال، لأدخل عليها ما يخفف عنها بعضاً منه فنقلتها إلى تذكر المصيبة العظمى والفاجعة الكبرى، وهي وفاة خير الخلق أجمعين محمد بن عبد الله عليه أفضل الصلاة والتسليم.

ولا يخفى على أحد أن موت العالم ثلثة من الإسلام لا تسدّ مع تعاقب الليل والنهار، وما ذلك إلا لأن العلماء هم ورثة الأنبياء، فلا غرابة أن نحزن الأمة لموتهم، وأن تصاب بفقددهم، ورحم الله القائل : إذا مات صاحب السنة وبلغني موته فكأنما شلت بعض أعضائي.

ولقد خلف هذا العالم الجليل من العلم المسموع والمنشور والمؤلفات القيمة؛ الكثير. من أراد أن يتأسى بالرجال الصالحين فعليه بترائهم الثمين، نسأل الله لهم ولنا الرحمة والمغفرة، ولقد قلت في ذلك شيئاً هذا بعضه :

فَكُلُّ حَيٍّ مِنَ الْأَحْيَاءِ إِلَى أَجَلٍ وَمَا لَكَ الْمَلِكِ قِيُومٌ وَمَقْتَدِرٌ  
مَاتَ الْوَقُورُ وَكَمْ فِي النَّاسِ مِنْ حَزَنٍ وَالْأَرْضُ تَبْكِي عَلَى الْأَخْيَارِ يَا بَشَرُ  
فَارْحَمَهُ رَبِّي وَتَخَلَّدْ مِنْ مَآثِرِهِ وَعَظَّمِ الْأَجْرَ إِنَّ الْأَجْرَ مَدْخَرٌ<sup>(١)</sup>.

وقال الدكتور عبد الرحمن بن الشيخ أبي بكر الجزائري (الأستاذ بالجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة) :

«لقد كان لنعي العلامة الشيخ محمد الصالح العثيمين وقع تزلزلت له المشاعر، وتحركت في قلب محبيه من العلماء وطلاب العلم وصالحى المسلمين في جزيرة العرب خاصة وبلاد المسلمين عامة عواطف الحزن، وكيف لا وقد كان صرحاً من صروح

(١) الاقتصادية، العدد ٢٦٥٢، السبت ١٨/١٠/١٤٢١هـ.

العلم والمعرفة، ونمّوذجاً للعلماء والفقهاء المجتهدين ممن هُجّوا منهج السلف القلبي، فكان لهم نبراساً، فنشروا تعاليمه، ودعوا إلى الله وبذلوا حياتهم في الدّود عنه»<sup>(١)</sup>.

وقال الدكتور محمد بن عبد الله المحميد (رئيس قسم الفقه في كلية الشريعة وأصول الدين في فرع جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية) :

«لا يسعني وأنا أشعر بالأسى والحزن على الشيخ العلامة المجتهد محمد بن صالح العثيمين إلّا أن أقول : إنا لله وإنا إليه راجعون، فقد كان رحمه الله تعالى منارةً في العلم وإماماً في التّقى والورع والصلاح، وهو إلى جانب غزارة علمه وسعة مداركه ذو منهجية علمية محكمة عزّ مثلها، وذو شمولية في العلوم والمعارف قلّ أن يوجد له نظير في هذا العصر، وإنّ من أبرز خصائص الشيخ إضافةً إلى غزارة علمه وسعة معارفه عنايته الفائقة بالدليل...»<sup>(٢)</sup>.

وأكد الشيخ عقيل بن عبد العزيز العقيل (مدير عام مؤسسة الحرمين الخيرية) :

«أن الأمة الإسلامية فقدت بوفاة الشيخ ابن عثيمين أحد قاداتها في العلم والإصلاح، وأكد أنّها مصيبة نقول فيها ما قال الحسن البصري: «موت العالم ثلثة في الإسلام لا يسدّها شيء ما اختلف الليل والنهار».

وقال : إنه عرف عنه ذكاءً، وهمةً عالية في طلب العلم وتعليمه، وفي الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ضمن ضوابطه الشرعية، وأضاف العقيل: أنه عرف عن الشيخ الراحل حرصه الشديد على تتبّع أخبار المسلمين، والتفاعل مع قضاياهم، وحث المسلمين على الوقوف معهم»<sup>(٣)</sup>.

(١) عكاظ، العدد ١٢٥٥٨.

(٢) عكاظ، العدد ١٢٥٥٨.

(٣) المستقبل الإسلامي، العدد ١١٥.

وقال الدكتور ناصر بن عبد الله الصالح (مدير جامعة أم القرى) :

«إن الله أتى الشيخ الجليل ابن عثيمين سعة علم وكمال آداب، وفضائل مربيين، وحسن سمع وعمل، تشهد عليه سيرته بيننا، وما قدمه لدينه وأمه من نصيح وإرشاد، وسعي إلى الخير، ورجى أن يكون ذلك خاصاً مقبولاً عند الله تعالى، ومضاعفاً في ميزان حسناته رحمه الله».<sup>(١)</sup>

## طفل يعزي في وفاة الشيخ الجليل

[illegible][illegible]

الرياض - الجمعة ١٧/ من شوال ١٤٢١هـ، العدد ١١٨٩٠.

### المؤسسات والجمعيات والهيئات

#### مؤسسة الملك فيصل الخيرية وفوزه بجائزة الملك فيصل العالمية لخدمة الإسلام

تم تكريم الشيخ محمد بن صالح بن عثيمين باختياره لجائزة الملك فيصل العالمية لخدمة الإسلام عام ١٤١٤هـ الموافق ١٩٩٤م بعد اجتماع لجنة الجائزة، والذي عقد يومي ٢٥، ٢٦/شعبان/١٤١٤هـ.

وذلك تقديراً لسجاياه وجهوده المتمثلة فيما يلي :

- تحليه بأخلاق العلماء الفاضلة التي من أبرزها الورع، والزهد، ورحابة الصدر، وقول الحق، والعمل لمصلحة المسلمين، والنصح لخاصتهم وعامتهم.
- انتفاع الكثيرين بعلمه، تدريساً وإفتاءً وتأليفاً، فهو يدرس العلوم الدينية عقيدة وشرعية، وعلوم اللغة العربية، وذلك في جامع عنيزة وفي المؤسسات التعليمية الحكومية، وفي طليعتها كلية الشريعة في القصيم، وهو يجمع بين غزارة العلم، وجودة أسلوب عرضه؛ مما جعل حلقات درسه تجتذب طلاب العلم من مختلف أرجاء المملكة وخارجها، ولقد بذل نفسه للإفتاء بطرق متعددة، من أبرزها : الكتابة، والهاتف، والمسجل، ووسائل الإعلام كـ : الصحف، والمجلات، والإذاعة عبر البرنامج المشهور (نور على الدرب) الذي يستفيد منه كثير من الناس داخل المملكة وخارجها، وإلى جانب ذلك ألف حوالي أربعين كتاباً ورسالة، منها ما هو ذو مستوى يتلاءم مع قدرات طلاب العلم، ومنها ما هو ذو مستوى يناسب جمهور المسلمين لمعرفة ما هو ضروري من مبادئ الدين الحنيف والشرعة السمحة.

- إلقاءه المحاضرات العامة النافعة في بلدان ومراكز مختلفة من مناطق المملكة مما كان له أثر كبير في توجيه الجمهور خاصة الشباب الوجهة الحسنة.
- مشاركته المفيدة في مؤتمرات إسلامية كبيرة، مثل : مؤتمر رسالة المسجد، ومؤتمر الدعوة والدعاة، ومؤتمر الفقه الإسلامي، ومؤتمر مكافحة المخدرات.
- اتباعه أسلوباً متميزاً في الدعوة إلى الله بالحكمة والموعظة الحسنة، وتقديمه مثلاً حياً لمنهج السلف الصالح فكراً وسلوكاً، مما جعل كثيراً من المسلمين يطمنون إلى ما يدعو إليه، ويستفيدون منه.<sup>(١)</sup>

### جماعة أنصار السنة المحمدية بمصر

قال فضيلة الشيخ محمد صفوت نور الدين (الرئيس العام لجماعة أنصار السنة المحمدية بمصر) عن الشيخ ابن عثيمين : «صاحب الباع الوافر في الفقه وأصوله، وفي الحديث رواية ودراية، من أجل ذلك كان إماماً في الدليل والتعليل، ففي المسألة الفقهية يدلي بالدليل الذي يستند عليه القول الذي يختاره، ويعلم السامع كيف يستنبط الحكم منه، ويشرح علّة الحكم، ويربط بالأشياء والنظائر، وكان في التفسير إماماً بارعاً، كيف لا ؟ !! وإن أحظى شيوخه العلامة عبد الرحمن بن ناصر السعدي صاحب التفسير الجامع المتع على اختصاره وتبسيطه.

وكان في علوم الآلة من النحو والصرف والبلاغة إماماً لا يغفلها في دروسه التي كانت تجمع بين العامة والخاصة، وكانت تأخذ بيد الحاضرين ليرتقوا إلى طلب العلم والتدرّج في الفقه، ومع ذلك كان حريصاً على تعليم تلامذته احترام العلماء، وهو

الخلق القويم المفقود عند الكثير من أصحاب الحلقات الواسعة اليوم التي سببت أكبر الآفات المعاصرة.

وكانت مجالس الشيخ العلمية تجمع بين المبتدئ والمجتهد في طلب العلم، فلا يحرم المبتدئ من الفوائد المتدرجة التي يرتقي بها مدارج العلم النافع، ويمجد فيها المجتهد بغيته، ويحصل الباحث المدقق على ضالته المنشودة، والنصوص عنده منتظمة في عقد منسق بديع، والقواعد والضوابط والفوائد مرتبة في مواضعها، يقنع السائل في مسألته، ويدفع الباحث ليجمع أطراف بحثه»<sup>(١)</sup>.

وقال الدكتور جمال المراكبي (رئيس تحرير مجلة التوحيد) :

«وقد رحل عن دنيانا شيخ جليل، وعلم متبحر في علوم الكتاب والسنة ألا وهو فضيلة الشيخ محمد بن صالح بن عثيمين، وبقدر ما أصابنا من الحزن لفقد الشيخ وانقطاع هذا المعين من العلم النافع.

فإننا لا نملك إلا الرضى والتسليم لقضاء الله وقدره، وعزاؤنا أن الشيخ خلف لنا تراثاً عظيماً ننتفع به مقروءاً ومسموعاً، وخلف أجيالاً من التلامذة وطلبة العلم ينهلون من معينه، ويسرون على نفس الخطى»<sup>(٢)</sup>.

### جمعية أنصار السنة بالسودان

ونعت جمعية أنصار السنة المحمدية بالسودان إلى الأمة الإسلامية وفاة الشيخ العلامة ابن عثيمين، وقال الشيخ محمد هاشم هدية (الرئيس العام للجمعية) :

(١) مجلة التوحيد المصرية، العدد ١١، للسنة : ٢٩.

(٢) المصدر السابق.

«إن سماحة الشيخ ابن عثيمين هو ذلك العالم الذي تلقاه باسمًا منشرح الصدر، تنقاد إليه منذ أن تقع عينك عليه، فقد كان قوياً إذا تكلم، وقوراً إذا سكت، مهاباً مع أنه رقيق الحاشية، رقيقاً بالناس، ولا تكاد تجده إلا نشيطاً في مشيه، وفي جميع حركاته، لم يؤثر كبر السن في حيويته التي عهدناها فيه خلال الثلاثين عاماً التي عرفناه فيها، وكانت مفاجأة لنا يوم بلغنا أن الشيخ قد أصيب بمرض عضال، وقد سافر إلى أمريكا للعلاج، وسررنا بعودته وهو معافي، وقد زال حزننا يوم عودته، وما كنا نظن أن المرض قد تمكن منه حتى حرم أحبابه من زيارته وهو في غرفة (الإنعاش)، ولا يوم أن سكن غرفة في الحرم المكّي يواصل فيها درسه الذي أصرّ عليه من على البعد، مستفيداً من الأجهزة الحديثة التي توصل صوته إلى تلاميذه في الحرم المكّي الذي صُعب عليهم انقطاع صوته الواضح الفصيح، ولولا الإيمان بأن الله حد لكل حي أمداً تنقضي فيه حياته ما توقّعنا وفاته المفاجئة لنا، فلا نملك إلا أن نقول : إنا لله وإنا إليه راجعون، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم.

إن مصيبة الموت مكتوبة على كل حيٍّ، والصبر شأن كل الأتقياء والصابرين، والعزاء لازم لطلبته الكثيرين قبل ذويه، فإنهم أصبحوا بالنسبة إليه كأعضاء جسمه، وأرى أن الصدمة عليهم قوية، وأرجو الله أن يمدّهم بالصبر على فقده، والثقة القوية في الله عز وجل أن يهيء لهم عالماً يقوم مقامه.

ونسأل الله أن ينزل شيخنا وشيخهم منازل الأبرار، وأن يوسّع في مرقده، وأن ينور له في قبره مدّ بصره، وأن يفتح له باباً من أبواب الجنة وأن يحياه حياة الشهداء، فإننا نشهد أن وقته كلّه كان ملكاً لطلاب العلم في جميع مواضع وجوده». (١)

### جمعية إحياء التراث الإسلامي

قالت عن الشيخ :

«إن الأمة الإسلامية فجعت بفقد رجل من بقية السلف الصالح، وإمام من الأئمة الهادين المهديين، مشيرة إلى أنه ما يزيد فاجعتنا وفاجعة الأمة الإسلامية أن يرحل هذا الإمام وليس للأمة عنه غنى»<sup>(١)</sup>.

### مجلس الأمة الكويتي

وقد عبّر علماء الكويت، وأعضاء البرلمان عن ألمهم الشديد بفقدان الأمة الإسلامية فضيلة الشيخ محمد بن صالح العثيمين، وقالوا : إن الأمة الإسلامية فقدت عالماً جليلاً كرس حياته لخدمة الإسلام ونشر تعاليمه.

وقال عضو مجلس الأمة الكويتي الدكتور وليد الطبطبائي :

«إن ابن عثيمين عالم جليل أفنى حياته لخدمة الدين الإسلامي، ووفاته خسارة كبيرة لنا نحن المسلمين؛ لأن الأمة الإسلامية لا تنهض إلا بعلمائها»<sup>(٢)</sup>.

### قطر

#### وكالة الأنباء القطرية

وقالت وكالة الأنباء القطرية في معرض خبرها: إن فضيلة الشيخ محمد بن صالح بن عثيمين كان له نشاط كبير في الدعوة إلى الله عز وجل، وتبصير الدعاة في كل

(١) الدعوة، العدد ١٧٧٦.

(٢) الدعوة، العدد ١٧٧٦.



مكان، وله جهود مشكورة في هذا المجال، واستهلت الوكالة خيرها بالقول : فقدت الأمة الإسلامية الشيخ محمد بن صالح بن محمد بن عثيمين الوهبي التميمي عضو هيئة كبار العلماء في المملكة العربية السعودية الذي انخرط منذ صغره في تعلمه لعلوم الدين حتى أصبح عضو تدريس في كليتي الشريعة، وأصول الدين بفرع جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية بالقصيم.<sup>(١)</sup>

### وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية بقطر

ونعت وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية بدولة قطر إلى المسلمين في كل مكان فضيلة الشيخ محمد صالح بن عثيمين عضو هيئة كبار العلماء في المملكة العربية السعودية، جاء ذلك في بيان أصدرته الوزارة في الدوحة، وأشادت فيه بمناب الفقيه الراحل في مجال الدعوة من أجل صالح الإسلام والمسلمين.<sup>(٢)</sup>

### مجلس العلاقات الإسلامية الأمريكية

(كبر)

نقل مجلس العلاقات الإسلامية الأمريكية (كبر) أحد أكبر المؤسسات الأمريكية، المعنية بتقديم صورة صحيحة عن الإسلام والمسلمين بالولايات المتحدة الأمريكية، والدفاع عن حقوق المسلمين والعرب بأمريكا؛ خير وفاة الشيخ محمد بن صالح بن عثيمين العالم الجليل، والأستاذ بجامعة الإمام محمد بن سعود إلى الصحافة الأمريكية والإسلامية والعربية بالولايات المتحدة وكندا، معبراً عن أسف المجلس، وحزن أعداد غفيرة من المسلمين والعرب، الأمريكيين لوفاة الشيخ.

(١) المسانية، العدد ٥٧١٦.

(٢) المصدر السابق.

وكان الشيخ الجليل قد توفّي بجدة مساء الأربعاء الخامس عشر من شوال لعام ١٤٢١هـ الموافق العاشر من يناير لعام ٢٠٠١ ميلادية، عن عمر يناهز الخامسة والسبعين.

وقد عُرف عن الشيخ علمه الغزير بعد أن تتلمذ على يد مجموعة من أكبر علماء الإسلام، وكثرة طلابه بتدريسه علوم الدين، بحلقاته الخاصة، وجامعة الإمام محمد بن سعود، كما عُرف بالتزامه بالقرآن والسنة عند الفتوى، وفي تعقيبه على خير وفاة الشيخ قال له: (المدير العام لمجلس العلاقات الأمريكية - كير - إنا لله وإنا إليه راجعون، بالنيابة عن مجلس إدارة مجلس العلاقات الإسلامية الأمريكية والعاملين به أعبر عن خالص تعازينا لأسرة الشيخ وللأمة الإسلامية لفقدان الشيخ الكبير، نسأل الله أن يلهم أهله وطلاب علمه الصبر والسلوان).

كما عبّر عمر أحمد (رئيس مجلس إدارة مجلس العلاقات الإسلامية الأمريكية) عن تعازيه متذكراً حديث رسول الله ﷺ: «إذا مات أحدكم انقطع عمله إلا من ثلاث: صدقة جارية، وعلم نافع، وولد صالح يدعو له».<sup>(١)</sup>

### مؤسسة شيخ الإسلام ابن تيمية

#### في الولايات المتحدة الأمريكية

أعربت مؤسسة شيخ الإسلام ابن تيمية في الولايات المتحدة الأمريكية عن حزنها لوفاة فضيلة محمد بن صالح العثيمين، العالم الفضيل، والداعية المرّبي، والمعلم الصادق، والعضو بهيئة كبار العلماء رحمه الله رحمة واسعة فلقد كان رحمه الله من

(١) الرياض، العدد ١١٨٩١.

بقية السلف الصالح، ومن أواخر الأعلام للهدى والصدق والبذل والنصح للأمة في مشارق الأرض ومغاربها.

وكانت المؤسسة حريصة وما زالت على نشر كتبه وعلومه وفتاواه<sup>(١)</sup>.

### مركز الدعوة الإسلامية في البرازيل

ورفع مدير مركز الدعوة الإسلامية في البرازيل الشيخ أحمد الصيفي خالص تعازيه لقيادة المملكة العربية السعودية، وعلى رأسهم خادم الحرمين الشريفين الملك فهد بن عبد العزيز آل سعود - حفظه الله - لوفاة سماحة الشيخ محمد بن صالح العثيمين عضو هيئة كبار العلماء، والأستاذ بكلية الشريعة في القصيم، وإمام الجامع الكبير في عنيزة، واصفاً فقدته بأنه خسارة عظيمة حلت بالأمة الإسلامية.

وأبدى مدير مركز الدعوة الإسلامية في البرازيل الشيخ أحمد صيفي في تصريح له (الجزيرة) عميق حزنه، وألمه لفقد سماحته الذي كان رحمه الله عالماً كبيراً نذر نفسه لخدمة الإسلام والمسلمين، ونشر الدعوة إلى الله تعالى، ونصرة الدين الإسلامي الحنيف، واصفاً وفاته بأنها خسارة جسيمة على الأمة الإسلامية، وعلى أوساط العلم والعلماء، وحلقات التدريس.

ودعا الشيخ أحمد الصيفي الله جل وعلا أن يغفر له ويتقبل أعماله الجليلة وخدماته المخلصة لصالح الإسلام والمسلمين، ويجعله من عباده المقربين، ممن أنعم الله عليهم من التبيين والصدّيقين والشهداء والصالحين وحسن أولئك رفيقاً، وأن يلهم أسرة الفقيد الصبر والسلون، والله ذو الفضل العظيم<sup>(٢)</sup>.

(١) الدعوة، العدد ١٧٧٦.

(٢) الجزيرة، العدد ١٠٣٣٢.

### المجلس التأسيسي لرابطة العالم الإسلامي بالأرجنتين

وقال عضو المجلس التأسيسي لرابطة العالم الإسلامي لأمريكا اللاتينية بالأرجنتين المهندس محمد هاجر لدى سماعه نبأ وفاة سماحة الشيخ محمد بن صالح العثيمين عضو هيئة كبار العلماء، والأستاذ بكلية الشريعة في القصيم، وإمام الجامع الكبير في عنيزة: أن فقدانه رحمه الله يعتبر خسارة كبيرة مُنيت بها الأمة الإسلامية، لما للفقيه الكبير من أعمال جليلة، وجهود واهتمامات عظيمة لخدمة الإسلام والمسلمين.

وأعرب عضو المجلس التأسيسي لرابطة العالم الإسلامي رئيس المنظمة الإسلامية لأمريكا اللاتينية بالأرجنتين في تصريح لـ (الجزيرة) عن بالغ حزنه وأسأه على وفاة سماحة الشيخ محمد بن صالح العثيمين رحمه الله.

وقال :

إن المصاب جلل، والحزن كبير لما يكنه كل مسلم على وجه المعمورة له طيب الله ثراه، من محبة ومودة، والاعتدال في التمسك بشريعة الله وسنة رسوله ﷺ وحمله لهموم المسلمين في مشارق الأرض ومغاربها.

وأبان المهندس محمد هاجر أن رحيل الشيخ العثيمين من الدنيا الفانية إلى الدار المقرّ ترك فراغاً كبيراً، داعياً الله أن يجعل في خلفه من العلماء وطلبة العلم الخير للمسلمين، معتبراً وفاته رزاً كبيراً للأمة الإسلامية جمعاء، التي فقدت فيه عالماً كبيراً، وعلماً شامخاً من أعلام الفكر والدعوة والإرشاد وفق الكتاب والسنة.

وسأل المهندس (هاجر) الله تعالى أن يشمل الفقيد العزيز برحمته الواسعة وأن يرزق أهله ومحبيه الصبر والسلوان.<sup>(١)</sup>

(١) المصدر السابق.

### المركز الثقافي الإسلامي بمديرية

وكتب د. صالح بن محمد السنيدي (مدير المركز الثقافي الإسلامي بمديرية):

«لقد كان شيخنا رحمه الله أحد البقية المعدادين الذين أعادوا الأذهان إلى سيرة سلفنا الصالح في زهده وتقواه وتواضعه، ولذا لا نستغرب هذه الكثرة من التلاميذ والمحبين والمعجبين، فقد قرن العلم بالعمل، وجعل نفسه مثلاً يحتذى، بالإضافة إلى هذا كله التمس في فتاواه وآرائه الفقهية ما يراه الأقرب إلى التطبيق، وما لا يشقّ به على المسلمين، معتمداً في كل ذلك على الاجتهاد المعزّز بالسند والدليل من الكتاب والسنة، أو فعل سلف هذه الأمة ممن يعتدّ بفعلهم.

كما أن التغيرات الكثيرة التي طرأت على حياتنا في هذا العصر من تكنولوجيا ونفسية وغيرها نجدها حاضرة معتبرة في فتاوى شيخنا الفقيه، وهذا ما جعل آراءه الفقهية تمتدّ شرقاً وغرباً أينما يوجد المسلمون، وهذا ما يمكن أن نصفه بالتحرّر من الانعزال، وعدم التوقّع في نطاق أو مجتمع معين فيما أصدره من فتاوى، فمنحه ذلك صفة العالم الفقيه.

إن سيرة هذا العالم تستحقّ الدراسة والتأمل خاصة لمن يطمح أن يتبوأ مناصب الفتوى والمسؤولية الدينية، حيث كرس نفسه للعلم وطلابه، وابتعد عن الدنيا وزخرفها، واكتسب بذلك مكانة ووقاراً حُجزاً له في قلوب الملايين من المسلمين، فشدّت إليه الرحال من كلّ مكان، طلباً لما لديه من علم، وانتشر تلاميذه في كلّ الأصقاع، فهذا هو المكسب الذي يجب أن نبحث عنه لا عن الدنيا الفانية وحطامها الزائل.

لقد كان لخبر وفاته وقع أليم بين أبناء الجالية هنا في مدريد؛ لا سيما وأن المركز حاول أن يستضيفه من خلال التليفون في رمضان الذي ودّعناه قبل أيام، بناءً على رغبة العديد منهم؛ لكن حالته الصحيّة حالت دون ذلك.

نسأل الله عز وجل أن يتغمّده في رحمته، وأن يفسح له في فردوسه الأعلى وأن يجزيه الجزاء الأوفى على ما قدّمه وتركه رصيماً باقياً في المكتبة الإسلامية وبالذات الفقهية التي ستفقد فتاواه المتفاعلة مع الزمان والمكان، دون أن تبتعد عن المصادر الأساسية للفتوى.

كما نقدم تعازينا الحارة لأسرة الفقيد وتلاميذه ومحبيه في كلّ مكان، والشعب السعودي الذي يكن لهذا العالم الفقيه مكانة خاصة»<sup>(١)</sup>.

### بريطانيا - كاردف

وقال د. سعيد باسماويل :

«فقدنا عالماً جليلاً آخر في يوم الخامس عشر من شوال، فجعنا بوفاة العلامة الشيخ الفقيه الكبير محمد بن صالح بن عثيمين رحمه الله رحمة واسعة، نعم، ورحل عالمٌ جليل بعدما ملأ الدنيا علماً، فترجو أن يكون شهادة له عند ربّه، فالحمد لله الحيّ الذي لا يموت، والجنّ والإنس يموتون وصلى الله على نبينا محمد الذي خاطبه ربّه بقوله : ﴿إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُمْ مَيِّتُونَ﴾.

ونقول لكلّ المسلمين عموماً ولأهله وذويه خصوصاً : الله ما أخذ وله ما أعطى، وكلّ شيء عنده بمقدار.

(١) الجزيرة، العدد ١٠٣٣٥.

كما وأسأل الله أن يَجِـرَ مصابنا في فراقه، أن يلهمنا وإياكم الصبر والإحسان على قبض علمٍ آخر من أعلام هذا العصر.  
اللهم لا تفتنَّا بعده، واغفر لنا وله.

لقد رحل رحمه الله وقد ملأ الدنيا علماً، فلا يكاد يوجد كتاب مهمٌ لطلبة العلم إلا وقد شرحه، وكان رحمه الله زاهداً قي الدنيا كما يظهر من حاله ولباسه، حريصاً على نفع الخلق، مشغولاً بتدريسهم حتى في فترة مرضه رحمه الله رحمة واسعة، وأسكنه فسيح جناته، ورفع درجته وأعظم أجره، وجزاه الله عن الإسلام وأهله خير الجزاء، وعوّض المسلمين خيراً، وإنا لله وإنا إليه راجعون، ولا حول ولا قوة إلا بالله العليّ العظيم»<sup>(١)</sup>.

## ألمانيا

### وكالات الأنباء الألمانية

نقلت النبأ وكالة الأنباء الألمانية التي أعطت نبذة عن حياة الشيخ محمد ابن صالح بن عثيمين مشيرة إلى نشاطه الكبير في مجال الدعوة إلى الله والتدريس والتأليف والإفتاء وإلقاء المحاضرات في المسجد الحرام، وفي مختلف مدن المملكة بأسلوب متميّز، مشيرة إلى حصول فضيلته على جائزة الملك فيصل العالمية للخدمة الإسلامية عام ١٩٩٤م.<sup>(٢)</sup>

(١) الرياض، العدد ١١٨٩٣.

(٢) المسانية، العدد ٥٧١٦.

### نيوزيلندا

## الجمعية الإسلامية الخيرية بنيوزيلندا

وقال زيدان الرمال الشمري :

«لقد بلغنا نبأ وفاة الشيخ الجليل الإمام محمد بن صالح العثيمين يرحمه الله - ويحسن إليه - وهكذا تكون قد انطفأت جذوة من منارات العلم، وكان قبله من العلماء من قضى نحبه هذا العام، ومنهم من ينتظر، فلا يزيدنا هذا الأمر حزناً فحسب، بل يزيدنا خوفاً وفزعاً، فهو الأمر الذي أخبرنا عنه الصادق المصدوق صلى الله تعالى عليه وآله وسلم من أوان انتزاع العلم من هذه الحياة حتى لا يبقى عالم.. فيأتي الناس رؤوساً (ولم يقل صلى الله تعالى عليه وآله وسلم علماء) جهالاً، فيضلون الناس بما يحملون من جهل، وهكذا سينحسر العلم ومعرفة السنة المطهرة، وسينحسر التمسك بالدين حتى لا يقال على الأرض الله .. الله .. فحسبنا الله ونعم الوكيل.

وإن كان لنا عزاء في مثل هذا الموقف فمصيبتنا بموت النبي صلى الله تعالى عليه وعلى آله وسلم هي أعظم وأكبر من مصيبتنا بموت من يعود لنا بقرابة ودراسة ونسب وصلة.. هذه الموات التي تتخطف علماءنا علماء الكتاب والسنة ومنهج السلف الصحيح، وتترك المسلمين في حزن وأسى في مثل هذه الظروف الحرجة من الجهل والردة.. رغم أنها من سنن الله تبارك وتعالى في الحياة، إلا أنها واعظ لمن أراد أن يتفكر في الحياة الدنيا وزينتها، ولمن كان يرجو الله واليوم الآخر.

فلا يأخذ الحزن مأخذه في نفوسكم أيها المسلمون، ويصيبكم اليأس والقنوط، فإن الله تبارك وتعالى قد تكفل بدينه وبالمؤمنين حماية ونصراً، وهو بالغ أمره ولو

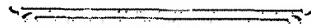


## ﴿ الدار الثمين ﴾

كره الكافرون، يرحم الله تعالى السابقين الأولين من المهاجرين والأنصار، ويرحم الله تعالى الكثيرين والمقلّين والمتقدّمين والمتأخّرين من الأبرار، ويرحم الله تعالى المؤمنين والمسلمين خاصّتهم وعامتهم.. اللهم آمين.

فلا تمنوا أيها المسلمون، فما موت الشيخ إلّا لكم دفع للعمل في سبيل الله تعالى أكثر وأكبر.. والله غالبٌ على أمره ولكن أكثر الناس لا يعلمون.

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته».



رَفَعُ

عبد الرحمن النجدي  
أسكنه الله الفردوس

رَفَعُ  
عبد الرحمن النجدي  
أسكنه الله الفردوس

## الباب الخامس

مَّا قِيلَ فِي الشَّيْخِ  
وَمِنَ الشَّعْرِ

رَفَعُ

عبد الرحمن النجدي  
أسكنه الله الفردوس

١- من شعر فضيلة الشيخ / سعود بن إبراهيم بن محمد الشريم (إمام  
وخطيب الحرم المكي)<sup>(١)</sup>

|                                        |                                            |
|----------------------------------------|--------------------------------------------|
| هَوَاكَ حِينَ كُنْتَ تُغْذِيْنَا       | يَا عِبْلُ لَا تَلُومِي إِنْ نَسِينَا      |
| فَفِينَا مَا يُرَوِّغُ الْجَبِينَا     | يَا عِبْلُ لَا مَلَامَ فِي جَفَاءِ         |
| رُزِينَا بِالْخُطُوبِ سَادِرِينَا      | يَا عِبْلُ لَا وَصَالَ فِي بَلَاءِ         |
| يَحِقُّ لِلنَّمَامِ أَنْ يَبِينَا      | تَاللَّهِ مَا طَابَ لَنَا مَنَامُ          |
| نَوَازِلِ تُبْلَغُ الْيَقِينَا         | وَرَهْدُ الصَّافِي فِي تَلَاقِ             |
| فَلْتَسْمَعِي الْبُكَاءَ وَالْأُنِينَا | إِنْ تَسْأَلِي يَا عِبْلُ مَا ذَهَانَا     |
| حَسِيرَةً مِمَّا بِهِ رُزِينَا         | وَلتُبْصِرِي الْعُيُونُ شَاخِصَاتِ         |
| وَلتُعْذِرِي إِنْ كُنْتَ تَعْذِرِينَا  | كَيْ تَعْلَمِي الْمَصَابَ فِي جُوعِ        |
| مُوسِدًا بِقَبْرِهِ دَفِينَا           | بِفَقْدِ شَيْخِ عَالِمٍ جَلِيلِ            |
| بِالْمَوْتِ حِينَ يَقْطَعُ الْوَتِينَا | أَتَاهُ مَا يَجُوبُ كُلَّ حَيِّ            |
| لَقِينَا فِي الْمَصَابِ مَا لَقِينَا   | مُحَمَّدُ الصَّالِحُ يَالْقَوْمِي          |
| فِيْفَتَدَى بِالْمَالِ وَالْبَنِينَا   | لَوْ أَنَا نُقِرُّ فِي فِدَاءِ             |
| فَدَاؤُنَا الْمَكْفَنِ الْقَطِينَا     | لَكِنَّهُ السَّمَاتُ لَيْسَ يُجْدِي        |
| عِزَاؤُكُمْ مُصَابِنَا عَزِينَا        | آلَ عُثَيْمِينَ أَلَا فَصِيرًا             |
| نَرَاهُ إِذْ نَرَاهُ مُسْتَبِينَا      | حَبِيرٌ وَبَحْرٌ لِلْجَمِيعِ رَحْبُ        |
| وَالْفَقْهُ صَارَ تَوْبَهُ الْمَتِينَا | فَإِنْ تَسَلَّ فِي التَّخَوُّ ذَاكَ طَوْدُ |
| دَلِيلُهُ أَلْبَانَا أَوْ رُؤِينَا     | يَقُولُ بِالنُّصُوصِ فِي ثَبَاتِ           |
| وَيَقْهَرُ الْبَاطِلَ فِينَا حِينَا    | يُدَارِسُ الْعِلْمُ كُلَّ حِينِ            |

لم تثن قنائه اصطباراً  
يُجلُّ بالعلم على افتخار  
يَقُومُ إِنْ جَنُّ بِهِ ظِلَامٌ  
كُتِبْنَا سَلَتْ بِهِ قُلُوبٌ  
لِلَّهِ يَا لِقَوْمِي مَا دَهَاكُمْ  
أَلَا تَرَوْنَ الْأَرْضَ بَعْدَ هَذَا  
وَيَكَلِّمُ الْقُلُوبَ أَنْ تَلَاقَى  
بِجَهْلِهِمْ تَسَاقُطُ الْإِنْسَانِي  
فَلَمْ يَعْ لِهَازِمِ الْبَرَايَا  
أَبْرَمَ لَنَا يَا رَبَّنَا شِوْخاً  
كَيْ نَسْتَفِيقَ فِي الْوَرَى وَهَذَا  
لَنْ أَغْفَلَنَّ يَا أَخِي حَتَمًا  
إِنْ قَائِمًا أَوْ قَاعِدًا أَوْ رَاقِدًا  
بِمِثْلِهِ فَلْتَخْتِمُوا حَيَاةَ  
شَتَّانَ بَيْنَ عَازِفِ بُعُودٍ  
وَبَيْنَ مِنْ حَيَاتِهِ جَهَادٍ  
فَارْحَمِ إِلَهَ الْعَالَمِينَ شَيْخاً  
بِفَضْلِكَ الْعَظِيمِ يَا إِلَهِي  
وَاخْلُفْ لَنَا فِي الْمُسْلِمِينَ خَيْرًا  
ثُمَّ الصَّلَاةُ بَعْدَهَا خِتَامُ

يُقيِّمُهَا الدَّهْوَرُ وَالسَّنِينَا  
يُحِبُّ بِالْأُلُوفِ وَالْمِئِينَا  
لِلَّهِ يَقْرَأُ قَوْلَهُ الْمُبِينَا  
مَا أَنْ لِلْقُلُوبِ أَنْ تَلِينَا  
أَلَا تَرَوْنَ الْحَطَبَ حُلًّا فِينَا  
تَنَاقَصَتْ بِمَوْتِ عَالَمِينَا  
بِمَوْتِهِمْ فِي الْعِلْمِ جَاهِلِينَا  
وَاسْتَسَمْتُوا ذَا وَرَمِ نَحِينَا  
لَمْ يَسْتَبِينُوا الْعَثَّ وَالسَّمِينَا  
أَمْثَالُهُ يُجَدِّدُونَ دِينَا  
دَوَاؤُنَا مِنْ بَعْدِ مَا عِينَا  
عَنْ دَعْوَةِ لِلشَّيْخِ مَا حِينَا  
وَادْعُوا لَهُ يَا قَوْمُ قَانِينَا  
لَا تَخْتَمُوا بِمِثْلِ مُطْرِبِينَا  
حَيَاتُهُ أَهْوَاكَ لَنْ أَلِينَا  
وَيُبْصِرُ الطَّرِيقَ إِنْ عَمِينَا  
وَلِتَجْزِهِ فِي الْعَدَنِ عَلِينَا  
زَوْجُهُ فِي الْجَنَّةِ حُورًا عِينَا  
بِاللَّهِ قُولُوا إِخْوَتِي آمِينَا  
عَلَى الَّذِي تُفْدِيهِ وَالِدِينَا

٢- من شعر فضيلة الشيخ / إبراهيم بن صالح الوابل<sup>(١)</sup>

|                               |                            |
|-------------------------------|----------------------------|
| ونفى عن العين الرقاد وأسهر    | خطب ألم القلب أشجى المنبرا |
| كتم الدجى أنفاسه وتبعثرا      | خطب إذا ما الصبح أرسل ضوءه |
| وتبيت تنعاه المداين والقري    | جلل له تبكي القصيم وأرضها  |
| أفلاكه وتناثرت خلف الثرى      | في ذمة التاريخ حبر قد هوت  |
| ابن السماحة والكرامة والذرا   | شيخ القصيم محمد ابن الندى  |
| وأسال دمعاً كاللآلئ قد جرى    | العلم صافحه وصافح فضله     |
| وقد انزوت حيرى تكذب ما ترى    | جفت صحائفنا وغاض يرأعنا    |
| وقع السؤال بيننا متحيراً      | من للفتاوى بعده خلا إذا    |
| فلنا به علم أضاء وأبهر        | إن كان قد غابت نسائم روحه  |
| كم طالب في بحره أدلى القرى    | بحر تفيض به الجواهر حكمة   |
| بدرًا أنار مع الدجى درب الورى | يا نجمة برزت وكان ضياؤها   |
| وراءه موج يموج تبختر          | تسعى وتمشي خلفه أمم تظن    |
| كالكهف تاه بقلبه من قد سرى    | يا درة الإسلام فقدك ظلمة   |
| لله درك عالماً متبحراً        | يا درة بخل الزمان بمثله    |
| عادت شراً بالعناء مكدر        | هذي الحياة وإن صفت أيامها  |
| وسقاه من فمر الجنان الكوثر    | غفر الإله له وخلد ذكره     |

(١) الجزيرة - الأربعاء ٢٢ من شوال ١٤٢١هـ.

٢- من شعر / فهد بن عبد العزيز بن حمد آل وهيب (مدير المعهد العلمي بحوطة سدير)<sup>(١)</sup>

|                                   |                                 |
|-----------------------------------|---------------------------------|
| كذا فليجل الخطب أو يفدح الأمر     | فليس لعين لم يفيض ماءها عذر     |
| يعزون في شيخ يعزي به العلا        | ويكي عليه العلم والحلم والفكر   |
| كان بني الإسلام يوم وفاته         | نجوم سماء هوى من بينها البدر    |
| هذي المكارم لا تزويق أبنية        | ولا الشقوق التي تطلّى بها الجدر |
| أهكذا البدر تحفي ضوءه الحفر       | ويفقد العلم لا عين ولا أثر      |
| خبت مصابيح كنا نستضي بها          | ولوح للمغيّب الأنجم الزهر       |
| فبح على العلم نوح الثاكلات وقل له | والهف نفسي على أهل له قبروا     |

٤- رحماك ربي على شيخ نودعه<sup>(٢)</sup>

شعر الشيخ / عبد الله المعتاز (رئيس إدارة المساجد والمشاريع الخيرية والموجه العام للمدارس بدر الأهلية).

|                                |                            |
|--------------------------------|----------------------------|
| ما بال جسمك يا المعتاز أضناه   | هم وغم ودمع العين يفشاه    |
| عهدي بك الأمس مسرورًا ومبتسمًا | لا تستكين لما يأتي به الله |
| كفكفت دمعي وقلت الله يجبرنا    | هذا مصاب دهانا ما عهدناه   |
| ألا ترى أمة الإسلام في كمد     | الشيخ في كربة والطفل أبكاه |
| شبابنا شدة الآلام أرقه         | وكاد من لوعة الأحران يلقاه |
| جاءت خطوب لعل الله يرحمنا      | موت المشايخ تترى لست أنساه |

(١) الجزيرة - الأربعاء ٢٢ من شوال ١٤٢١ هـ.

(٢) الدعوة - العدد ١٧٧٧ - ٣٠ من شوال ١٤٢١ هـ.



الباز من قبل والألبان يعقبه  
 العلم والدين والإيمان يرفعهم  
 سألت ربي إله الحق يجمعنا  
 هذي الحياة هموم لا حبور لها  
 أين الطفافة وأين العابدون لها  
 وأين فرعون قد أمسى له كفناً  
 وأين من حاج إبراهيم في سفه  
 أتاهم هاذم اللذات في عجل  
 رحماك ربي على شيخ نودعه  
 فهو الذي قد بنى في الناس أفئدة  
 مجالس العلم تكيه وتندبه  
 ومسجد قد بناه الشيخ يعمره  
 وفي الدنا ضجة حرى تؤرقه  
 وفي المقابر هل شاهدت جمعهم  
 جاؤوا إليه يغذون المسير له  
 الله أكبر دين الله يجمعهم  
 الله أكبر ذاك الشيخ تعرفه  
 تبكي الأنام إذا ما الشيخ خوفها  
 نبكيك يا أمة في ثوبها رجل  
 تراه مبتسماً مهما ألم به  
 يعلم الناس دين الله في مرض

وابن العثيمين بعده ما تخطاه  
 وذكرهم في الورى مهما تناساه  
 في جنة الخلد بشرانا وبشراه  
 إلا لمن ربنا الرحمن يرضاه  
 وأين قارون لا تحصى خطاياها  
 في جلة البحر ملعوناً تركناه  
 الكل يسمته إن حل ذكره  
 أصلاهم من عذاب الله أقساه  
 بحر العلوم الذي قد نال أعلاه  
 قد زينت برحيق العلم أصفاه  
 هذي عنيزة ثكلى بعد فرقاه  
 شباب علم على التوحيد رباه  
 الكل يبكي دماً حبا لمرآه  
 دمع من العين فوق الخد مجراه  
 قد انمكت سيرها ليلاً مطاياها  
 محبة من صميم القلب  
 ذكره منابر العلم للمحراب  
 ممشاه يثير في القلب أشجانا  
 محياه بنى من المجد ما خطته  
 يناله مسلماً لقضاء الله تلقاه  
 على السرير وعين الله ترعاه

فقال راحتي التعليم أهواه  
وكم أجاب على فتوى سألناه  
كم جاهل غارق بالجهل أرواه  
وكم عدو لدين الله عاداه  
يرجو ثواباً من الرحمن يخشاه  
بيت من الطين مأواه ومشواه  
واجبر مصيبتنا في الشيخ رباه

قال الطبيب ألا ترتاح في مرض  
كم قولة الحق قد دوت مجلجلة  
وكم محاضرة للناس علّمها  
وكم صديق أتى للعلم يطلبه  
الله أكبر دين الله يرفعه  
ما همه جمع مال أو مفاخرة  
يا ربنا اخلف على الإسلام في علم

٥- النَّاصِح<sup>(١)</sup>

شعر / أحمد صالح الصالح

فأوجع القلب.. والأكباد والحدقا  
ففرّع المنبر المشتاق والحلقا  
إمامها.. وحبباً عالماً صدقا  
بين الضلوع وأصلاها النوى خرقا  
بأيّ حادثة.. هذا المساطرقا  
فأثكل الناس والدارات والطرقا  
وفي الشفاة حديث بالأسى شرقا  
أن يهجر النبض أو أن ينتهي مرقا  
في موكب الحب.. سدوا للقا الأفقا  
وأن شيخهم.. في إثرهم طفقا  
بعلمه ما اشتكى عيا ولا رهقا

بآية الحبّ فضّ الحزن أفدة  
ومرّ بالمسجد الباكي.. إمامته  
وأجهشت أعين الفيحاء باكية  
تحملت فوق هذا الحزن تخزينه  
قد أوحش الدور فالأحياء مطرقة  
وأثها خبر غص الأثير به  
في كل عين حكايات.. تُخبئها  
بين الضلوع يكاد القلب من جزع  
إمام هذا الهدى الأحباب ما برحوا  
كأنهم في انتظار الدرس.. قد وقفوا  
وأن كرسية لا زال مزدهرا

(١) الجزيرة - الأربعاء ٢٢ من شوال ١٤٢١ هـ - العدد ١٠٣٣٨.

وأنه سوف يأتي كالندى سحرًا  
يلقى.. يان.. الهدى في الناس محتسبًا  
دروسه يِّنَاتٍ يستضاء بها  
إليه.. جاءت ركابُ الناس مشفقةً  
كم غلَّهم بصوح العلم طيِّبه  
حيينا.. هذه الأحياء قد عرفت  
إمامهم.. وحييا لامست يده  
جرحاً تَبَزَّلَ مسَّته.. بصيرته  
حيينا.. أمة الإسلام يتَّمتها  
عامان.. غابت نجوم جدُّ مَزهرة  
حيينا.. أمة الإسلام متخنة  
ألقي اليهود إليها كلَّ حقدهم  
وأنقلت عن جهاد النفس واتخذت  
ترجلت عن ظهور الخيل من زمن  
أيقظت في ثقة فيها حميتها  
تُقِيلُها بحنان المشفقين بها  
حتى إذا ما اجتلوا درب الهدى رغبًا  
ودعتهم.. يا حبيبا كان يؤنسهم  
فأجفلوا كاليتامى حين ودَّعهم  
حيينا طبت في أم القرى جدثا  
وطبت غيثًا به الفيحاء مُخصبة  
إليك من جبهها ما أنت تعرفه

يياشُرُ الصبح.. للمحراب معتقا  
كأنما ينفخ الأطياب.. والعَبَقَا  
في كل معضلة.. ما لان أو فَرَقَا  
لنستقي من معين.. للهداة سقى  
وأفل العلم من وافته مغتبقا  
فيك الأمين النقي الزاهد الخدقا  
وقلبه.. ولسان بالهدى انطلقا  
لأمة.. لم تزل في أمرها فَرَقَا  
رحيل أعلامها من للهدى استبقا  
لله من رحلوا.. طوبى لهم رُفَقَا  
وكلما التأم جرح آخر انفتقا  
والغرب سن لها من كيده طرقا  
درب الهوى مسلكا والغى مرتفقا  
فجئت في ليلها تستدرك الرمقا  
محضت إيمانها أخزيت من نعقا  
وتحص النصح أذنائها ومن أبقا  
واستشرفوا طالعا بالحق مؤتلقا  
وكان برأ حفيًا صيًّا غدقا  
من طاب سيرته واستكمل الخلقا  
وطاب ذكرك في كل الدُّنَا عبقًا  
أحيا موات التُّهى واستنبت الورقا  
ومن تضرعها أن لا تذوق شقا

٦- نجم .. إثر نجم

من شعر / حسين بن حسن العبد<sup>(١)</sup>

|                                              |                                 |
|----------------------------------------------|---------------------------------|
| وَنورَ رمسًا ضمَّ جسمًا بسبب                 | ألا نضرَ الله العِثمينَ رحمة    |
| ومن بَلَّغَ العلمَ الصحيحَ من النبي          | لمن بَلَّغَ الآياتِ من قول ربنا |
| ونذهب حيث الشيخ يغدو ويذهب                   | تحيته أأنا نسير على الخطا       |
| ونحملها دومًا على كل منكب                    | تحيته أأنا نؤدي أمانة           |
| وأشعله من كل عضو معذب                        | ونشر علمًا صاغه من جهاده        |
| وفي موته رمزًا لجاف ومطنب                    | لقد كان في مَحياه للناس آية     |
| يسير إمام الناس في كل مذهب                   | ألا هكذا أو هكذا ثم هكذا        |
| ومن غيره عصت بناب ومخلب                      | تعزى من الدنيا وخلص نفسه        |
| وأوتى في الإغراء من زُهد مُصعب               | نجا من له يومًا من العلم ضامر   |
| فجاورته في «العدل» <sup>(٢)</sup> في خير غيب | مشيت على نهج ابن باز وسَمته     |

٧- لحظة .. لا تغيب.

من شعر : سليمان بن زيد الجربوع<sup>(٣)</sup>

|                             |                             |
|-----------------------------|-----------------------------|
| كثيرًا يصيح بالنعش «مهلا»   | لو رأيت القصيم في حلة العرس |
| تزرع الأفق ياسمينا وفلا     | وحواليه من بنيه جموع        |
| وحقولا.. طفلًا غريبًا وكهلا | كان يزدان للقاء يوتًا       |

(١) مجلة المعرفة - العدد ٦٩ ذو الحجة ١٤٢١ هـ.

(٢) العدل : مقبرة العدل في مكة المكرمة.

(٣) المرجع السابق .

وتغنت بك البطاح ربيعاً  
كلهم كان في انتظارك..عيناً  
يتنادى بك المدى فنناد  
القصيم الذي عهدت حنين  
كلنا كان بين مد وجزر  
ها هنا اصطفت القلوب تناغي  
لَفْنَا باليقين برداً ونوراً  
ودعانا لعالم من مجالي الخلد  
عالم مبهر ، فلم تر عين  
وتراءى لنا على البعد طيف  
إنه حسنه المهيب ووجهه  
أهنا يرقد الحبيب ملمماً  
أهنا يرقد الحبيب ؟ أفيقي  
أهنا يرقد الحبيب..فهلاً  
قال: قد رمت وصفه، قلت: من لي  
واستفقتنا ، فم الزمان رثاء  
والعشيمين رحلة ما توانت  
والعشيمين صفحة من كتاب  
والدني دمة تعزي زماناً  
شَقَّ السقم يا ظهور السجايا  
وتساميت راضياً مطمئناً  
ثابت القلب في يمينك سيف

أنت أشهى منه مراحاً وظلاً  
تتملى وخاطرًا يتسلى  
طائرات القدوم «أهلاً وسهلاً»  
يغلي حرقه ويلتاع وبلا  
وحبال القضاء تفتل فتلا  
أملًا من كوى الغيوب أطلا  
ونمانا لسدرة الحب أصلاً  
أغلى من أن ينال وأعلى  
قبله مثله دياراً وأهلاً  
أيُّ حسن بدا ونور تجلى  
يستثير الرؤى جلالاً ونبلاً  
بشتات العلم السني مُدلاً  
يا يد الحلم ، فالجمال تدلي  
طففت شعراً على مغانيه هلاً  
قال : وفيت حقه ، قلت : كلا  
يهجر الأنس في ذراه ويقلى  
تملاً الخافقين علماً وبذلاً  
في يد الموت قد طواها ، وولى  
كنت فيه السفر العظيم الأجلأ  
واحتوتك الدروب وعراً وسهلاً  
بنبت البؤس في شفاهك فالأ  
من يقين يقل سقمك فالأ

## ٨- فقدناك يا نبع العلوم وبحرها

من شعر : صبيح صالح الصيعري.<sup>(١)</sup>

|                               |                              |
|-------------------------------|------------------------------|
| أيا حافظ القرآن فالكل محزن    | فهل أنت من فقد الجليل حزين   |
| فقدناك يا نبع العلوم وبحرها   | رحلت وإن الشعب فيك حزين      |
| سيبقى مع الأيام ذكرك خالدا    | تركت دروسا كلهن ثمين         |
| إذا ما ذكرنا عالما ومحدثا     | ذكرناك ما بين الجميع فطين    |
| إمام لأهل العلم والفضل والتقى | وحصن لأهل الصالحات حصين      |
| إذا رام غيرك في الحياة مرامه  | فإنك للعلم المفيد قرين       |
| ستحزن من فقد الفقيه دروسه     | ويحزن منه طالب وعوين         |
| ويحزن منه منبر بعد فقدته      | وتذرف منه أدمع وعيون         |
| إذا ما خطيب القوم قد حل بعده  | تعالى لأطراف الصفوف أنين     |
| لذكرى فقيه العلم هلت دموعهم   | وجاشت صدور حزقهن دفين        |
| يا إله الكون ارحم محمدا       | فقد كان في نشر الكتاب أمين   |
| وقد كان نورا للشباب ومرشدا    | يسير بدرج ثابت ويقين         |
| على مثله تبكي شعوب لفقده      | كذلك يبكي طالب ومتون         |
| إذا ما أردتم حفظ ود محمد      | عليكم سلوك النهج فهو قمين    |
| فخفف عليه يا ألهي بقبيره      | إذا العبد من بعض الذنوب رهين |
| إذا ما ادلم الليل قام مصليا   | فقد تشتكيه أرجل وجفون        |
| يجافي بمنج عن مضاجع نومه      | يصلي إذا ما العالمين سكون    |

(١) الرياض - العدد ١١٨٩٦ - الخميس ٢٣ من شوال ١٤٢١ هـ.

ويكتب حيناً في كتاب لنشره      ولو عارضته عقبة وحزون  
هنيئاً له إذ انفق العمر ساعياً      لتحصيل علم للأنام ثمين  
عزناً لأهل للفقيد وإخوة      وكل قريب للفقيد حزين

٩- غاب صوت الشيخ

من شعر : مبارك بن عبد الله المحيميد<sup>(١)</sup>

هل أتى حين من الدهر به      غاب صوت الشيخ عن طلابه ؟  
لم يكن في بيته أو درسه      أو على الهاتف أو محرابه !  
صوته الخاشع يطويه أسي      صوت ناعي الركب في رُكَّابه  
يرحل الشيخ..وما أصعب أن      يرحل الخبـوب عن أحبابه  
يرحل الشيخ..وما كان سوى      أمة تلبس من أنوابه  
يا لأطيار من العلم وقد      هاجرت ؛ والشيخ من أسرابه  
لست أدري أي شيء هزني      حين خاض الناس في أوصابه  
سألني :عن جسمه الناحل ما      هده ؟ أخبرك عن أسبابه  
زاده «الزاد» وقد آثره      سائغاً للناس في أكوابه  
«بابه المفتوح» لا يُغلق من      زحمة الناس على أعتابه  
وله «قول مفيد» قد أتى      ساعياً للفهم من أبوابه  
طفً على أسفاره وأسأل بها      كل فن عن مزايا ما به  
يعجز الفن !! وقد تسعفه      أحرف السفر إلى إيجابه  
يا لأيام سمان - قد خلت -      وليال خرجت من بابـه

(١) الرياض - العدد ١١٨٩٦ - الخميس ٢٣ من شوال ١٤٢١ هـ.

عجباً كيف استطاعت همة أنت سطر في سجل الكون قد  
 قفل الشعر وقد أتعبه جاء بالإيجاز منه وعسى  
 - فبيت دهرًا - على إجابته عجز الأحياء عن إعرابه  
 ركضه للشيخ من إعجابه ينفع الإيجاز عن إطنابه

## ١٠- آلام وأمل

من شعر : صالح بن مقحم المطيري.<sup>(١)</sup>

قالوا الأسى يعلو فؤادك والكدر أتراك عشت الليل يأسرك الهوى  
 أم أنما الأوهام سارت بالكرى حتام تبقى واجماً متندماً  
 فأجبتهم عذراً دعوني ما أنا خاطبتهم والدمع يحنق أحرفي  
 أنا مؤمن لكن عيني لم تزل مازلت أسمع صوته يهدي لنا  
 خاطبتهم والدمع يحنق أحرفي مازلت أسمع صوته متألقاً  
 يا شيخ مهلاً فالأنام بحاجة في أرض مكة غيبوك وما دروا  
 ما هذه الأحزان مالك والسهرة أم كان سهدك للحبيب ومن هجرة  
 فمضيت ترسل ناظريك إلى القمر هلا ذكرت لنا مصابك والخبر  
 إلا أسير الحزن في زمن العبر أنا مؤمن بالله راض بالقدر  
 ترنو إليه محدثاً رغم الكدر من علمه الفياض أنواع الدرر  
 رغم الأسى من فتكة الداء الأمر للعلم للإيمان للذكر العطر  
 أن الذي قد غيوه هو القمر

(١) مجلة المعرفة - العدد ٦٩ - ذو الحجة ١٤٢١ هـ.



## ١١- ما أطولَ الحزن

من شعر : محمد بن عبد الرحمن المقرن.<sup>(١)</sup>

|                                |                                  |
|--------------------------------|----------------------------------|
| يا رب ما كان صوتُ الحق يفزعنا  | وفي القلوب يقينٌ يشبه الجبلا     |
| لكنه العلمُ قهوي منه أعمدة     | فيرجفُ القلبُ من توديعهم وجلا    |
| من يا ترى سيسدُ الثلم إن رحلوا | وهل سنلقي لهم في جيلنا بدلا ؟    |
| ما لعلم في مشلح ضاف نبخره      | ولا انحناء رؤوس ترقب القبلا      |
| العلم صبرٌ وزهدٌ في ثياب تقى   | لاخير في العلم إن لم يتبع العملا |
| ألا سقى الله من أرسى لنا مثلاً | غُلّيا سنجعلها في دربنا مثلاً    |
| يا طالب العزِّ حدّق في جنازته  | كذلك العزُّ أَمَا ما سواه فلا !  |

## ١٢- الرزية

من شعر / إبراهيم بن علي النفيسة.<sup>(٢)</sup>

|                          |                           |
|--------------------------|---------------------------|
| ألم تسمع إلى ما قال يوما | أخو الأشعار في وصف الرزية |
| تعلم ما الرزية فقد مال   | ولا شاة تموت لا مطية      |
| ولكن الرزية فقد فلد      | تموت بموته أمم وفيه       |
| ألم تعلم بأنا قد فقدنا   | شيوخ العلم أصفى الناس نية |
| محاسنهم تفوق ذرى الغمام  | وأنفسهم إلى المولى عليه   |
| تتابع عقدهم فرأيت قومي   | على حزن وفي كُربٍ جلية    |
| نجوم قد قاتوت من سماها   | عدولٌ لم تكدرهم دنية      |

(١) المرجع السابق .

(٢) الجزيرة - العدد ١٠٣٤٦ - الخميس ٣٠ من شوال ١٤٢١ هـ.

جبال قد تمادت في علاها  
 غصون وابن باز وابن زرقا  
 وكم قد ساءني وشجى فؤادي  
 عثمين يقول الحق حقا  
 إمام في العلوم وفي السجاي  
 أصولي فقيه حبر علم  
 ينافح عن حياض الدين دوما  
 تناحل جسمه فعلاه شيب  
 ولكننا وإن طالت خطانا  
 فكأس الموت مورد كل حي  
 أيا رحمن فاخلف خلف خير  
 وجاز إمامنا خيراً جزياً

أولو الأبواب سهم خير البقية  
 وطنطار كذا الشيخ عطية  
 رحيل الطود ذي النفس الأبية  
 لأجل الله لا يرضى جزية  
 وفي الخيرات ذو كف ندية  
 عصامي نصوح للرعية  
 ولم يفتر إذا ما الروح حية  
 وفي أثوابه روح فتية  
 نجوب الأرض في حكم المنية  
 وبالأقدار أنفسنا رضية  
 واجرنا فإيا في بلية  
 وأورثه جنانا سمرمدية

١٣- حسرات في يوم الرحيل

من شعر : علي بن حسن الحارثي.<sup>(١)</sup>

خطب تكاد له الجبال تهْدَمُ  
 أحقية مات الإمام وأطفئت  
 ماذا أقول وفي الحنايا لوعة  
 العين جادت بالدموع غزيرة  
 شيخ القصيم بل الجزيرة قد مضى  
 ومصية في كل عين تعظم  
 سرج المكارم أم تراني أحلم  
 ولئن سكت فحسرتي تتكلم  
 والنار في جوف الحشا تتضرم  
 بل شيخ صحتنا الذي نتأمم

(١) مجلة الأسرة - العدد ٩٢ - ذو القعدة ١٤٢١ هـ.

تبكي غنيزة فقد من أحياء بها  
تبكيه كالأم الرزوم إذا دهمت  
ما حال جامعها الكبير وقد مضى  
محرابه يبكي ويبكي منبر  
جل المصاب وضاعت الدنيا بنا  
واحسرة في القلب ليست تنقضي  
لو جاز أن تُفدى فديتك شيخنا  
لما بليت وقفت طوداً شامخاً  
وأيت مكة تلتقي بأحبة  
أو كنت تشعر أن أمراً قد دنا  
حتى الدروس أفتها لم تكثر  
وصبرت حتى إن صبرك آية  
أفقيد أمتنا مضيت بمشهد  
صلت عليك جموع لم أر مثلها  
وعلمت ما «يوم الجنائز» إنه  
قل لي بربك يا ثرى «العدل» الذي  
كيف التأم عليه كيف حوите  
علماً وربك قد حويت وحكمة  
أبكيه ثم أقول من حر الأسى  
والله لولا أن ربي قد قضى  
لبقيت أبكيه أسح مدامعاً

ورث النبوة يجتني ويعلم  
خير البنين منية تتخرم  
ذاك الخطيب اللوذعي الملهم  
ومكان درس الشيخ قفر مظلم  
والحزن في كل الديار مخيم  
والوعة في خاطري لا تكتم  
وفداك كل مجل يتعمم  
بالله لا بخلائق تستعصم  
عودهم والحر كم يتكرم  
فأيت تخفي ما علمت وتكتم  
بتجدد الأسقام ... لا تنألم  
للسائرين على المحجة معلم  
ملك الفؤاد كأن ذاك الموسم  
والدمع في تلك المراجع يسجم  
يوم نردد ذكره لا نسأم  
فيك البدور ثوت وغارت أنجم  
هل أنت تدرك ما جرى هل تعلم؟  
وثقى وزهداً منه كم نتعلم  
من بعدكم ألى بعيش ناعم  
بالموت للثقلين من ذا يسلم  
ما دام قمري " الشفا " يترنم

أني أعزي النفس أنك لم تمت      وأكاد من فرط المشاعر أقسم  
 ما مات من ملأ الدُّنا بعلومه      والخير من كلماته لا يُعدم  
 ما مات من أحيا القلوب بنصحه      يعفو وبالطلاب لا يتبرم  
 يا رب فاجبر كسرنا بمُصابنا      أنت الذي بالحوال منّا أعلم  
 أنت الذي ندعوه إن خطب دها      أو أزمة حلت فلا تتأزم  
 يا رب في الفردوس أسكن شيخنا      وتولّه أنت الأعز الأكرم

#### ١٤- الدمع السخين على فراق الشيخ العثيمين

من شعر : خالد بن علي الدويغري.<sup>(١)</sup>

خبرٌ - وربي - للفضاد يقطّع      دمت العيون له وعز المضجع  
 خبر - وربي - هد كل عزيمة      يندى له الرجل الحليم ويفزع  
 خبر - وربي - لا يزال مدوياً      من هوّله صم الجبال تصدّع  
 خبر أتى من حول مكة ناعياً      «الشيخ مات» وليتنا لم نسمعوا  
 خبر أتى ينعى العثيمين الذي      كل القلوب له تجل وترفع  
 ينعى الإمام الفذ عالم عصرنا      شيخ جليل زاهد متورّع  
 عز القصيدُ وأطرقت كلماته      ماذا يقول الشعر ؟ ماذا يبدع ؟  
 تلك المصيبة إنها لكبيرة      صبراً فلله العظيم المرجع  
 ولقد فجعنا بآبن باز قبله      إن المصائب خرقها لا يرقع  
 سنة وتسعة أشهر معدودة      طنبان من أطنابها تنقلع  
 فالأرض تبكي والسماء حزينة      والله يفعل ما يشاء ويصنع  
 والفقّه يرثي «والصّحاح» عليه      «والروض» باك والضيء اللامع

(١) الرياض - العدد ١١٨٩٦ - الخميس ٢٣ من شوال ١٤٢١ هـ.

«والفتح» أغلق دفتيه بحيرة  
 ترثي إمام الحق حامي نهجها  
 يا كعبة الله التي شهدت له  
 قالت لنا والدمع زاد نشيجها  
 وكذا «المشاعر» أرتجت لفراقه  
 لك يا عقيدة قد أتيت معزياً  
 لك يا عقيدة قد أتيت معزياً  
 يوم الخميس ويا لها من لحظة  
 في «مكة» قد هال مقلة عينها  
 حملوه نحو "العدل" كان مسيرهم  
 يالحد مهلاً فيك شمس زماننا  
 عادوا جميعاً ليس فيهم شيخهم  
 بحر يسيل من الدموع بلوعة  
 ستظل يا علم المشائخ شامخاً  
 صلى الإله على النبي وصحبه

وكذا الفرائض بل علوم أجمع  
 الشيخ حارسها يذب ويردع  
 فتحدثني عن شيخنا اتسمع  
 تالله ما ازكاه حولي يركع  
 والأرض غشاها بوار بلقع  
 فمثله يعلو العزاء ويرفع  
 لمن العزاء وكلنا نتقطع  
 إذ كفّوا الشيخ الجليل وأسرعوا  
 إذ قدموه عليه كبر أربع  
 حضر الجميع وشاهدوه وودعوا  
 قد غُيبت والنور باق يسطع  
 وقلوبهم من حرقه تتقطع  
 من ضن دمعاً خلته لا يدمع  
 ويظل علمك في البرايا يُطبع  
 عدد الحصى والساكنات الهجّع

١٥- رَحَلَ الْإِمَامُ

من شعر عبد الله بن سليمان المزروع.<sup>(١)</sup>

ما للحمامة لا تَرُدُّ هَدِيلاً  
 ما للحمّاء لا تَرُدُّ هَدِيلاً  
 ما للفيافي قد تساقط زهرها  
 ما للفيافي قد تساقط زهرها  
 ما للنجوم تضاءلت أنوارها  
 ما للنجوم تضاءلت أنوارها  
 والخيل أطرق لا يجيد صهيلاً  
 والبحر يرقد ساجياً وثقيلاً  
 والسعد أُمسى في العراء قتيلاً  
 والسعد أُمسى في العراء قتيلاً

(١) الجزيرة - العدد ١٠٣٣٧ - الثلاثاء ٢١ من شوال ١٤٢١ هـ.

الصبحُ يسألُ والدموعُ بعينه  
يا ليلُ أين الشيخُ؟ قل لي أينهُ؟  
أم أنه بين الثون مسافرٌ  
أم قد تحلّقَ حوله طلابُهُ  
يا ليلُ قل لي أينهُ فالصمتُ قد  
يا صبحُ بل رجّع الإمامَ لربه  
رحلَ الذي شغف الأناجُ بحبه  
رحلَ الذي ضاق الفضاءُ بعلمه  
أبقى لنا نبعَ العقيدةِ صافيًا  
وهدى النفوسَ العاطشاتِ لنبعها  
ومضى يبارزُ من أرادَ بمائها  
ورأى البريّةَ حوله في ظلمة  
رحلَ الإمامُ وغابَ عن أنظارنا  
رحلَ الإمامُ فليت شعري هل لنا  
فالعالمُ قد أمسى يتيماً بعده  
سَيِّهْلُ دمعك يا صحاحُ إلى متى؟  
فالدمعُ لا يُجدي الحزينَ وإنما

أحقيقةً يا ليلُ ما قد قِلا؟  
هل قامَ في محرابه تريتلا؟  
فأبيتُ أرقبُ للإمامِ وصولاً  
والشيخُ يجلسُ بينهم قنديلاً  
تركُ الفؤادُ ممزقاً وعليلاً  
والموتُ لن تلقى له تأجيلاً  
حتى توسطَ في القلوبِ نزيلاً  
كالشمسِ تُشرقُ بُكرةً وأصيلاً  
وأسألهُ فينا فطابَ مسيلاً  
فروى بذلك في القلوبِ غليلاً  
كذراً فيغلبُ حُجَّةً ودليلاً  
فأضاء فيها للنجاة سبيلاً  
أخزنَ بذلك غيبةً ورحيلاً  
مَن في إمامته يحلُ بديلاً  
ياربِّ قِيضْ لليتيم كفيلاً يا  
تذمُّرُهُ هل كفاك عويلاً؟  
صبراً على ألمِ الفراقِ جميلاً

١٦- من شعر/ فيصل بن صالح العبد المنعم.<sup>(١)</sup>

سلام من الرحمن يا ساكن القبر  
سلام ودمع العين ييكيك كلما  
ورحمته دوماً عليك مدى الدهر  
ذكرت دروس العلم والفضل والبر

(١) الجزيرة - العدد ١٠٣٣٥ - الأحد ١٩ من شوال ١٤٢١ هـ.

سلام وحزن القلب يزداد كلما  
فقدناك يا فخر العثيمين مثلما  
فقدناك في شوال يا شيخ مثلما  
فجعنا جميعاً في سماع رحيلكم  
ذهبت إلى مثواك يا شيخ راحلاً  
سيبك طلاب وعلم وحلقة  
ويبك محتاج لفتوى مضيئة  
ويبك شرح الفقه للناس ممتع  
فقد كنت فينا مشعل العلم والتقى  
وكنتم لهذا الدين حصناً مشيداً  
وسيفاً على أهل الضلالات مشرعاً  
فقدناك يا بحر العلوم وحرها  
ولكن عزائي ما نرى من شروحكم  
وطلاب علم يقتفون طريقكم  
صبرت على كل الملمات واثقاً  
فصبرك يا شيخني ستلقى جزاءه  
وداعاً حبيب الكل والدمع هاطل  
فبالله أحبيناك لا شيء غيره  
فحمداً لك اللهم في كل حالة  
فهذا عزائي للمحبين جملة  
وصل إلهي كلما صام صائم

ذكرت شفاة لا تمّل من الذكر  
فقدنا ابن باز قبل عام من الدهر  
فقدنا طلوع البدر في ليلة البدر  
فقد كانت البلوى أشد من الجمر  
وخلّفت أحزاناً سنلقها بالصبر  
ويبك كل الناس في البدو والحضر  
تطير بها الركبان في البر والبحر  
ويبك أهل العلم يا عالم العصر  
دليلاً إلى الجنات والفضل والخير  
تذود عن الإسلام في السر والظهر  
ترد على الضلال من ظلمة الشر  
فقد كنت للإسلام كالكوكب الذي  
لكل فنون العلم في ساحة الفكر  
إلى درجات العلم والخير والذكر  
بوعد إله العرش في الضيق والضّر  
إذا الناس موقوفون في الحشر والنشر  
وداعاً فلا لقيا إلى موعد الحشر  
وحبك يا شيخني لمن أفضل البر  
فهذا قضاء الله نلقاه بالصبر  
أحمله شعري ومن قبله نشري  
على المصطفى المختار من جاء بالخير

## ١٧- الفراق المر

من شعر / عبد الله محمد بإسراجيل.<sup>(١)</sup>

|                               |                             |
|-------------------------------|-----------------------------|
| يا للفراق بكك عين وفم         | وبكائك في كل البلاد المسلم  |
| ما أصعب الفقد الذي يتابنا     | والموت حق والقضاء محكم      |
| يا أيها الشيخ الذي يعتادنا    | في كل عيد بالتقى يتبسم      |
| عيد الحنان هناك أعظم فرحة     | للمؤمن الصادي لمن هو أعظم   |
| ونراك تزهّد في الحياة كأنها   | طيف يمر وعابر يستلهم        |
| تسقي النفوس بما وعيت من الهدى | علم جليل القدر وهو المغنم   |
| لا زال علمك في المدى أصداءه   | بين المهامة والربى ترنم     |
| فقد الرجال العاملين لربهم     | فقد الضياء إذا توارت أنجم   |
| غشى البلاء وقد تعاظم حمله     | والصبر يسكنه فلا يتألم      |
| آلامه الآمال في نيل الرضا     | وسعوده في جنة لا تهرم       |
| فضل من الديان من ضنت به       | أيدي الأنام ولا يضيق المكرم |
| عم بالنعيم وبالنوال محمد      | واشرب رحيق المسك وهو مختم   |
| وانعم بأخراك البهيجة باسماً   | في روضة من حسناتها تكلم     |
| يا عاشق البلد الحرام وفضله    | ها قد ثويت به وطاب المقدم   |
| هذا جزاء العاملين بعلمهم      | هذا الفلاح قد اجتباك المنعم |
| فألثم ضياء الحمد في جناته     | وانهل من اللذات ما لا تعلم  |
| نعم المقام هناك ما بين المنى  | والله يجزل بالثواب وينعم    |
| وله مقادير الأمور جميعها      | وله الذي ندرى وما لا نعلم   |
| هو خالق الكون العظيم وكلنا    | رهن المنون ولن ترى من يسلم  |

(١) الرياض - العدد ١١٨٩٣ - الاثنين ٢٠ من شوال ١٤٢١ هـ.



١٨- علم من الأعلام

من شعر / عبد الله بن جابر المحمود.<sup>(١)</sup>

|                              |                             |
|------------------------------|-----------------------------|
| فانقض من هول لذلك مضجع       | نبأ سرى بين البرية مفزع     |
| وانهال من عظم المصيبة مدمع   | والتجت الأذان عند سماعه     |
| وغشى النفوس تكدر وتوجع       | واهتز قلب بالمحبة مفعم      |
| علم من الأعلام بالحق يصدع    | مات العثمين العظيم بنفعه    |
| والكأس من حوض المنية مترع    | دنت المنية واستم نصابها     |
| لكن موت المصلحين مروّع       | الموت حق في الخليقة نافد    |
| فالله يخفض من يشاء ويرفع     | شان بين غوينا وتقينا        |
| خاب الذي يبني الفناء ويجمع   | الناس تبني والفناء مصيره    |
| عينك بالشيء الذي كنت تصنع    | مت أيها الشيخ التقي قريرة   |
| تبقي بها حياً وذكرك يُرفع    | ان مات شخصك حية أعماله      |
| أفنت عمرك في علومك مولع      | خلف ميراث النبوة بعدما      |
| وتظل في الليل البهيم تضرّع   | ومضي فمارك في العلوم وكسبها |
| بها ارتفعت وفوق ذاك تواضع    | والزهد كل الزهد فيك سجية    |
| والحلم تاج في جبينك يسطع     | ومن الأناة جعلت نهج تعامل   |
| أسديتها من جاء في العلم يطمع | ونصيحة في الله الله قصدها   |
| من خلقه فالكل يصغي ويسمع     | وملكت في حب الإله محبة      |
| اعمل تجد والله يعطي ويوسع    | الله عدل لا ظليمة عنده      |

(١) الرياض - العدد ١١٨٩٣ - الاثنين ٢٠ من شوال ١٤٢١ هـ.

١٩- لك في رحاب الله حسن جزاء

من شعر : عبد العزيز بن محمد النقيدان. <sup>(١)</sup>

|                               |                             |
|-------------------------------|-----------------------------|
| اليوم يجدر أن أقول رثائي      | يا صاحب الفضلى من العلماء   |
| عشنا سنين وأنت فينا رائد      | ومعلم في منهج الفضلاء       |
| عشت التواضع والسماحة والندى   | متسامحاً حتى مع الجهلاء     |
| ذهل الصغار على الشفاة تساؤل   | جاد الكبار بمدح وبكاء       |
| ومواكب تترى تزف عزاءها        | جاءت معبرة بكل وفاء         |
| فمن القلوب تضرع وتودد         | وتفيض ألسنةً بخير دعاء      |
| يا راحلاً عنا فدتك قلوبنا     | كيف السلو عن القريب النائي؟ |
| قد شيعتك إلى المقابر صفوة     | ممن سما في صحبة وإخاء       |
| أحببتهم في الله والكل انبرى   | قد ودعوك بدمعة وعزاء        |
| لو كان لي الشعر الفداء لعانقت | درر القوافي سباق رثائي      |
| أمضيت عمرك داعياً ومعلماً     | وبنت جيلاً نابه الآراء      |
| إن المعارف وهي أعظم منة       | خلعت عليك ملابس السعداء     |
| وشكرت رباً كم تلوذ بركنه      | وصيرت محتسباً لكل بلاء      |
| إن الذي جعل العقيدة نوره      | قد سار في طهر مع الخنفاء    |
| ماذا تقول إذا تقدم راحل       | إن الرحيل نهاية الأحياء     |
| في ذمة الله الذي برأ الورى    | إن المنايا قُدرت بقضاء      |
| فإلى جنان الخلد يا علماً هوى  | لك في رحاب الله حسن جزاء    |

(١) الجزيرة - العدد ١٠٣٣٥ - الأحد ١٩ من شوال ١٤٢١ هـ.

أبيات ما قبل وبعد المات :

٢٠- من شعر / عبد الله بن عبد الكريم الشايع<sup>(١)</sup>

|                                       |                                |
|---------------------------------------|--------------------------------|
| قصيدي تلك بسم الله أبدأها             | مشياً بصلاة الله فيها على      |
| محمد وسلام الله أقرنها                | بها واقرن معها الآل والمأ      |
| يا ابن العيمين كم يشدوا الفؤاد له     | من رؤية بل ومن كأس به امتأ     |
| من العلوم صنوف احتوته بها             | بل احتواها فصار الكسل محتملاً  |
| إذا أجبت بفتوى أصبحت علماً            | تضيء بين هداها العلم والأملأ   |
| نور على الدرب اضحت منك مرتحل          | لكل باغ لزاد السير مرتحلاً     |
| إذا ابتدأت بدرس كنت فيه هدى           | توضح العلم مقروناً به العملا   |
| لا يكفي بعلوم لا نتاج لها             | إذا خلا العلم من أعماله ذبلاً  |
| عنيزة شرفت كذا الرياض رأت             | ومكة عرفت أن المقام علا        |
| قبيلة ذهبت <sup>(٢)</sup> بل أمة رحلت | برية ذهلت أصابهن ثلا           |
| معيشتي اندثرت حياتنا اضطربت           | قلوبنا وجلت بفقد خير مأ        |
| لعلها أزفت أو إنها اقتربت             | مصيبة وقعت عدا عليها بلاء      |
| ألست تسعدنا..ألست ترشدنا              | عند السؤال أليس الحق هذا ؟ بلا |
| عزاء أمتنا بفقد قدوتنا شيخاً          | بدعوتنا فوق الجنان علا         |

(١) الرياض - العدد - ١١٨٩٤ الثلاثاء ٢١ من شوال ١٤٢١ هـ .

(٢) بعد الوفاة .

## ٢١- وغاب فرقد خير

من شعر / يوسف بن عبد الله.<sup>(١)</sup>

أَلْتُ منابرنا حزنا وقد فجعت  
وغاب فرقد خير يستضاء به  
والله لو نطق أحجارنا لبكت  
حُزْنَا على عالم سارت مراجه  
هبت مشاعرنا ترثيه عاجلة  
والحزن كالمن ما سالت سَحَابِهِ  
لكننا بقضاء الله قَدْ رَضِيتْ  
علامةً حَذَقَ راجت مسائله  
وفي العقائد تبيان ومخرقة  
طارت فتاواه في أقصى الدنا وسمت  
وكم طرحَتْ سؤالات ليفتيني  
كانه قمر جاءت مشعشة  
بل إنه الشمس في الإصباح مشرقة  
وجرأة الحق في عدل تجلله  
سهل بسيرته سمح تعامله  
كفاه بين ندى خير وقابضة  
والله أشهدنا ان شاء خالقنا

وحل فيها البكا والسهد والأرق  
وانهد ركن عليه الناس ترتفق  
ولاستدارت بها الأشجار تصطفق  
في كل ناحية بالعلم تستبق  
والشعر إن طغت الأحزان يحترق  
بالدمع تسبقه الآهات تختق  
نفوسنا وأبت في الإثم تنزلق  
في سوق معترك الفتيا وتأتلق  
والفقه في «ممتع» قد لفه الورق  
عن الهوى وأت بالحق ينطبق  
فينبرى واثقاً في الشرح ينطلق  
أنواره في فضاء الكون يتسق  
وقد تقدم نور الصبح ينبثق  
والخصم في حكمه يرضى به يثق  
ولفظه بفصيح القول يعتق  
سيفا على زمرة الأعداء يمتشق  
فالشيخ في نزل الفردوس يغتبق!!

(١) الرياض - العدد ١١٨٩٤ - الثلاثاء ٢١ من شوال ١٤٢١ هـ.

٢٢- تصدع القلب

من شعر : صالح بن عطا الله الخزيم<sup>(١)</sup>

|                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                    |                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                      |
|----------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------|--------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------|
| <p>تصدع القلب وأهتز الفؤاد أسي<br/>قالوا مضى الشيخ والهفاه وانطفأت<br/>أسمى فؤادي عليلاً لا يخفف من<br/>قد كان فينا نشيطاً حازماً علماً<br/>مصابنا اليوم في شيخ الشريعة من<br/>قوى عزائمهم رسى عقائدهم<br/>أراهم الصدق في قول وفي عمل<br/>وسار نهجاً قويماً لا ترعزعه<br/>فصار فذاً وحيداً صادعاً أبداً<br/>فكم جلسنا أمام الشيخ نرقب ما<br/>قل للمنارة في الفيحاء وا أسفي<br/>وعز كرسي شيخخي أنه شجن<br/>فلتصبرن على فقد البشاشة في<br/>ولتصبرن على فقد العلوم كذا<br/>وجز على منبر قد كان يصعده<br/>وقل سلام عليكم يا أحببتنا<br/>قد كان صوتك يعو في منابرنا<br/>وابعث الجامعة الإسلام تعزية</p> | <p>وخيم الحزن في الدنيا عليك أبي<br/>شمس العلوم كذاك المرء كالشهب<br/>مصابه قول من عزوه في عتب<br/>بالذل يُعرف فعل السادة الثُجب<br/>ربت مجالسه الأجيال في أدب<br/>أجلى الغياهب كم تتراح من حجب<br/>قد اقتضى أثر الأخيار في دأب<br/>أمواج عالمنا فالناس في صخب<br/>بالحق ينشره حتى مع النصب<br/>يلقيه من باهر الأقوال في عجب<br/>على فراق ليالي العلم والطلب<br/>وقل له إن شيخخي غير منقلب<br/>حسن الحديث بلا مين ولا كذب<br/>فقد الرزانة والمعروف والقرب<br/>وعز فيه أضيحي مع الكتب<br/>وأعظم الأجر يا ربي لمحتسب<br/>ومن عليها فكم ألقيت من خطب<br/>من طالب من مصاب الشيخ مكتب</p> |
|----------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------|--------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------|

(١) الرياض - العدد ١١٨٩٤ - الثلاثاء ٢١ من شوال ١٤٢١ هـ.

كذا الإذاعة في ركن الفتاوي التي  
جاهدت فالخطب لم يشك عن عمل  
يا رب اسكنه فردوس الجنان إذا  
تبت في كل إقليم وفي القطب  
بيت ربك ترجوه مع الرهب  
واروه في تربة واجعله في رُحْب  
٢٣- يا أمةً ثكَلْتُ

من شعر : سعود بن محمد السليم.<sup>(١)</sup>

أقضى مضجعنا وهالنا الخبرُ  
يكاد فرط الأسى والحزن يخنقنا  
يا أمة ثكَلْتُ بفقد عالمها  
هوى من العلم صرخ واختفى قمرُ  
ذاك الذي عهدت فتواه أمتنا  
محمد الصالح الفدُ الذي رزئت  
ابن العثيمين تاج فوق هامتنا  
ابن عثيمين بحرٌ عز ساحله  
يا شيخ صحتنا الكبرى ومرشدها  
من ابن سعدي ورثت العلم يا علماً  
ولابن تيميه في أرضكم قدمُ  
وكلكم وارثٌ للمصطفى خلفُ  
بمثل منهجكم وعلمكم أبتى  
جاهدت في دعوة للدين في كُتب  
تكاد من هوله الأكباد تنفطرُ  
ودمعة الحزن فوق الخد تنهمرُ  
أما لك اليوم في ما فات معتبرُ  
فهل يطيب سُرَى إذ يفقد القمرُ  
كأنها حين يملئ نظمها دُرُ  
بفقدته بلدي ومثلها أخرُ  
بالعلم والفهم والإدراك يشتهرُ  
في كل ناحية من علمه أثرُ  
في زمنٍ عمٍ فيه الجهل والخورُ  
أفريت عمرك فيه وانقضى العمرُ  
وعند تلميذه ابن القيم الخبرُ  
لخير من سبقوا أنعم بهم نفرُ  
تعطر الكُتب والألواح والسيرُ  
وكم شريط به من نهجكم فكرُ

(١) الجزيرة - العدد ١٠٣٣٣ - الجمعة ١٧ من شوال ١٤٢١ هـ.

وكم دحرت عن الإسلام من نفرٍ  
حتى إذا ما خريف العمر حل بكم  
عانيت من مرضٍ لعل فيه غداً  
أعمارنا كتبت من قبل مولدنا  
لكننا نذرُ الأخرى ونرخصها  
في كل يوم نواري من أحبتنا  
رؤوسهم من أباطيلٍ بها دُسرُ  
وأسقطت عنده أوراقها الشجرُ  
كفارةً وجميع الذنب يغفرُ  
وهذه سنةٌ في مثلها العبرُ  
من أجل دنيا بها الآلام والكدرُ  
فهل ترانا من الأحداث نعتبرُ

٢٤- نور على الدرب

من شعر : ناصر بن محمد بن عثمان العمري.<sup>(١)</sup>

«نور على الدرب» استطار فؤاده  
فوى كنور الشمس تعصف بالدجى  
ستظل تبكيك المنابر والندى  
ويظل شوقك في الحنايا دافئاً  
وتظل تلهج بالدعاء خواطر  
يا شيخ طافتنا السنون كأنها  
من ذا يعيش وفي الفؤاد توقد  
يا أمة الإسلام صبراً إنما  
فامضي على سنن النبوة واحفظي  
إنني لأرجو من إلهي قربةً  
قد كان صوتك فيه كالحفقان  
لتقود مركبنا لشط أمان  
ما ناح قمريّ على أغصان  
ما اشتاق إنسان إلى إنسان  
ما خر قوام إلى الأذقان  
أحلام طيف أو سباق ثواني  
أمن ينام على الجوى اليقظان  
ساعات نصر المؤمنين دواني  
عهد الوفاء لكل ذي إحسان  
جبي لذاك العالم الرباني

(١) الجزيرة - العدد ١٠٣٤٢ - الأحد ٢٦ من شوال ١٤٢١ هـ.

٢٥- في رحاب العلم

من شعر / د . حبيب بن معلل المطيري<sup>(١)</sup>

من أين أبتدئ المقال وأنطق ؟      وبأي حرف في القصيد أُنمّق ؟  
 أبت القوافي أن تظل حبيسة      ورنّت..وقلبُ الشّعر فيها يحفّقُ  
 طمحت إلى رحب الفضيلة ماجد      النور في حبراته يترقّق  
 يحدو بها الشوق العظيم لشيخها      زين النابر مجده متألّق  
 بالعلم في حُلل المحامد رافل      ولخدمة الدين العظيم مُوفّق  
 سارت قوافي الشعر تحدوها المنى      ويحئها الحب الحفي المشفّق  
 ولديك يا شيخي تحط ركابها      من بعد ما أضنى الدروب تشوق  
 أحمد .. يا شيخنا البحر الذي      بعلومه نرفو العقول ونرُثّق  
 المورد الزخار درسك بالتقى      والعلم فيه تأله وتعلّق  
 إن ضجّ في دنيا العباد تفاخرُ      فلأنت فخر الصالحين الأسبق  
 ولأنت فينا قدوة محمودة      فالغرس من حسن السقاية موق  
 ولأنت في نور المحبة أصله      أصل به ثمرٌ وجذع مورق  
 بحر من العلم الزكي يملؤه      غيث من المهمم الشريفة مُغدق  
 يا شيخنا المحبوب .. هاك قلوبنا      بشذا المحبة والأخوة تعبق  
 خفقت بإثرك أفؤدٌ ملهوفة      تدعو لك الله العظيم وتشهق  
 فاسلم لها يا شيخها وضيائها      ولتبق كالفجر الطهّر تشرق  
 إن يذكر المفتون في أخبارهم      فلأنت للناس الأبر الأرفق !!  
 أو يذكر العلماء في أوصافهم      فلأنت في جمع العلوم الأوثق

(١) مجلة الأسرة - العدد ٩٢ - ذو القعدة ١٤٢١ هـ.



أو يذكر العباد في إخبارهم  
بالعلم تبني في النفوس شوامخاً  
علمتنا معنى الرباط على التقى  
علمتنا بذل الشيوخ لعلمهم  
فبذلت علمك في ثبات مجاهد  
أذكرتنا البحر الإمام سماعة  
أذكرتنا السعدي في تدقيقه  
يا شيخنا المحبوب أنت منارنا  
شأن بين من ابني بيقينه  
فترى الجميع يضجُّ .. يسأل واجهاً  
وتراه قد حاز القبول فحبه  
ومن ارتضى هو الحياة فقلبه  
يا شيخنا والحب يحلو ركبنا  
ندعو الإله البرّ ذا الفضل الذي  
ندعو الرحيم بأن يتم شفاءه

فلأنت والله الحبيب الأصدق  
تعلو بتوحيد الإله وتسمق  
والصبر وهو المطلب المستغلق  
رغم السنين وقد حداهم موثق  
تعطي وتبذل للإله وتنفق  
الشيخ ابن باز والدموع ترقق  
ومشايع السلف الذين تألقوا  
وضياؤنا وعطاؤنا المتدفق  
في كل قلب قمة لا تلحق  
عند السقام وللدعاء يحقق  
متمكن في الخافقات موثق  
في قفلة ولدى الغواية معرق  
فتظل ترقل في سراه الأينق  
خلق الوجود وبابه لا يغلق  
لتظل فينا سابقاً لا يُسبق<sup>(١)</sup>

٢٦- سلام عليك يا شيخ الزهد

من شعر : صالح بن علي العمري.<sup>(٢)</sup>

تباركت ربي حين تعطي وتمنع  
تباركت ربي عزرة وجلالة  
تباركت ربي حين تدني وترفع  
إليك إذا ما إحلولك الخطب نفزع

(١) كُتِبَتْ في مرض الشيخ.

(٢) مجلة الأسرة - العدد ٩٢ - ذو القعدة ١٤٢١ هـ.

لك الخلق .. تقضي حكمة وتلطفاً  
تباركت علماً.. أنت نوري وملجني  
لك الحكم إن ضاقت علينا وإن بغت  
لك الأمر إن لاحت خطوب جسيمة  
تباركت .. ثبت مهجة قد تفتطرت  
أتاك لظى دمعني وهمي وغربي  
أعالج جمرًا في الحشا وصباية  
وأبكي فأسعزي بذكرى حيننا لعمري وإن  
كانت حياة طويلة  
غرور وأحلام .. وهم وحسرة  
أبكيك شيخ الزهد والعلم والتقى  
أبرئيك شعري والمصيبة هيمنت  
ذهبت إلى عز ومجد ورحمة  
وتسلمنا الدنيا لبلوى ومحنة  
لئن غبت جثماناً فوالله لم تغب  
تراثك موصول ، وعلمك خالد  
وما مات من زانت بساتين فكره  
وما مات من أسدى إلى الحق عمره  
يهل كان القطر من حسن قوله  
ركبت مطايا العزم تقوى وهمة  
وأسدت ثوب الزهد.. ثوباً مسريلاً  
ومن ذاق طعم الأنس بالله حقبة

وكل إلى الله المهيمن يرجع  
أيا دافع الأمر الذي ليس يدفع  
ففضلك يا منان أَرْضَى وأوسع  
فحفظك يا رحمن أقوى وأمنع  
وقلباً على وقع الرزايا يفزع  
وآهات روعي والفؤاد المفعج  
وتصلى على نار المصيبة أضلع  
سلوا .. وهل يجديك أنك تجزع ؟  
فكل له في صولة الدهر مصرع  
وظل تولى .. والجديد يرقع  
وقد حق أن أبكي فؤاداً يصدع !!  
يحار الفتى في أمره كيف يصنع  
فجرت .. وما زلنا نصالي ونصرع  
وللشر أنياب بها السم يلمع  
وذكرك بين الناس أبسقى وأرفع  
وخيرك للغادي مصيف ومربع  
وفتواه في العياء كالشمس تسطع  
وقلبك بالأخرى شغوف مولع  
فثمر أغصان ويزهر بلقع  
وأنت لفعل الخير أدنى وأسرع  
وذلك ثوب ليس والله يخلع  
فليس له في عيشة الزيف مطعم

وغيرك يستعلي عروشاً كسيحة  
تفكرت في دنياك ، والأمن سايع  
صلاة وقرآن وذكر ومسجد  
فأني لشغل النفس حظ وإنما  
وكم قمت في عين الملمات فأنشت  
تبدت كالشم الرواسي تجذرت  
وقفت بشهر الصوم طوداً على الضنى  
بلاء لو استعلى على رأس شاهق  
بليت وفي البلوى ظهور ورفعة  
تجلت مثل البدر نوراً ومنزلاً  
ومن حولك الأجيال من كل بقعة  
فأنساهم خوفاً عليك من الردى  
تركهم يتماً أقاموا على الأسى  
نغالط فيك السمع حباً.. وإذ بدت  
ستخلد يا ذكر «العنمين» معلماً  
فوالله لا تنفك تغليك أمتي  
فتاوك أنوار وصوتك رحمة  
ونعشك أجفاني وقبرك مهجتي  
لئن أودعوك اليوم في طيب الثرى  
وجاورت قبر البار حباً وصحبة  
تخلد أعمال الدعاة وتردهي  
عليك سلام الله منا هل هائل

وأنت على عرش القلوب تربع  
لمن كان لله المهيمن أخشع  
وحولك أجيال وعان وموجع  
شغفت بفعل الخير والدرب مهيع  
وأنت لحصن الدين باب ممنع  
تقرها الدنيا ولا تزعزع  
تبشُّ فلا تشكو ولا توجع  
لخر من البلوى طريقاً يصدع  
وفي غمرة السكرات تفني وتنفع  
لكل جميل من محياك مطلع  
وأرواحهم تشتاق والدهر يسمع  
شمالك حبر عن قريب تشيع  
أعيدهم بالله من أن يضيعوا  
فليس لها مما سوى الله مدقع  
على هامة الأيام تاج مرصع  
ويأس على ذكراك قلب ومدمع  
ونضحك مثل الغيث والشرح ممع  
وذكرك للصحب المحبين منبع  
فقد علموا من في ثرى الطيب ودعوا  
عسى أن يكن في جنة الخلد مجمع  
وفاء ، إذا ما زال كسرى وتبع  
وما هب نسم وانحنى متضرع

٢٧- هو البحر

من شعر / هاجد بن دميثان الحربي.<sup>(١)</sup>

|                           |                            |
|---------------------------|----------------------------|
| مصاب ليس يعدله مصاب       | وخطب فيه قد أعا الخطاب     |
| وما هذا المصاب عليّ وحدي  | ولكن كل ذي دين يصاب        |
| فيا لله من نبا أتاني      | أثار الدمع واضطرب اللباب   |
| عشية قيل مات الشيخ والناس | صابهم من الخير اضطراب      |
| فبت الليل ما أغمضت جفنًا  | كان العين سارقها اللعاب    |
| كان النفس إذ علمت عشا     | بناعيه وإن طال الغياب      |
| يحزحز في نواحيها هيب      | شراسفها بها منه التهاب     |
| فنادى بالعيون الرّوع حتى  | لدمعي فرق خديّ انصباب      |
| وما والله أبكي موت شخص    | لنا في غيره يُلقى اقتراب   |
| ولكني بكيت على إمام       | فريد في زمانه لا يناب      |
| فحمدًا للإله على الرزايا  | وقد فرضت على الناس الجذاب  |
| فما في هذه الدنيا خلود    | ولكن موتنا ثم الحساب       |
| وما الدنيا بسافرة تبدت    | يخفي زيفها عنا النقاب      |
| لقد كانت وفاة الشيخ ثلماً | وما يدري بها إلا العياب    |
| فيا عجي لصبري بعد علمي    | بموت الشيخ ذا الخير الكراب |
| وقد كنا نبكيه مريضاً      | جميع الناس شيب أو شباب     |
| فتبكيه المآذن والسواري    | وتبكيه المشائخ والصحاب     |

(١) الرياض - العدد ١١٨٩٦ - الخميس ٢٣ من شوال ١٤٢١ هـ.

وقد كتابه كلاً سعيداً  
هو البحر الذي ما غار يوماً  
محمد العثيمين الخلي  
تقي الله محمود السجايا  
كأنه في الدنيا شمس تجلت  
سهيل قد هوى السارين دوماً  
حياة بوركت في كل صقع  
شهود الله في الدنيا البرايا  
ففي غرب البلاد وفي جنوب  
فإن أفتى العباد وإن دعاهم  
إمام في إمامته عطاء  
حياة كلها لله جُمعاً  
تجافى عن هوى الدنيا احتقاراً  
فعاش الزهد لا يبغي كثيراً  
وقد كانت علوم الشيخ فيضاً  
عقول الناس أودية حوتها  
علوم قد أفاد الناس منها  
وأن إمامنا لم يأل نصحاً  
وقد شرفت عيزة بابن بر  
فيا ربي تعمّد من تولى  
ويّض وجهه وامنحه خلدأ

وفيه اليوم قد سعد التراب  
لموجه طيلة الدهر العباب  
بدين الله علام مآب  
ففيه الأمة الفهم الحباب  
بنور ليس يحجبها ضباب  
شهاب ثاقب نعم الشهاب  
فسارت في معالمها الركاب  
وفيه القول فصل لا يراب  
وفي شرق وشمأها الجواب  
أجاب الناس دعوته أجابوا  
وخير والورى منها أصابوا  
فليس بها مزاج أو قطاب  
كما استعلى عن الجيف العقاب  
ولا ما قل والدنيا يباب  
وكان بها على الدنيا الرباب  
بمجرأها جرى السيل الأبواب  
سماعاً أو بها نسخ الكتاب  
وإخلاصاً وعدلاً لا يشاب  
فآثرها وإن طاب اغتراب  
برحى منك والداعي يجاب  
بجنات الخلود له الثواب

د . عبد الرحمن بن صالح العشماوي.

### وجهك الباكي دموع الثائبين

|                          |                             |
|--------------------------|-----------------------------|
| أيها الشيخ الذي ودّعنا   | عالي الهمة وضّاح الجبين     |
| نحن نلقاك وإن فارقنا     | في علوم بقيت للراغبين       |
| أنت كالشمس إذا ما غرّبت  | أهدت البذر ضياء المدّجين    |
| أنت ما ودّعنا إلا إلى    | حيث تؤويك قلوب المسلمين     |
| إن بكيناك فإننا لم نزل   | بقضاء الله فينا موقنين      |
| في وفاة المصطفى سلوى لنا | وعزاء عن وفاة الصالحين      |
| ذلك الرّزء الذي اهتز له  | عمر الفاروق ذو العقل الرزين |
| مات خير الناس ، هذا خبر  | ترك الناس حيارى تائهين      |
| طاشت الأبواب حتى سمعوا   | ما تلا الصديق من قول مبين   |
| لا يعزينا عن الأحباب في  | شدة الهول سوى موت الأمين    |
| إنها الروح التي تسمو بنا | ويظلّ الجسم من ماء وطن      |
| يحزن القلب ولكنا على     | حزنه كني شموخ الصابرين      |
| كلنا نفنى ويبقى ربنا     | خالق الكون ملاذ الخائفين    |

٢٩- عليل النسيم في رثاء علامة القصيم

من شعر / د . عبد الله بن محمد بن حسن السعيدى.<sup>(١)</sup>

|                                    |                                  |
|------------------------------------|----------------------------------|
| هل العين منها كان يُستمطر القطر    | أم العين منها كان يُستنطق السر   |
| لقد نطقت سرًا وجادت بمائها         | وقد فعلت فينا كما يفعل السحر     |
| عشيّة ما قد ذاع أن خسف البذر       | فضاق احتمالاً في تبعه الصدر      |
| فلما يقينا صار سلمت للذي           | تعالى له في كونه الخلق والأمر    |
| وذا شأننا إن الحياة مطية           | يجوز بها سفر وبتركها سفر         |
| ولكن بعض الموت يحدث ثلثة           | ومن سدها في قومه فهو الصدر       |
| تداعى انقراط العقد في جيد أمتي     | فأوله بدر وآخره بدر              |
| فلله قوم تقيهم ظلامتي              | صحا السكر مما حل ولكنهم سكر      |
| فَقَدْنَا إماماً في الفضيلة ليتنا  | فديناه فيمن سام والنعم الحمر     |
| ولكن معاذ الحق من موقف به          | ترانا تنافي الصبر ما وجب الصبر   |
| فَقَدْنَا إماماً في الورى ذاع صيته | تقيا نقي القلب ظاهره بشر         |
| فإن شئت مُهْرًا في عذوبة لفظه      | وإن شئت بحرًا في غزارته بحر      |
| ولست مدلاً بالمحب وفضله            | على الله إن الكل في جنبه صفر     |
| أشاح وقد كنا على وشك مفرق          | تنازعه من بعده البيض والسمر      |
| لعل له في السابقين مكانة           | وكان له في كل شارقة عذر          |
| سقى وابل من صادق الغيث قبره        | يبادره قطر ويعقبه قطر            |
| ويغدق حتى يصبح القبر روضة          | إذا الريح راحت فاح من روضه نُشُر |
| فيا راحلاً للبيت بلغ تحيّي         | لقبلته الغراء لا نالها وزر       |

(١) الجزيرة - العدد ١٠٣٣٥ - ١٩ من شوال ١٤٢١ هـ.

وبلغ سلامي للفقيد إذا التقت  
 وبلغ سلامي للجموع وقل لهم  
 لن رحل الشيخ الجليل فإن ذا  
 وياكم من الأصحاب قد مات قبله  
 ومن قبلهم مات النبي وكل ذا  
 فذلك أدعى للتذكر إنما  
 وإني فتي ثهلان مثلكم أسي  
 عزاء لمن يشكو من البين حرقه  
 وينسد من حر الحشى مستهامها

عليه جموع حين صليت العصر  
 مقالة حق يستقيم بها الفكر  
 سبيل الورى والكل موعده الحشر  
 ومن قبله قد مات في الأمة الحبر  
 يهون ما نلقى إذا التبس الأمر  
 يُذكر من يخشى فينفعه الذكر  
 واشكر من رغم المصاب له الشكر  
 أرى البون مثل البين وقدهما جمر  
 روائع شعر دونها يقصر الشعر

٣٠- ومات الفقيه .

رثاء للشيخ وحيد عبد السلام بالي: (١)

هذا الإمام يوارى في مقابرها  
 يدعو إلى التوحيد طول حياته  
 فارفع إلهي ذكره ومقامه  
 سدّد إلهي قوله وجوابه  
 وافتح إلهي باب رحمتك التي  
 واجعل إلهي قبره ومقامه  
 واجمع إلهي بينه ورسولنا

هَذَا أَلْهَامُ يَفَارِقُ الْإِخْوَانَ  
 وَإِلَى اتِّبَاعِ شَرِيعَةِ الرَّحْمَنِ  
 وَارْحَمِ إِلَهِي رُوحَهُ وَجَنَانَهُ  
 فِي الْقَبْرِ عِنْدَ سُؤَالِهِ الْمَلَكِ  
 وَسَعَتْ مِنَ الْأَشْيَاءِ كُلِّ كَيَانٍ  
 فِي رَوْضَةِ وَرَحْمَةِ وَأَمَانٍ  
 فِي جَنَّةِ الْفَرْدُوسِ كُلِّ زَمَانٍ

(١) مجلة التوحيد، العدد ١١، لسنة ٢٩.



### الخاتمة

وبعد هذه الرحلة المباركة مع حياة شيخنا العلامة محمد ابن عثيمين رحمه الله تعالى والتي شملت العديد من الجوانب التي برز بها الشيخ أقرانه ومعاصريه ، حتى أصبح إمام هدى وهاضي أمة أستطيع من خلال هذه الترجمة أن أستخلص أهم الأمور التي جعلت الشيخ يتبوأ هذه المكانة السامقة بعد توفيق الله تعالى له ؛ ألا وهو

علو همته ، ومضاء عزيمته

مما جعله يطاول همم الأوائل ويلحق بركبهم

وقد قيل : « همة المرء على قدر همّه »

وأخيراً فهك يعي طلاب العلم وحملة مشاعل الغد هذه الدروس والعبر من حياة الشيخ ! فيأخذوا بمعاهد المجد ويقودوا أمتهم إلى قمم العزّ السامقة لتتالك السعادة والتمكين في الأرض ،

والله غالبٌ على أمره ولكن أكثر الناس لا يعلمون

وصلّى الله على نبيينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين

رَفَعُ

عبد الرحمن النجدي  
أسكنه الله الفردوس

الموضوع

المقدمة ..... ٥

الباب الأول : النشأة والتأسيس العلمي ..... ١٥

الفصل الأول : اسمه ونسبه وكنيته وأسرته ..... ١٧

الفصل الثاني : أحوال البلاد والنشأة وبداية ..... ٢١

الطلب ( المرحلة الأولى ) ..... ٢١

المرحلة الثانية : بداية الطلب على الشيخ ..... ٢٥

ترجمة الشيخين : ١ - المطوع ..... ٢٦

٢ - الصالحى ..... ٢٨

ترجمة الشيخ عبد الرحمن العودان ..... ٢٨

المرحلة الثالثة : التلمذ على علامة القصيم ..... ٣٠

بعض ما تميّز به ابن سعدي ..... ٣٢

الكتب التي درسها ابن عثيمين على ابن سعدي ..... ٤٥

زمن حلقات تدريس ابن سعدي ..... ٤٦

المرحلة الرابعة : ابن عثيمين في المعهد العلمي بالرياض ..... ٤٨

ترجمة الشيخ العلامة محمد الأمين الشنقيطي رحمه الله ..... ٥٠

ترجمة الشيخ العلامة ابن باز رحمه الله ..... ٥٥

عدد من مشايخ ابن عثيمين في المعهد العلمي [غير ما ذكر] ..... ٦٨

ترجمة الشيخ العلامة عبد الرزاق عفيفي رحمه الله ..... ٧٠

- ٧٤ ————— علاقة ابن عثيمين بمفتي الديار العلامة ابن إبراهيم رحمه الله
- ٨١ ————— ابن عثيمين في المعهد العلمي بعنيزة مدرساً (صور ومواقف)
- ٨٦ ————— وفاة علامة القصيم ابن سعدي، وتعيين ابن عثيمين خلفاً له.
- ٩٣ ————— الباب الثاني : علمه وعمله وبذله وعطاؤه
- ٩٥ ————— الفصل الأول : علمه وعمله وصفاته وأخلاقه
- ٩٥ ————— ١- عقيدته.
- ١١٩ ————— موقف الشيخ من القضايا العقدية المعاصرة
- ١٣٩ ————— ٢- فقهه.
- ١٤١ ————— المبحث الأول : الأسس التي تكونت عليها الملكة الفقهية
- ١٤١ ————— للشيخ
- ١٥٣ ————— المبحث الثاني : ما تميّز به فقه ابن عثيمين
- ١٩٠ ————— المبحث الثالث : الحصاد الفقهي العلمي
- ١٩٨ ————— المبحث الرابع : أثر ذلك على النهضة العلمية المعاصرة
- ٢٠٣ ————— ٣- الشيخ مفسراً.
- ٢١٦ ————— ٤- زهده.
- ٢٢١ ————— ٥- ورعه.
- ٢٣٠ ————— ٦- تواضعه.
- ٢٤١ ————— ٧- عدم محبته للثناء والمدح.
- ٢٤٤ ————— ٨- إخلاصه.
- ٢٤٦ ————— ٩- عبادته.
- ٢٤٦ ————— صلاته.
- ٢٤٧ ————— قيامه الليل.

- ٢٤٨ ..... بكاؤه من خشية الله.
- ٢٤٩ ..... صيامه.
- ٢٤٩ ..... حجه وعمرته وزيارته
- ٢٥٠ ..... ورده من القرآن الكريم
- ٢٥١ ..... ١٠- مطالعته وكتبه ومكتبته.
- ٢٥١ ..... ١١- أعماله الخيرية.
- ٢٥١ ..... صدقته وإنفاقه ومساعدته للمحايير
- ٢٦٠ ..... ١٢- كرمه وحسن ضيافته.
- ٢٦٢ ..... ١٣- صلته للرحم.
- ٢٦٤ ..... ١٤- ملاطفته للصبيان.
- ٢٦٩ ..... ١٥- رفقته بالمرأة وعنايته بها.
- ٢٧٤ ..... ١٦- مزاحه.
- ٢٨٠ ..... ١٧- حلمه وصبره.
- ٢٨٣ ..... ١٨- أمره بالمعروف ونهيه عن المنكر وغيرته على حرمان الله.
- ٢٩٤ ..... ١٩- اهتمامه بأحوال المسلمين، وفقهه بالواقع.
- ٣٠١ ..... الشيخ ومحنة فلسطين
- ٣٠١ ..... الشيخ ومحنة الشيشان
- ٣٠٧ ..... ٢٠- منهجه مع ولاية الأمور.
- ٣٠٩ ..... ٢١- أدبه.
- ٣١١ ..... ٢٢- دقته وتثبتته في الأمور وتحققه.
- ٣١٢ ..... ٢٣- حرصه على نشر السنة.
- ٣١٥ ..... ٢٤- فتاواه.

- ٢٥- معاملته مع طلابه وحسن رعايته لهم. ٣٢١
- ٢٦- رجوعه للصواب إذا تبين له. ٣٣٤
- ٢٧- مسائل متنوعة في حياة الشيخ. ٣٣٧
- رأيه في السفر للخارج للدعوة ٣٣٧
- الشيخ ومطالعة الصحف والمجلات ٣٣٩
- الشيخ والانترنت ٣٣٩
- ترجمة كتبه ٣٤٠
- البرنامج اليومي ٣٤١
- برنامج المشي ٣٤٣
- فصل : سبل دعوته وتعليمه، وجهوده في نشر العلم. ٣٤٥
- ١- الدروس العلمية ٣٤٧
- ٢- الدروس العامة والمحاضرات ٣٥١
- ٣- اللقاءات ٣٥٣
- ٤- الفتوى ٣٥٣
- ٥- ذهابه وإيابه من المسجد ٣٥٤
- ٦- منبر الجمعة [ آخر خطبة للشيخ ] ٣٥٤
- ٧- التعليم النظامي ٣٥٥
- ٨- عبر الإذاعة ٣٥٥
- ٩- عبر الصحف والمجلات ٣٥٥
- ١٠- عبر الشريط ٣٥٥
- ١١- الإنترنت ٣٥٦
- ١٢- مشاركته في المؤتمرات ٣٥٦

- ٣٥٧ - ١٣ - مشاركته في لجنة توعية الحجاج
- ٣٥٧ - ١٤ - مشاركته في هيئة كبار العلماء
- ٣٥٧ - ١٥ - المراسلات الخاصة
- ٣٥٧ - ١٦ - مؤلفاته
- ٣٦٥ - آخر خطبة للشيخ ( صلاة الاستسقاء )
- ٣٦٧ - شيوخه وتلاميذه
- ٣٦٩ - الباب الثالث : المرض والوفاة
- ٣٧١ - الفصل الأول : المرض
- ٣٧١ - حقيقته
- ٣٧٢ - حالته مع المرض
- ٣٧٣ - بدايته
- ٣٧٣ - العلاج
- ٣٧٤ - دعوته في أمريكا
- ٣٧٦ - قصة الكيماوي
- ٣٧٨ - مواقف رائعة على فراش المرض
- ٣٨٦ - مرضه بالالتهاب الرئوي
- ٣٨٧ - الأيام الأخيرة
- ٣٨٧ - الساعات الأخيرة
- ٣٨٨ - شوقه للقاء الله
- ٣٨٨ - وصيته العامة
- ٣٨٩ - وصيته بالجامع والدروس
- ٣٩١ - أمنيته

- ٣٩٢ ..... الساعة الأخيرة
- ٣٩٣ ..... الفصل الثاني : الوفاة وما بعدها
- ٣٩٣ ..... وصف الوفاة وتاريخها
- ٣٩٤ ..... عمره عند الوفاة
- ٣٩٤ ..... التَّغْسِيل
- ٣٩٥ ..... الصلاة عليه وتشيعه
- ٣٩٧ ..... لحده
- ٣٩٨ ..... التعزية
- ٣٩٩ ..... الرؤى والبشارات في حياته وبعد مماته
- ٤٠٢ ..... تواريخ هامة في حياة الشيخ رحمه الله تعالى
- ٤٠٥ ..... الباب الرابع : ثناء الناس عليه رحمه الله تعالى
- ٤٠٧ ..... الملك فهد بن عبد العزيز حفظه الله تعالى
- ٤٠٧ ..... صاحب السمو الملكي ولي العهد الأمير عبد الله بن عبد العزيز (حفظه الله تعالى) --
- ٤٠٨ ..... صاحب السمو الملكي الأمير سلطان بن عبد العزيز
- ٤٠٨ ..... صاحب السمو الملكي الأمير ممدوح بن عبد العزيز
- ٤٠٩ ..... صاحب السمو الملكي الأمير فيصل بن بندر
- ٤١٠ ..... صاحب السمو الملكي الأمير عبد العزيز بن ماجد
- ٤١٠ ..... سماحة مفتي عام المملكة العربية السعودية
- ٤١٢ ..... فضيلة الشيخ محمد بن عبد الله السبيّل ( إمام وخطيب المسجد الحرام ) --
- ٤١٢ ..... فضيلة الشيخ عبد الله البسام
- ٤١٣ ..... فضيلة الشيخ صالح بن غانم السدلان
- ٤١٣ ..... د . عبد الله بن محمد بن إبراهيم آل الشيخ



- ٤١٤ فضيلة الشيخ أبي بكر الجزائري
- ٤١٤ فضيلة الشيخ العلامة عبد المحسن بن حمد العباد
- ٤١٤ فضيلة الشيخ عبد الله بن منيع (عضو هيئة كبار العلماء).
- ٤١٥ فضيلة الشيخ صالح بن حميد (إمام وخطيب المسجد الحرام)
- ٤١٦ فضيلة الشيخ عبد الرحمن السديس (إمام وخطيب المسجد الحرام)
- ٤١٧ فضيلة الشيخ علي عبد الرحمن الخديفي (إمام وخطيب المسجد النبوي) -
- ٤١٧ فضيلة الشيخ عبد الباري الثبيتي (إمام وخطيب المسجد النبوي)
- ٤١٨ فضيلة الشيخ عبد الله بن حسن بن قعود
- ٤١٨ فضيلة الشيخ محمد صفوت نور الدين (رئيس جماعة أنصار السنة بمصر) -
- ٤١٩ فضيلة الشيخ أبي إسحاق الحويني
- ٤١٩ فضيلة الشيخ محمود غريب الشربيني (مدير تحرير مجلة التوحيد المصرية) -
- ٤٢٠ فضيلة الشيخ عبد العزيز المسند
- ٤٢٠ فضيلة الشيخ وحيد عبد السلام بالي
- ٤٢١ فضيلة الشيخ مصطفى العدوي
- ٤٢١ فضيلة الشيخ محمد حسين يعقوب
- ٤٢١ فضيلة الشيخ مجدي عرفات
- ٤٢٢ فضيلة الشيخ عبد الله بن عبد العزيز بن إدريس
- ٤٢٣ د . حسن بن فهد الهويمل
- ٤٢٣ فضيلة الشيخ عبد المحسن بن سليمان المنيع
- ٤٢٤ فضيلة الشيخ صالح بن سعد السحيمي
- ٤٢٥ د . مساعد بن عبد الله المحيا
- ٤٢٦ فضيلة الشيخ زيد بن هادي المدخلي

- ٤٢٧ فضيلة الشيخ عبد الرحمن بن الشيخ أبي بكر الجزائري. \_\_\_\_\_
- ٤٢٨ فضيلة الشيخ محمد بن عبد الله المحميد \_\_\_\_\_
- ٤٢٨ فضيلة الشيخ عقيل العقيل \_\_\_\_\_
- ٤٢٩ فضيلة الشيخ ناصر الصالح \_\_\_\_\_
- ٤٣٠ المؤسسات ، والجمعيات ، والهيئات. \_\_\_\_\_
- ٤٣٠ مؤسسة الملك فيصل الخيرية \_\_\_\_\_
- ٤٣١ جماعة أنصار السنة المحمدية بمصر \_\_\_\_\_
- ٤٣٢ جماعة أنصار السنة المحمدية بالسودان \_\_\_\_\_
- ٤٣٤ جمعية إحياء التراث الإسلامي بالكويت \_\_\_\_\_
- ٤٣٤ مجلس الأمة الكويتي \_\_\_\_\_
- ٤٣٤ وكالة الأنباء القطرية. \_\_\_\_\_
- ٤٣٥ وزارة الأوقاف القطرية \_\_\_\_\_
- ٤٣٥ مجلس العلاقات الإسلامية الأمريكية ( كير ) \_\_\_\_\_
- ٤٣٦ مؤسسة شيخ الإسلام ابن تيمية ( بالولايات المتحدة الأمريكية ) \_\_\_\_\_
- ٤٣٧ مركز الدعوة الإسلامية ( في البرازيل ) \_\_\_\_\_
- ٤٣٨ المجلس التأسيسي لرابطة العالم الإسلامي ( بالأرجنتين ). \_\_\_\_\_
- ٤٣٩ المركز الثقافي الإسلامي ( بمدريد ) \_\_\_\_\_
- ٤٤٠ د . سعيد باسماويل ( بريطانيا ) \_\_\_\_\_
- ٤٤١ وكالات الأنباء الألمانية \_\_\_\_\_
- ٤٤٢ الجمعية الإسلامية الخيرية ( بنوزيلندا ) \_\_\_\_\_
- ٤٤٥ الباب الخامس : ما قيل في الشيخ من الشعر \_\_\_\_\_
- ٤٤٧ شعر الشيخ سعود الشريم \_\_\_\_\_

- ٤٤٩ شعر الشيخ إبراهيم بن صالح الوابل
- ٤٥٠ شعر الشيخ فهد بن عبد العزيز بن حمد آل وهيب
- ٤٥٠ شعر الشيخ عبد الله المعتاز
- ٤٥٢ شعر الشيخ أحمد صالح الصالح
- ٤٥٤ شعر الأستاذ حسين حسن العبدية
- ٤٥٤ شعر الشيخ سليمان بن زيد الجربوع
- ٤٥٦ شعر الشيخ صبيح بن صالح الصيعري
- ٤٥٧ شعر الشيخ مبارك بن عبد الله المحميد
- ٤٥٨ شعر الشيخ صالح بن مقحم المطيري
- ٤٥٩ شعر الشيخ محمد بن عبد الرحمن المقرن
- ٤٥٩ شعر الشيخ إبراهيم بن علي النفيسة
- ٤٦٠ شعر الشيخ علي بن حسن الحارثي
- ٤٦٢ شعر الشيخ خالد بن علي الدويغري
- ٤٦٣ شعر الشيخ عبد الله سليمان المزروع
- ٤٦٤ شعر الشيخ فيصل صالح العبد المنعم
- ٤٦٦ شعر الشيخ عبد الله بن محمد باسراجيل
- ٤٦٧ شعر الشيخ عبد الله جابر المحمود
- ٤٦٨ شعر الشيخ عبد العزيز محمد النقيدان
- ٤٦٩ شعر الشيخ عبد الله عبد الكريم الشايع
- ٤٧٠ شعر الشيخ يوسف عبد الله
- ٤٧١ شعر الشيخ صالح عطا الله الخزيم
- ٤٧٢ شعر الشيخ سعود محمد السليم

- ٤٧٣ ..... شعر الشيخ ناصر محمد العمري  
 ٤٧٤ ..... شعر الشيخ حبيب بن معلا المطيري  
 ٤٧٥ ..... شعر الشيخ صالح علي العمري  
 ٤٧٨ ..... شعر الشيخ هاجد دميثان الحربي  
 ٤٨٠ ..... شعر الشيخ عبد الرحمن بن صالح العشماوي  
 ٤٨١ ..... شعر الشيخ عبد الله محمد السعيد  
 ٤٨٢ ..... شعر الشيخ وحيد عبد السلام بالي  
 ٤٨٣ ..... الخاتمة  
 ٤٨٥ ..... الفهرس

رَفْعُ

عبد الرحمن النجدي  
 أسكنه الله الفردوس

يصدر قريباً للمؤلف

قرة العينين بادلة الاعتقاد  
من الصحيحين

جمع وإعداد

عصام بن عبد المعتمد المري